

نفاضة الحبر اب في علائق الاغتراب

للسان الدين بن الخطيب

(713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م)

الجزء الثالث

تقديم وتحقيق
الدكتورة السعدية فاغية

نفاضة السجرات في علائق الأغراب

للسان الدين بن الخطيب
(713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م)

الجزء الثالث

تقديم وتحقيق
الدكتورة السعدية فاغية

شكر وتقدير

اتقدم بخالص شكري وامتناني الى استاذي الجليل الدكتور فرناندو دي لكرانخا الذي قبل الإشراف على هذا العمل وأولاه كل رعاية واهتمام، وإلى اساتذتي الكرام الذين ما بذلوا علي بوقتهم الثمين وتوجيهاتهم السديدة، وهم العلامة محمد المنوني، د. محمد بن شريفة - د. كورينطي - د. محمد الديباجي - والاستاذ سعيد اديوان تغمده الله برحمته.

وكما لا يفوتني ان أنوه بالمساعدة التي حظيت بها في مدريد من طرف كل من أعضاء القسم العربي بجامعة كومبلتس، والمعهد العربي الإسباني. والمعهد الأعلى للبحث العلمي بمدريد، وكذلك أعضاء الخزانة الحسنية بالرباط، وأتوجه بالشكر الى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

من مطالع العصر الحديث، بدأ المغرب يتفتح - أكثر - على تراث لسان الدين ابن الخطيب، فصارت أوضاعه الأدبية حسب المقرئ، هي قبلة أصحاب الإنشاء بالمغرب، وهو طابع استمر - واضحا - في أساليب الكتاب المغاربة، وكذلك في صياغات الشعراء حتى وقت متأخر.

وإلى هذه الطريقة الأدبية، يترسم مؤرخون من المنطقة ذاتها، منهجية لسان الدين في بعض أعماله، والقصد - أولا - إلى أرجوزته «رقم الحلل في نظم الدول»، فيحتذيها ابن القاضي في رجزه «درة السلوك». فيمن حوى الملك من الملوك، ثم الزياني في «ألفية السلوك في وفيات الملوك»، وثالثا : محمد غريط، في ترجيزه لتاريخ الدولة العلوية باسم «نزهة المجتلي في أبناء أبي الحسن علي».

ومن جهة أخرى : يقلد عبد الحفيظ الفاسي، تركيب التراجم في كتاب «الإحاطة»، ويسير عليه في تراجم فهرسه : «معجم الشيوخ».

ونسنتنتج من هذا المسرد، معرفة طائفة من كتب ابن الخطيب، التي كانت مقروءة بالمغرب، وهي مؤلفاته الأدبية، مع أرجوزة «رقم الطلل»، وكتاب الإحاطة.

ونضيف لهذه القائمة : رسالة «مغلى الطريقة في ذم الوثيقة»، وقد درسها علي بن هارون الفاسي على شيخه محمد ابن غازي، ثم نضيف «جيش التوشيح»، حيث أعجب به عبد العزيز الفشتالي، وذيل عليه «بمدد الجيش».

وفي اتجاه آخر، نشير إلى «اتحاف أشرف الملأ، ببعض أخبار الرباط وسلا» لمحمد بن علي الدكالي : أرجوزة مطولة قصد بها ناظمها إلى مناقشة لسان الدين، في نقط من رسالته «مفاخرة» مألقة وسلا.

كما أن الكتاني احتفظ بالسند إلى مؤلفات ابن الخطيب، وأثبته في فهرس الفهارس.

وفي عصر الطباعة، ساهم المغرب بنشر طائفة من التراث الخطيبي انطلاقا من عام 1907/1325، وهو تاريخ نشر «معيان الاختيار» في مطبعة أحمد يماني بفاس، وبالمطبعة ذاتها نشرت قطعة من أول «الكتيبة الكامنة».

ومع التاريخ المعاصر، نشير إلى أعمال الإعلام : القسم الثاني نشر بالرباط، والثالث بالدار البيضاء، ومن تطوان صدرت رسالة «مقنعة السائل، من المرض الهائل»، ونشر منها بالأعداد الأولى من مجلة لسان الدين، وثالثا : «مغلى الطريقة» ثم التعريف بالحب الشريف.

وقد كان هذا أول الرسائل التي ناقشتها جامعة محمد الخامس عن تراث ابن الخطيب، والثانية هي التي تحمل عنوان : «الشاعر لسان الدين ابن الخطيب».

ومن كلية الآداب بالرباط : نشير إلى «معهد مولاي الحسن» بتطوان، فيقترح بين أبحاثه لجائزة سنة 1948 : موضوع «وزير غرناطة ومؤلفاته».

وفي نفس المدينة تنظم كلية الآداب ندوة ابن الخطيب، حيث كان بين تدخلاتها عرض للأستاذ الباحث عبد السلام شقور، وفيه أعلن عن عثوره على قطعة جديدة من كتاب الاحاطة، وهي التي نشرها - وشيكا - بطنجة.

وإلى هنا نتبين من هذا المسرد ألوانا من تقدير المغرب لثراث لسان الدين، ونضيف لذلك تميز الجهة ذاتها، بأنها كانت ولا تزال المعقل الذي حافظ على غالبية كتب ابن الخطيب، وهو ما يشهد به باحث مختص قائلا عن المنوه به : «معظم كتبه وصل إلينا من المغرب»، وفي تعبير آخر : «معظم تراثه المخطوط مودع بين أيديهم (المغاربة) في الخزائن المغربية الجلييلة».

ومن الجدير بالذكر، أن بين هذه الكتب ما تنفرد به الخزانة المغربية عن أي جهة أخرى، ومن ذلك السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، وهو الذي درسته وحققته دة. السعدية فاغية، في أطروحتها الجامعية التي تقدمت بها للدكتوراه إلى كلية الآداب بجامعة مدريد 1985.

وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدارسة - مرة أخرى - في تعاملها مع النص المحقق : تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعليق الوافية.

وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستمئة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كلها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتهنأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليهنأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب».

الرباط : الثلاثاء 24 جمادى الأولى 1409

3 يناير 1989

محمد المنوني

مقدمة

1. الكتاب الذي نقدم هو السفر (الجزء) الثالث من نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، أحد مؤلفات لسان الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلمي (713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م) (1).

الجزء الأول، وكذلك الرابع - الذي نرجح وجوده - لا زال مفقودين.

أما السفر الثاني : فقد حققه د. مختار العبادي عن نسخة فريدة بالاسكوريال تحت رقم 1755، ونشره بالقاهرة (د. تا) . كما كان موضوع اطروحة دكتوراة بانكلترا (2).

أشار د. العبادي في مقدمة الكتاب الى الخطأ الذي وقع فيه البعض في ظنهم أن السفر الثالث موجود بالاسكوريال (3). كما أشار الى رحلة قام بها الى المغرب سنة 1963 قبل نشر الكتاب حيث التقى بالسيد المنوني والكتاني اللذين تحدث معهما عن موضوع نفاضة الجراب فاخبراه بوجود مخطوط نادر بالخزانة العامة بالرباط، كان يعتقد أنه نسخة من اللوحة البدرية لابن الخطيب، لأن مقدمته كانت هي مقدمة اللوحة، ثم اتضح بعد ذلك أن موضوعه يختلف تماماً عن موضوع اللوحة (4)، وأصبح الشك يقينا إذ اثبت العلامة محمد المنوني بخط يده على الصفحة الأولى من مخطوطتنا ما يلي : «هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلماتها الختامية....».

وبوضع فهرس للخزانة الحسنية (الملكية سابقا) تصدت مخطوطتنا لتصنف ضمن مخطوطاته، فحظيت بوصف د. عنان لنسختها : أحدهما تتوفر عنها الخزانة الحسنية تحت رقم 6593، وهي غير صالحة، والثانية توجد بالخزانة العامة تحت رقم 256 ك (5) وهي التي اعتمدناها في التحقيق.

2. عدد أجزائه :

ذكر ابن الخطيب في إحاطته بأن كتاب نفاضة الجراب يتألف من أربعة أسفار «ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب موضوع جليل في أربعة أسفار» (6).

هذا العدد الذي اثبته جل المؤرخين، فابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل يقول «ونفاضة الجراب في أربعة أسفار، وهي من أحسن تأليفه ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها فلم أقف منها على عين ولا أثر إلا عدة أوراق متفرقة، وقد كنت رأيت بعضها (7)، هذا العدد الذي اثبته كل من المقرئ وبونس بويجس والدكتوران هلال ناجي ومحمد ماخور وغيرهم (8).

لكن بظهور مخطوطتنا إلى حيز الوجود بدانا نلاحظ تحفظ بعض الباحثين في ذكر عدد أجزاء النفاضة وإثبات البعض الآخر أن أصل الكتاب من ثلاثة أجزاء.

نذكر من الفئة الأولى د. محمد الكتاني حيث قال : «نفاضة الجراب في ثلاثة أجزاء... لم يعثر منه إلا على سفره الثاني والثالث من أصل ثلاثة أو أربعة أسفار» (9).

أما الدكتور أحمد مختار العبادي، فقد اتهم ابن الخطيب بالتناقض إذ قال : «أما عن عدد أجزاء فابن الخطيب يشير في آخر النسخة التي بين أيدينا أن الكتاب يقع في ثلاثة أسفار، ولكنه يعود فيناقض نفسه في الإحاطة فيقول : «ونفاضة الجراب في أربعة أسفار» (10).

أما الفئة الثانية فنذكر منها العلامة المنوني والدكتور عنان حيث أثبتا أن نفاضة الجراب من ثلاثة أسفار، معتمدين على قول ابن الخطيب، في آخر مخطوطتنا «تم السفر الثالث وبتمامه تم جمع الديوان...».

لقد أشار د. عنان في مقدمة الإحاطة الطبعة الأولى إلى أن عدد أجزاء النفاضة أربعة مجموعة في سفر بالاسكوريال تحت رقم 1755، وباطلاعه على مخطوطتنا أصلح الخطأ في الطبعة الثانية بأن الرقم المذكور مجرد السفر الثاني من النفاضة، لكنه أثبت بأن عدد أجزاء الكتاب ثلاثة (11)، وهذا ما أثبت أيضا في كتابه عن ابن الخطيب. حيث يقول : «.. لم تصلنا من الكتاب نسخة كاملة بل وصلنا منه فقط سفراء الثاني والثالث، وهو يتكون من ثلاثة أسفار حسبما يخبرنا ابن الخطيب نفسه في نهاية السفر الثاني (نسخة الاسكوريال) وحسبما ورد في نهاية السفر الثالث (نسخة الرباط)» (12).

أما العلامة المنوني فقد نشر كتابا قيما عن المصادر العربية لتاريخ المغرب وأدرج كتاب النفاضة ضمنها، يقول : «نفاضة الجراب في ثلاثة أجزاء... يقع أصلها في ثلاثة أسفار يعرف منها الآن الثاني والثالث...» (13).

ما يجعلنا نرجح أن كتاب النفاضة يتألف من أربعة أسفار ما يلي :

- ابن الأحمر الذي سبق أن أوردنا قوله، لا يمكن اغفال شهادته، خصوصا وهو أحد معاصري ابن الخطيب وقد صرح بأنه رأى بعضها.

- قول ابن الخطيب في النفاضة بأنها من ثلاثة أسفار وفي الإحاطة بأنها من أربعة، ليس فيه أي تناقض، وليس مبررا للشك في عدد أجزاء الكتاب، فابن الخطيب عندما ذكر مؤلفاته في النفاضة (ج 3) ، قال : «وصدر عني لهذا العهد» 14، فلو تتبعنا التسلسل التاريخي لذكر مؤلفاته لا تضح لنا ضبطه التام، ففي السفر الثاني من النفاضة التي يشير إلى أن عددها ثلاثة يقول بأن الإحاطة سبعة أسفار 15، نتابع استمراره في التأليف فيزيد سفرين في الإحاطة وسفرا في النفاضة ويعلن ذلك في الإحاطة، فيقول بأن نفاضة الجراب في أربعة أسفار والإحاطة في تسعة 16، وهكذا يذكر ابن الخطيب عدد أجزاء مؤلفاته وفقا لتواريخ كتابتها، حيث يتعرض مرة أخرى لانتاجاته فيثبت بأن الإحاطة تتألف من خمسة عشر سفرا ونفاضة الجراب من أربعة 17، ومن المعروف أن الإحاطة استغرق في تأليفها زمنا طويلا.

- بالنسبة للعبارة الواردة في آخر مخطوطاتنا (انتهى السفر الثالث...) . فقد ورد قبلها مباشرة قول ابن الخطيب : «وقد أن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه إلى أن يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار ونلقاه من الأخيار» (ل 290).

أذن فابن الخطيب كان ينوي مواصلة تأليفه في موضوع الرحلة، ولم تتح له الظروف الرحلة إلى الحجاز ولكنه رحل إلى المغرب، ليست هذه رحلة حرية بالتسجيل، بل في نفس موضوع الغربة عن الوطن الذي كان حافزا لتأليف الأجزاء الأولى، إلا يمكن أن يضع سفرا رابعا يضمه ما صاحب رحلته من أحداث تاريخية؟...

- أورد الناسخ في آخر الإحاطة قصيدتين لابن الخطيب وعلق عليهما بقوله: «... من كتاب نفاضة الجراب لابن الخطيب المذكور الذي ألفه في العدة بعد صرفه عن الأندلس واستقراره بالعدة بأخرة من عمره، وقرب وفاته ولذلك سماه نفاضة الجراب» 18).

لم يثبت د . العبادي القصيدتين في فصل الضمائم، ولكنه ناقش قول الناسخ بأن كتاب النفاضة وضع سنة 772 هـ، دليلا على ذلك: تواريخ الأحداث التي تناولها

السفر الثاني لا تتعدى الفترة (760 . 763 هـ / 1559 - 1361م)، ثم احالة ابن الخطيب القارئ في كتابه اللوحة على النفاضة للتوسع... علما بأن اللوحة انتهت من تأليفها في أواخر محرم 765 هـ.

من المعروف ان الأحداث التي عرضها السفران الثاني والثالث لا تتجاوز الفترة الممتدة ما بين (760 - 764). وأن هجرته الأخيرة الى المغرب كانت ما بين (772 - 776 هـ / 1370 - 1378م)، لكن قول الناسخ يدفعنا الى التساؤل، الا يكون الناسخ نقل فعلا للقصيدتين من سفر رابع ألف في الفترة الأخيرة، وما دام الموضوع لم يتغير : الاغتراب... فقد اختلط الأمر على الناسخ وظن أن كتاب النفاضة وضعت كل أجزائه في نفس الفترة الزمنية، وقد رجح الدكتور عنان بدوره انتماء القصيدتين الى الفترة المتأخرة لما يحملان من ألم وحسرة واستنكار لموقف أهل بلده منه... (19).

على كل ما وصلنا الآن هما الجزءان الثاني والثالث.

3 . عنوان الكتاب وظروف تأليفه :

ابن الخطيب اطلق على كتابه اسم الرحلة أكثر من مرة، وقد اتفق الباحثون على أن كتاب الرحلة هو نفسه كتاب نفاضة الجراب (20)، لكننا نلاحظ أن بعض المتأخرين وقع لهم خلط في العنوان، حيث سماه ابن غازي «نفاضة الجراب فيمن بقي من الأصحاب» (21)، وسماه عبد الحي الكتاني : «نفاضة الجراب فيمن جمعني وإياه الاغتراب» (22).

أما العنوان الذي اثبتناه : «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» فقد نص عليه ابن الخطيب نفسه في الإحاطة واللمحة البدرية (23).

ما يسترعي الانتباه في عنوان الكتاب هو اختيار ابن الخطيب لألفاظ لها دلالات عميقة : نفاضة، علالة، اغتراب. كل لفظة تعبر عن مضمون من مضامين الكتاب.

وإنبدأ بأهمها :

- اغتراب : لقد ألف ابن الخطيب كتابه في أحلك فترات حياته التي عانى فيها غربة عن الوطن وبعدا عن الأصدقاء، حيث هبت ثورة في غرناطة بتاريخ 28 رمضان 760 هـ / 23 غشت 1359م أطاحت بملك الغني بالله محمد الخامس، وفر السلطان الى وادي آش بينما استمر ابن الخطيب وزيرا لاسماعيل، وشك هذا الأخير في

اخلاص ابن الخطيب فسجنه وصادر ممتلكاته، ويتدخل من أبي سالم المريني سمح لابن الخطيب بمغادرة الأندلس رفقة سلطانه، ونزلا ضيفين على سلطان المغرب يوم 6 محرم 761 هـ / 28 نونبر 1359 م .

جاء ابن الخطيب الى المغرب لاجئا سياسيا... مهيض الجناح ... بلا ممتلكات ولا أموال... بلا منصب ولا وطن، كل ما يملكه ثقافته الواسعة، ومقدرته الأدبية التي وظفها في مدح ملوك المغرب ورؤسائه... مدح تتبثق المראה والحزن من الفاظه لتصور واقعا اليما واقعا عاشه ابن الخطيب، يقول ضمن رسالة كتبها الى السلطان أبي زيان بمناسبة توليه الملك : «... فلم يتح الله نعمة ترعى الضيف، وتحمي الذليل إلا على يديكم... (24).

ويقول في قصيدة مرفوعة الى نفس السلطان (25) :

امولاي راع الدهر سربي وغالني فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسري غيرك اليوم جابر ولا ليدي إلا لمجدك اعلاق

هذا الواقع الذي فرض على ابن الخطيب ان يمدح وزراء يشعر في قرارته بتعاليه عنهم، فتعبر أشعاره عن ذلك ، يقول في مدح الوزير المغربي السبيع : (26)

لعمرك ما تدري الوزارة كفؤها سواك يميننا لا يخاف من الوزر
ومثلك من يعنى بمثلي فانني تهيم المعالي في ثنائي وفي شكري

ورغم ما لقي ابن الخطيب من حفاوة وكرم في المغرب فالحسرة على فراق وطنه لم تفارق قلبه، ولم يخفف ذلك من حدة شعوره بالغربة، فصور مخطوطنا معاناته أصدق تصوير.

نفاضة : لقد نفّض ابن الخطيب في كتابه رصيده الثقافي، فجاء كخلاصة مركزة لفروع ثقافته المتشعبة : أدبية، تاريخية، جغرافية، فلسفية ودينية.

علالة : كان الكتاب بمثابة مذكرات شخصية بثها ابن الخطيب احساساته، وانطباعاته عن المغرب ورجالاته، رافقته في رحلاته، وفي حفلات اعياد المولد النبوي، وفي الحروب والفتن، فكان يتعلل بها في ظروف اغترابه، وبذلك حق لكتابتنا أن يسمى نفاضة الجراب في علالة الإغتراب :

4. تاريخ تأليف الكتاب :

لم يحدد ابن الخطيب تاريخ تأليف الكتاب، لكن الأحداث التاريخية التي سجلها في الجزئين الثاني والثالث تنحصر بين (760 هـ - 764 هـ / 1359 - 1362م).

أما الجزء الثالث، موضوع بحثنا، فيبتدىء بأول حدث مؤرخ بربيع الأول 763 هـ / يناير 1362م، وهو سفر ابن الخطيب من سلا متوجها الى فاس لتقديم ولائه للسلطان الجديد أبي زيان اثر عودته من قشتالة، وينتهي بوصف حفل عيد المولد النبوي الذي أقامه محمد الخامس في غرناطة بعد استرجاعه لملكه وذلك بتاريخ 12 ربيع الأول 764 هـ / 30 دجنبر 1362م.

وهكذا تجدر الإشارة الى أن ابن الخطيب بدا تأليف الكتاب في المغرب وأنهى الجزء الثالث في غرناطة بعدما رجع اليها باستدعاء من محمد الخامس.

رغم أن ابن الخطيب لم يحدد تاريخ انتهائه من تأليف الجزء الثالث من النفاضة فهناك بعض المعطيات تجعلنا نرجح أنه تم قبل محرم 765 هـ / 1363م. وبعد ربيع الأول 764 هـ / دجنبر 1362م :

1. ابن الخطيب اثبت في آخر كتابه اللوحة البدوية تاريخ انتهائه من تأليفه وهو آخر محرم 765 / 1363م، كما علق عن الكتاب بقوله : «وهذا الكتاب عيون ونكت ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب نفاضة الجراب من تأليفنا» (27).

بمقارنة الأحداث الواردة في جزئي النفاضة بما ورد في اللوحة ، كان آخر حدث في كتاب اللوحة عبارة عن إشارة خاطفة الى ثورة قامت ضد محمد الخامس بعد استرجاعه لملكه يقول فيها ابن الخطيب : «وثار عليه في الحضرة بممالاة الاشرار من جنده على بن علي بن أحمد بن نصر، الشيخ المزمّن، فاظفره الله به» (28).

هذه الثورة وجدنا الحديث مفصلا عنها في مخطوطتنا (29)، ومسجلة بتاريخ ذي الحجة 763 هـ / اكتوبر 1362م.

معناه أن ابن الخطيب انهى مخطوطتنا قبل اللوحة اي قبل محرم 765.

ب . ما يجعلنا نشك ان آخر حدث انتهى به كتابنا لا يمكن اعتباره تاريخ الافراغ من تأليفه انما وجدنا في المتن رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفافه بجارية تدعى هند (30)، لم يذكر ابن الخطيب تاريخ إرسالها ولم يشر إليها ابن خلدون في تعريفه رغم انه تحدث عن رحلته الى غرناطة (31) ووصوله إليها يوم 8 ربيع الأول 764 هـ / 26 دجنبر 1362م، وأكد ابن الخطيب في مخطوطتنا مشاركة ابن خلدون في حفل عيد المولد النبوي بقصيدة (32) يوم 12 ربيع الأول، فهل يعقل ان يتزوج ابن خلدون بين التاريخين المذكورين ولما لم ولم يرتح من عناء السفر؛ بالاضافة الى ما يستلزمه الموقف من شكليات الاتصال بالبلاط والتهيب للحفل الخ...

نرجح اذا ان الجزء الثالث من النفاضة تم وضعه بين سنتي (763 - 764 هـ / يناير 1362 - 1363).

5 . خلاصة محتوى الكتاب :

قبل أن نعطي عرضا موجزا لمحتوى مخطوطاتنا يجدر بنا أن نلقي ولو لمحة خاطفة على محتوى الجزئين الأول والثاني.

الجزء الأول :

سبق أن اشرنا الى ان هذا الجزء لازال مفقودا، ولكننا حاولنا تصور بعض موضوعاته انطلاقا من منهجية ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث حيث ذكر الأحداث التاريخية متتابعة حسب التسلسل الزمني (33) فتناول في الجزء الثاني الفترة الممتدة ما بين (أواسط عام 761 هـ - 1360م) و(ربيع الأول 763 هـ / يناير 1362م)، هذا التاريخ الأخير يبتدىء به الجزء الثالث الذي يتطرق الى الأحداث بتسلسل اى غاية 12 ربيع الأول 764 هـ / 30 دجنبر 1362م.

إذن فمن المرجح أن الجزء الأول يتناول الأحداث التاريخية ابتداء من 26 رمضان 760 هـ / 26 غشت 1359، أي من الانقلاب الأول الذي أدى الى خلع محمد الخامس ولجونه رفقة وزيره ابن الخطيب الى المغرب، وابن الخطيب - كما لا يخفى - مؤرخ وأديب، يؤرخ ويصف بدقة متناهية كل ما تقع عليه عيناه، لذلك فقد يتضمن هذا الجزء وصفا مفصلا للانقلاب الأول.

- من خلال الجزء الثاني عرفنا أن ابن الخطيب لما نزل ضيفا على أبي سالم

طلب منه الترخيص له برحلة الى ربوع المغرب ، فسمح له السلطان بذلك لكننا وجدنا الجزء الثاني يبتدىء بصعود جبل (درن) ويستمر في وصف المناطق الجنوبية، فبدون شك ان ابن الخطيب فصل بداية رحلته في اخر الجزء الأول ويؤكد ذلك بعض النصوص المبثوثة في مصادر اخرى نقلا عن النفاضة والتي تحتوي وصف مكناسة الخ...

- عقد د. العبادي فصلا سماه الضمائم (34) جمع فيه النصوص التي عثر عليها في مصادر اخرى اخذتها عن النفاضة ولم يجدها في الجزء الثاني وهي :

1. وصف مكناسة الزيتون.
2. وصف لقائه بعلماء مكناسة.
3. وصف لقائه بالشيخ الزاهد ابي العباس بن عاشر.
4. في وصف مراکش وتامسنا.
5. قصيدة في مدح الرسول (صلعم) ليلة ميلاده.

نضيف الى هذه النصوص قصيدتين أوردهما ناسخ الإحاطة معلقا عليها بأنهما من نفاضة الجراب (35).

بمقارنة هذه النصوص بمحتويات المتن وجدنا الأبيات التي قالها في وصف مراکش وتامسنا (36)، أما باقي النصوص التي جمعها د. العبادي فنرجح أنها من الجزء الأول ما عدا البيت الآتي :

بولي الله فابدا وابتدر واحد الأحاد في باب الورع

فقد اورد د. العبادي هذا البيت ضمن النص الذي وصف فيه ابن الخطيب لقاءه مع الشيخ ابي العباس السبتي، اخذا عن الإستقصا والنفح ، ولم يشرده. العبادي الى التعليق الموجود في كلا الكتابين، وهو : «وقال رحمه الله من قصيدته العينية السلاوية التي وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده» (37) هذا البيت من قصيدة وجدناها كاملة في المتن (38) .

- نحتمل أن الجزء الأول يتضمن فصلا عن وصف احتفال ابي سالم بعيد المولد يوم 12 ربيع الأول 761 هـ / يناير 1360م، والقصائد التي أنشدها الشعراء بالمناسبة، وذلك بناء على ما يأتي :

باستقراءنا للنصوص المشار اليها اثار اهتمامنا قصيدة في مدح الرسول ذكرها ابن الخطيب في الإحاطة وأوردها المقري في نفحه كما جعلها د. العبادي ضمن

فصل الضمائم(39)، هذه القصيدة قال عنها ابن الخطيب : «ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليتنذ من الشعراء ما نصه : وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي في جملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وخذن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن، المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن من عقل رصين، وطلب ممتع وأدب ونقاوة ويد صناع، أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي، فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

اصفى الى الوجد لما جد عاتبه صبب له شغل عمن يعاتبه

والقصيدة طويلة، لكن ما يهمنا فيها هو تردد اسم الخليفة ابراهيم ابي سالم حيث يقول(40) :

لولا الخليفة ابراهيم لا نبهت طُرق المعالي ونال الملك غاصبه

حقا ان القصيدة لا تحمل تاريخا، ولكن لا يمكن ان يكون غير ما ذكرناه ذلك لان ابن الخطيب وفد على فاس في محرم 761 هـ / 1359. وشارك في الاحتفال بعيد المولد النبوي، حيث ان الظهير الذي رخص له بالرحلة صدر يوم 21 ربيع الثاني 761 هـ / 1360م (41)، وقد فضل ابن الخطيب الإقامة في سلا وطلب الإذن من السلطان ابي سالم فاذن له بذلك بتاريخ 11 رجب 761 هـ / 28 مايو، وظل مقيما بها الى أن غادرها نهائيا الى غرناطة يوم 14 رجب 763 هـ / 9 مايو 1362م، عندما نعرف بأن أبا سالم قتل يوم 21 ذي القعدة 762 هـ / سبتمبر 1361م نتأكد ان ابن الخطيب تمكن من حضور الحفل الأول، أما الحفل الثاني فقد ذكر في الجزء الثاني من النفاضة أنه أناب ابنه عنه في قراءة القصيدة لأن الظروف لم تسمح له بالسفر الى فاس(42).

من خلال هذه التصورات يمكن القول بأن الجزء الأول يتضمن أحداثا مغربية واندلسية، وفصلا عن بداية رحلته في المغرب، وفصلا عن وصف عيد المولد النبوي والقصائد التي أنشدت فيه، وكعادة ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث، فهو بين الحين والآخر يعقد فصلا يسجل فيه ما صدر عنه من نظم ونثر لذلك العهد، قد لا يخلو السفر الأول منه.

ملخص الجزء الثاني

خصص د. العبادي عرضا وافيا عن محتويات الكتاب في مقدمته لذلك سنكتفي بإيراد اشارات تاريخية موجزة دون التطرق الى الجانب الأدبي.

- يبتدىء الكتاب بصعود ابن الخطيب الى جبل هنتاة (درن) ثم يستمر في رحلته واصفا المدن التي مر بها والأشخاص الذين تعرف بهم مسجلا خروجه من مركش قاصدا اسفي بتاريخ 23 جمادى الثانية 761 هـ / 21 مايو 1360م.

- 11 رجب 761 هـ / 28 مايو 1360م وصل الى سلا، ومنها بعث رسالة الى أبي سالم يتوسل اليه أن يسمح له بالإقامة في سلا.

- 8 شعبان 761 هـ / 24 يونيو 1360م حدث انقلاب ثاني في غرناطة ادى الى مقتل اسماعيل أخي محمد الخامس واعتلاء ابن عمه أبي سعيد البرميخو عرش المملكة.

- ربيع الاول 762 هـ / يناير، فبراير 1361 وصل بعض القادة العسكريين فارين من غرناطة الى المغرب.

- شوال 762 هـ / 1361م : عبر محمد الخامس الى سبتة بمساعدة السلطان أبي سالم، ومن ثم ذهب الى جبل الفتح حيث تمت بينه وبين سلطان قشتالة اتصالات... منتظرا امدادات عسكرية من أبي سالم، في نفس هذه الظروف قتل الوزير عمر بن عبد الله السلطان أبا سالم وبإيعاخ اخاه ابن تاشفين الملقب بالموسوس.

- كرد فعل بعث أبو سعيد البرميخو عبد الحليم ابن عم السلطان أبي سالم لمطالبته بحقه في الملك، لكن صادف ذلك مقتل أبي سالم واستياء الناس من سلطنة ابن تاشفين مما جعل بعض القبائل تتحاز اليه، فاستولى على مكناسه وتازا، وخاف الوزير من استفحال نفوذ عبد الحليم فبعث الى سلطان قشتالة يطلب منه السماح لأبي زيان بالقدوم الى المغرب، وتم ذلك بشروط...

- صفر 763 هـ / 1361م بويغ أبو زيان بالخلافة.

- ربيع الاول 763 هـ / 1362م فر عبد الحليم الى سجلماسة.

- جمادى الثانية 763 هـ / فر أبو سعيد البرميخو الى قشتالة.

ملخص لمحتويات الجزء الثالث

حاولنا تقسيم الكتاب الى عشرة فصول وسنشير الى اهم الأحداث الواردة فيها :

الفصل الاول :

يشترك هذا الفصل مع آخر الجزء الثاني الذي حققه د. العبادي، ويستله بمقدمة اللحة البدرية، ذلك ان ابن الخطيب ذكر ما صدر عنه من شعر ونثر حتى ذلك العهد، فأورد مؤلفاته وأشار الى أنه ابتداء تأليف اللحة البدرية التي تحمل المقدمة المثبتة في كتابنا والتي كانت سببا في الاعتقاد بأنه اللحة البدرية.

الفصل الثاني :

يبتدئ بالجملة «رجع التاريخ»، هذه الجملة التي تتكرر كلما اراد ابن الخطيب تسجيل الأحداث التاريخية اندلسية أو مغربية.

وفي هذا الفصل يسلط الأضواء على فترة غامضة من تاريخ المغرب في عهد المرينيين محددة بسنة 763 هـ / 1362م. حيث يصف آثار الجفاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويشير الى داء الطاعون الذي كان منتشرا في المغرب خلال هذه الفترة، كما يصور الفتنة والاضطرابات الداخلية...

يصف ابن الخطيب رحلته الى فاس تحت سيول من الأمطار أنهت سنوات الجفاف، وأشاعت بعض الاطمئنان في النفوس، وكان قصده من الرحلة تقديم ولأته للسلطان الجديد أبي زيان، وسجل ابن الخطيب لقاءه بالسلطان بتاريخ 30 ربيع الأول 763 هـ / 27 يناير 1362م. كما اثبت القصيدة التي مدحه بها والظهيرين اللذين أصدرهما السلطان في حقه : أحدهما يخول له عدة امتيازات، والثاني يرخص له الرحلة الى جنوب المغرب بناء على طلبه.

ولم يفت ابن الخطيب اثناء اقامته في فاس ان يسجل الأحداث التاريخية التي شاهدها كوصفه لشخصية منصور أخي عبد الحليم الذي اتى لمساعدة أخيه، وتم القبض عليه بمحض من ابن الخطيب، كما وصف حفل عرس أبي ثابت عامر الهنتاتي كما شاهده، مشيرا الى تنصيبه رئيسا للجند بمراكش.

وفي هذا لفصل اشارة الى شروط المعاهدة التي تمت بين أبي زيان وملك قشتالة.

وقد انتهى الفصل بوصف لما آلت اليه احوال الدولة المرينية من تدهور وانحطاط نتيجة استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة.

الفصل الثالث :

يوم 23 ربيع الثاني 763 هـ / 9 فبراير 1362 خرج ابن الخطيب من فاس متجها الى جنوب المغرب، لكنه مرض في الطريق مما جعله يؤجل الرحلة ويكتب رسالة الى السلطان مبلغه بمرضه.

بعد عشرة ايام يستأنف ابن الخطيب رحلته ويورد وصفا دقيقا للمدن والقرى التي مر بها ابتداء من فاس ثم دشار البوير، مكول، ماغوس، تامسنا، محلة سفيان، طريق مراكش، منار الكتبية...

كما وصف لقاءاته بشيوخ القبائل، والايات التي نظمها في مدحهم وفي هجاء بعض المدن والقرى المغربية...

الفصل الرابع :

وفيه تصوير للشورات الداخلية في المغرب نتيجة الصراعات القبلية.

كما يعرض هذا الفصل انشقاق المغرب الى مملكتين، مملكة فاس تحت سلطنة ابي زيان الشكلىة، بينما المسير الحقيقي هو عمر بن عبد الله الياباني، ومملكة مراكش تحت سلطنة الطفل ابي الفضل بن ابي سالم، بينما المستبد بشؤونها ابو ثابت عامر الهنتاتي، وقد تم هذا التقسيم باتفاق بين الوزيرين.

الفصل الخامس :

وفيه ذكر لأحداث اندلسية، حيث حقق محمد الخامس انتصارا على ابن عمه ابي سعيد البرميخو، واحتل عدة حصون من جملتها مالقة التي دخلها يوم 16 جمادى الثانية 763 هـ / 12 ابريل 1362م، ومنها بعث رسالة الى ابنه بفاس ليخبره بانتصاراته، فابو سعيد البرميخو فر الى قشتالة محملا بذخيرة هائلة من المجوهرات، وصفها ابن الخطيب وصفا دقيقا لأن ابا الحجاج سبق أن اطلعه عليها.

كما تعرض ابن الخطيب الى فشل سفارة ابن كماشة في المغرب.

الفصل السادس :

ويستهله بإشارات موجزة جدا عن الوضعية العامة في غرناطة، ثم ينتقل الى

وصف رحلته مع اسرة محمد الخامس عائدين من المغرب الى غرناطة، وقد نجح ابن الخطيب في اقناع الوزير عمر بن عبد الله بالسماح لهم، بالعودة الى وطنهم هذه المهمة التي فشل فيها ابن كماشة، وقد صاحبهم في رحلته أبو يحيى بن أبي مدين مبعوثا من طرف ملك المغرب، خرجوا من فاس بتاريخ 20 رجب 763هـ / 15 مايو 1362م، ووصلوا غرناطة بتاريخ 20 شعبان / 14 يونيو.

الفصل السابع :

وفي هذا الفصل يذكر نفي ابن كماشة الى تونس، كما يتعرض بتفصيل الى ثورة ضد الغني بالله محمد الخامس بذي الحجة 763 هـ / اكتوبر 1326م.

وفيه ايضا خطبة لابن الخطيب على لسان محمد الخامس لتهدئة الناس بعد الثورة، وكذلك رسالة من انشائه الى المغرب واصفا فيها احداث الثورة، ممهدا لها بوصف الانقلاب السابق.

الفصل الثامن :

ويتضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب اخوانية ودبلوماسية وبعض اشعاره التي كتبها بعد عودته الى غرناطة، ما يسترعي الانتباه في هذا الفصل هو الجانب الجديد : قصائد زجلية لابن الخطيب، فقد عرف كزجال دون ان تصلنا ازجاله، وينفرد كتابنا بهذه الميزة الا وهي الاحتفاظ بقصائد زجلية لم يعثر على بعضها حتى الآن، ونسب بعضها خطأ الى الششتري.

الفصل التاسع :

وفيه وصف دقيق ورائع للمشور الذي بناه محمد الخامس بقصر الحمراء، والذي اقام فيه الاحتفال بعيد المولد النبوي بتاريخ 12 ربيع الأول 764 هـ / 1362م. كما وصف الحفل وصفا متناهما في الدقة، ووصف ايضا الساعة الميكانيكية التي ظهرت لأول مرة في غرناطة عند محمد الخامس، زين بها قاعة الحفل تقليدا لأبي عنان، كما اثبت ابن الخطيب مقطوعات شعرية كان ينشدها عند انتهاء كل ساعة من ليلة الحفل.

الفصل العاشر:

وقد خصصه ابن الخطيب للقصائد التي انشدت في الحفل بمناسبة عيد المولد النبوي من طرف شعراء مختلفين، انفرد كتابنا بجلها.

اهمية الكتاب

يعتبر كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب من اهم مؤلفات ابن الخطيب باتفاق القدماء والمحدثين، فابن الأحمر يجعله من أحسن مؤلفات ابن الخطيب اذ يقول «ونفاضة الجراب في أربعة أسفار وهي من أحسن تأليفه» (43)، ويصنفه الدكتور عنان في الدرجة الثانية بعد الإحاطة حيث يقول : «يعتبر من أهم كتب ابن الخطيب بل ربما كان أهمها بعد كتاب الإحاطة» (44)، وتكمن هذه الأهمية في كونه يؤرخ لمرحلة من أدق وأحرج المراحل التاريخية بالنسبة لمملكتي بني مرين وبني نصر، وهي السنوات الممتدة ما بين (760 - 764 هـ / 1359 - 1362 هـ)، حيث عرف المغرب خلالها حكم أربعة ملوك، وانقسم الى مملكتين : مملكة فاس ومملكة مراكش، كما عاشت مملكة غرناطة صراعات داخلية وخارجية، ففي هذه الفترة الوجيزة عاشت أربعة انقلابات، ذكرت المصادر ثلاثة، وانفرد هذا الكتاب بتفصيل وقائع الانقلاب الرابع.

فالكتاب اذا يكشف حقائق تاريخية ظلت مجهولة الى الآن، كما يرسم صورة واضحة للوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل من المملكتين : النصرية والمرينية، ويبين نوعية العلاقة الدبلوماسية التي كانت تربط بينهما.

بالإضافة الى أهمية هذا الكتاب (الجزء الثالث) التاريخية، فإن له أهمية أدبية كبرى، حيث نجد كل حدث تاريخي مزيلا بقصيدة شعرية أو رسالة أدبية من إنتاج ابن الخطيب أو غيره من مشاهير عصره كابي اسحاق بن الحاج وابن خلدون وابن خاتمة والنباهي وابن مرزوق وغيرهم ممن احتفظ المتن ببعض انتاجهم أما شعرا وإما نثرا.

ومما يثبت قيمة الكتاب الأدبية انه ضم 2131 بيتا من الشعر الموزون المقفى، منها 765 بيتا لابن الخطيب تكون قصائد مطولة ومقطوعات؛ و 1340 بيت منظومة في 25 قصيدة مطولة لشعراء معاصرين لابن الخطيب، انفرد الكتاب بجلها؛ تبقى 26 بيتا مفردا، لشعراء مختلفين. كما انفرد الكتاب بست قصائد زجلية لابن الخطيب.

أما الرسائل والقطع النثرية فيضم الكتاب 38 قطعة نثرية، منها 30 رسالة من إنتاج ابن الخطيب، 20 رسالة دبلوماسية، 10 رسائل، إخوانية، كما وردت 5 رسائل لكتاب آخرين : رسالتان لابن خلدون، رسالة لابن خاتمة، ثلاث رسائل لا يعرف كاتبها، وخطبة لابن الخطيب. وظهيران من أبي زيان إلى ابن الخطيب لم يذكر كاتبهما.

فالكتاب لا تخفى أهميته وصعوبته لذلك فأننا أقدمه إلى القارئ الكريم والأمل يحذونني أن أكون قد وضعت بين يديه مصدرا من أهم المصادر التاريخية والأدبية تشفع أهميته هفواتي، وتبرر مناعة أسلوبه ما أكون قد وقعت فيه من أخطاء.

تعليقات

(1) لسان الدين بن الخطيب : شخصية غنية عن التعريف، فقد كتبت عنه دراسات كثيرة تناولت شخصيته ومؤلفاته، لذلك ارتأينا ان نكتفي بالإشارة الى بعضها دون تكرار الحديث عن حياته ومؤلفاته.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان (ت 808 هـ / 1406م) : ديوان المبتدأ والخبر ، تح. خليل شحاده ومراجعة سهيل زكار، 8 ج، بيروت 1981، ج 7 / 440-445 : 452-455.

- ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل، (ت 807 هـ / 1405م) : نشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح. رضوان الداية، القاهرة 1967، ص 242 - 292.

- المقرئ، أبو العباس أحمد (ت 1041 هـ / 1633م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. احسان عباس، 8 ج، بيروت 1968، تناول الكتاب حياة ابن الخطيب وانتاجاته شعرية ونثرية، أما مؤلفاته فتحتل الصفحات 97 - 108 من الجزء السابع.

- الناصري السلوي (ت 1319 هـ / 1901م) : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، نشر جعفر الناصري ومحمد الناصري، 9ج، الدار البيضاء 1954، ج 4 / 8 - 31، 44 - 49.

- ابن عبد الله عبد العزيز : الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان 1953.

محمد أبو بكر التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه، القاهرة 1954، ج2.

- احمد مختار العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية 1968.

- محمد عبد الله عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة 1968.

- الحسن السايح : مجموعات ابن الخطيب، الرباط 1978.

- كما ترجم له جل من حققوا مؤلفاته نذكر منها :

- الإحاطة، تح. عنان، ج 1 / 17 - 71.

- اللوحة البدئية، تح. محب الدين الخطيب، ص 5 - 12.

- أعمال الأعلام، تح. العبادي، الكتاني، ج 3 / المقدمة.

- روضة التعريف تح. د. الكتاني ج 1 / 11 - 60.

- ديوان الصيب والجهام، ت. شريف قاهر، ص 47 - 87.

- معيار الاختيار، تح. د. شبانة ص 13 - 29.

نشير أيضا الى بعض الدراسات الأجنبية عن ابن الخطيب، ومؤلفاته :

El,II 42 (C. F. Seybold);

E. I, III, 859 - 60 (J. BOSCH-Vilá) ;

F. PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos , arábigo-españoles, Madrid 1898, PP. 343-447 ;

- R. Arié, "Lisán al-dín al-Khaṭīb, quelques aspects de son oeuvre", en Atti del terzo

Congresso di studi Arabi e Islamici, Nápoles 1967 , PP. 69 - 81;

- W. Hoenerbach, "El historiador Ibn al-Jaṭīb : pueblo, gobierno, estado", en Andalucía islámica, I, (1980), pp. 43-63,

- M. Schatzmiller, l'historiographie merinide, Ibn Khaldūn et ses contemporains, Leiden 1982, PP. 76-88.

- E. Santiago Simón, El polígrafo granadino Ibn al-Jaṣīb y el sufismo Granada 1983.

F.A.M. Warburton ; "The Nufāḍat al ṡirāb" of Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb, Ph.D. (2) (Cambridge) 1965-66.

وقد نقلنا هذا عن :

(Theses on Islam, the Middle East and North-West Africa 1880-1978, accepted by universities in the United Kingdom and Ireland comp. por P. slyglett, Londres 1983)

(3) النفاضة 2/ 5 . 6.

(4) (النفاضة 2/ 9).

(5) محمد عبد الله عنان : فهارس الخزائن الملكية، الرباط ، ج 1، ص 343 . 344.

(6) الإحاطة 4/ 459، 462.

(7) المقرئ : ازهار الرياض 1/ 189.

(8) المقرئ : النفع 7/ 98، ازهار الرياض 1/ 189.

- الإحاطة تح عنان، ط 1 القاهرة 1956 (المقدمة).

جيش التوشيع، تح. هلال ناجي ومحمد ماخورد (المقدمة).

- Pons Boigues : Ensayo, P 343.

(9) ابن الخطيب : روضة التعريف، تح د. الكتاني (المقدمة).

(10) النفاضة 2/ 5.

(11) الإحاطة، ط 2 القاهرة 1973، ج 1 (المقدمة).

(12) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وراثته الفكرية ص 242

(13) المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج 1،

الرباط 1983، ص 110.

انظر أيضا مقالاته : والمصادر التاريخية المكتوبة في العصر المريني الثاني «مجلة كلية الآداب

بالرباط، 7 (1981)، ص 176.

(14) النفاضة 2/ 343.

(15) النفاضة 2/ 368.

(16) الإحاطة 4/ 462-461، النفع 8/ 98.

(17) الإحاطة 4/ 459.

(18) الإحاطة 4/ 637.

(19) الإحاطة 4/ 639 حاشية 1.

(20) جمع ابن غازي بين اسمي الرحلة والنفاضة في قوله : وذكر ابو عبد الله ابن الخطيب في

رحلته المسماة بنفاضة الجراب، انظر (الروض الهتون ص 44)، وأشار د. العبادي في مقدمة

الجزء الثاني من النفاضة ان ابن الخطيب لما ترجم للشيخ ابي ثابت عامر الهنتاني وأورد ما قال فيه

من نظم وشعر احوال القارئ على كتاب الرحلة للاستزادة من أخبار الشيخ، وقد وجد فعلا في

النفاضة 2 مما جعل د. العبادي يؤكد ابن الخطيب يسمي كتابه الرحلة، (ص 9).

نتفق مع د. العبادي ونؤيد رأيه فقد عثرنا بدورنا على مطلع لقصيدة النباهي، وهو:

خليلي مرّاً على أرض مارب ولا تعدّلا إنني غير آئب

- علق عليه ابن الخطيب بقوله : «وهي طويلة ثبتت في الرحلة فليُنظرها كل من أراد استيفاء أغراضها،
«انظر الإحاطة 4/ 95». وقد وجدنا هذه القصيدة كاملة في كتابنا، انظر : النفاضة 3 ص 299.
- يقول العلامة المنوني : «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب اسم الرحلة المغربية التي كتبها ابن
الخطيب أيام إقامته في المغرب، انظر : (المصادر العربية لتاريخ المغرب ص 110).
(21) الروض الهتون ص 44.
(22) فهرس الفهارس والأشياء 17991.
(23) الإحاطة 4/ 462، اللحة ص 125/ ط 2.
(24) المتن ص 42
(25) المتن ص 64
(26) المتن ص 43
(27) اللحة ص 131.
(28) اللحة ص 129.
(29) المتن ص 168.
(30) المتن ص 210.
(31) التعريف، تم ابن تاروت، ص 84.
(32) المتن ص 297.
(33) عن منهاج ابن الخطيب التاريخي راجع : محمد زنيير : «ابن الخطيب والتجديد في المنهاج
التاريخي»، مجلة كلية الآداب بالرباط، 2 (1977)، ص 79. 126.
(34) النفاضة 2/ 371. 386.
(35) الإحاطة 4/ 637. 639.
(36) المتن ص 9594، النفاضة 2/ 380. 381.
(37) الإستقصا 4/ 24.
(38) المتن ص 227، النفاضة 2/ 379.
(39) النفاضة 2/ 383.
(40) النفاضة 2/ 386.
(41) الإحاطة 4/ 453. 455.
(42) النفاضة 2/ 172.
(43) المقرئ : ازهار الرياض 1/ 189.
(44) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ص 242.

منهجية لتحقيق الكتاب

صعوبات جمة تعترض كل محقق، فتفرض عليه صبرا طويلا واستقصاء دأبا للمصادر، فكيف بنا ونحن أمام مؤلف لابن الخطيب حرص على أن يبرز فيه ثقافته الواسعة بأسلوب يمثل أقصى ما وصل اليه فن الصنعة آنذاك، ويستفحل الأمر أكثر فلا تصلنا الا نسخة واحدة صالحة للاستعمال، لم يتورع الناسخ من انقالها بالتحريف والتصحيف. لقد كان لزاما علينا الإطلاع على مؤلفات ابن الخطيب الأخرى، وكذلك على مصادر معاصرة لها أو متاخرة عنها، علنا نعثر فيها على بعض مما يحتويه كتابنا، وفعلنا لقد وجدنا بعض النصوص الشعرية والنثرية مبثوثة في كتاب ريحانة الكتاب والإحاطة وديوان الصيب والجهام والكتيبة الكامنة ونفح الطيب.. مما استدعى المقابلة بينها وبين المتن.

فيما يخص ريحانة الكتاب والإحاطة فقد أشرنا في الحاشية الى أرقام صفحاتهما المطبوعة لكن الاعتماد كان على نسخ مخطوطة اشرنا الى لوحاتها، وذلك لأسباب معروفة لا داعي لتكرارها.

قسمنا المتن الى عشرة فصول حسب الموضوعات، كما وضعنا عناوين تقريبية، وذيّلنا كل فصل بتعليقات تتضمن شرح الألفاظ الغامضة، تعريف الأشخاص والأماكن والقبائل، ونسبنا الأبيات الشعرية الى أصحابها، كما استخرجنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال.. ورقمناها بالأرقام العربية، بينما رقمنا الاختلافات بين النصوص بأرقام هندية.

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الفصل الأول من كتابنا يشترك مع آخر الجزء الثاني من النفاضة المنشور، قمنا بإعادة تحقيقه اعتبارا منا أن الجزء الثالث بمثابة نسخة جديدة.

والكتاب غني بالأحداث التاريخية والآثار الأدبية، كما يعكس جوانب متعددة من ثقافة ابن الخطيب المتنوعة وهذا من شأنه أن يملئ فهرس للكتاب، فكانت كما يلي :

— فهرس الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني.

— فهرس الأشخاص والقبائل.

— فهرس الأماكن.

— فهرس الأشعار.

— فهرس الرسائل والقطع النثرية .

— فهرس الآيات القرآنية.

— فهرس الأحاديث النبوية.

— فهرس الأمثال.

— فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.

رموز التحقيق :

[]	: زيادة من النصوص المقارن معها.
()	: ساقط.
< >	: زيادة من عند المحققة.
ل	: اللحة البدرية، بيروت 1987.
ر	: ربحانة الكتاب (مخ، الاسكوريال رقم 1825)
ط.	القاهرة : ربحانة الكتاب، تحقيق د. عنان، القاهرة 1981. ج 2.
ف	: نفاضة الجراب، ج 2، تحقيق العبادي، القاهرة (د.تا).
ح س	: الإحاطة (مخ. الاسكوريال رقم 1673، 1674).
ح	: الإحاطة (مخ. الأكاديمية الملكية بمديري، رقم 142).
ط.	القاهرة : الإحاطة، تحقيق د. عنان، ط 2 القاهرة.. 1977، ج 4.
ن	: نفح الطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت 1968، ج 8.
م	: نفاضة الجراب (مخ. الخزانة العامة رقم 256 ك). الجزء الثالث.
د	: ديوان الصيب والجهم، تحقيق قاهر، الجزائر 1973.
ك	: الكتيبة الكامنة، تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1968.
ش	: ديوان الششتري، تحقيق النشار، الإسكندرية 1960.

وصف المخطوطة

للمخطوطة نسختان :

احدهما تحت رقم 6593 تحتفظ بها الخزنة الحسنية بالرباط، وهي قديمة متلاشية، ملتصقة الأوراق مبتورة الأول والآخر، وغير صالحة للاستعمال.

النسخة رقم 256 ك وتوجد في الخزنة العامة، هي التي اعتمدت في التحقيق، عدد اللوحات : 290 مرقمة بالطريقة الحديثة (حسب الصفحات).

حجمها: 20,6 X 26,9 سم.

الغلاف : بني من الورق المقوى تليه ورقة مضافة الى الكتاب مكتوب عليها اسم اللمة البدرية، وفي نفس الصفحة كتب العلامة المنوني بقلم حبر جاف أزرق ما يلي :

«هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمتها الختامية. وقد كتب في طالعته على قطعة من الورق مغايرة للورق الأصلي اسم ابن الخطيب من غير ذكر اسم الكتاب الذي ربما يتوهم أنه اللمة البدرية وهو غيرها قطعاً كما يعلم من مقابلة الكتاب باللمحة من سياق الكتاب الذي يتماثل مع سياق الجزء المعروف منه والمحفوظ بالاسكوريال وأن هذا الجزء المتحدث عنه يكمل نسخة الاسكوريال التي تليها ويوضح أن جزء الاسكوريال هو الثاني ويحدد أن الجزء الذي لا يزال ضائعاً هو الأول وهو الذي اقتبس منه ابن غازي في الروض وهو أيضاً بدون شك الذي يفصل رحلة ابن الخطيب.

الخط : اندلسي مليح، كتبت بعض الألفاظ بقلم غليظ إشارة الى الرجوع الى السطر.

كما كانت تتخلله فواصل وهي عبارة عن ثلاث نقط مترادفة.

الشكل : شكل الناسخ بعض الالفاظ السهلة، أما المستعصية فاكثفت برسمها كما هي أو كما فهمها.

تبتدىء المخطوطة بما يلي :

«بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه».

قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماي الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه :

الحمد لله الذي جعل دول الأملاك، كأنجم الأحلاك، تطالعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة.

وتنتهي بقول ابن الخطيب :

وقد أن لنا أن نختتم هذا السفر ونقتصر عليه، الى أن يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار، ونتقاء من الأخيار، ان شاء الله.

تم السفر الثالث ويتمامه تم جمع الديوان والحمد لله الذي هدانا للإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين أجمعين وسلم تسليما الى يوم الدين.

المخطوطة لا تحمل اسم الناسخ ولا تاريخ الانتهاء من النسخ، ولكنها قديمة.

في سنة اربع مائة واربعمائة من الهجرة النبوية
 قال الشيخ الامام العلامة في البحر
 القهاية ابو عبد الله محمد بن ابي الخليل
 التميمي الاندلسي رحمه الله في غنة
 الجفجفة التي جعلها في الامام فاجعل في الامام
 وتلعب بها مستقيمة او يحسب ثم تزيب بها ما تروى شقي. الشهاب بن علي وضع الرجوم بين
 واليس من الموت وجل والزم معتز ولا تجل. فيما خسر الرنت غصير الهام. والمرب شديد
 الضمخ والزوجة تسيروا ما يواي يفزع عن التيسير والسور. وشمل العشير
 ولا تخراب نكحها الاثرى. وانصاعة يشمرها الاعترا. ولا امر بالبحر. هذا القول
 يحسب الاثرى. والرياء تغفر ولا عكيا. تفرغ ان رات ما يواي مجورة. والرسوق
 كعومة ولا موري. والركاء فرسنت. وايرة الامالة قد تكت. جاز ان يسم تسام. ولا مرس
 ناء. ولا اثر. ما الشبه الميسلة بالبارجة. والغادية بالهجرة. انما من الخيال. الدنيا كمال اخر
 لنا. بن اسماء ما خيلك به بناء. الارض ما فتح شيئا نزل. الرياح ما تولى المشرق غنت. معه
 ان يخرجه من الجفجفة. بل فرغ من عيشة ابيه من النسيمة. واخطع جوامع من الربيعة
 غير المستقيمة. سوز راخانه الله في المسافكة العفيمة. وكوس
 از عرق الحس. وكما في الرن القصير. بالاشياء محمد في نغوشه. وتما بنا. وتغير منوعة تيزن
 شاع

أول صفحة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 256 ك.

الفصل الأول

«رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب»

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدي ومولاي محمد وآله وصحبه. /1 /
قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، أبو عبد الله محمد بن الخطيب
السلماني الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه (١) :
[وصدر عني لهذا العهد من نظم الكلام، ونثره ما يُذكر :

فمن التواليف : رجز في الأغذية^[1]، إذ كنت قد فرغت من النظم في العلاج
والسياسة، تضمن ذكر الأغذية على أحرف المعجم وطبائعها ومنافعها ومضارها.
وإصلاح خللها، وما تعلق بها من وجوه المعالجة، ولم أقف في هذا الغرض على
نظم. وشرعت في تأليف يختص بتاريخ الدولة النصرية على أسلوب مختصر منه
على العيون، سميت «باللمحة البدرية في الدولة النصرية»^(٢) [افتتحت بما نصه^(٣) :
الحمد لله الذي جعل [الأزمنة كالأفلاك، و^(٤) ودول الأملاك كأنجم الأحلاك،
تطلعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة، ثم تذهب بها غائرة^(٥)
متغيرة، السابق عَجَل، وطبع الوجود مرتجل، والحي من الموت وجل، والدهر [لا^(٦)
معتذر، ولا خجل بينما ترى الدست عظيم الزحام، والموكب^(٧) شديد الإلتحام،
والوزعة تشير، والأبواب يقرعها البشير، والسرور قد شمل [الأهل^(٨) والعشير،
والأطراف تلثمها^(٩) الاشراف، والرايات^(١٠) تعقد، والأعطيات تنتقد، إذ رأيت
الأبواب مهجورة والدسوت لا مؤهلة ولا مزودة، والحركات قد سكنت، وأيدي الإدالة
قد تمكنت، «فكأن لم يسمر (بها)»^(١١) سامر^[2]، ولا نهى ناه ولا أمر أمر، ما
أشبه الليلة بالبارحة»^[3]، والغادية بالرائحة، «إنما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح»^[4]،

فالويل لمن [لم] (١٢) يترك حسنة تتفعه، أو ذكرا جميلا يرفعه، فلقد عاش عيشة (١٣) البهيمة النهمية، وأضاع جواهر عمره الرفيعة [القيمة، في السبل] (١٤) غير المستقيمة، ويذر أمانة الله في المساقط (١٥) العميقة، وطوى لمن عرف المصير (١٥) وغافص (١٦) الزمن القصير، في اكتساب محمدة تبقى بعده شهابا، وتخليد منفعة (١٧) تفيده / ثناء وثوابا، فالذكر كلما تخلد استدعى الرحمة وطلبها، واستدنى المغفرة واستجلبها، فلمثله فليعمل العاملون، وغايته فليؤمل (١٨) الآملون، «الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون» [6]، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي شرح حقارة الدنيا على الله وبين، وحد (١٩) البلوغ منها وعين، وخفض الكلفة ولين، وحسن الدار الآخرة وزين، وخفض أمرهذه الدار الغرور، وهين وقال صلى الله عليه وسلم : «أكثرنا من ذكر هادم اللذات [7] كيلا تتشبت بها يد «ولتنتظر نفس ما قدمت لغد» [8]، والرضى عن آله الذين جازوا على جسرها الممدود ومروا، ولقوا الله وهم لم يغتروا، فكانوا إذا عاهدوا بروا، وإذا سمعوا اللغو فروا، وإذا تليت عليهم آيات الرحمان خروا، وكانوا عن حدود تقواه لا يبرحون، ويسوى (٢١) مواهبه الباقية لا يفرحون، وفي مرضاته يمسون ويصبحون، «أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون» [9].

أما بعد، فإن تاريخ الدول عبرة لأولي النهى، وذكرى لمن غفل عن الله وسها، لتحول الأحوال، وتصير الأمور الى الزوال، وتلاعب زعازع الأهوال بالنفوس والأموال، الى إمتاع المجالسة، وإتحاف المؤانسة عند الملابس، لا سيما التاريخ الذي لم يهتد لضمه لديوان (٢٢) لقلة عيان، أو تأخر زمان، فالنفوس اليه متطلعة، وباجتلاء أغراضه متولعة، لذلك ما جلبت في هذا الكتاب ذكر «ملوك الدول النصرية» على نسق، واطلعت منهم في ليل الحبر بدور غسق، إذ كنت جهينة أخبارهم، [10]، [وقطب مدارهم] (٢٣)، وزمام دارهم، فذكرت نبذا من حال وطنهم الذي سكنوه، وأفقههم الذي حسنوه بسيرهم الحميدة وزينوه، ومن دال قبلهم من أمير، أو ذي خبر شهير، ثم تعاقبهم بحسب الزمان، وسعة الإمكان، ومن اختص بهم من كاتب وقاض، (٢٤) ووزير، أو كان على عهدهم من ملك / كبير، أو حادث يليق بتخليد أو تسطير، وسميته «باللمحة البدرية، في الدولة النصرية». فإن كانت الإجابة فهو القصد (٢٥)، وإن (٢٦) كانت الأخرى بذل الجهد، وحصلت البراءة من العجز وله الحمد، وما أنا أبدي وباله أهتدي، وعفوه يتقدم ما خطته يدي، وينقسم حسبما يذكر :

القسم الأول : في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها، وأحكم تدبيرها.

القسم الثاني : فيما يرجع إليها من الأقاليم والأقطار، على الإيجاز والاختصار.

القسم الثالث : فيمن دال بها من أمير . وسلطان شهير.

القسم الرابع : في عوائد أهلها وأوصافهم، على تباين أصنافهم.

القسم الخامس : في نسق الدول، واتصال الأواخر منها بالأول، وما يختص بكل دولة من الألقاب، والأذيال المستطرفة (٢٧) والأعقاب (٢٨).

ومن المنظوم والمنثور في شتى الأغراض، من ذلك في مخاطبة الوزير عماد الدولة أبي عبد الله عمر بن عبد الله [١١] في بعض ما فتح الله عليه (٢٩) [فيه ما نصه] (٣٠) :

(سريع)

وَتَقْ بِهِ فَهَوَ الَّذِي أَيْدَكَ	لَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ فِي شِدَّةٍ
فِي ظِلْمَةِ الْأَحْشَاءِ قَدْ صَوَّرَكَ (٣١)	حَاشَاكَ أَنْ تَرْجُوَ إِلَّا الَّذِي
وَوَجْهَكَ أَبْسَطَ بِالرَّضَى أَوْ يَدَكَ (٣٢)	فَأَشْكُرُهُ بِالرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ
قِلَادَةَ الْحَقِّ الَّذِي (٣٣) قَلْدَكَ	وَاللَّهُ لَا تُهْمَلُ الطَّافُفَةُ
يَا عُمَرَ الْعَدْلُ وَمَا أَسْعَدَكَ	مَا أَسْعَدَ الْمَلِكَ الَّذِي سُسُنْتُهُ

نخص الوزير الذي بهر سعده، وحمد في المضاء قصده، وعول على الشيم الذي اقتضاها مجده، وأورثه إياها أبوه، وجده، الكذا ابن الكذا (٣٤)، أبقاه الله ثابت القدم، خافق العلم، شهيرا حديث سعده / في الأمم، مثلا خبر بسالته وجلالته في العرب والعجم.

تحية معظم مجده الكبير، المستشف الى عهده (٣٥) الوثيق وحسبه الشهير، المسرور بما سنّاه (٣٦) الله له من نجح التدبير، والنصر العديم النظير، وإنجاده إياه عند إسلام النصير (٣٧)، وفراق القبيل والعشير، فلان بن فلان (٣٨)، واليد ممدودة الى الله تعالى في صلة سعد الوزير، أبقاه الله بدوام (٣٩) عصمته، واللسان يطنب ويسهب في شكر نعمته، والأمل متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته، وقد كان شيعته مع الشفقة التي اذابت الفؤاد، وألزمته (٤٠) الأرق والسهاد، على علم بأن عناية الله عليه عاكفة، وديم الآث له وديه واكفة، فإن الذي أقدره وأيده ونصره، وأنفذت مشيئته ما دبره، كفيل بإمداده، وملي باسعاذه (٤١)، ومرجو لإصلاح دنياه ومعاده، وفي اثناء هذه الأراجيف استولى على معظم وزارته الجزع،

وتعاورته الأفكار تأخذ وتدع، فإني - كما يعلم الوزير [أعزه الله] (٤٧) - منقطع الأسباب، متوحش من الجهة (٤٣) الأندلسية على بعد الجناح، ومستعدى على في كوني (٤٤) من المعدودين فيمن له من الخالصاء (٤٥) والأحباب، فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس، وأمان النفس، والحق بمأمن يرعاني برعي الوزير خلال ما يدبر الأمر من له التدبير، ففي اثناؤه، وتمهيد أساس بنائه، ورد البشير بما سنأه الله لسيدي وجابر كسري، ومنصقي بفضل الله من دهري، من الصنع الذي بهر، وراق نوره وظهر [فأمنت وإن لم أكن ممن جنى، وحقتني المسرات بين فرادى وثنى، وانشرح بفضل الله صدري، وزارتنى النعم والتهاني من حيث أدري ولا أدري، ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير وأحسنه، وسبق إليه امتنائه، نائبا عني في تقبيل يده، وشكر يده، والوقوف ببابه، والتمسك بأسبابه، وأثرته بذلك لأمر، منها : المزاولة (٤٦) فيما كان يكلفه من أمر إخوته (٤٧) الأصاغر، وتدريبه على خدمة الجلال الباهر، ولعائق عن ضعف الحركة، [وإفرادي له بالبركة] (٤٨)، وبعد ذلك أشرع بفضل الله في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العليا، عارضا من ثنائها ما يكون وفق الأمانة، ورب عمل أغنى عنه فضل نية (٤٩) [12]، والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله، وبركاته] (٥٠).

[13]
[وخطبت عميد الجهة المراكشية أبا ثابت عامر بن محمد الهنتاتي في غرض الشفاعة : (٥١)]

سيدي الذي هو رجل المغرب كله، والمجمع على طهارة بيته وزكاء أصله، علم أهل المجد والدين، وبقية كبار الموحدين (٥٢)، بعد السلام الذي يجب لتلك الجلالة الراسخة القواعد، السامية المصاعد، والدعاء لله أن يفتح لك في مضيقات هذه الأحوال (٥٣) مسالك التوفيق، ويعلقك (٥٤) من عصمته بالسبب الوثيق، أعرفك أن جبلك اليوم وقد عظم الرجفان، وفار (٥٥) التتور وطغى الطوفان، تؤمل النفوس الفرقى جودي [14] جوده، وترجو التمسك بالوجود مع وجوده (٥٦)، / ووالله لولا العلق (٥٧) [15] الذي يجب لها الالتزام، ما وقع على غير قصدك الإعتزام، فالله يمدك بإعانتته على تحمل القصاد، ويبقى محلك (٥٨) رفيع العماد، كثير الرمد [16]، ويجعل (٥٩) أبا يحيى عوضا (٦٠) منك بعد عمر النهاية البعيد الآماد، ويبقي كلمة التوحيد (باقية) (٦١) فيكم الى يوم التناد [17]، وحامله القائد كذا بيته معروف النباهة والجهاد، ومحل لا ينكر في الفؤاد (٦٢)، لما اشتبهت السبل، والتبس القول والعمل، لم يجد أنجى من الركون الى جنابك، والتمسك بأسبابك، والإنتظام في جملة (٦٣) خواصك وأحبابك، حتى ينبج الصبح، ويظهر النجج، ويكون بعد هجرته الفتح، ومثلك من قصد وأمل، وانضم (٦٤) اليه المطي وأعمل، وأما الذي عندي من

القيام بحق تلك الذات الشريفة، والقول بمناقبها المنيفة، فهو شيء لا تفي به العبارة، ولا تؤديه الألفاظ المستعارة، (والله المسؤول في صلة عزة سيدي، ودوام سعده) (٦٥)، والسلام.

وخاطبت (٦٦) شيخ الدولة المرينية على هذا العهد [المرجى] (٦٧) يحيى بن رحو [18] وكان قد صدر له مني بر عند وصوله الى غرناطة (٦٨)، ونشأت مداخلة عميقة (٦٩) الى الآن :

سيدي الذي له المزية العظمى، والمحل الأسمى، شيخ قبيل بني مرين، وقطب مدار الأحرار على الإجمال والتعيين، والمتميز بالدهاء والرجاحة (٧٠) والمعرفة الفسيحة الساحة، والصدقة المباحة، وشرط (٧١) الصوفية من ترك الأذى ووجود الراحة، أسلم على ذاتك الطاهرة التي بخلت الأزمان والله أن تأتي بنظيرها، وتنافس الدول في تكبيرها، وسارت المواكب الملكية بمسيرها، وأثنت الألسن بفضلها وخيرها، وأقر لديها أنني أعددت من معرفتها بالأندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا، إعدادا له وخزنا، إذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقه (٧٢)، ولا ترد اليد الى الذخيرة إلا في اضافة، وعجز طاقة، وما كانت الوصلة بمثله / ليهملها مثلي جهلا بقيمتها الغالية وإزراء بجهتها (٧٣) الكافلة الكافية، لكن ثابت عن يدها أيد، وأعفى عن ابتذالها ما كيف الله من عمرو وزيد، والآن أقرر أنني كادت حاجتي الى ذلك العتاد (٧٤) أن تتمحص، وزيدته أن تتمخض، إذ هو حظي من رعي ذلك القبيل الذي قصرت عليه رياسته، والوزير الذي من رأيه يستمد (٧٥) سياسته، وإذا وقد خاصة (أهل) (٧٦) هذه المدينة مهنيين، ويشكر الإيالة (٧٧) الكريمة مثنين، فخيمته ظلي الظليل (٧٨)، ومشاركته معتمدي في الكثير فكيف ولا غرض لي إلا في القليل، وعندي أن رعيه لمثلي لا يحتاج (٧٩)، الى وسيلة تجلب، ولا ذمام يحسب، فمثله من قدر قدر الثناء، وشيد أعلام الحمد سامية البناء، وعرف أن الدنيا على الله أحقر الأشياء، وقد رفعت أمري كله بعد الله الى رأيك، وغنيت عن سعبي لنفسي (٨٠) بجميل سعيك. والسلام.

وخاطبت في هذه الحال صاحب خطة العلامة، الأمير الناجم أبا سعيد بن رشيد [19] بما نصه من المنظوم والمنثور، واتفق أن لم يوجه شيء من ذلك كله ولا مما قبله، لفصل الدهر هذه الخطة بإذن مصرفه سبحانه (٨١).

(وافر)

بِكَ الْخَطِّ الرَّفِيعَةِ فَلْتَهْنَأُ فَإِنَّكَ سَعْدُهُمْ لَفْظاً وَمَعْنَى

إِذَا ذُكِرَ الْعِلَاءُ فَأَنْتَ أَعْلَى
مَحَاسِنُكَ اغْتَدَّتْ جَنَاتُ عَدْنٍ
فَمَهْمَا حَلَّهَا إِنْسَانٌ عَيْنٌ
هَزَزَتْ أَبَا سَعِيدٍ مِنْكَ نَوْحاً
فَكُنْ حَيْثُ اقْتَضَاهُ بِكَ (٨٣) اعْتِدَادِي
فَتَى الْفَتِيَانِ أَنْتَ بِلَا نِزَاعٍ
وَلِإِنْ ذُكِرَ السَّنَاءُ فَأَنْتَ أَسْنَى
لَنْ يَرْتَادُ إِحْسَانًا وَحُسْنًا
فَلِلْإِنْسَانِ فِيهَا مَا تَمْنَى
بِهِ مَا شِئْتُ (٨٤) مَنْ ظَلُّ وَمَجْنَى
وَشَدُّ لِي مِنْ كَرِيمٍ الرَّعْيِ مَنَى
وَمَثَلِي مَنْ وَفَى بِبَدْرِ وَأَثْنَى

الحمد لله حمد من لم يعدم اللطف، ولم يفقد (٨٤) على البذل العطف،
والشكر لله الذي سحب السحب الوطف [20]، وسوغ من أفنان نعمه القطف،
وأطالع سيدي الذي وسم السعد كنيته وأعملها (٨٥)، وقبل الإجماع حجة فضله
وسلمها، وتيمنت باسمه وصورته ومعرفته الدولة التي خدمها، لما عجل لها
الوسيلة وقدمها، إني (٨٦) لما اتصل بي خير استقلاله برياسة القلم الأعلى، والرتبة
الفضلى، والدرجة (٨٧) التي هو الأحق بها الأولى، ذاتا وصفات (٨٨) وقولا، قلت هذه
فريضة لي فيها حظ وتعصيب، وغنم (٨٩) لي فيه إرضاخ ونصيب، وهدف لي فيه
سهم مصيب، العروة الوثقى (٩٠) والآخرة خير وأبقى [21] ، اللهم أوزعنا شكر
نعمتك، ولا تقطع عنا عوائد فضلك وكرمك، سادة ككعوب الرمح، فضلهم أوضح
من فلق الصبح، كلما أقل منهم أقل، أو غاب كاف كافل، أرى من أقبل على من
أدبر، وقال لسان الحال هذا أكبر، سيما هذا الفاضل الذي هو فضل (٩١) كله،
وطبعه على الفضائل يده، ما شئت من رشد وسعد، ووجه سبب وحسب جعد،
وقبل ويعد ومخيلة نَجَح لا تُخْلَف بوعد، ورئاسة هذا القلم الأعلى، أبقي الله سيدي
مؤرد مثلي ممن أصبح سلعة (٩٢) تتغالي فيها أولو الذوات الفاخرة، ويتناغي
المتنافسون في إحياء العظام النادرة، وحظ الدنيا والآخرة، فإذا رُفِع في الرتبة
علم خفاق، خفاف، وتعين إجماع (٩٣) وإصفاق [22]، فهو قبلي التي أرضاها (٩٤)،
ووجهتي التي عينها الحق (٩٥) واقتضاها، فهنأت أولا نفسي بوفور حظها من
النعمة، وفوزها بالقدح المعلن (٩٦) عند القسمة، ثم هنأت الرتبة التي ظفرت
بالكف والكريم، ولازمها اليمن والسعد ملازمة الغريم، وقدمت بين يدي قنومي
[علي سيدي] (٩٧) الذي لا محط لي إلا على نار قراه، ولا سيز لي إلا لذراه، فقد
جمع لي الصيد قراه، وحمد عزمي / عند صحيح وجهه (٩٨) المشرق وسراه [23]
بفضل الله وتنبه مثله على رغي مثلي جفوة يسعها كماله، ويتغمدوا إفضاله. إذ

ذاتُه أشرفُ، وهو بما تُوحيه طباعُه الكريمة أعرف، حفظَ الله علينا منه جُمْلَةً الكمال، وقِبْلَةً الآمال، وعرفه عوارفُ الإقبال بفضلِهِ. والسلام [الكريم يخصه ورحمة الله وبركاته] (١١).

وخاطبت صاحب أشغال الدولة الناجمة يوسف بن الكناني كذلك : (١٠٠).

سيدي الذي يشار إليه (١٠١) بالبنانِ عندَ ذِكْرِ الأعيانِ، وعندهُ يقفُ حمْدُ اللسان، في عرضِ أولي الحُسنِ والإحسان، سَهَمَ كُنْهَهُ الصائبِ، وفخر الآتي منها على الأذهابِ، أبقاك الله واضحَ المسالكِ في الفصل والمذاهبِ.

حَصَلَتْ بيّني وبين ابنِ عمِّك مداخلةٌ أوجِبَها المجدُّ الذي أنتَ فيه قسيمُهُ، والسرُّ الذي راق العيونَ وسيمُهُ والخلقُ الذي هو الرُّوضُ تَضَوُّغُ نسيمُهُ، وأنا حريصٌ أن أجمعَ من صُنْعِي (١٠٢) الدهرَ عليّ بمعرفتي بكما بين (١٠٣) أُخْتَيْنِ، هما انشراحُ الصدرِ وقُرَّةُ العينِ، فسهل سبيلَ الشاءِ على مجدك، وسوغَ (١٠٤) المكارمِ التي هي من بعضِ البنينِ لجدك، فأني (١٠٥) مِنْ يَوْمِ نَزَعْتَ عن وطني، وضاق بالاغترابِ عطني [24]، عيال على الأعيانِ الأعلامِ، سيما حَمَلَةَ الأقالِمِ، وقد رُمْتُ قُرْبِكَ فَأَمَّا معنَى وَجَبًا فتيسرَ، وأما حسًّا ظاهرًا، فتعسرَ وتعذَّرَ، وبأدركتُ تهنئةَ سيدي بالولاية التي هي إرث عن السلفِ (١٠٦)، وعن سابقٍ ومؤتلفٍ، وإن أغفلتُ قبل فقد ذكرتُ، أو أخطأتُ فقد اعتذرتُ، والفروضُ تُقْضَى إذ فاتت وهي العبادة، فكيف المعاملاتُ التي تتفمدها السادةُ، وأنا على إثر الكتابِ وقدمته لأجد محله فسيحاً لألمي، كفيلاً بجذلي، وجانبه مسرحاً (١٠٧) لناقتي وجَملي بحول الله.

ولما تمَّ الأمر لمولانا السلطان أبي زيان [25]، خاطبته على يَدَي مُصَرِّحِ أمره عامر بن محمد بن علي، بما نصَّه، وقد حملته ما ينهيه إليه من تشييعي : (١٠٨)

(كامل)

يا مَنْ علَّاهُ ليسَ يحصرُ حاصرُ
لولاكَ أَصْبَحَ وَفَوْرَسُ دَائِرِ
بسعودِهِ فَلَكَ المشيئةُ دائِرُ
إِذْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا الْوَلِيُّ النَّاَصِرُ
حَرْبُ مُضَرِّمَةٍ (١١٠) وَبِحَرْزِ أَخِرِ
حَسُنْتَ لَهُ الْعُقْبَى وَعِزُّ الْآخِرِ
وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ضِمَائِرُ
كسري وحظِّي مِنْكَ حَظٌّ وَافِرُ

يا بَنَ الخلائفِ يا سَمِيَّ مُحَمَّدٍ
أَبْشِرْ فَأَنْتَ مَجْدُ (١٠٩) الْمَلِكِ الَّذِي
مَنْ ذَا يَعَانِدُ مِنْكَ وَارِثُهُ الَّذِي
أَلْقَتْ إِلَيْكَ يَدَ الْخِلاَفَةِ أَمْرَهَا.
هذا وبينك للصريح [26] وبينها
من كان (١١١) هذا الصنعُ أولُ أمرِهِ
مولاي عندي في عِلَّاكَ مَحَبَّةٌ
قَلْبِي يَحْدُثُني بِأَنَّكَ جَابِرُ

فَوَسَّيْتَنِي لِعَالَاكَ نَوْرًا بَاهِرًا
يَلْقَى لَكَ سَيْفَ أَمْرٍ [27]
وَنَضَى الْعَزِيمَةَ وَهُوَ سَيْفٌ بَاتِرٌ (١١٣)
خَذَلْتَ عَلَاهُ قَبَائِلَ وَعِشَائِرَ [28]
فِي كُلِّ مُغْضَلَةٍ طَيِّبٌ مَاهِرٌ
لَكَ إِذْ عَذَانِي عَنْكَ عَذْرٌ ظَاهِرٌ (١١٤)
فَهِىَ الرِّيَاضُ وَالرِّيَاضُ بَوَاكِرُ

يُرى جُودَكَ قَدْ وَضَعْتُ (١١٣) حَقِيبَتِي
وَبَذَلْتُ وَسْعِي وَاجْتِهَادِي مِثْلَمَا
وَهُوَ الْوَلِيُّ لَدَى الَّذِي اقْتَحَمَ الرَّدَى
وَوَلِيَّ جَدِّكَ فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَمَا
فَاسْتَهْدَ مِنْهُ النَّصِيحَ وَاعْلَمَ أَنَّهُ
وَرَفَعَتْهَا لِتَنْوِبَ قَبْلَ تَوْصَلِي
إِنْ كُنْتُ قَدْ عَجَلْتُ بَعْضَ مَذَاحِي

مولانا وعمدة ديننا ودينانا الذي سخر الله البر والبحر لأمره (١١٥)، وحكم
فوق السماوات السبع بعز نصره، وأغنى يوم سعيه عن سل السلاح وشهره،
وفتق عن زهر الصنع (١١٦) الجميل كرامة / تسليمه وصبره، وقبض له في علم غيبه
وزيرا مذكورا لشدة أثره، وقود الملك إليه على (١١٧) حال حصره، الخليفة الإمام
الذي استبشر به الإسلام، وخفقت بعزته (١١٨) الأعلام، ولاح بدر محياه فافتضح
(١١٩) الإظلام، المقتدى بالنبي الكريم سمي في المرشد التي تألق منها الصبح،
والمقاصد التي لازمها (١٢٠) النجج. والتمحيص الذي نبع منه المنج، حتى في الهجرة
التي جاء بعدها الفتح، أبو زيان بن مولانا ولي العهد ترشيعا وحالا (١٢١)، ومؤمل
الإسلام تقلدا للمذهب الصريح (١٢٢) وانتحالا، وأمير المسلمين لو أوسع القدر
إمهالا، ووسطى عقد البنين خلانق متعددة وخلالا، المتحف بالسعادة ولما يعرف
بدره هلالا، المعوض بما عند الله سعادة ألبسته سريالا، وأبلغته من رضاه (١٢٤)
أمالا، أبي عبد الرحمان (١٢٥) بن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء، وعنصر الصبر
والوفاء، وسر الله المسدول على الضعفاء، والمجاهد في سبيل الله بنفسه وماله،
المنيف على مراكز النجوم بهمة وأماله (١٢٦)، المقدس أبي الحسن بن موالينا
الخلفاء الطاهرين، والأئمة المرتضين (١٢٧)، من قبيل بني مرين، وصفوة الله في هذا
المغرب الأقصى من أوليائه المؤمنين، وزينة الدنيا وعمدة الدين، هناء الله [على]
(١٢٨) ما أورثه من سرير الملك الأصيل، وخوله من سعادة الدنيا والدين على الإجمال
والتفصيل، وتوجه من تاج العزة القعساء عند اشباه السبيل، وعوضه من قبيل
الملائكة عند تشئت القبيل، وجعل قدمه الراسخة، وأيته (١٢٩) الناسخة، وربوته
السامية الباذخة، وعزة نصره الشاذخة (١٣٠) وأوزعه الآله في الخلاص من ملكة
أعدائه، وخطر البحر وعدوان مائه، وغول السفر، وارتكاب الغرر [29] وثبات أقدام

/10

أوليائه الذين «ما بدلوا تبديلاً» [30]، ولا ارتضوا لقبلة طاعته بعد أن ولّوا وجوههم شطرها تحويلاً، بل صَبَرُوا صَبْرًا / جميلًا، وبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ (١٣١) تَتَمِيمًا لَعُقْدَةِ إيمانهم، وتكميلًا. يَسْلُمُ على مقامكم الذي وَسَمَ السَّعْدُ مشرق جبينه، وَذَخِرَتْ قَبْلُ الطَّاعَةِ لِيَمِينِهِ، وَأَقْسَمَ الدَّهْرُ بِمُظَاهَرَةِ أَمْرِهِ السَّعِيدِ فَبَرُّ، وَالشُّكْرُ لَهُ، فِي يَمِينِهِ، عِبْدُكُمْ الَّذِي اعْتَلَقَ مِنْكُمْ بِالْوَسِيلَةِ الْكُبْرَى، وَقَرُّ بِمَلِكُكُمْ عَيْنًا وَشَرْحَ صَدْرًا، وَبَذَلَ الْجُهدَ وَإِنْ جَمَلَ قُدْرَةُ وَقَدْرًا (١٣٢)، وَالتَّمَسَّ لَكُمْ الدُّعَاءَ عَلَنًا وَسِرًّا، فَلَنْ الَّذِي حَطَّ رَحْلَ انْتِظَارِهِ (١٣٤) بِتَرَابِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ مِنْ جُلُودِكُمْ، مُحَارِبِ بَرَكَمِ، وَأَسْبَابِ جُودِكُمْ، وَابَائِكُمْ الَّذِينَ فِي مَظَاهِرِ بَرِهِمْ (١٣٥) وَرَعِيهِمْ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَخَائِلُ هَدَاكُمُ وَتَدْرُ سَحَابِ جُودِكُمْ، مُلْتَحِفًا مِنْذُ سَنِينَ عَدَّةٍ (١٣٦) بِأَصُونَةِ قُبُورِهِمْ وَثِيَابِهَا، مُسْتَظَلًّا بِبِنَاهَا (١٣٧) الْمُعْظَمَةَ وَقَبَائِبِهَا، مَمْرَغًا خَدَّهَ بِتَرَابِهَا، وَمَوَاصِلَ الصَّرَاخِ بِيَا آلَ مَرِينٍ وَيَا آلَ يَعْقُوبَ (١٣٨) مُتَطَارِحًا عَلَى أَبْوَابِهَا، فَلَمْ يَتَّحِ اللَّهُ نَعْرَةً تَرَعَى الضَّيْفَ وَتَحْمِي الدَّلِيلَ (١٣٩)، أَوْ حَمِيَّةَ تَرْفَعُ الضَّيْمَ وَتَشْفِي الْغَلِيلَ، إِلَّا عَلَى يَدِكُمْ أَيُّهَا الْكَرِيمُ (١٤٠) ابْنُ الْكَرِيمِ، وَيُطْلُ الْمِيدَانِ فِي مَوْقِفِ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ، الْمَذْخُورِ لِنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَانْتِصَافِ (١٤١) الْغَرِيمِ، وَإِجَالَةِ (١٤٢) أَقْلَامِ الْفَتْحِ بِفَتْحِ الْأَقَالِيمِ. كَتَبَهُ مَهْنُتًا بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ لِلْمَلِكِ مِنَ الصَّنْعِ (١٤٣) الَّذِي خَرَقَ حِجَابَ الْعَادَةِ، وَأَرَى إِعْجَازَ السَّعَادَةِ (١٤٤)، مُعْجَلًا ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى لَثَمِ بَسَاطِكُمْ الَّذِي يَشْرَفُ وَجُوهَهَا مَلِيحَةُ الْوُجُوهِ (١٤٥)، وَتَخْشَاهُ الْأَمْلَاقُ الْجَبَابِرَةُ وَتَرْجُوهُ، وَأَدَاءَ (١٤٦) الْوَاجِبِ مِنَ الْقِيَامِ بِمَنْظُومٍ شَنَانِهِ فِي الْحَقْلِ الْمَشْهُودِ، وَإِبْلَاجِ لِسَانِ الْحَمْدِ وَسَعِ الْمَجْهُودِ، وَالْقَاءَ (١٤٧) مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنْ خُلُوصٍ وَجَنُوحٍ، وَحُبٍّ وَاضِحٍ (١٤٨)، أَيْ وَضُوحٍ، فَوَلِي دَعْوَتِكُمُ الشَّيْخُ أَبُو ثَابِتٍ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يَقْرَأُهُ، وَيُبَيِّنُ مُجْمَلَهُ وَيُفَسِّرُهُ، وَالْعَبْدُ وَاثِقٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى يَدَيْكُمْ، وَمَلْتَمِسٌ النَّظَرَ (١٤٩) لَدَيْكُمْ، وَقَاطِعٌ بِأَنْ طَلَبْتَهُ بِكُمْ تَتَسَنَّى (١٥٠) وَأَنْكُمْ سَبَبُ عَاقِبَتِهِ الْحُسْنَى، إِمَّا بِالظُّهُورِ عَلَى الْوَطَنِ الَّذِي تَجَرَّأَ الْمُتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى مَلِكُكُمْ، وَمَدَ الْيَدَ إِلَى نَثْرِ (١٥١) سَلِكِكُمْ، وَنَقْضِ إِرْتِكَمِ (١٥٢) الْمُسْلِمِ / الْمُحَرَّرِ، وَزَلْزَلِ وَطَنِكُمْ الْمُؤَسَّسِ عَلَى الطَّاعَةِ لَكُمْ (١٥٣)، وَأَضْرَمِ النَّارَ فِي بَسَانِطِكُمْ وَجِبَالِكُمْ، وَأَطْلَقَ يَدَ الْفِتْنَةِ عَلَى بِيُوتِ أَمْوَالِكُمْ، مُتَكَثِّرًا عَلَيْكُمْ بِالْقُلَّةِ، مُتَعَزِّزًا بِالذَّلَّةِ، جَانِيًا عَلَى دَارِكُمْ بِمَا لَا تَبِيحُهُ الْمَلَّةُ، أَوْ بِالشَّفَاعَةِ الْجَازِمَةِ إِنْ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ فِي الْإِنْتِصَافِ (١٥٤)، وَاللَّهُ يَجْعَلُ الظُّهُورَ لَكُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَيُعِينَكُمْ عَلَى جَبْرِ الْكُسِيرِ، وَتَيْسِيرِ الْأَمْرِ (١٥٥) الْعَسِيرِ، وَيَهْنِكُمْ مَنَحَةَ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ، وَيُبْقِي كَلِمَتَهُ فِي عَقَبِكُمْ بَعْدَ تَمَلُّقِ التَّعْمِيرِ، وَالسَّلَامِ.

وَخَاطَبَتِ الْوَزِيرَ كَبِيرَ السُّوْلَةِ [31] عَلَى أَثَرِ الْفَتْحِ الثَّانِي الَّذِي تَكَيَّفَ لَهُ: (١٥٦)

سيدي الذي أُسْرُ بسعادته، وظهور عناية الله به في إبدائه وإعادته، وأعلم كريم (١٥٧) مجادته، وأعترف بسيادته، الوزير الميمون الطائر، الجاري حديث سَعْدِهِ ومضائه (١٥٨) مَجْرَى المثل السائر، الكذا ابن الكذا - أبقاه الله عزيز الأنصار، جاريةً يَمُنُّ نَقِيْبَتَهُ حركةُ الفلك الدوار، معصوماً من المكاره بعصمة (الله) (١٥٩) الواحد القَهَّار، مُعْظَمُ سيادته الرفيعة الجانب، وموقر وزارته الشهيرة المناسب، الداعي الى الله بطول بقاءه في عز واضح المذاهب، وصنَّع وإكف السحائب - فلان (١٦٠) من كذا عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء، ويد ممدودة الى الله بالدعاء، والتماس لما يُعَدُّ (١٦١) من جزيل النعماء، «والفتح الذي تفتح له أبواب السماء» [32] ، وقد أتصل (به) (١٦٢) ما سنَى (١٦٣) الله له من النصر والظهور، والصنع البادي السفور، لما التقى الجمعان، وتهوديت أكواس الطعان، وتميز (١٦٤) الشجاع من الجبان، وظهر (١٦٥) من حزامه سيدي وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان، حتى كانت الطائلة لحزبه، وظهرت عليه عناية ربه، فقلت الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات، بعيد الغايات، وصنع الله له باهر الآيات، واضح الغرر / والنشآت. وقد كنت بعثت أهنئه بما تقدم من صنع جميل، وبلوغ تأميل، فقلت : «اللهم أقد عليه (١٦٦) التهاني تتري، واجعل الكبرى من نعمتك السالفة نعمتك الرادفة المخالفة هي الصغرى (١٦٧). واجمع له بين نعم الدنيا والآخرة، والناس - أبقى الله سيدي - لهم مع الاستناد إليك جهات، وأمور متشابهات (١٦٨)، إلا المحب المتشيع فجهتك هي التي أنست الغربة. وفرجت الكربة، ووعدت بالخير (١٦٩)، وضمنت عاقبة الصبر (١٧٠)، وأنا أرتقب ورود التعريف المولوي على عبيده بهذه المدينة وأصل - إن شاء الله - لمباشرة (١٧١) الهناء، وقرة العين بمشاهدة الآلاء، والله - عز وجل - يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه، ويرادف قبله نعمه وآلاءه، بفضل (١٧٢)، والسلام.

وخاطبت (١٧٣) الرئيس الماجد أبا ثابت عامر بن محمد (الهناتاني) (١٧٤) مراجعا عن مخاطبة (١٧٥) براءة وردت [33] قبل وصوله لمصارخة (١٧٦) الملك.

يا سيدي الذي لبستُ من يده البيضاء طوقاً، وسموت بمعرفته فوقاً فوقاً، وعجزت عن معرفة قدره مقالا فقلدتها حالا وذوقاً. ورد علي مشرف (١٧٧) المراجعة وفصله عميم، ومصدره - أبقاه الله - كهف فهو لأجل ذلك رقيم، فقلت قول بلقيس : «إني ألقى إلي كتاب كريم» [34] أطرب بدنو اللقاء، وبشر على الظما (١٧٨) المبرج بالسقاء، وهي علم الله الأمنية، والمنحة السنية، سيما لمثلي ممن خبر وتنخل، وجود ويخل، (١٧٩) وأعمل ميزان الاختبار، وماز الشبه [35] من النضار (١٨٠)، فوقت عليك اختياره، وشهد بطيب تترك معياره، فأنت، والله يقيك، ويصل بك الامتاع ويبقيك،

لست من الزمن في شيء بعد أن صار رشده لفي، ونشره لطي، إنما أنت بقية من منحة (١٨١) الإمام، وزهر تلك الكمام، ورفعة من تلك الحل الرفيعة، وعوض (١٨٢) من تلك الزريعة، أبقتة الأيام لتباهي به يوم الزينة (١٨٣) / وتدل على من ذهب من رجالها وهي جد حزينة.

وكان مما أوصى (١٨٤) علي يد سيدي أن أقاسمه المراحل ، وأجدد بلقائه (١٨٥) أنسي [الماحل] (١٨٦)، لولا ما طرقتني من تشيت صيرني داية طفل، وحارس باب غير ذي قفل، والإنسان محلّ تأثير، وباعتبار التغييرات غير أثر ^{والله} عز وجل - يؤاخذ ببعض ما كسب العبد ويعفو عن كثير، ومع ذلك فلقاء سيدي روح من الله ينفس الكرب، ويبلغ المرغوب، وحركته (١٨٧) - بفضل الله - حركة اقبال، [وعند] (١٨٨) اللقاء يفسر كل إجمال، بحول الله، والله - عز وجل - يمنع عن سيدي نواجذ الدهر (١٨٩)، ويحفظه في السر والجهر، ويقر عينه (١٩٠) بولده، ويرده مرد السلامة والغنى الى بلده، ويجعل أيدي مناوئه تحت يده، كما جعل يومه في الفضل مقصرا عن غده، بفضل الله، والسلام.

ومما خاطبت (١٩١) به وزير الدولة الناجمة، محمد بن موسى الملقب بالسبيع، ولم يقض انفاذه (١٩٢) :

(طويل)

إِذَا بَرَقَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ الْمَنَاصِلُ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ [36]
أَنَافَ عَلَيْهَا مِنْكَ كَافٌ وَكَافِلٌ
لِتَصْغِيرِ تَعْظِيمٍ بِهِ الْفَخْرُ حَاصِلٌ
تُؤَيِّهِ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

أَيَا سَبَّحَ الْمَيِّدَانِ غَيْرَ مَدَافِعٍ
وَمِنْ شَأْنِهِ وَاللَّهِ يَرْفَعُ شَأْنَهُ
أَهْنِيكَ أَمْ يَهْنِي الْوِزَارَةُ أَنَّهَا (١٩٣)
لِئِنْ صَغُرُوا مِنْكَ السَّبَّيْعُ فَأَنَّهُ
كَمَا فَعَلُوا فِي الْمَوْتِ وَالْخُطْبِ خَطْبُهُ

ومما صدرت به إليكم كتابا لم يتأت إيصاله (١٩٤)

(طويل)

عَلَى [يدك] (١٩٥) النصر العزيز على الدهر
[بأمر قيام] (١٩٦) الواحد الماجد الحر
من الجود (١٩٧) والإقدام في حدة العمر
إلى الرأي [والفهم] (٢٠٠) المسدد (٢٠١) والشعر
سواك يميننا لا يخاف من الوذر
تهيم (٢٠٢) المعالي في ثنائي وفي شكري

أَيَا سَبَّحَ الْمَيِّدَانِ دَعْوَةَ أَمَلٍ
عَيَالاً (١٩٦) عَلَى الْأَحْرَارِ أَصْبَحْتُ فَلْتَمَّ
وَأَنْتَ الَّذِي جَلَيْتَ فِي كُلِّ حَلْبَةِ (١٩٨)
إِلَى الْحَسْبِ الْوَضَاحِ وَالشَّيْمِ الْعَلَسِ
لَعَمْرُكَ مَا تُدْرِي الْوِزَارَةُ كُفَّاهَا
وَمِثْلِكَ مَنْ يَغْنَى بِمِثْلِي فَإِنِّي

ومن المقطوعات المستملحات قولي، وقد قلت لبعض الأصحاب عقيب فكاهة
ولوذعية أنكرتها على نفسي، ما رأيت ضيفا أهون ولا أهضم لدي من هذا الشيب،
أعني الشيب الذي عاجلني، فقال : هو جنى على نفسه، فإنه طورك على غفلة في
غير وقته الذي يستعد فيه لكرامته فيه (٢٠٣) :

(خفيف)

قُلْتُ لِلشَّيْبِ لَا يَرِيكَ جَفَائِي فِي اخْتِصَارِي (٢٠٤) لَكَ الْبُرُودَ وَمَقْتِكَ
أَنْتَ بِالْعَتَبِ يَا مَشِيبي أَوْلَى جَنَّتَنِي غَفْلَةٌ وَفِي غَيْرِ وَقْتِكَ

ومما وقع من الملح، وقد جرى ذكر علي بن كماش [37] من قواد الأندلس،
وقد مر ذكره، وهو مشهور بالشؤم في حركاته، معروف بذلك، وتوجه في خدمة
السلطان [الى الأندلس] فلم ينجح القصد فقلت (٢٠٥) :

(طويل)

كُمَاشِيكُم مِّنْ أَجْلِهِ انْكَمَشَ السَّعْدُ إِذَا مَا اطَّرَحْتُم شُؤْمَهُ أَنْجَزَ الرَّعْدُ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ (٢٠٦) مِنْ قَبْلِ السَّعْدِ عِنْدَهُ مَخِيلَةٌ (٢٠٧) تُجْعِلُ كَيْفَ تُرْجَى لَهُ بَعْدُ
وَتَصْرِيفُهُ الْمَشُؤُومَ فَلْتَتَذَكَّرُوا وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ [38]

وجرى أيضا ذكر ما يوصف به، فكان من التملح فيه (٢٠٨).

/16/

(مجزوء الرمل)

قِيلَ لِي مَا تَأْتَتْ فَرَاشَةَ مِنْ بُخَارِ ابْنِ كُمَاشَةَ
أَحْرَزْتَ أَجْرَ شَهِيدٍ نَالَهُ الطُّغْيَانُ وَنَاشَهُ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْنُوا نَ عَلَى تِلْكَ الْفَرَاشَةِ

وفي مثل ذلك أيضا (٢٠٩) :

(كامل)

مَرُّ الذِّبَابِ عَلَى فَمِ ابْنِ كُمَاشَةَ فَانْقَضَ عَسْكَرُهُ وَهِيضَ جَنَاحُهُ
فَكَأَنَّهُمْ صَرَعُوا وَقَدْ عَصَفَتْ بِهِمْ مَسْمُومَةٌ عِنْدَ الصَّبَاحِ رِيَّاحُهُ
سَرِيعَانِ حَرْبٍ مِنْ بَنِي حَرْبٍ أَتَتْ حَمَلَ السِّلَاحِ عَلَيْهِمْ سَفَاحُهُ
أَعْلَى جِلٍّ (٢١٠) اللَّهُ كَمْ مِنْ خَائِنٍ نَاجِيَّتُهُ صَبْحاً فَسَاءَ صَبَاحُهُ

وقلت (٢١١) وقد حدث ما أوجبه (٢١٢) :

(مخلع البسيط)

مَنْ طَلَبَ الْوُدَّ مِنْ سَالَوِي (٢١٢)
هَادِيَةً أُمُّهُ وَفِيهِمَا
رَاوِيَةً (٢١٤) الْفَضْلُ فِي انْقِطَاعِ
حَقَّقِي فَمَا شُنَّتْ مِنْ دِمَاغِ
مَرْضَى مِنَ الْجَهْلِ لَا حَكِيمِ
لَيْسَ لَهُمْ فِي النِّشَابِ (٢١٥) نِدْ
قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ
يَا لَيْتَنِي إِذْ سَكَنْتُ فِيهِمْ

أَنْشَأَهُ اللَّهُ مِنْ مَسَاوِي
أَبُوهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ هَاوِي
عَنْهُمْ إِذَا مَا فَرَضْتَ رَاوِي
قَدْ عَدَمُوا الْمَخَّ فَهُوَ خَاوِي
وَلَا طَبِيبٌ وَلَا مَسْدَاوِي
وَلَا نَظِيرٌ وَلَا مَسَاوِي
أَدْحَضَهَا اللَّهُ مِنْ دَعَاوِي
مِنْ أَرْضِ وَالَاتِنِ قَنَاوِي [39]

وخاطبت شيخ العرب [40] المخصوص بالمزية لهذا العهد، منبها على بر
من قصده، مستعينا بجاهه من الأصحاب (٢١٦) :

(كامل)

عَرَصَاتُ (٢١٧) دَارِكُ لِلضِّيَافِ مَبَارِكُ
وَنَوَالِكُ الْمَبْدُولُ قَدْ شَمَلَ الْوَرَى
(وَقُلْ الَّذِي قَالَ الْجُودُ قَدْ انْطَوَى
وَالْجُودُ لَيْسَ لَهُ غَمَامٌ هَاطِلٌ
جَمَعَ الشَّجَاعَةَ (٢٢١) وَالرَّجَاعَةَ وَالنَّدَى
لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا وَلِلشُّيْمِ الْعُلَى
(عِنْدَ الْهِيَاجِ رَبِيعَةٌ بَنُ مَكْدَمِ
وَرَثَ الْجَلَالََةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ
فَجِيَادُهُ لِلْأَمَلِينَ مَرَاكِبُ
فَإِذَا الْمَعَالِي أَصْبَحَتْ مَمْلُوكَةً
يَا فَارِسَ الْعَرَبِ الَّذِي مِنْ بَيْتِهِ
يَا مَنْ تَيْسَرَ (٢٢٧) بِأَسْمِهِ قَصَادُهُ
أَنْتَ الَّذِي اسْتَأْثَرْتُ فَيْكَ بَغِيطَتِي
لَا زِلْتَ نَوْرًا يَهْتَدَى بِضِيَائِهِ
وَيُخَصُّ مَجْدُكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرُ

وَيَضُوءُ نَارِ قِرَاكِ يُهْدِي السَّالِكُ
طَرَا وَفَضْلُكَ لَيْسَ فِيهِ مِشَارِكُ (٢١٨)
وَالْبَاسُ لَيْسَ لَهُ حَسَامٌ فَاتِكُ (٢١٩)
وَالْمَجْدُ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ تَارِكُ (٢٢٠)
وَالْبَاسُ وَالرَّأْيُ الْأَصِيلُ مُبَارِكُ
وَالْجُودُ إِنْ شَخَّ الْقَمَامُ الْمَاسِكُ (٢٢٢) [41]
وَالْفَضْلُ (٢٢٣) وَالتَّقْوَى الْفُضَيْلُ وَمَالِكُ (٢٢٤)
فَكَانَهُمْ مَا غَابَ مِنْهُمْ (٢٢٥) هَالِكُ
وَحِيَامُهُ لِلْقَاصِدِينَ أَرَانِكُ
أَعْنَاقُهَا بِالْحَقِّ فَهُوَ الْمَالِكُ
حَرَمٌ لَهَا حَجٌّ بِهِ (٢٢٦) وَمَنَاسِكُ
فَلَهُمْ إِلَيْهِ مَسَارِبٌ وَمَسَالِكُ
وَمَسَاوِكُ فِيهِ مَا خَذُ وَمَتَارِكُ
مَنْ جَنَّهُ لِلرُّوْعِ لَيْلٌ حَالِكُ
كَالْمَسِكِ صَاكُ بِهِ الْغَوَالِي صَائِكُ

الحمد لله الذي جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا، وجعل اسمك فالاً، ووجهك جمالاً، وقربك جاهاً، ومالاً، وآل رسول الله لك آلاً، اسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب ساداتها وكبرائها، وأهنتك بما منحك الله من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف (٢٢٨) بها ولا يشقى، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمناً للخائف، على تباين (٢٢٩) المذاهب والطوائف، وصرف الأكسنة إلى مدحك، والقلوب إلى حبك، وما ذلك إلا لسريرة عند ربك، ولقد كنت أيام جمععتني (٣٠) وإياك المجالس (٢٣١) السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الأمل سالكا، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء، والشيم الدالة على العلياء، وزكاء الأصول وكرم الآباء، وقد (٢٣٢) كان والدي - رحمه الله - عين للقاء خال السلطان قرييكم (٢٣٣) لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائباً في تأنيسه عن مخدومه، ومنوها حيث حل بقدومه، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة (٢٣٤) والمعرفة، والوسائل المختلفة، (ثم لما حل والدي (٢٣٥) بفنائكم شملته مكارمكم (٢٣٦) العربية. ونالته فضائلكم التي اقتضتها الأصول الزكية، والنفس الأبية) (٢٣٧)، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذي حلوه شرف وفخر، ومعرفته كنز وذخر، فلما ظهر الآن لمحل لأخ (٢٣٨) القائد الكذا فلان اللحاق بك، والتعلق بسببك، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعض (٢٣٩) والله ييسر في البعض عند تقرير الأمر وهدنة الأرض، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد، وماجد وابن أمجاد، ومثلك لا يوصي (٢٤٠) بحسن جواره، ولا ينبه / على إيثاره، وقبيلك من العرب في الحديث والقديم (٢٤١) وهو الذي أوجب لها مزية التقديم، لم تفخر (٢٤٢) قط بذهب يجمع، ولا ذخّر يرفع، ولا قصر يبني ولا غرس يجنى، إنما فخرها بعدو يغلب (٢٤٣) وثناء يجلب، وجزز تنحر، وحديث يذكر، وجود على الفاقة، ومحااجة بجهد الطاقة (٢٤٤)، فلقد ذهب الذهب، وبقي النشب، وتمزقت الأثواب، وهلك الخيل العرباب، «وكل الذي فوق التراب تراب» [42]، وبقيت المحاسن تروى وتنقل، والأعراض تجلى وتصل، والله درّ الشاعر إذ يقول :

(رجز)

ولنما المرء حديث بعده فكن (٢٤٥) حديثاً حسناً لمن وعى [43]
هذه مقدمة أرجو أن يسني (٢٤٦) الله بعدها لقاء الأمير، فيجلى اللسان عما في الضمير،

(طويل)

ومدحني على الأملاك وقف ولنما (٢٤٧)
وأيتك منها فامتدحت على رسم (٢٤٨)
وما كنت بالمهدي غيرك مدحتني ولو أنه قد حل في مفرق النجم

وطلب مني صاحب العلامة الرئيس الفاضل، أبو القاسم بن رضوان [44] أن أكتب لولده على ظهر مجموع انتسخ له من شعري بالإجازة، فكتبت له ما نصه(٢٤٩) :

أما بعد حمد الله الذي جعل الفضائل بدرا وزرعا (٢٥٠)، وأصلا يخلف فرعا، فإن أهمل الأصل فهو من أهمال الفرع (٢٥١)، وإن ترك الزرع ضاق بالحاجة الضرع (٢٥٢)، فحفظها لهذا السبب حافظ الأنواع، وأغرى بها سليمة الفطر وكريمة الطباع، فاطردت العناية واستمرت، وانتالت (ودرت) (٢٥٣) ونجحت الأعمال وانبعثت الآمال، وتعديت شروط الوجوب الى شروط الكمال، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي فضلت ملته الملل، وشفت هدايته العلل، فكان مما انفردت به رواية الخلف عن السلف، وتلافى الفوائد الفعلية من قبل التلف / ، والرضى عن اله الطيبين، وصحابته المنتخبين (٢٥٤)، فإنني لما استدعاني السيد الكبير الحبر، الإمام صاحب القلم الأعلى، والطريقة المثلى، والذات الفضلى، ريحانة الأندلس التي تزور منها المغرب، وتغنى بحديث فضله (٢٥٥) الحادي المطرب، وفخر الأفق الجهادي بيتا معمورا بالوزراء الأخيار، والصلحاء الأبرار، ونسب في خرقة (٢٥٦) الأنصار، من بني النجار ، وحسبك بخولة المختار، وعفاف طاهر الثوب ضاقي الأزار (٢٥٧)، الى الوجه المبشر بالسعادة، وييمن (٢٥٨) النقية في الإبداء والإعادة، والحياء الذي نضر الوجه، وأرق (٢٥٩) البشرة، والذات التي لا تعرف الشره، والعلم من أزمنة الفنون المسلّم له في الأبرار [منه] (٢٦٠) والعون، أبو فلان لإجازة ولده (الأسعد) (٢٦١) الأمجد، وارث رتبته السماء، بعد تملي الحياة (٢٦٢) وطول البقاء، وقرة عين المجادة والعلياء، أبي فلان (٢٦٣) وابن أخيه الفاضل ، الصدر، الرفيع القدر، أبي الفضل، وهو الولد الأسعد، أبو فلان (٢٦٤)، شمل الله الجميع بستره وعصمته، ووصل لهم ما عودهم من نعمته، وشغلهم بالعلم النافع، وحرمتهم (٢٦٥)، وأعلقهم بوسائل العرفان وأذمتهم (٢٦٦) ، تضاعلت علم الله إجلالا بمحله من التبحر في المعارف، واستظلله بظلالها الوارف، لكن أقدمت امتثالا، وحنوت (٢٦٧) من أمره مثالا، وبادرت اعتمادا على اغضائه واتكالا، فقلت : «أجزت الولدين المذكورين فيما يصح لي أن أجز في من رواية اشرك هذا الفاضل في بعضها، وأسهم بنقله (٢٦٨) في فرضها، نظم (٢٦٩) ونثر هذا المكتّبة من بعض قلمه(٢٧٠)، وتأليف ينبه عليه : ككتاب «الإحاطة بتاريخ (٢٧١) غرناطة، في أسفار

سبعة، وعائد الصلة»، في سفرين، [و«عمل من طب لمن حب»، في سفر، و«الكتاب اليوسفي»، في سفرين] (٢٧٢)، و«طرفة العصر»، في ثلاثة و«الصيب والجهام»، في سفرين، ونفاضة الجراب»، في ثلاثة و«الأراجيز الخمس»، [من نظمي بمدينة سلا] (٢٧٣)، في أصول / الفقه والتاريخ الإسلامي (٢٧٤)، والسياسة، والعلاج، والأغذية، الى غير ذلك مما هو بهرج (٢٧٥) يفتقر الى إخضاء العارف، وزيف يحتاج الى مسامحة أمام الصيارف، إجازة تامة على شرطها المعتبر، وسننها الواضح الأثر، والله يعدل بنا الى ما ينفع، ويزكي ويرفع ، فقد (٢٧٦) ذهب العمر الأطيب. في السعي الأخيب، وانصرف الزمن الأبدع، في السراب الذي يخدع، اللهم لا تطردنا عن بابك، ولا تقطع بنا عن جنابك.

وكتب العبد الغافل، الراجي الأمل، فلان (بن فلان) (٢٧٧) في كذا.

/ 21 /

هوامش

- (١) كذا ابتدئت مخطوطة نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، السفر الثالث، خع. الرباط رقم ٢٥٦ ك.
- (٢) نشر اللحة البدرية محب الدين الخطيب، ط ٢، بيروت ١٩٧٧.
- وقد وردت هذه المقدمة في الصفحات ١٧ - ٢٠ مع وجود بعض الاختلافات بينها وبين المتن حاولنا اثباتها.
- (٣) ما بداخل المعقوفتين : زيادة من نفاضة الجراب، ج ٢، تحقيق العبادي، ط. القاهرة، وقد زدناه لضرورة السياق لأن بداية مخطوطتنا اى (الفصل الأول) تشترك مع خاتمة الجزء الثاني المذكور، انظر الصفحات (٢٤٣ - ٢٦٩) ..
- (٤) من ف ٢٤٣، ل ١٧.
- (٥) ل : عائرة
- (٦) ساقطة في م.
- (٧) م : المركب، تصويبه من ف، ل .
- (٨) من ل.
- (٩) ف ٢٤٤ : يلثمها
- (١٠) م : الريات، تصويبه من ف، ل.
- (١١) ساقطة من ف.
- (١٢) زيادة من ف. وساقطة في ل.
- (١٣) ل ١٨ : عيش.
- (١٤) زيادة من ف، ل.
- (١٥) ل: المساخط
- (١٦) م : وعافص.
- (١٧) ف ٢٤٣، ل ١٧ : منقبة
- (١٨) ف ٢٤٤ : فليأمل، ل ١٨ : فليأمل.
- (١٩) ل : وحدد.
- (٢٠) ف ٢٤٥، ل ١٩ : مهودا.
- (٢١) ف : ويسري.
- (٢٢) ف ٢٤٥ : الى ضمه لديوان.
- (٢٣) زيادة من ل.
- (٢٤) ف، ل. : قاض وكاتب.
- (٢٥) م : المقصد، تصويبه ف ٢٣٦، ل.
- (٢٦) ل : لو.
- (٢٧) م : المتطرفة.
- (٢٨) الى هنا ينتهي ما ورد في اللحة.

- (٢٩) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ١٧٩، والمطبوع ٢٠٢/٢ - ٢٠٣. وفي النفاضة ٣٤٦/٢ - ٣٤٧. وفي النفج ٤١٠/٦ - ٤١١.
- كما ثبتت الأبيات في ديوان ابن الخطيب : الصيب والجهم ص ٤١٧.
- (٣٠) من ٣٤٦.
- (٣١) ف ٣٤٦، د. ٤٠٧، ن ٤١٠/٦ : أوجدك.
- (٣٢) غير واضح في المتن، تصويبه من المراجع.
- (٣٣) ف : التي.
- (٣٤) ر ١٧٩ ظ : الشيخ الكذا بن فلان، وفي ف : الكذا بن الشيخ الوزير الكذا، وفي ن : الوزير عمر الكذا بن الشيخ الكذا.
- (٣٥) م : عقده.
- (٣٦) م : سقاء.
- (٣٧) م : النظير.
- (٣٨) ف ٣٤٧ : فلان ابن فلانة، وفي ر ١٧٩ ظ : ابن الخطيب من سلا حرسها الله، وفي ن : ابن الخطيب.
- (٣٩) ف : ودوام.
- (٤٠) ف : والزمت.
- (٤١) م : باستعاده، تصويبه من المراجع.
- (٤٢) من ف.
- (٤٣) ف : الجبهة.
- (٤٤) م : كونه، وهو تحريف.
- (٤٥) المراجع : الخلسان.
- (٤٦) ف : المداولة، ما أثبتناه من ر ١٧٩، ن ٤١١/٦.
- (٤٧) ر : كان يلزمني من اخوته.
- (٤٨) من ر.
- (٤٩) ر : النية.
- (٥٠) ما بين المعقوفتين زيادة من المصادر المذكورة، يبدو ان الناسخ وقع له خلط بين هذه الرسالة والرسالة التالية المرفوعة الى أبي ثابت.
- (٥١) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨١، والمطبوع ١٠٩/٢ - ١١٠. وفي النفاضة ٢٥٠/٢ - ٢٥١. وفي النفج ٤١٦/٦ - ٤١٧.
- (٥٢) ما بين المعقوفتين من المصادر.
- (٥٣) ن ٤١٦/٦ : الأحوال.
- (٥٤) ن : ويمسك.
- (٥٥) ن : وفاض.
- (٥٦) ن : وتفتبط غاية الإغتياب بوجوده.
- (٥٧) م : الطو، وفي ن ٤١٧/٦ : العلق.

- (٥٨) ر ١٨١ و : ومجدك.
- (٥٩) ر : وجعل.
- (٧٠) ف : خلفا.
- (٦١) ساقطة من ن.
- (٦٢) م : الفؤاد، تصويبه من ن.
- (٦٣) ر، ن : سلك.
- (٦٤) ف ٣٥١ : وانضي.
- (٦٥) ساقطة في ر.
- (٦٦) وردت الرسالة في ربحانة الاسكوريال، ل ١٨١ - ١٨٢، وفي ط. القاهرة ١١٠/٢ - ١١١.
- وفي النفاضة ٣٥١/٢ - ٣٥٢. وفي النفع ٣٨٦/٦ - ٣٨٧.
- (٦٧) بياض بالأصل تصويبه من ف ٣٥١.
- (٦٨) ف : اغرناطة.
- (٦٩) م : عقيمة، وهو تحريف.
- (٧٠) ف : الوجامة.
- (٧١) ر ١٨١ و، ف : وشروط.
- (٧٢) م : ولماقه، وهو تصحيف.
- (٧٣) وأن رابحتها، وهو غير مناسب للسياق، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٧٤) م : المثل. وفي ر ١٨٢ و: القناد.
- (٧٥) ر، ن ٣٨٧/٦ : تستمد، وفي ف : تستعد.
- (٧٦) ساقطة من ف ٣٥٢.
- (٧٧) ف : اياالته .
- (٧٨) ر : فجبهت ظلي الظليل، ن : فخيمته ظل الظليل.
- (٧٩) ف، ر، ن : لا يفتقر.
- (٨٠) ر : لنفسك.
- (٨١) وردت الرسالة في ربحانة الاسكوريال، ل ٢٠٢، ط القاهرة ١٨٢/٢ - ١٨٣. وفي النفاضة ٢٥٢/٢ - ٢٥٣.
- (٨٢) م : بما، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ر ٢٠٢، ف ٢٥٢.
- (٨٣) ر : فكن حيث اقتضي منك.
- (٨٤) ر ٢٠٣، ظ، ف ٢٥٣ : لم يفقد اللطف ولم يعدم.
- (٨٥) م : واعلمها، تصويبه من، ف.
- (٨٦) ر : انني.
- (٨٧) ف : والنوحة.
- (٨٨) م : وصفاتا، خطأ من الناسخ.
- (٨٩) ر : وغنيمة.
- (٩٠) ف : وثقى.

- (٩١) ر : يمن.
- (٩٢) م : محيت اللام في سبعة.
- (٩٣) م : الجماع، وهو تحريف، تصويبه من المرجعين.
- (٩٤) ف، ر : أرضاها.
- (٩٥) ف : الدهر.
- (٩٦) م : العلي، وهو تحريف، تصحيحه من ر ٢٠٣.
- (٩٧) زيادة من المرجعين.
- (٩٨) ر، ف : ٣٥٢ : صبح وجهه.
- (٩٩) زيادة من ر.
- (١٠٠) وردت في النفاضة ٣٥٤/٢.
- (١٠١) ف : اليه يشار.
- (١٠٢) ف : صنيعي.
- (١٠٣) ف : بمعرفتكما.
- (١٠٤) ف : وسبورغ.
- (١٠٥) ف : فائتي.
- (١٠٦) ف : سلف.
- (١٠٧) ف : منشرحا.
- (١٠٨) وردت الرسالة في ربحانة الإسكوريال، ل ١٧٦ - ١٧٧، وفي ط، القاهرة ٩٢/٢ - ٩٥. وفي النفاضة ٣٥٤/٢ - ٣٥٨. وفي النسخ ٣٨٢/٦. كما وردت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٩ - ٥١٠، وفي الإستقصا ٤٥/٤.
- (١٠٩) ر ١٧٦ ط : ممجد.
- (١١٠) ر، ن : مخرسة.
- (١١١) م : وكان، وهو تحريف مغل بالوزن، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (١١٢) المراجع : حططت.
- (١١٣) م : يآثر، وهو تصحيف.
- (١١٤) هذا البيت ساقط من ر ١٧٦ ط، ن ٣٨٢/٦.
- (١١٥) ر ١٧٦ و، ن : بأمره.
- (١١٦) ر : الصنيع.
- (١١٧) ر : في .
- (١١٨) ف، ن : بعزه.
- (١١٩) ن. ٣٨٢/٦ : فافتض.
- (١٢٠) م : لآرمها، وهو تصحيف.
- (١٢١) ر، ن : ومالا.
- (١٢٢) م : المريح، وهو تحريف، صوابه من المراجع.
- (١٢٣) ف ٣٥٦، ن ٣٨٢/٦ : بالشهادة، وفي ر ١٧٦ و : بالسعادة ولم.

- (١٢٤) المراجع : من رضوان الله.
- (١٢٥) ر : أبي عبد الله.
- (١٢٦) ر : بهمه، ن : بهمه، وفي المتن : الميم غير واضحة في لفظة اماله.
- (١٢٧) ن : المرضيين.
- (١٢٨) من ف.
- (١٢٩) ن : واياته.
- (١٣٠) م : السادحة، ولا معنى لها، يمكن قراتها الصارخة ، أو الشادحة حسب ما ورد في المراجع المذكورة.
- (١٣١) المراجع : نفوسهم.
- (١٣٢) ف ٣٥٦ ك وان حمل قدرة وقدر، ر ١٧٦ و: وان جل قدرة وقدر، ن ٣٨٣/٦ : قل قدرة وقدر.
- (١٣٣) ر، ن : ابن الخطيب.
- (١٣٤) ف ٣٥٧ : اقتصاده.
- (١٣٥) ر، ف : في مظاهرتهم.
- (١٣٦) ف : سنتين.
- (١٣٧) ر، ن. ٣٨٤/٦ : بأقنينها.
- (١٣٨) ف : مواصلا الصراخ يا آل مريين ويا آل يعقوب، وفي ر : مواصلا الصراخ بآل مريين يعقوب، وفي ن : مواصلا الصراخ بالمريين وباليقوب.
- (١٣٩) المراجع : النخيل.
- (١٤٠) م : يديكم بالكريم : تصويبه من ر ١٧٧ ظ، ف ٣٥٧.
- (١٤١) المراجع : وانصاف.
- (١٤٢) م : واجلة، وهو تحريف.
- (١٤٣) غير واضح في م.
- (١٤٤) ف ٣٥٧ : السادة، ر ١٧٧ ظ : وأرى أنواع اليمن والإسعاد.
- (١٤٥) ف : الذي لشرف وجوها تلتهم الوجوه، ر ١٧٧ و : الذي تصرف اليه الوجوه، ن ٣٨٤/٦ : الذي شرف وجوها بلثمة الوجوه.
- (١٤٦) ر : مؤديا.
- (١٤٧) م : من، وهو تحريف.
- (١٤٨) ف ٣٥٧، ر : وضح.
- (١٤٩) م : النصر تصويبه من ر.
- (١٥٠) م : تتسن.
- (١٥١) ف : نشر.
- (١٥٢) : ونقص اركم، : ونقص اثر سلككم.
- (١٥٣) ر : بكم.
- (١٥٤) ر : ان لم يتأذن الله في الانصاف.

- (١٥٥) ر : الأمل.
- (١٥٦) وردت الرسالة في النفاضة ٣٥٨/٢ - ٣٥٩. وفي ربحانة الأسكوريال ١٧٩ - ١٨٠. ط. القاهرة ١٠٤/٢. وفي النسخ ٤١١/٦ - ٤١٢.
- (١٥٧) ر ١٧٩ و. ن ٤١١/٦ : كرم.
- (١٥٨) م : وحضائه، لا معنى لها، تصويبه من المراجع.
- (١٥٩) ساقطة من ر.
- (١٦٠) ن : ابن الخطيب.
- (١٦١) م : بما بعده، والأنسب ما أثبتناه من المراجع.
- (١٦٢) ساقطة من المراجع.
- (١٦٣) ر، ن : ماسناه.
- (١٦٤) ر، ف ١٥٨، ن ٤١٢/٦ : تبين.
- (١٦٥) ف : وظهرت.
- (١٦٦) ر. ١٨، ن ٤١٢/٦ : علينا، وفي م : علي، والأنسب ما أثبتناه من ف ٣٥٩.
- (١٦٧) ر : واجمل الكبرى من نعلك الصفري، وفي ف : واجمل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصفري.
- (١٦٨) المراجع : مشتبهات.
- (١٦٩) ف : بالجبر.
- (١٧٠) ن : الضير.
- (١٧١) ر : الى مباشرة.
- (١٧٢) ر : والله يديم سيدي الذي هو كهف موديه، حتى يظفره الله بمن يناوئه ويعاديه.
- (١٧٣) وردت هذه الرسالة في النفاضة ٣٥٩/٢ - ٣٦٠.
- (١٧٤) ساقطة من ف.
- (١٧٥) ف ٣٥٩ : برة.
- (١٧٦) ف : لمصارحة ، والمتن أصح.
- (١٧٧) ف : شرف.
- (١٧٨) «ويشر : ساقطة من م، والزيادة من ف، بينما كتب «على البرح» في الهامش.
- (١٧٩) ف : ونخل.
- (١٨٠) م : النظار، خطأ من الناسخ.
- (١٨١) ف : مشيخة.
- (١٨٢) م : وعرض، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ف.
- (١٨٣) ف. ٣٦ : زينة.
- (١٨٤) ف. ٣٦ : أوجب.
- (١٨٥) ف : واجود.
- (١٨٦) زيادة من ف يقتضيها سياق الأسلوب.
- (١٨٧) م : وحرته، تصويبه من ف.

- (١٨٨) بياض بالأصل، ملأناه من ف.
- (١٨٩) ف : والله عز وجل يمنع عن سيدي مواجد الدهر، وفي م : يتمتع من سيدي بواحد الدهر.
- ولعل الأنسب ما أثبتناه.
- (١٩٠) م : عيناه، تصويبه من ف.
- (١٩١) وردت الأبيات في النفاضة ٣٦٠/٢.
- (١٩٢) م انقاده، وهو تصحيف.
- (١٩٣) ف. ٣٦ : تهنى الوزارة إنها.
- (١٩٤) ثبتت الأبيات في النفاضة ٣٦٠/٢/٣٦١.
- (١٩٥) بياض في الأصل تصويبه من ف. ٣٦.
- (١٩٦) ف: عيال.
- (١٩٧) بياض في الأصل، تصويبه من ف.
- (١٩٨) م : حلبه، وهو تصحيف.
- (١٩٩) م : الوجود، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ف ٣٦١.
- (٢٠٠) زيادة من ف يقتضيها الوزن.
- (٢٠١) م : السدد، وهو تحريف، صحته ما أثبتنا.
- (٢٠٢) م : نهيم، وهو تصحيف.
- (٢٠٣) ثبت البيتان في الإحاطة مخ الأسكوريال، السفر ١، ل ٣٧٧. - النفع ٤٧٥/٦. - النفاضة ٣٦١/٢.
- (٢٠٤) غير واضح في م، تصويبه مما ذكر.
- (٢٠٥) وردت الأبيات في النفاضة ٣٦١/٢ - ٣٦٢.
- (٢٠٦) ف ٣٦٢ : تكن، وهو أنسب.
- (٢٠٧) م : نحيلة، تصحيحه من ف.
- (٢٠٨) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٣٨٥. وفي النفاضة ٣٦٢/٢.
- (٢٠٩) وردت الأبيات في نفس المرجعين.
- (٢١٠) م : حل، وهو تصحيف، تصويبه من د ٣٨٥، ف ٣٦٢.
- (٢١١) الواو غير واضح في م.
- (٢١٢) ثبتت الأبيات في النفاضة ٣٦٢/٢.
- (٢١٣) م : السين غير واضحة حيث تبدو كالكاف نتيجة بقعة حبر.
- (٢١٤) م : رواية، وهو تحريف صححناه من ف ٣٦٢.
- (٢١٥) ف : المشاق.
- (٢١٦) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٨٢ - ١٨٣، ط. القاهرة ١١٣/٢.
- ١١٥ - وفي النفاضة ٣٦٣/٢ - ٣٦٥. وفي النفع ٤٠٠/٦ - ٤٠٢. وفي الاستقصا ١٣ / ٤ - ١٥.
- (٢١٧) ن ٤٠٠/٦، استقصا ١٣/٤ : ساحات.
- (٢١٨) ر ١٨٢ و : وفضلك ليس له حسام فاتك.
- (٢١٩) هذا البيت ساقط من ر.

- (٢٢٠) ف ٣٦٣ : سنام تامك، وفي ر : سنام هاتك، وفي ن ٤٠٠/٦ : همام باتك.
 (٢٢١) ف : السجاجة، ر : السماحة.
 (٢٢٢) ر : صبح الغمام الماسك، وفي ن ٤٠١/٦ والإستقصا ١٣/٤ : الغمام السافك.
 (٢٢٣) ف : في الفصل.
 (٢٢٤) البيت ساقط من ر.
 (٢٢٥) ر : عنهم.
 (٢٢٦) ر : بها.
 (٢٢٧) المراجع : يبشر.
 (٢٢٨) ف ٣٦٤ : المنصف.
 (٢٢٩) ر ١٨٢، ن ٤٠١/٦ : قياس، استقصا ١٣/٤ : كثرة.
 (٢٣٠) م : جمعني، تصويبه من ف، ر : تجمعني.
 (٢٣١) ر ١٨٣ ظ : شيما.
 (٢٣٢) ساقطة من المراجع.
 (٢٣٣) م : قريكم تصويبه مما ذكر.
 (٢٣٤) م : الجهادات، تصويبه من المراجع.
 (٢٣٥) ف ٣٦٥ : ولدى.
 (٢٣٦) غير واضح في م، تصويبه من ف.
 (٢٣٧) ما بين قوسين ساقط من رين ، استقصا .
 (٢٣٨) ر ١٨٣ ظ : أخي.
 (٢٣٩) المراجع : بعضي.
 (٢٤٠) م : لا يوصي، تصحيحه من المراجع.
 (٢٤١) م : وقيلك في الحديث من العرب والقديم، تصويبه من الاستقصا ٤ / ١٥ .
 (٢٤٢) ن ٤٠٢/٦ . استقصا، ف ٣٦٥ : لم يفتخر،
 (٢٤٣) المراجع : م : بعدد يقلب، والانسب ما اثبتناه من المراجع.
 (٢٤٤) ر، ف : سماحة بجهد، ن، استقصا : سماحة بحسب.
 (٢٤٥) م : وكن.
 (٢٤٦) ن ٤٠٢/٦، استقصا : ان يسر الله ف، ٣٦٥ : ينسنني.
 (٢٤٧) ف : وقف وانني، ن : مدح وانما.
 (٢٤٨) ن : وسمي..
 (٢٤٩) ثبتت في ريحانة الأسكوريال، ورقة ٢١٤، ط. القاهرة ٢٢٢/٢ - ٢٢٥، وفي النفاضة ٣٦٩-٣٦٦/٢.
 (٢٥٠) ر ٢١٤ ظ : بذرا تثبت زرها.
 (٢٥١) ف ٣٦٦ : فان اهل الأصل فهو من الاستفادة الفصل.
 (٢٥٢) ر ٢١٤ ط : الذرع.
 (٢٥٣) ساقطة من م.

- (٢٥٤) م : المتجنين، والأنسب ما صححناه من ف.
- (٢٥٥) ر، ف : بفضلها.
- (٢٥٦) ر ٢١٤، ف ٣٦٦ : ذروة.
- (٢٥٧) ر ٢١٤ و : الاردان، م : الأزوار.
- (٢٥٨) ف : يمن.
- (٢٥٩) ف : وادق.
- (٢٦٠) من ر، ف.
- (٢٦١) ساقط من ف.
- (٢٦٢) م : الحياء، والسياق يقتضي ما اثبتناه من ر، ف. وفي ف : تملو الحياة.
- (٢٦٣) ف : أبي عبد الله.
- (٢٦٤) ف : أبو سالم.
- (٢٦٥) ف : وخدمته.
- (٢٦٦) ف : وأزمته.
- (٢٦٧) م : وحذرت، والسياق يقتضي ما اثبتناه من ر، ف.
- (٢٦٨) ف ٣٦٧ : بقلمه، ر ٢١٤ و : بتأفه من.
- (٢٦٩) ف ، ر : ونظم.
- (٢٧٠) ف : بنيه، وما اثبتناه من ر لعدم وضوحه في المتن، ولملاسته للسياق.
- (٢٧١) ر : في تاريخ.
- (٢٧٢) زيادة من ر، ف.
- (٢٧٣) من ر، ف.
- (٢٧٤) م : الاسلام، تصويبه من ر، ف.
- (٢٧٥) بياض بالأصل، تصويبه من ر، ف.
- (٢٧٦) ر : فلقد.
- (٢٧٧) ساقط من ر، ف ٣٦٩.

تعليقات الفصل الأول

- [1] يرجع محمد التطواني أنها الأرجوزة المسماة بالمعتمدة في الأغذية المفردة انظر (ابن الخطيب من خلال كتبه 139/2).
- [2] اقتباس من بيت مضاض بن عمر الجرهمي :
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس «والم يسمر بمكة سامر»
- [3] «ما أشبه الليلة بالبارحة» : عجز بيت لطرفة بن العبد يجري مجرى المثل، وصدره :
«كلهم أروغ من ثعلب». انظر (فصل المقال ص 227 - مجمع الأمثال 2 / 275 رقم (383)
- [4] سورة 29 - (الكهف)، آية 45.
- [5] غافص : فاجأ على غرة.
- [6] سورة 29 (العنكبوت)، آية 64.
- [7] انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 6 / 122).
- [8] انظر (نفس المرجع 6 / 477)
- [9] سورة 58 (المجادلة)، آية 22.
- [10] جهينة : شخص يضرب به المثل، فيقال : «عند جهينة الخبر اليقين».
- انظر (- الأعلام 2 / 142 - مجمع الأمثال 3 / 2 رقم 2383).
- [11] عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني نسبة الى بني يابان من قبائل بني مرين ، كان وزيرا لأبي سالم المريني، فقام بثورة أدت الى مقتل هذا الأخير سنة 762 هـ / 1360م، وقد لعب دورا هاما في الأحداث السياسية المغربية. انظر اخباره بتفصيل في (- النفاضة 2 / 303 - 309، المتن، لوحة 40، 41 - الإستقصا 4 / 37 - جنى زهرة الاس ص 1، (2).
- [12] اشارة الى الحديث النبوي : «انما الأعمال بالنيات» . انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 4 / 358).
- [13] أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي، شيخ قبيلة هنتاتة المصمودية تولى أحكام الشرطة بتونس في عهد أبي الحسن، ثم ولي الجباية لأبي عنان فارس بمراكش، وفي سنة 763 هـ / 1362م بايع الطفل أبا الفضل بن أبي سالم سلطانا على مراكش واستوزر له، ودام استبداده بها الى أن قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ / 1369م. انظر (- العبر 7 / 623 - 625 - الإحاطة 4 / 216 - الاستقصا 4 / 54 .
- [14] جودي : جبل بالجزيرة العربية، وهو المذكور في القرآن الذي استوت عليه سفينة نوح. انظر (- الروض المطار، تج . احسان عباس ص 181 - سورة 11 (هود)، آية (44)، واستعماله هنا مجازي.
- [15] العلق : بكسر العين وسكون الام، أوبفتحهما معا تعني الهوى والحب.
- [16] اقتباس من بيت الخنساء :
- طويل العماد عظيم الرما د ساد هشيرته إمردا

انظر (المبرد : التعازي والمراثي ص 90).

[17] التناد : يوم القيامة.

[18] يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، كان شيخا للفزاة المغارية بالأندلس، فلما خلع الغني بالله فر إلى قشتالة، ومنها إلى المغرب، ثم رجع إلى منصبه بعد استرجاع الغني بالله للملك، واستمر فيه إلى أن سجنه السلطان المذكور سنة 764 هـ / 1362 م.

انظر (اللمحة ص. 130. النفاضة 2/ 179. - شبانة : «شيخ الفزاة المغارية كما أرخ لهم ابن الخطيب في الإحاطة»، مجلة البحث العلمي، 13، (1967) ص 128، 129).

[19] صاحب خطبة العلامة هو الذي يكتب بخطه علامة السلطان على المراسيم نيابة عنه، فإذا كانت علامة الصك المريني : وكتب في التاريخ المؤرخ به، فهي بخط السلطان، وإن كانت : وكتب في التاريخ، فهي بخط صاحب العلامة، وبعض الملوك المغاربة يكتبون عند العلامة : صح في التاريخ. انظر (- ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 21. - الاستقصا 4/ 49. - وريقات المنوني ص 62).

- أبو سعيد محمد بن محمد بن رشيد، كان فقهيا كاتباً، كتب لأبي عنان وغيره من الملوك المرينيين، وكان مشهوراً بحسن خطه. انظر (الجنوة 1/ 231)

[20] السحب الوطف : السحب المثلثة مطرا.

[21] سورة 87 (الأعلى) آية 17.

[22] اصفاق : اتفاق.

[23] إشارة إلى المثل : «عند الصباح يحمد القوم السرى». انظر (- فصل المقال ص 254 - - مجمع الأمثال 2/ 3 رقم 2).

[24] العطن : والمعطن، هو مبرك الأبل أو مريض الغنم، ويقال : «فلان ضيق العطن»، أي ضيق الخلق. انظر (فصل المقال ص 431).

[25] أبو زيان (739-767 هـ / 1338-1365 م) محمد بن أبي عبد الرحمان بن أبي الحسن، بيع يوم الاثنين 21 صفر 763 هـ / 1361 م. انظر - روضة النسرین ص 32. - الإستقصا 4/ 44 - 51).

[26] الصريخ : الإغاثة والنجدة.

[27] يقصد أبا ثابت عامر الهنتاتي.

[28] يشير إلى موقف أبي ثابت من أبي الحسن المريني عندما انهزم سنة 751 هـ / 1350 م، حيث أجاره من ابنه أبي عنان. انظر تفصيل الخبر في (الإستقصا 3/ 173-174).

[29] الغرد : يفتح العين والراء، تعني التعرض للهلاك.

[30] إشارة إلى قوله تعالى : «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»

[31] يقصد الوزير عمر بن عبد الله.

[32] إشارة إلى بيت أبي تمام الشبيري :

فتحت تفتح أبواب السماء له وتزهو الأرض في أثوابها القشب

[33] برامة في اصطلاح المغاربة والاندلسيين تعني رسالة.

[34] سورة 27 (النمل)، آية 29.

[35] الشبه : بكسر الشين وتسكين الباء او بفتحهما معا تعني النحاس الأصفر.

[36] تضمين لعجز بيت أبي العلاء المعري :

ألا في سبيل المجد ما أنا أنا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

[37] علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي أبو الحسن، تولى الوزارة للغني بالله محمد الخامس اثناء اقامته في رندة، قبل استرجاعه للكه، وقد ترجم له ابن الخطيب مرارا متبعا اياه بالشؤم، كما اثبت في المتن انه نفي الى تونس في رمضان 763 هـ/يونيو 1362م. انظر (المتن لوحة 113، 114. - الإحاطة 2/ 15 - 17).

- M.A. Ladero, Granda. Historia de un país islámico, page 79)

[38] «وما قلت الا بالذي علمت سعد» : عجز لبيت الحطينة، صدره : «وتعدلني ابناء سعد عليهم»، ويجري مجرى المثل. انظر (ديوان الحطينة ص 42).

[39] والأتين : مدينة بالسودان انظر تفصيل الحديث عنها في رحلة ابن بطوطة ص 442-443.

[40] مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل، شيخ قبائل الخلط، وصاحب الشورى في عهد السلطان ابي الفضل، قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ/1369م. انظر (- العبر 2/ 480. النفاضة 2/ 323. الإستقصا 4/ 53، 56).

[41] ربيعة بن مكرم (85 ق.م - 62 ق.م) من بني كنانة وأحد فرسان مضر في الجاهلية. انظر (الأعلام 3/ 43).

- الفضيل : لعله يقصد أبا علي الفضيل بن عياض الفنديدي، كان من قطاع الطرق في خراسان، ثم تاب وتزهد، توفي بمكة سنة 187 هـ/802 م. انظر (وفيات الاعيان 3/ 215-217).

- مالك : يقصد أبا عبد الله مالك بن أنس الأصبحي أمام المذهب السني المسمى باسمه، توفي سنة 179 هـ/795م. انظر

4
(E I, III, 218 - 223 [J. Schacht])

[42] « كل الذي فوق التراب تراب» : اشارة الى بيت أبي العتاهية :

من تراب خلقت لاشك فيه وغدا أنت صائر للتراب

انظر (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص 31)

[43] هذا البيت من مقصورة ابن دريد ص 115.

[44] أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي من مالقة، رحل الى فاس، والتحق بخدمة أبي الحسن فلما انهزم السلطان سنة 749 هـ/1338م رجع الى الأندلس، ورحل مرة أخرى الى المغرب في عهد أبي عنان وظل يشغل منصب صاحب العلامة الى أن توفي سنة 783 هـ/1381م. انظر (- المسند ص 144. التعريف ص 41 - 44. ابن رضوان : الشهب اللامعة ص 9 - 36).

الفصل الثاني

[انتهى ويتلوه في الثالث] (١) رجع التاريخ

وانتهى <امر> (٢) هذه السنة الشهباء الإضحائية (٣) [1] إلى العشر الآخر من يناير العجمي الموافق لأخريات ربيع الأول من العام (٤) <٧٦٣هـ>، مُنسكة شحاً، كلما مَوَّهت بالقَرْع تَلْشَى هَلْهَلْه وفشا دخانه (٥)، وظهر <الطاعون> (٦) [2] بأرض مكناسة وفاس وتازا وما إلى ذلك، لكونها لم تستأثر ببلاة رحمة مما قسم الله لغيرها، إلى ما أصابها من مَعَرَّة الفتنة إلى هذا العهد، واستُهدِفَ مَنْ بها إلى هَلَكَةِ المجاع، وفُشُو المَوْتَانِ، ففي هذا العشر الآخر الحامين على العباد، عَظُمَ الجفافُ، وعَصَفَتِ الرِّيحُ الرِّجْفُ، تنقل الهضْب قبل ارتداد الطرف، وتَبَدَّلُ أعيان الأرض، وتعاجل حلاق لِمَ الثَّبِت، فصيرت وجه الأرض كَمطارج خبث الحديد أمام مضارب <البيد> (٧) يَبْسُأُ وقحلاً وعقراً للأرجل [3]، وعصياناً على السنايك [4]، وأحرقت ما كان قد نَجَمَ من باكر البَذَر، ونَشِطَ النبات، ودَامَت فاستأصلت الأوراق من الشجر الدهين الذي لا يَسْقَط، ونَشِطَت البَشَرَات، وأَشْنَت الجلود، ثم اقتادت بآخره سحاباً هَفَافاً عالي الهَيْدَب [5]، فَرَسِيّاً ذا حفيف، ثم تَنَاقَلَ ومالَ إلى الدُّكْنَةِ، ثم تَسَحَّم وطَش، ثم توالى صَوْبُهُ كاجنحة الطير، ثم تداعى فاهتزت جبال الغيم تُقَلِّقُهَا هائلُ الرعود، فسالت الأرض، وفَهَقَتِ الأغوار، وتَقَلَّلَ الزرع، وأنبسطت النفوس، وهوى السَّعَرُ بَعْدَ سُمُوهِ في دَرَج تَوَقُّعٍ / الشَّدَّةِ.

وفي ذلك قُلْتُ مَرْتَجِلاً (٨) :

(طويل)

وَأُطْنَبَ فِي شُكْرِ الحيا الوَهْدِ (٩) والنَّجْدِ
وَجَاءَ عَلَى أَشَارِهَا الْغَيْثُ مِنْ بَعْدِ
بِمُنْقَلَةِ الْأَوْقَارِ [8] صَاحَ بِهَا الرَعْدُ
تَدَافَعُ فِي عَرْضِ الْفَلَاةِ وَتَشْتَدُ
فَعَرُسَتِ النِّعْمَاءُ وَاقْتَضَى الْوَهْدُ

لَقَدْ زَالَتِ اللَّوَاءُ [6] وَارْتَفَعَ الْجَهْدُ
غَدَاةَ سَرَتِ رِيحِ النِّعَامِ (١٠) لَوَاقِحاً
سَحَابٌ أَمْثَالُ الْقَطَارِ [7] إِذَا وَنَتْ
وَهَشَّ عَلَيْهَا السَّبْرُ بِالسُّوْطِ فَانْبَرَتْ
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ انْأَخَذَتْ وَعَرُسَتْ

وَحَلَّتْ تِجَارُ الرُّبْعِ (١١) كُلُّ بَضَاعَةٍ
فَمَا شَتَّتْ فِيهَا مِنْ نَمَارِقٍ سُنْدُسٍ
وَلَانِمٍ فَضِّلَ اللَّهُ فِيهَا مَوَانِدَ
لَكَ الشُّكْرُ يَا رَحْمَانُ فِيمَا بَذَلْتَهُ
تُحَرِّ لَهَا صَنَعَاءَ بِالْفَضْلِ وَالْهِنْدُ
وَأَسْتَبْرَقٍ مِنْ فَوْقِ غُبُرِ الرَّبِيِّ يَبْسُدُ
تَقُومُ قِيَانُ الْوَدْقِ [مِنْ] (١٢) فَوْقَهَا تَشْتَبُو
مِنْ الرُّفْقِ فِينَا دَائِمًا وَلَكَ الْحَمْدُ

سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولاته للسلطان أبي زيان

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر كان التوجه إلى مدينة فاس (١٣) - حرسها الله - لأداء حق الدولة الدائنة، والالهي (١٤) بالوفاء بعقدها والمدافعة عن دعوتها، وإيصال صك بيعتها، فاقترحننا - وقد طال البعد - سلوكها، فصارت محوأة ومستبعة صعبة الوالي العامل على بلاد درعة [9]، الشاذ عن ذلك الأفق، المستوسق الطاعة للأمير عبد الحليم [10]، وقد صرح لحاقه بوطن سجلماصة [11] واستقراره به، عبد الله بن عثمان بن محمد بن يحيى المجبولى، حجاج الدولة المرينية، ومستعمله (١٥) في الغيات (١٥) والاجهار، والعناية بالقرآن مع الاستهانة بالدماء المحرمة فيه، وأقينا من وثناء السفر نصبا لإغراق المطر، وأنسكاب الغيم، وقد أذن الله، عز وجل، في انحلال نسيج الغمام، فسمحت السنة منه بما بخلت مرضخة مطفئة [12]

/ 23 /

وكان دخول البلد الجديد [13] يوم الجمعة الموفى ثلاثين لشهر تاريخه، والاتصال ليلتذ بالسلطان [14]، وغشيان خلوة لذته، في بحبوحة قصره، وعلى أريكة تبذله، والمبيت بيبعض حجره، والطعام من خاص خوانه، والإصابة منه باختياره وتعيينه، والمواكلة من وزيره.

ومن الغد أنشدته، وقد قعد للخاصة بمجلس سلفه، منوه الإنشاد بالإطراء والاستعادة، مرفها فيه عن القومة، قريب الجلسة، قولى (١٦) :

(طويل)

لَمَنْ عَلِمَ فِي هَضْبَةِ الْمَلِكِ خَفَائُ
تَقُلُّ رِيَّاحُ النَّصْرِ مِنْهُ (١٧) غَمَامَةٌ
وَبَيْعَةُ شُورَى أَحْكَمَ اللَّهُ عَقْدَهَا
قَضَى عَمْرُ فِيهَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ [17]
أَحْلَمًا تَرَى عَيْنَايَ أَمْ هِيَ يَقْظَةٌ (٢٠)
أَفَاقَتْ بِهِ مِنْ غَشْيَةِ الْهَرَجِ [15] أَفَاقُ
تُمَدُّ لَهَا أَيْدٍ وَتَخْضَعُ أَعْنَاقُ
وَأَعْمَلُ إِجْمَاعٍ عَلَيْهَا وَإِصْفَاقُ [16]
فَسُجِّلَ عَقْدُ (١٨) لِلْوَفَاءِ (١٩) وَمِيثَاقُ
أَعْنَدُكُمَا فِي مَشْكِ الْأَمْرِ مِصْدَاقُ

رِفَاقُ (٢١) لِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي
وَسِرْجَ (٢٢) تَهْنِئَةِ الْكَلَامَةِ بِالْعُلَى
وَقَدْ كَانَ طَيْفُ الْحَلَمِ لَا يَفْعَلُ (٢٣) الْخَطَى
وَاللَّغِيثِ إِمْسَاكُ وَفِي الْأَرْضِ رَجْفَةٌ (٢٤)
فَكُلُّ فَرِيقٍ فِيهِ لِلْبَغْيِ رَايَةٌ
أَجَلٌ إِنَّهُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ [18] وَارِثٌ
لَهُ مِنْ جَنَاحِ الرُّوحِ ظِلٌّ مَسْجُوفٌ
أُطْلِقَ عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَادَ نَوْرُهَا (٢٥)
وَأَشْرَقَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْ نَوْرِ رَبِّهَا
فَمِنْ أَلْسِنِ اللَّهِ بِالشُّكْرِ (٢٦) أَعْلَنْتُ
وَأَيْسَ لَأَمْرِ أَيْرَمَ اللَّهِ نَاقِضٌ
مَحْمُودٌ قَدْ أَحْيَيْتَ دِينَ مَحْمُودٍ
وَلَوْ لَمْ تَنْبُ غَطَى عَلَى شَفَقِ الضُّحَى
فَأَيْمَنَ بِمَشْحُونٍ مِنَ الْقُلُوبِ سَابِغُ (٢٧)
أَقْلَكَ وَالِدَاءُ (٢٨) [19] تَظْهَرُ طَاعَةٌ
إِلَى هَدَفِ السَّعْدِ أَنْبَرَى مِنْهُ وَالْأَجْسَى
فَخَطَّتْ لَتَقْوِيمِ الْقِسَامِ جَدَاوِلُ
تَبَارَكَ مَنْ أَهْدَاكَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
هُوَ اللَّهُ يَكِلُو النَّاسَ بِالْخَيْرِ فَتَنَةٌ
سَمِعْتُ (٢٩) مِنْكَ أَعْنَاقُ الْوَرَى لَخْلِيفَةِ
وَقَالُوا : بَنَانُ مَا اسْتَقْلَ بِكَفِّهِ
وَأَطْنَبَ فِيكَ الْمَادِحُونَ وَأَغْرَقُوا
أَلَسْتُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَكْفَهُهُمْ
أَلَسْتُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ
رِيَاضُ إِذَا الْعَاقِي اسْتَظَلَّ ظِلَالُهَا
أَبُوكَ وَلِيَّ الْعَهْدِ لَوْ سَأَلَمَ الْبَرْدَى
فَمَنْ ذَا لَهُ جِدٌّ كَجِدِّكَ أَوْ أَبِ
وَحَسْبُ (٣٠) الْعُلَى فِي آلِ يَعْقُوبَ أَنَّهُمْ
أَسْوَدُ سُرُوجٍ أَوْ بُدُورُ أَسْرَةٍ
يَطُولُ لِتَحْصِيلِ (٣١) الْكَمَالِ سَهَادُهُمْ
لَنْ (٤٠) نَسِيتَ إِحْسَانَ جِدِّكَ فَرَقَةً

وَمُجْتَمَعَاتُ لَا تَرِيبُ وَأَسْوَاقُ
وَفَلَجُ بِسَقْيَا (٣٢) الْغَيْثِ قَامَ لَهُ سَاقُ
وَالْفَتْنَةُ الْعَمِيَاءُ فِي الْأَرْضِ إِطْبَاقُ
وَالسَّيِّدِينَ وَالذَّنِيَا وَجُومٌ وَلِطِرَاقُ
وَكُلُّ طَرِيقٍ فِيهِ لِلْعَيْثِ طُرَاقُ
يَحْنُ لَهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَشْتِاقُ
وَمِنْ رَفْرِفِ الْعَزِّ الْإِلَهِيِّ رُسْتَاقُ
نَجَى وَعَلَى الْأَحْدَاقِ لِلذَّغْرِ إِحْدَاقُ
وَسَاحَ بِهَا لِلَّهِ أَطْفُفٌ وَلِشُفَاقُ
وَكَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ هَمَسٍ وَإِطْبَاقُ
وَلَيْسَ لِمَسْعَى أَنْجَحَ اللَّهُ إِخْفَاقُ
وَالْخَلْقِ أَدْمَاءُ تَفْيِضُ وَأَرْمَاقُ
نَمَ لِسَيُوفِ (٣٣) الْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ مُهْرَاقُ
لَهُ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ حَطٌّ وَإِسْطَاقُ
إِلَيْكَ وَصَفَحَ الْمَاءَ أَنْذَقَ رَقَرَاقُ
يُضِلُّ (٣٤) الْحَجَى سَهْمٌ مِنَ السَّعْدِ رَشَاقُ
وَصَحَّتْ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْيَمْنِ أَوْفَاقُ [20]
وَمُسْتَبْعَدٌ أَنْ يَهْمَلَ الْخَلْقُ خِلَاقُ
وَبِالْأَشْرِ وَالْأَيَّامِ سَمٌّ وَتَرِيبَاقُ
لَهُ فِي مَجَالِ السَّعْدِ وَخَذَ لِمُعْنَاقِ [21]
تَفْيِضُ عَلَى الْعَافِينَ أَمْ هِيَ أَرْزَاقُ
فَلَمْ يُجِدْ إِطْنَابَ وَلَمْ يُغْنِ (٣٥) إِغْرَاقُ
غَمَامٌ نَدَى إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ غَيْدَاقُ
بُدُورُ [لَهَا] (٣٦) فِي ظِلْمَةِ الرُّوحِ إِشْرَاقُ
فَفِيهَا جَنَى مَلَأَ الْأَكْفُ وَإِشْرَاقُ
وَجَدَّكَ قَدْ فَاقَ الْمَلُوكَ وَإِنْ فَاقُوا
لَالِيَهُ وَالْمُجْدُ الْمُؤْتَلَّ نَسَاقُ (٣٧)
هُمْ الْأَصْلُ فِي الْعِلْيَاءِ وَالنَّاسُ الْحَاقُ
فَإِنْ حَارَبُوا (٣٨) رَاعُوا وَإِنْ سَأَلُوا رَاقُوا
فَهُمْ لِلْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ عَشَاقُ
تَزْدُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ مِنْهُ أَطْوَاقُ

أَجَازَتْ خُرُوجَ ابْنِ ابْنِهِ عَنْ تَرَاثِهِ
وَمِنْ دُونِ مَا أَمُوهُ (٤٢) لَلَّهِ قَدْرَةٌ
خَذَ الْعَقُوقُ وَابْذُلْ فِيهِمُ الْعَرْفَ وَلِتَسَعِ [22]
فَرِيَّتُهَا تَنْبُو مُهَنْدَةُ الظُّلُمِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَذْنِبٌ وَابْنٌ مَذْنِبٍ
وَلَا تَرْجُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ سِوَى الَّذِي
إِذَا هُوَ أُعْطِيَ لَمْ يَضُرْ مَنْعَ مَا نَعِ
عَرَفْتَ الرَّدَى وَاسْتَأْثَرْتَ بِكَ لِلْعَدَى
فَيَسِّرَ لِلْسَرَى وَأَحْيَا بِكَ السُّورَى
فَجَازَ صَنِيعَ اللَّهِ وَازْدَدَ بِشُكْرِهِ
وَأَوْفَى لِمَنْ وَفَى (٤٣) وَكَافَ الَّذِي كَفَى
وَتَهْنِئِكَ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ خِلَافَةً
فَقَدْ بَلَغْتَ أَقْصَى الْمَنَى بِكَ نَفْسُهَا
فَلَا رَاعَ مِنْهَا السَّرْبُ لِلدَّهْرِ رَائِعَ
أُمُولَايَ رَاعَ الدَّهْرُ سِرْبِي وَغَالَنِي
وَلَيْسَ لِكُسْرِي غَيْرُكَ الْيَوْمَ جَابِسِرِ
وَلِي فَيْكَ (٤٤) حُسْبَ وَاعْتِدَادَ غَرْسَتِهِ
وَقَدْ عِيلَ صَبْرِي فِي ارْتِقَابِي خَلِيفَةً
وَأَنْتَ حُسَامُ اللَّهِ وَاللَّهُ نَاصِرُ
وَأَنْتَ الْأَمَانُ الْمُسْتَجَارُ مِنَ الرَّدَى
وَأَهْوَنُ مَا يَرْجَى (٤٥) لَدَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَبِوَنُكْهَا مِنْ ذَاتِ الْحَمْدِ مُخْلِصُ
إِذَا قَالَ، إِمَّا كُلُّ سَنَمٍ لِقَوْلِهِ
وَدُمُ خَافِقِ الْأَعْلَامِ بِالنُّصْرِ كُلِّمَا

/26

وَلَمْ تَدْرِ مَا ضَمَعْتَ مِنَ الْحُكْمِ (٤٦) أَوْدَاقُ
وَمِنْ دُونِ مَا رَامُوهُ (٤٧) لِلَّهِ إِغْلَاقُ
جَرِيرَةٌ مِنْ أَبْدَى لَكَ الْعَذْرُ أَخْلَاقُ
وَتَهْفُو حُلُمُ الْقُيُومِ وَالْقُيُومُ حُدَاقُ
وَاللَّهُ إِرْفَادُ عَلَيْهِمُ وَإِرْفَاقُ
خَزَائِنُهُ مَا ضَرَّهَا قَطُّ إِنْفَاقُ
وَلِنْ حُشِدَتْ طِسْمٌ وَعَادَ وَعِمْلَاقُ [23]
تُخْوِمُ بِمُخْتَلَطِ الصَّلِيبِ وَأَعْمَاقُ
وَالرُّوْعِ إِرْعَادُ عَلَيْكَ وَإِبْرَاقُ [24]
مَوَاهِبِ جُودِ غَيْثِهَا الدَّهْرُ دِفَاقُ
فَأَنْتَ كَرِيمٌ طَهَّرْتَ مِنْهُ (٤٨) أَعْرَاقُ
شَجَّتْهَا تَبَارِيحُ إِلَيْكَ وَأَشْوَاقُ
وَكَمْ فَازَ بِالْوَصْلِ الْمُهَنَّا مُشْتَرَاكُ
وَلَا نَالَ مِنْهَا جِدَّةُ السَّعْدِ إِخْلَاقُ
فَطَرَفِي مَذْعُورٌ وَقَلْبِي خَفَاقُ
وَلَا لِي يَدِي إِلَّا بِمَجْدِكَ إِغْلَاقُ
فَرَفَّتْ بِهِ (٤٩) مِنْ يَانِعِ الْحَمْدِ أَوْدَاقُ
تَحَلُّ بِهِ لِلضَّرِّ عُنْيِي أَوْهَاقُ
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ وَاللَّهُ رِزَاقُ
إِذَا رَاعَ خَطْبُ أَوْ تَوَقَّعَ إِمْلَاقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَزَمَ حَثِيثُ وَإِرْهَاقُ
لَهُ فَيْكَ تَقْيِيدُ يَرْبِقُ وَإِطْلَاقُ [26]
فَمُصْنِعُ وَإِمَّا كُلُّ أَنْفٍ فَنَشْوَاقُ
ذَهَبَتْ لِمَسْمَعِي لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِخْفَاقُ

وَأَنْشَدْتُ وَزِيرَهُ الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَدْ تَقَرَّرَتْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ الصَّدَاقَةُ قَبْلَ الْأَمْرِ، وَطَالَ تَرْدُّهُ إِلَيَّ سَلًا، قَوْلِي : /

/27 /

(كامل)

حَنْتُ لَخُضْرٍ رُبِيٍّ وَزِدَقَ مِيَاهُ
فَتَجَاذَبْتُ (٥٩) حَبْلَ الْأَزْمَةِ وَأَنْبَرْتُ
هَلَا حَنْتُ (٥٠) إِلَى مِعَاطِنِ أَمْنِهِ
مَا بَعْدَ جَنَاحَاتِ الْعُلَى مِنْ مَنْزِلٍ
فِي حَيْثُ فَاخَرَ بِالْوِزَارَةِ فَاخِرُ
الرَّوَاهِبِ الْأَلَا فِغْرٌ مُعِيرُهُمَا
يَرْمِي بِقُطْنَتِهِ الرِّجَالَ وَأَخْظَهُ
سَيْفٌ عَلَى كَيْدِ (٥١) الْخَلَافَةِ صَارِمٍ
شَهِدَ الْعَبَّاسُ بَأْنَ عَالَمٍ مَجْدِهِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُسَوِّدٍ أَوْ مُصْنَدٍ
كَمْ لَوْنٌ مَوْكِفَ بَأْسِهِ مِنْ طَاعِنٍ
تَتَضَاعَلُ الْأَعْدَاءُ فَوْضَى حَوْلَهُ
كَفَلَتْ نَفْسُ النَّاسِ مِنْهُ بِأَرْوَعٍ
مُتَشَاغِلٍ بِالْحَزْمِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ
الرَّأْيُ تُسْتَسَدَّرُ كَوْكُوسُهُ
أَمَّا صَلَاةُ صَلَاتِهِ فَهِيَ الَّتِي
أَمَّا إِرَادَتُهُ الدَّوَاهِي كُلَّمَا
فَتَرَى سِيَاسَةَ بَزْجُمُهِرٍ [27] أَحْكَمَتْ
يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ يَا مَنْ ذَكَرَهُ
يَا مَنْ إِذَا مَا قِيلَ : أَيْةُ غِبْطَةٍ
سُسُتِ الْأُمُورُ وَبَيَّتْ مُلْكُكَ قَدْ غَدَا
فَقَهَرَتْ كُلَّ مُعَانِدٍ وَسَلَكْتَ طَرِيقَ
مَا إِنَّ رَأْيِيَتْ وَلَا سَمِعْتُ بِسُفْرَةٍ
أَنَا مَنْ عَلِمْتَ وَفَعَاةً وَنَعَاةً
لَمَّا عَرَفْتَكُ مَا شَكَكْتُ بِأَنَّهُ
أَقْبَلْتُ فِي وَفْدِ الْهِنَاءِ مُبَادِرًا
جَعَلَ الْإِلَهَ ثَنَاكَ فِي الدُّنْيَا لَهُ
وَيَوْمِيكَ السُّمْحَاءُ مُسْتَلَمَ الْوَرَى
وَهَمَّتْ عَلَى مَثْوَاكَ إِنْ ضَمِنَ الْحَيَا

وَجَانِدٍ مِنْ قَوْمِهَا أَشْبَاهُ
تَحْكِي الْبَوَارِقَ سُرْعَةً وَتُضَاهِي
وَمَقِيلَ عِزِّ تَحْتِ سِدْرَةِ جَاهِ
إِلَّا حَمِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
كَلَّا وَبَاهِي بِالْعِلَاءِ مُبَاهِ
طَرَفَ الضَّنَيْنِ وَإِنْ تُكُنْ هِيَ مَا هِيَ
فِيْمِيَزُ دَاهِيَهَا مِنَ الْمُتْدَاهِي
عَلَّمَ [على] (٥٢) ثَوْبَ الْجَلَالِ الرَّزَاهِي
فِي الْحَسَنِ لَيْسَ بِعَالَمٍ مُتَنَاهِ
أَعْظَمَ بِهِ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ نَاهِ
كَمْ لَوْنٌ مِنْزِلَ ضَيْفِهِ مِنْ طَاهِ
كَالْثِيثِ كَرُّ عَلَى قَطِيعِ شَيْبَاهِ
جَدْلَانِ لَا يَطِيرُ وَلَا تِيَاهِ
لَا يُسْتَفْزُ بِعَابِيَتْ أَوْ لَاهِ
وَمِنْ الصَّهِيلِ مَعَارِفٍ وَمَلَاهِ
قَدْ جَلَّ فِيهَا عَنْ مَقَامِ السَّاهِي
شَكَّتِ الْمُلُوكُ بِمُغْضَلَاتِ دَوَاهِي
أَوْضَاعَهَا فِي بَابِ شَاهِنِ شَاهِ
كَالشَّهْدِ أَوْ أَحْلَى عَلَى الْأَفْوَاهِ
وَسَعَادَةُ لِلْمَلِكِ قَالَ : أَنَا هِيَ
صَفْرًا وَتَبَاهِ الْخَلْقُ أَيُّ مَتَاهِ
قِيَ الْعَدْلُ بَيْنَ أَوَامِرِ (٥٣) وَنَوَاهِ
فِرْزَانَهَا [28] نَابَتْ مِنَْابِ الشَّاهِ
عَلَّمَ الْيَقِينَ الْمُخْضِرَ لَوْنِ مُضَاهِ
تَشْرَى يَدَا أُمْلِي وَيَعْظُمُ جَاهِي
وَلِي الْهِنَا شُكْرًا لِفَضْلِ الْإِسْهِي
مُتَرَدِّدًا فِي السُّنَنِ وَشَفَاهِ
وَحِمَاكَ مَبْرُكَ أَنْفٍ وَجِبَاهِ
سُحِبَ مَبَارَكَةُ بِفَضْلِ اللَّهِ

/28 /

المجلس السلطاني على رسمه من إفاضة القبول والإحسان والاستحسان،
والله لا يقطع عنا سبب فضله.

ومما خاطبت به صاحب العلامة [29]، وقد أبهضته كلف الخلق على يدي،
مداعباً (٥٤).

(خفيف)

سَيِّدِي أَنْتَ عُمْدَتِي فَاحْتَمَلْنِي
مُبْتَلَى أَنْتَ بِالْبِرَابِيرِ وَالْفَقَا [30]
وَنُورِي أَيْنُق (٥٥) وَأَهْلَ حَمِيرٍ
وَبَوَادٍ يَجْرِي لَكَ الْجَلْفُ مِنْهُمْ
تَرْفَعُ الصَّوْتُ إِنْ مَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا مَا اعْتَذَرْتُ لَمْ يَقْبَلُوا الْأَعْمَى
وَشَبِوْخُ بَيْضِ اللَّحَى خَضِبُوا الْأَرْ
وَسُعَاةُ نَوِي اجْتِدَاءٍ وَالْحَا
وَأَفَارِيدُ يَسْتَرْدُونَ (٥٨) نَوِيًّا
يَكْتَبُ الشَّخْصُ مِنْهُمْ أَلْفَ حَوْلٍ
غَيْرَ ذَالِ تَرْدٍ دَالًا وَظَلَاءٍ
وَحَبِيشٍ كَلَامُهُمْ يُشْبِهُ الْخَطَاءَ
وَتَبِيسٍ مِنْ أَرْضِ أُنْدَلُسٍ قَدْ
كَانَ مِنْهُمْ مَرْدَبَةٌ (٦٠) [33] وَسِوَاهُ
وَنُورٍ فَنِيَّةٍ وَقَوْمٍ أَسَارِي
أَوْقَعَ الْقَوْمُ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
وَسَمِعَ الْخَلْقُ (٦٢) مِنْكَ خَلْقَ جَمِيلٍ
وَتَوَلَّوْا عَلَيَّ أَنْفِرَادٍ يَبْتُكِرُوا
مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ سِوَاكَ عَلَيَّ الْخَذُ
إِنَّمَا أَنْتَ لِلْبَرِيَّةِ كَهْفٌ
أَيْنَ ثَقَلِي إِذَا فَرَضْتَ ثَقِيلًا
وَمَقَامِي نَزْدٌ وَأَصْنَرِفُ وَجْهِي
خَالِصًا عَنْدِي كُلُّ سِرٍّ وَجْهِي
فَاعْنِي وَأَصْرِفْ لَتَجْدِيدِ مَا أَصْنَرِفُ
وَأَعْدَنِي لَخُلُوتِي عَنْ قَرِيبٍ
أَنْتَ أَنْقَذْتَهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا
خَتَمَ اللَّهُ الرُّضَى يَا ابْنَ رِضْوَا

وَتَقَعَّدَ بِالْفَضْلِ مِنْكَ جَفَائِي
رُزْ وَأَهْلَ الْجِبَالِ وَالصُّحَرَاءِ
وَرَجَالٍ وَصَبِيَّةٍ وَنِسَاءٍ
بِكِسَاءٍ طَوْرًا وَبِوْنٍ كِسَاءٍ
كَالْكِرَاكِي [31] أَوْ بَنَاتِ الْمَاءِ
ذَارَ (٥٦) خُصَّ الْقَبُولُ بِالْعُقْلَاءِ
جُلَّ مِثْلَ الْحَمَامِ بِالْحُنَّاءِ
فَ شَدِيدٍ (٥٧) يَأْتُونَ بَعْدَ الْعِشَاءِ
كَكُوِي الرُّحَى عَدِيمٍ (٥٨) الْفَنَاءِ
وَقَوَّ لَا يَسْتَبِينُ شَكْلُ الْهَجَاءِ
جَعَلْتُ نَائِبًا مِنْابِ الطَّاءِ
فَ عِنْدَ أَنْفَجَارٍ خِيَطُ الضِّيَاءِ
قَصِدُوا عَنْ ضَرُورَةٍ وَجَلَاءِ
وَقَوَّ فِيهِمْ مِنْ جَمَلَةِ الظَّرْفَاءِ
عَبَّرُوا الْبَحْرَ رَغْبَةً فِي الْفَدَاءِ
نَبَذُوا كُلَّ حِشْمَةٍ وَحَيَاءِ
وَجَنَابِ الْفَضْلِ رَحْبُ الْفَنَاءِ
نَ وَقَدْ أَسْعَفُوا حَمِيدَ الثَّنَاءِ
مَةً - بَوْرَكْتَ - أَوْ عَلَيَّ الثَّقَلَاءِ
وَمَلَاذُ فِي شِدَّةٍ وَرُخَاءِ
وَعَظِيمٍ (٦٢) الْجَفَاءِ مِنْ (٦٤) هَوْلَاءِ
لَسَلَا حَيْثُ مَعْدَنُ الْحَمَقَاءِ (٦٥)
لَكَ حُبِّي وَمِدْحَتِي وَدَعَائِي (٦٦)
لَا تُعَذِّبْ قَلْبِي بِطَوْلِ الثَّوَاءِ
لَاكَ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَابْتِدَاءِ (٦٧)
نَ لَكَ الْعَمْرُ بَعْدَ طَوْلِ الْبَقَاءِ (٦٨)

وَصَدَرَ الْأَمْرُ الْكَرِيمُ بِمَا نَصَّهُ (٧٩) :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، نظم العناية ووصلها، وأجمل الرعاية وفصلها، وأحرز مواهب السعادة (٧٠) وحصلها، أمر بإبرامه، والوقوف عند أحكامه، عبد الله، المتوكل على الله [محمد] (٧١) أمير المؤمنين (٧٢) بن مولانا الأمير أبي عبد الرحمان بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله ونصره، وسنى له الفتح المبين ويسره، للشيخ الفقيه، الأجل الأسنى، الأعز الأخطى، الأرفع الأمجد، الأسمى (٧٣)، الأوجه الأئوه، الأرقى، العالم العلم، الرئيس الأعراف، المتقن الأبرع، المصنف المفيد الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه، الوزير الجليل (٧٤)، الأسنى الأعز، الأرفع الأمجد، الوجه / الأئوه الأحفل، الأفضل الأكمل، [الحسيب 31 / الأصل الأكمل، المبرور المرحوم] (٧٥) أبي محمد بن الخطيب - وصل الله عرته، وإلى رفعت، قابله، أيده الله بوجه (٧٦) القبول والإقبال، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال، وما تقرّر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العالي، وأمر في جملة ما سوّغه من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها، المتضمنة تمشية ثلاثمائة (٧٧) دينار من الفضة العشرية [34] في كل شهر عن مرتب [له ولولده الذي لنظره] (٧٨) من مجبى مدينة "سلا" - حرسها الله - ومن حيث جرت عادته (٧٩) أن يتمشى له، ورفع الاعتراض عنه ببابها فيما يجلب إلى منزله (٨٠) من الأدم، والأقوات على اختلافها، من حيوان وسواه، وفيما يستفيد [خدامه] (٨١) بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكثان، وفاكهة وخضر وغير ذلك، فلا يطلب في شيء من ذلك بمفرم ولا وظيف [35]، ولا يتوجه إليه فيه بتكليف، يتصل له حكم [جميع] (٨٢) ما ذكر في كل عام تجديدا تاما، واحتراما عاما، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها، وإتمام النعمة وإكمالها، من توارخ الأوامر المذكورة إلى الآن، ومن الآن إلى ما يأتي بعد على الدوام، واتصال الأيام، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة من السخر مهما عرضت، والوظائف إذا افترضت، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف، وتتضاعف له أسباب المنن والعوارف، وتحرر له الأزواج التي حرّكها بالتألف [36] (٨٣) [من كل وجيبة، وتخاصى] (٨٤) من مفرم أو ضريبة، بالتحريز التام، بحول الله وعونه.

ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه، وليمض ما أمضاه، إن شاء الله.

وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. /
وكتب في التاريخ.

ووقف تشوقي إلى تجديد العهد بزيارة (٨٥) المعاهد المباركة، والانتباز عن
مظان الهرج، وميادين الفتنة، فصدر في ذلك ما نصه :

هذا ظهير كريم، جدد العناية وأضفاها، وشرع موارد الحظوة وأصفاها،
وتمم المواهب ووفأها، وأطلع للمعتد به وجوه القبول يروق مجتلاها، وعرفه عوارف
الإيثار تفوق أخراها أولها، أمر به وأوجب العمل بحسبه، عبد الله، المتوكل على
الله، محمد أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، بن مولانا الأمير أبي عبد
الرحمان بن أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن بن مولانا
أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين،
المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق - أيد الله أوامره
وخلد مآثره - للشيخ الفقيه، الأجل الأسنى، الأعز الأحمى، الأرفع الأمجد، الأسنى
الأوجه، الأنوه الأرقى، العالم العلم، الرئيس الأعرف، المتقن الأبرع، المصنف
المفيد، الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الوزير،
الأجل الأسنى، الأعز الأفضل، الحبيب الأصيل، الأرفع الأمجد، الأحفل الأكمل،
المبرور المرحوم، أبي محمد بن الخطيب - وصل الله أثره [37]، ووالى رفعتة، ومهد
(٨٦) له جوانب البر والاهتمام، وجدد ملابس التنويه والإكرام، وأقام على جميل
اعتقاده فيه واضحة الأعلام، ورعى وسائله المربية الذمام، ومقاصده الكريمة
الافتتاح والاختتام - ومما امتاز به من الانقطاع إلى هذه الأبواب البعقوبية،
المخصوصة برعي الجوار على مر الأيام، فأحلته (٨٧) من بساطه المحل الذي يليق بمن
ترفع قدره، وشهر ذكره، / واعتمد بالرعي الذي تساوى سره وجهه، وجدد له
حكم الظهير الصادر له بالإذن في زيارة المشاهد المقصودة، والأماكن المحسوبة
المعبودة، والمحال التي يقصدها أهل الفضل والدين، والرغبة في لقاء الأولياء
والصالحين، ومطالعة محاسن البلاد، والتمتع بأفانين الكرامة الواضحة الأشهاد،
فليعمل الوجهة المباركة متى شاء محمولا على سبيل العناية، معتمدا بجزيل
الكرامة والحفاية، موثق الأغراض من البر، والإجلال المستمر، منصبا في الطرق
بمن يعين كرامة طريقه، وتلقي حربه بالمبرة وفريقه، وليعلم من يقف من الولاة
والخدام، وجميع من له نظر في حكم الأحكام، أننا نوازن بين الأحوال، ونحرص
على أن تكون المزية لدولتنا على ما قبلها في جميع الخلال، والثناء متصلا على
مقامنا مناسبا لما (٨٨) يليق به من الأقوال والأعمال، ونعتبر ذلك عند عرضه علينا
اعتبار الجزاء على التفصيل والإجمال، فليؤفوا الغرض من بره وإجلاله على

الكمال، وَلَيَبْتَغُوا به من مقامنا مزيدَ الإنعام والإفضال، حتى يعودَ مُتَلَجِّجَ الصدرِ بِفَضْلِ نَوَلَتْنَا على ما تقدّمها، مجتئيا ثمرة مقاصده التي قدّمها، وخدّمته (٨٨) التي أصلها بيبائنا وأحكّمها (٨٩)، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه المستعان.

كُتِبَ في السادس من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبع مائة بالحضرة العلية، المدينة البيضاء، حرسها الله. وكتب في التاريخ المؤرخ به.

إلى نعم سوى ذلك، وعنايات وكرامات، والمَشْكُورُ الله (٩١)، سبحانه. وشرعتُ في أَلْقُولِ بَعْدَ أَنْ تَشَوَّفَ (٩٢) إِلَيَّ ائْتِقَالِي لِخِدْمَةِ الْبَابِ السُّلْطَانِي، مطمعا في أَقْصَى ما تَنْتَهِي إِلَيْهِ وسائلُ الْأَقْلَامِ، ووقع من العذر والتملُّق في الإِعْفَاءِ، وتدقيق الأعذار، ومُخْتَلَفِ التعلُّلِ، ما سهل - والحمد لله - الأمل، وهنا الصدرُ، لا أخدمنا الله غيره، وَلَا أَعْدَمْنَا سِتْرَهُ، / وحلُّ عن أعناقنا رَبْقَ الْمَلَكَاتِ، ونَكَبَ بنا عن مهاوي الهلكة، بِفَضْلِهِ.

«القبض على منصور بن أبي علي»

وليوم (٩٣) الوصول، تُعرَفُ ما كان من القبض على الأمير منصور، ابن السلطان، أبي علي [38] أخِي الأمير عبد الحليم، بيت القصيد، وناهض العُشَّ، إذ أُقِيلَ من الأندلس مُعَدًّا لِأَخِيهِ في طائفةٍ من بني مرينِ الْمُسْتَقَرِّينَ فيها وَلَمَّةٍ من الْكُتَّابِ وَالطَّلَبَةِ، كالفقيه، الصدر، البليغ، المستولي على وافر من الخصال نظما ونثرا وأبهة، إلى الفروسية وشدة (٩٤) الثبات في مواقف الكريهة، والتدرب على الغزو، وبنين له ثلاثة، أوسطهم نابغةٌ من النوايح، بالغُ أَقْصَى مبالغِ الإجادة في المنظوم [والمُنثَوْر] (٩٥)، يُبْرِحُ بَلْبُلُهُ عن قفص المكتب.

وصل هذا الأمير مستدعي من قِبَلِ أَخِيهِ عندما استقر "بتازا" واستولى على "مكناسة"، وطَمِعَ في إضافة الحضرة، طَرَقَ أسطول إجازته الممدود حول البحر، فألقاه بساحل "غساسنة" [40] من إيالة عُدُوهُ، فَتَقَبَّضَ عليه وعلى من قصرَ عن الفرار إلى الإيالة الزيانية [41]، وَأَدْخَلَ مدينةَ "فاس" يوم الأحد ثاني ربيع الآخر المذكور، مكبولا، محمولا على الظهر، غير مغير من شكله، ولا مُهان بنزع وطائه، بين يديه طبولٌ تُشَهِّرُهُ، وشُفَّتْ به المدينة بطريق شهرته، فرقَّ له الناس لمكانه من الفضل والخصل، واشتهاره بِالْفَتْوَةِ ومماسّة الأدب، وهو بحال استجماع وثبات، مُلْتَفِتٌ إلى أشكال الأشياء، مُسَلِّمٌ على من بالنوادي والمجتمعات، مُعْمَلُ اللسان في تلاوة وذِكْر.

ولمَّا أُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ، سَأَلَهُ مِنْ وَزَرَانِهِ وَحُجَابِيهِ مَنْ يَرِي [42] بجنبه، والإغلاظ له النفوس عن أخيه، واستفهم عن سبب وجهته في سبيل الثَّغْنِيَّةِ، فجدُّ عن نفسه، واعترف بوجوب حقِّ السُّلْطَانِ وحقِّ سُلْطَانِهِ، وشكر ما أظْلَمَ من كِفَالَةِ جَدِّهِ، وأنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ وَإِخْوَتَهُ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ لِمَا عَلِمُوا عَدَمَ ذُرِّيَّتِهِ، وانقطاع سببه، وَخَلَوْا / الْوَطْنَ مِنْ وَلَدِهِ، فأما وقد جَبَرَ اللَّهُ الْأَمْرَ بَوْلِيَّهِ، وأعاد الحقَّ إلى أهله، فطاعته متعيّنة، وفِيئته من ثار من إخوانه بمحاولته هو حَاصِلَةٌ، وألطف القول ما شاء، فلانت له القلوب، وخفت الموجدة بما أوجب تانيسته، واقتضى (١٦) ثقافه، مرفهاً عليه.

ووافق ذلك وصول شيخ عرب سُوَيْدٍ، وأنزمار بن عريف [43] والشروع في المهادنة، فقوي الرجاء في تسني القرار، وتهني الأمانة، والتفرغ إلى مصابرة ما عسى أن يُنْتِجَهُ تَأَخُّرُ الْغَيْثِ، وفوات زمن البذر، وكان من الأمر ما يُذَكِّرُ، إن شاء الله.

«انصراف عامر بن محمد إلى مراكش»

وفي عشيِّ الجمعة قبله، كان انصراف الجيش المراكشي مظاهر الأمير، ومرسي قواعد الدولة، بعد أن فوض إلى عميد (١٧) وطنه، عامر بن محمد بن علي في قلّه وكثره، ووقفت حدوده عند إيعازه وإشارته، وقصرت جبايته على ذات يده، وأتبع ولاته وعماله عقبه، وقلدوا طاعته، وأخرى به أن يقتعد (١٨) السَّيَّامَ والغارب، ويستأثر بالزَّفَرَةَ، ويخص بالتفويض، ويلقى في يده زمام الملك، ويعقد له تاج الاستكفاء، من رجل ثبت الرأي، راجح الحصة، حسن الوجه، بعيد الغور، مطبق مقاصد السداد، ثاقب شهاب الفهم، ملتفت إلى أعقاب التقيّة، مستمتع بالخلاق، طب بالعلل، مذيع للنصفة، فاصل للحكم، مستشعر للهئية، متوقِّل هضبة سنن (١٩) الوقوف، محمود جميع الخلال، رجل المغرب بلا منازعة، فانصرف يجر الدنيا وراءه معرسا بإحدى بنات ملك «إفريقية» [44] كانت تحت العصمة الفازسية [45]، فصحبته قبل البناء بها، وقد أخذ ظهر ركايبها من الزينة ما يستوقف حمولة (٢٠) فارهاً، ولولايا بالأباريق (٢١) مثقلة، وتجايف من الحلل مقدرة، وكتيماً [46] منقل الحلية، وقبّة أفرغت على قسيها ليات النسج المختلف الزينة، المتخذ من خالص السرقة [47]، دون (٢٢) المناطق والأشعار والأقبية المشهورة / يسيرون حفاقي محملها الملوكي، في سبيل اقتياده سيز النعام إذا سقت بأجنحتها، وركضت الأرض بمقدام سوقها، وتبعها من العقائل حافات بهودجها، ومن اللدات والحواسن (٢٣) والقهارم [48] وعجز التربية ومواسط الزينة ورقيق المهر وخنافس

المطابخ، ما صير الأرض روضاً مزهراً، والبطحاء دوحاً أنيقاً، والتف بمركبها من نساء الخدام، وعرائس أمراء العرب على ما يتعلّق بأذيال هذه الصفة، أمم من صنف النّسوان حُرّ عدهن بما يُستَراب منه في حكايته.

وتعت لهذا الرئيس ألقاب الملك، من إغزاز موكبه بالرماة من المشاركة، وفرسان نصارى السقيفة، ورجال الرقاصة، وجماعة المشاة الأندلسيين المختصين بأبهة الخلافة، والله يَتِمُّ علينا نعمته.

وخاطبته ليلتئذ بقولي (١٠٤) :

(كامل)

<p>يا واريث المهدي في الجبل [49] الذي وبه مُصلّاه (١٠٥) ومدرسه الذي أنبشّر، فإنك بعدما بعد المدي وأعلم بأنك أنت عامر ربيع وإذا بلغت إلى محلك سالماً</p>	<p>فضل الجبال فكان مطلع بذره أهدى من التوحيد يانع زهره وتولّت الدنيا، مُجدد أمره وأعلم بأنك أنت (١٠٦) نكتة سره سلم لسعدك في سعادة دهره (١٠٧)</p>
---	--

«أحداث أندلسية»

وانعقد بين السلطان المستدعي للأمر بالمغرب، الملقب بالمتوكل على الله، أبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان وبين السلطان الهنش بن هرند بن شانجه ابن أدفونش، عقد يشتمل على شروط أهمها : قطيعة المتغلب على الأندلس، المتوكل على ملكها، وإعانة سلطانها / الفاضل الخلال، أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، عابر البحر إلى استرجاع حقّه، والطلب بوتره، وقد تخلّى له عن مدينة رندة وحُصونها، وهي على ما هي من خصب ومنعة، جاور المتغلب [50] منه داءً يقطع أبهره على الأحيين، تنفّص بقرّيه كل لذة محرمة أو مباحة، وجعل يقلب رأسه فوق وساده عند كل نومة، واحتجّر فلم يُصنجر من لدن ذلك غلوة [51]، وأكذب دعواه في المخاطرة، إذ صارت زهرة الدنيا وزبرج الإمارة مجبّنة، وقام لمطالبة رسم برندة لوفور الخزين، وخلص الشوكة، وارتاش خاصته بولاية تلك الثغور والمسالح، وتبلغوا ببلائتها، وقنعوا بإسم القيادة منها.

إذا [ما] (١٠٨) لم تكن إبل فمعنى [52]

وأُسند الظهر من الطاغية إلى هضبة راسية، وعمّ الأمر رغبة (١٠٩) الانسحاب والسلم والإختصاص بالهدنة (١١٠)، فامتدّوا ويذروا، وفلحوا وأتجروا وتقطّوا بجناح الدهر ينظرون إلى حلول النعمة بمن سواهم.

واستقرّت لهم أليقاب (١١١) الملك، فاخصّ برسم الوزارة، الشيخ طويس [53] الوقت، عليّ بن يوسف بن كماشة، مدّخل عتوه، وعاهد صفقة الغدر على خذّه، وشاحذ مدينة نحره بيده، ورسول الدائل اليوم في سبيل استئصاله، ومواجهته بالتقريع في دار غربته، والمغربي باغتيابه، والمعين لإثبات موجب خلعه، والمذعن إلى إنبائه بنكايته، وسدّ في وجهه الأبواب معاقلة ومناوشة لحربه المرتجزة بمساوئه وهناته، فقام له بالرسم الوزاري، كما اضطرّ صياد إلى صُحبة الكلب، واستعمل في خطة (١١٢) الكتابة، الشيخ الفقيه، قاضيه بعد المنوّه به، ذا السكينة، وربّ البيت النبیه، والطاهر الشاهد بالخيرية، أبا الحسن النباهي [55]، وقدم على الجيش بعض الرؤساء من قرابته. وقصده الجيش الغرناطي / فكانت - زعموا - بين الفريقين حرب بان لجمع القلّة فيها الظهور.

/ 38 /

ولما وقع العقد بين ملك المغرب، وبين سلطان قشتالة، كان لسلطان الأندلس المستقرّ برنده، أبي عبد الله بن نصر في العقد الغناء والنصح والكفالة والظهور والضمان، إلى أن أتمّ يده (١١٣)، وأبرم بكّحه وسعيه، وأسف الوزير طويس هذا، السلطان المستدعي للمغرب لما ألزمه في الخفي لنفسه من شروط فيها، تشتمل على نقد وكالي [56]، وعرض واعتماد، وأطاع فيها داعي الهلع، وقاضح الحرص، وأجره السلطان في ذلك رسنه، لحاجته إلى خلاص نفسه، فرحل يطوق المذكور كل مذمة، ويحمله كل منقصة، وبنيت على ذلك ناجمة إحنة، واتفق القول من حذاق الخاصة على أن تصريد الشراب، وعسر هذه الإيالة، وركود ربح القوم حظّ هذه الوزارة الطويسية (١١٤)، وقال بعضهم يخاطب السلطان (١١٥) :

(طويل)

إذا ما أطرحتم شؤمه أنجز الوعد
مخيلة نجح كيف ترضى له بعد
وما قلت إلا بالذي (١١٧) علمت سعد [57]

كما شيكم من أجله انكمش السعد
ومن لم يكن للسعد في بدء أمره (١١٦)
وتصريفه المشؤم فلتتذكروا

وقلما انخرمت القاعدة فيما يستحضر لهذا الرجل المحدود، الكلُّ على مولاه من «كل» وجهة، كرسالته إلى السلطان أمير المسلمين، أبي الحسن بين يدي هزيمته «بطريف»، ثم وجهته إليه بين يدي هزيمته «بالقيروان» [59] إلى غير ما كانته، لا ابتلائنا الله بضيء السمات، ولا جعلنا من دواعي النفرات، وعسلنا في الدنيا، وألطف بنا في الآخرة، بفضلِهِ.

39 / وكيف الله للوعد الأغمم القفأ [60]، مُطعمُ الإماء، المتغلب على الأندلس لهذا العهد، وبتاريخ ثاني ربيعي العام المنسوب / إلى ثلاثة وستين وسبعمائة نصرا عزيزا لا كفاء له، لما جاش بحر طاغيتهم، وانتفخ سحره، ورأى أن قد ظفرت يده بطائفة من المسلمين يضر بها أخرى، ويرى جشعاً للعقبى، وقد ذمر إليه أمراءه، وأوعزَ إلى «الميشرة» الكبير بصدّه، فنهد (١١٨) إليه نهضةً شاتيةً، واقتحم الجهات الشرقية الوادي أشية بمن لف لفه من أهل «جيان» وأبدة» و«بياسة» و«مارتش» (١١٩) [61]، وما إلى ذلك الصق.

فلما أدربَ (١٢٠) [62] وسلك بعض الفوهات والثنايا (١٢١) متوغلا صاح به المسلمون من كل جهة، وتلاحق الجيش الفرناطي، إذ كان مزاح العلل بسبب عين من عيون الروم، أنهى الخبر وأوجب الاستعداد، فمنح الله المسلمين أكتافهم، وأوقعوا بهم وقية شنعاء، قدّم بها العهد، وألحم السيف، ومأً الأيدي السبي، وضاق عن الأسر القدر، وسبق زعيمهم أسيرا بعد أن هلك عليه حاميته، وخضدت حوله شوكته. وبلغت هذه الوقية من الشهرة والفشو والذياح ما لم تبلغ إليه كائنة من أعظم الكرائن ، والله لا يجعلنا إماء وفتنة، وفقد من المسلمين بها عديد من فرسان رجح، ولا كالقائد الشهم البقية، الحسن الرّواء، الراجح الوزان، النّقب، المرشح للوزارة، بحسن السّمت، وأصالة الدّهي، ووقار المجلس، شعيب بن يحيى بن شعيب، الجاري عليه القدر، المنسلخ من آية النجابة ليلة الحادثة على سلطانه وهو مؤتمنه على لدة الملك، وظنر الإمارة «بمالقة»، فأعلن بدعوة أخيه الثائر عليه [63]، من غير تثبيت ولا استكشاف، ولا ركون إلى خاتم، فتخلفها عارا وشنارا، ولم يزل وجهه بعدها مُسوداً، وحظه ناكصا، إلى أن أتحفه الله بالشهادة عنوانا على تقبل فينته وغيره من الأنجاد على نزارتهم بباب هذا الدائل، وخلو مصاف الإسلام يومئذ منهم على عهده، / وبسوء تدبيره، ومكذب استغفائه، فكان 40 / المنح منقصا، والفتح متقصا، وشاع استعداد العدو لهذه الوحزة، وقد جلّته صفارا عظيما ومخزية، واستحشاده من زُرّت عليه أطواق عمالته الفسيحة، والله يخيب مسعاه، ويعيد المسلمين إلى ما عهدوه من رُحماء، ويؤتم عليهم بالإيالة المرضية نعماء.

رجع التاريخ

«استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس»

واستقر شأنُ إلى هذا العهد مستقره بالمشرق، بعد أمحاء رسم الخلافة وخمول الذناب من ولد العباس، فأعمل هذا الوزير فكره فيما يؤمنه بادرة سلطانه، فلم يمكنه من لدن تولج باب القصر من غير راحة يتنهاها، وأريكة وثيرة يتوسدها، وعروس معطرة يتفشاهها، وبركة ريانة يقتحمها، وبيت نعيم يستلقي فوق مرمره المفروش ومائه المسكوب، واستلب من كان قد علق بثوبه، من أجل طريقه، أو مدى مراوضته، من مخلب وشوكة، ومئات وذمة، ممن أمل الحظ لديه، ورام التنفق عنده، فاستظهر على مهمات أبدى الضرورة إليهم فيها، وصيرهم منبئين، وللفاقرة مرتقبين، واشتمل عليه أخذًا شعاب القصر وتقابه، ومجليا عنه أبواب الحرم من العمامات، والناثبات مناب الأمهات، وأولات الدالة، ومهديات النصائح، وسكن لصقه، وتوصل إليه في الدهلين الخفي، نافقا من تقدمه، يياشر منه يقظته ونومه، ويتفقد خلوته، فإذا متع [64] النهار أقعده، بعد أن حوَّله رسوما من قول وعمل، يلم فيها بعيون مختطفة، بين إفصاح وهينمة [65]، ويغرُ فيما عداها ما يطبق المقطع من لفظ الوزارة، ثم "انكفأ أدراجه" [66]، ووكل به كل غبوق، شاغلا له بالمعاقرة ظهريه ووليي ثقته رضيي استخلافه على رسم المنادمة : الشيخ، مستظهر الروم، حجة الله في الورق [67]، على الأمية وجمود الروح الحيواني، وفقدان الإدراك، وإظلام جو النفس الناطقة، عمر بن العجوز، من مسلمة أولئك القلب [68]، وتلوه / الشيخ السقلة، البذيء، الصفعان، المتوسل بالعهر والضرط والمكاء والتلاعب بخصييه، الباجج بالنادرة الفاترة، على التبارد والتباغض والشيب وفساد الأسنان وطليعة الخدر، الملعون بكل اعتبار ولقة، إبراهيم بن أحمد البطروجي [69]، فإذا قضيت العشاء الآخرة تَرَجَّرْجُوا بين يدي الثمل والطفوح إلى منازلهم بعد قضاء حق مغريهم، الوزير وطروقه بتحية بيته.

41/

وأقام في رسم الوزارة صهره ومنشله من الهفوة، مسعود بن رحو بن علي الفونودي [70]، فوسطه للناس، واحتجب عنهم، وياشر به حاج خاملهم، وواصل به جناحه، وأنفق منك وإن كان أجدع [71] فصار هذا الأمير مقاد الأمر المستدعى

له، كآنه بمنزلة العباسي "بمصر"، المعتما لتمام شرط البيعة، وكمال رسم الإمامة، والوزير الذي حجبهُ بمنزلة السلطان الأسفَهْصَلَار [72] من التُرك، والوزير مُنْتَابُهُ مسعود بمنزلة وزيره المعبرُ عندهم بالصاحب [73].

وكان من الإِتفاق إتيان هذا السلطان مُفرغاً في أولي القوالب بهذا الغرض، وأحسنهم انخراطاً في هذا النمط، وأسهلهم تَأْتِيًا لهذا القصد خيرية وإقصاراً عن الغايات التي تَوْدِي إلى المعاطب، ورضى بالبلاغ، وأخذاً بالعفو، واستراحة إلى المناب، والله يُسَوِّغ المسلمين سهولة جانبه، ويُعرفهم الأمانة من تلقائه، ويُجري فيهم الخيرَ على يديه.

هوامش الفصل الثاني

- (١) زيادة من ف ٣٦٩.
- (٢) بياض بالأصل.
- (٣) غير واضحة في "ف"، واحتمل د. العبادي أنها : " أول هذا السفر المسهب ويجانيه"، والأصح ما ورد في المتن لتناسبه مع السياق.
- (٤) إلى هنا ينتهي الجزء المشترك مع النفاضة ج ٢.
- (٥) م : بخانيه، وهو تحريف.
- (٦) يبدو أن هناك لفظة ساقطة قدرناها بما أثبت.
- (٧) بياض بالأصل.
- (٨) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات في ديوانه : الصيب والجهام ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ممهدا لها بقوله: وقلت وقد رحم الله بالفيت بعد القحط الشديد.
- (٩) د ٤٦٩ : القور.
- (١٠) م : النعمن، تصويبه من د.
- (١١) م : تجاري الربع، تصحيحه من د ٤٧٠.
- (١٢) من د، يقتضيها الوزن.
- (١٣) م : سلا، والقرائن تقتضي ما أثبتنا.
- (١٤) م : الج.
- (١٥) م : متعمله في العماة وما أثبتناه حسب قراءة د. بنشريف.
- (١٦) وردت هذه القصيدة في النفع ٦ / ٨ - ١١، وفي الاستقصا ٤ / ٤٦ - ٤٨.
- (١٧) ن ٨/٦، الاستقصا ٤/٤٦ : عنه.
- (١٨) المرجعان : عهد.
- (١٩) غير واضح بالأصل، تصويبه من المرجعين.
- (٢٠) المرجعان : فترة.
- (٢١) ن : وفاض.
- (٢٢) م : وشرح.
- (٢٣) المرجعان : بسقي.
- (٢٤) م : لا يعلم.
- (٢٥) المرجعان : رجة.
- (٢٦) ن ٩/٦، استقصا ٤/٤٦ : ضوؤها.
- (٢٧) استقصا : بالشكر لله.
- (٢٨) م : تثبت، تصويبه من المرجعين.
- (٢٩) م : ليسوف، وهو تحريف.
- (٣٠) م : فايمن مشحون من الفلك سادج، تصحيحه مما ذكر.
- (٣١) م : والدما وهو تحريف.

- (٣٢) ن، استقصا ٤٧/٤ : تضل.
- (٣٣) ن، استقصا : سمت.
- (٣٤) م : يفز، تصويبه مما ذكر.
- (٣٥) زيادة مما ذكر.
- (٣٦) م : نسلق، تصويبه من المراجع.
- (٣٧) م : وحسبك، وهو تحريف.
- (٣٨) م : حريوا.
- (٣٩) م : التحصيل، وهو تحريف.
- (٤٠) م : إلى، تصحيحه من المرجعين.
- (٤١) ن ١٠/٦، استقصا ٤٧/٤ : الذكر.
- (٤٢) المرجعان : ماراموه.
- (٤٣) المرجعان : ما اموه.
- (٤٤) ن ١٠/٦، استقصا ٤٨/٤ : أوفى.
- (٤٥) المرجعان : منك.
- (٤٦) ن ١١/٦، استقصا : ود.
- (٤٧) المرجعان : فراقت به : ساقطة من م.
- (٤٨) ن ١١/٦، استقصا ٤٨/٤ : ترجى
- (٤٩) م : فجاذبت، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٠) م : حنت، وهو تحريف.
- (٥١) هكذا في الأصل ولعلها كتد.
- (٥٢) زيادة للوزن.
- (٥٣) م : وأمر، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
- (٥٤) وردت هذه القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٧ - ٢٣٩.
- (٥٥) م : أنيق.
- (٥٦) م : العذر، والأنسب للوزن ما أثبتناه من د ٢٣٧.
- (٥٧) من د ٢٣٨، يقتضيها الوزن.
- (٥٨) م : يدرسون، تصويبه من د.
- (٥٩) د : قليل.
- (٦٠) م : مرزية، وهو تصحيف.
- (٦١) د ٢٣٩ : كدية.
- (٦٢) د : الكل.
- (٦٣) د : وكثير.
- (٦٤) من د، يقتضيها سياق المعنى والوزن.
- (٦٥) هذا البيت ساقط من د.
- (٦٦) ترتيب هذا البيت في د بعد البيتين التاليين.

- (٦٧) هذا البيت ساقط في د ٢٣٩.
- (٦٨) م : لك بعد طول عز البقاء، والأنسب ما أثبتنا من د لتلاؤمه مع الوزن.
- (٦٩) ورد هذا الظهير في الاحاطة مخ الاسكوريال ٤٣٢/١، وفي ط. القاهرة ٤٥٥/٤ - ٤٥٧، وفي النسخ ٥/٦ - ٦، وفي الاستقصا ٤٨/٤ - ٤٩.
- (٧٠) م : السعاد.
- (٧١) زيادة مما ذكر.
- (٧٢) ح س ٤٣٢ : المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين.
- (٧٣) المراجع : الأسنى.
- (٧٤) ح ٤٣٢، ن : الأجل.
- (٧٥) مما ذكر.
- (٧٦) م : بوجهه، وهو تحريف.
- (٧٧) ح س ٤٣٢، ن ٥/٦، استقصا ٤٩/٤ : خمسمائة.
- (٧٨) زيادة من المراجع.
- (٧٩) المراجع : العادة.
- (٨٠) إلى منزله ساقطة من المراجع.
- (٨١) زيادة مما ذكر.
- (٨٢) من المراجع.
- (٨٣) ن، استقصا : يحرثها بتالافت، وفي ح س : يحرثها بتالفت، وفي ط. القاهرة ٤٥٦/٤ :
- يحرثها، بتالفت، وهو تحريف واضح.
- (٨٤) زيادة من المراجع المذكورة.
- (٨٥) م : بزيادة، وهو تحريف.
- (٨٦) م : مهد، زدنا واو العطف للسياق.
- (٨٧) م : فاحلوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٨٨) م : لمن، وهو تحريف.
- (٨٩) م : خدمة، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٩٠) م : وأحكامها، والأنسب للسياق ما أثبتنا.
- (٩١) م : والمشكور لله، ويمكن قراءتها : الشكور لله أو المشكور الله.
- (٩٢) م : تشرف، وهو تحريف.
- (٩٣) م : والييم.
- (٩٤) م : وشره، وهو تحريف.
- (٩٥) بياض في الأصل قدرناه بما أثبتنا.
- (٩٦) يفهم من السياق أن الناسخ اسقط لفظه.
- (٩٧) م : عمير، وهو تحريف.
- (٩٨) م : وأجريه أن يعتقد، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
- (٩٩) م : هضبه سن.

- (١٠٠) م : حمولة.
 (١٠١) م : بالإبريق، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
 (١٠٢) م : نور، وهو تحريف.
 (١٠٣) م : اللذات والحواضر، صوابه ما أثبتنا.
 (١٠٤) وردت هذه الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٦.
 (١٠٥) د ٥٠٦ : ويمصلاه.
 (١٠٦) زيادة من د يقتضيها الوزن.
 (١٠٧) د : أزمة أمره.
 (١٠٨) ساقطة من م.
 (١٠٩) م : رعية.
 (١١٠) م : الهندة، وهو تحريف.
 (١١١) م : انيقاب، صوابه ما أثبتنا.
 (١١٢) م : خطت.
 (١١٣) هكذا بالأصل، ولعلها تم ما بيده.
 (١١٤) م : الطوسية، تصويبه ما أثبتنا لأنها نسبة إلى طويس.
 (١١٥) الأبيات لابن الخطيب وقد ثبتت في : النفاضة ٢/٣٦٢، الاحاطة مخ. المعهد المصري، ل ٢٩٩.
 (١١٦) ن : ومن لم تكن للسعد عنده.
 (١١٧) م : التي، تصويبه من المرجعين.
 (١١٨) م : فهذا، وهو تحريف.
 (١١٩) مارنش، وهو تصحيف.
 (١٢٠) م : أدوب، تصويبه ما أثبتنا.
 (١٢٢) م : واشنايا، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
 (١٢٣) م : وحضرت.
 (١٢٤) م : يتوسد، ولعل الأنسب للسياق ما أثبتنا.
 (١٢٥) م : انكف، تصويبه ما أثبتنا.

تعليقات الفصل الثاني

- [1] الشهباء : المجذبة . - الاضحاية : المشمسة.
- [2] الطاعون الأسود : بدأ ظهوره في آسيا الوسطى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م، واكتسح أوروبا وشمال إفريقيا، وقد أُلّف فيه ابن خاتمة ورسائلته تحصيل غرض المقاصد في المرض الوافد، كما أُلّف فيه ابن الخطيب رسالته مقتمة السائل عن المرض الهائل. أنظر (أومليل : الخطاب التاريخي ص ٨٨ - ٩١).
- R. Ariè, "Un opuscule grenadin sur la peste noire de 1348 : la "Naṣṣṭha" de Muhammad Ṣaḡūrī", Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, 1967, pp. 189-199.
- [3] الأرجل : من الذواب ذات الترجيل وهو بياض في إحدى قوائمها.
- [4] السنابك : ج. سنبك، وهي الأرض القليلة الإنتاج.
- [5] الهيدب : من السحاب، المتدني من الأرض حيث يرى وكأنه خطوط عند انصباب المطر.
- [6] اللواء : ضيق المعيشة.
- [7] القطار : من الإبل، مجموعة يلي بعضها بعضا على نسق واحد.
- [8] الأوقار : ج. وقر، السحاب الثقيل بالمطر.
- [9] درعة : تقع جنوب المغرب الأقصى وراء جبال الأطلس الكبير، وقد كانت مركزا علميا ومحطة تجارية. أنظر (نزهة المشتاق ص ٦١ . - الروض المعمار. تح. إحسان عباس ص ٢٣٥).
- [10] عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد، ويلقب بالمؤيد بالله، وهو ابن عم السلطان أبي سالم، كان لاجئا إلى الأندلس هو وإخوانه، وقد بعثهم أبو سعيد البرميكو للمطالبة بحقهم في الملك وإثارة الفتنة ضد أبي سالم كرد فعل لمساعدته محمدا الخامس. أنظر (- العبر ٤٦٨/٢ . - النفاضة ٢/٢٠٦، - اللحة ص ١١٨-١١٩، - الاحاطة ٥٢٩/٣-٥٣٣).
- [11] سجلماصة : عاصمة إقليم تافيلالت، وقد كانت تعتبر من أعظم المدن الإسلامية. أنظر (معجم البلدان ١٩٢/٣ . - صبح الاعشى ٥ / ١٦٣).
- [12] الرضخ : العطاء القليل.
- [13] البلد الجديد : فاس الجديد، وقد وضع حجره الأساسي يوم ٣ شوال ٦٧٤ هـ / ٢١ مارس ١٢٧٦ م في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أنظر تفصيل ذلك في (- ورقات المتوني ص ١٥ - ٨٥ . - وصف إفريقيا ص ٢١٨).
- [14] يقصد السلطان أبا زيان المريني.
- [15] الهرج : شدة القتل وكثرته.
- [16] إصفاق : اتفاق وإجماع، وفعله اصفق.
- [17] يقصد عمر بن الخطاب ومحمد رسول الله (صلعم).
- [18] آل يعقوب : نسبة إلى يعقوب بن عبد الحق بن محيو أبي يوسف المريني ٦٠٩ هـ - ٦٨٥ / ١٢١٢ - ١٢٨٦ م. أنظر (روضة النسرین ص ١٧ - ١٨).
- [19] الدأماء : البحر.

- [20] تقويم : تحديد مواقع النجوم في زمن معين.
- جداول : ج جدول، وهو مصطلح فلكي يطلق على رسم يعين مواقع الأفلاك. أنظر (نوزي ١٧٦/٨).
- أوهاق : ج. وفق، وهي مريعات تحتوي خانات تملأ بحروف وأرقام. أنظر (نوزي ٢٢٤/٢).
- [21] وخْد : ووخيد ووخْدان، وخد البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام.
- أعناق : اعتقت الدابة، إذا سارت سيرا واسعا.
- [22] إشارة إلى قوله تعالى : "خذ العفر وأمر بالعرف". أنظر سورة ٧ (الاعراف)، آية ١٩٩.
- [23] طسم وعاد وعملق : قبائل من العرب العاربة البائدة التي تمت إلى الجاهلية الأولى. أنظر (كحالة : معجم قبائل العرب ٧٠٠، ٦٨٠/٢).
- [24] ارعاد وإبراق : تهديد ووعيد، ويقال : "ابرق وارعد". أنظر (زهر الأكم ٢٨٣/٨).
- [25] أوهاق : ج. وفق، وهو جبل في طرفه انشطة يوضع في عنق الدابة لتقاد.
- [26] تقبيد وإطلاق : من مصطلحات الأصوليين، التقبيد : ذكر الإسم مقيدا بنعت أو شرط إلخ... والإطلاق : ذكره مجردا.
- [27] بزجمهر : وزير اشتهر بحكمته في عهد أنوشروان.
- [28] السفارة : رقعة الشطرنج.
- الفرزدان : ج فرازين، وهي الملكة في لعبة الشطرنج، وفرزانه : كلمة فارسية تعني حكيم أو عالم أو محترم، لكن المعنى الأول هو المقصود. أنظر (المعجم في اللغة الفارسية ص ٢٤٠).
- [29] صاحب العلامة : أبو القاسم بن رضوان، سبقت ترجمته.
- [30] الغز : أو الأغزاز، ينتمون إلى جماعة الأتراك المصريين الذين دخلوا شمال إفريقيا في عهد الموحدين، وقد رتبوا في الجيش النظامي في فترة المرينيين. أنظر (- المعجب ص ٢٨٨ - وروقات المنوني ص ٧٠).
- [31] الكراكي : طائر يشبه القلاق. أنظر (عجائب المخلوقات ص ٤٦١).
- [32] افاريد : ج. افريد، وهو الطالب أو التلميذ.
- [33] مرزبة : هو محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التقلبي، ويعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، ويطلق على أبنائه بنو مرزبة، أنظر (الاحاطة ٢٦/٣).
- [34] الدينار الفضي : يزن ثمانية حبوب من الشعير، وهو في تجزئته مماثل للدينار الذهبي. أنظر (ورقات المنوني ص ٩٨).
- [35] مغرم : ضريبة نقدية. أنظر (نوزي ٢٠٩/٢).
- وظيف : ضريبة تفرضها الدولة. أنظر (نوزي ٨٢٠/٢).
- [36] الأزواج : ج زوج : كل واحد معه آخر من جنسه وتطلق على الحيوانات التي تستعمل للحرث، أما هنا فيقصد بها الأندنة.
- تالمغت : أو تالماغت، وتطلق أيضا تالمخت، وهي منطقة زراعية خصبة، توجد بزعر ناحية الرباط. وقد ثبت في الاحاطة، مخطوطة الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤٣٢، اسم المنطقة "تالغت"، وهذه الأخيرة تتلق تالمخت أيضا وتوجد بناحي الصورة، لكن الأرجح المنطقة المذكورة سابقا لقرنها من سلا سكن ابن الخطيب.

أنظر (- التشوف ص ٢٩٠ - الاستقصا ٤/٤٩٠ - مناهل الصفا ص ٥٠ - أعمال الاعلام ٣/٢٧٠ - الاحاطة ٤/٤٦٥) .

[37] اثره : مكرمة متوارثة .

[38] منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيد يكنى أبا علي، كان لاجئاً إلى غرناطة مع إخوانه وبني عمه فلما قدم أخوه عبد الحليم إلى المغرب وبايعته بعض القبائل، أتى مناصراً له في أسطول من الأندلس، لكن الوزير عمر بن عبد الله دافع عن فاس واستقدم أبا زيان الذي كان لاجئاً إلى قشتالة فانهزم عبد الحليم وقبض على منصور في ربيع الثاني ٧٦٣ هـ / فبراير ١٣٦٢م أنظر (الاحاطة ٣/٢٩٨، المتن لوحة ٣٥) .

[39] لعله يقصد أبا القاسم محمد بن قطبة الدوسي، وهو من غرناطة، فقيه كاتب شاعر، له ثلاثة أبناء منهم أبو بكر محمد الذي صاحب منصور بن عمر - السابق الذكر - في رحلته إلى المغرب. أنظر (- الاحاطة ٢/١٨٢، ٢٥٠ - ٢٥١، ٣/٣٩٩ - الكتبية ص ٢٧٢) .

[40] غساسة : مدينة تقع على البحر المتوسط غرب ملييلة بنحو ٢٥ كلم، ولها ميناء، وقد اندثرت الآن. أنظر (- وصف إفريقيا ص ٢٦٦ - العبر ١/١٠١ - الاستقصا ٣/١١٧) .

[41] الايالة الزيبانية : دولة بني عبد الواد، وهم من بطون زناتة قامت دولتهم على يد يغمراسن بن زيان سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٣٥م بالمغرب الأوسط، وكانت عاصمتها تلمسان. أنظر أخبارهم بتفصيل في (ابن خلدون أبو يحيى : بغيّة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - روضة النسرین ص ٤٤ - ٦٠) .

[42] يرى : ودي الزند، خرجت ناره، ويقصد به هنا يحرض .

[43] وانزمار بن عريف بن العربي السويدي، من أمراء سويد بشرق المغرب، كان حياً سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م. أنظر (العبر ٧/٥٧٠ - ازهار الرياض ١/٢٢٨) .

[44] إفريقية : كانت تطلق على المغرب الأدنى (تونس حالياً) .

[45] العصمة الفارسية : بعض المؤرخين ذكروا أن عامراً تزوج بنت الملك الحفصي التي توفى عنها أبو عنان فارس، بينما ابن خلدون اثبت أن المصاهرة تمت بين أبي الحسن والحفصيين فقط، وقد أشار الأستاذ المنوني إلى سفارة أبي زيان عريف بن يحيى السويدي إلى تونس عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ليخطب بنت الملك الحفصي أبي يحيى للسلطان أبي الحسن. أنظر (- ابن إبراهيم : الاعلام ٤/٤١٦ - الاستقصا ٤/٤١٦ - العبر ٧/٢٦٧ - وريقات المنوني ص ١٥٦ - ١٥٧) .

[46] الكتيم : الجمل الذي لا يرغب .

[47] السرقة : ج. سرقة بفتح السين والراء، القطعة من الحرير .

[48] القهارم : ج. قهرم أو قهرمان، وهو الوكيل .

[49] المهدي : يقصد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م. أنظر أخباره بتفصيل في (البيدق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين، الرباط ١٩٧١) .

- الجبل : جبل درن، وهو الأطلس الكبير الذي انطلقت منه دعوة الموحدين، ويرى ابن الخطيب أن عامراً بحكم انتمائه إلى قبيلة هنتاتة "مصمودة" التي تستوطن جبل درن ولكونه شيخها فهو وارث مجد الموحدين. أنظر (- ابن عبد الله : المعجم التاريخي ص ٩ - أولملي : الخطاب

التاريخي من ١٤٥ - ١٤٦).

[50] المتغلب على الأندلس : هو أبو عبد الله محمد السادس بن إسماعيل بن فرج بن نصر، ويعرف بأبي سعيد البرميكو، ابن عم محمد الخامس الفني بالله، ساعد إسماعيل على الثورة ضد أخيه الفني بالله، ثم قتله واستولى على ملك غرناطة في ٢٧ شعبان ٧٦١ هـ / ١٣ يوليو ١٣٦٠م، ولما استرجع الفني ملكه فر إلى قشتالة لقتله "Pedro el Cruel" بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ / ١٧ مارس ١٣٦٢م. أنظر (- الاحاطة ١/٥٢٣ - ٥٢٧. - للمحة ص ١٢٨ - ١٢٩. - العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ٧، (١٩٥٩)، ص ٤٣ - ٢٧).

[51] غلوة : مسافة تقدر بحوالي ٢١م.

[52] "إذا لم تكن إبل لمعزى" : صدر لبيت امرئ القيس عجزه :
"كان قرون جلتها العصي"، وهو من انصاف البيوت التي تجري مجرى المثل، ويقصد به، اقنع باليسير. أنظر (- ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣/٣٣٢، - مجمع الأمثال ١/١٩٦ رقم ١٠٣٤).

[53] طويس : هو عيسى بن عبد الله أحد مغني الحجاز المشهورين في عهد الدولة الأموية، يضرب به المثل في الشؤم فيقال : "أشام من طويس". أنظر (- ابن خلكان : وفیات الاعيان ١٧٣/٣. - مجمع الأمثال ١/٢٥٨ رقم ١٣٦٦).
[54] علي بن كماش. أنظر(ص ٤١/٣٧).

[55] أبو الحسن النباهي (٧١٣ - بعد ٧٩٢ هـ / ١٣١٣ - بعد ١٢٨٩م)، هو علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي، من قضاة غرناطة وأدبائها المشهورين. أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٤/٣٠٦).

[56] كالى : سلفة.

[57] "وما قلت الا بالذي علمت سعد"، سبقت الإشارة إليه.

[58] المحدود : الممنوع من الخير.

- الكل : بفتح الكاف وتشديد اللام، ثقل على صاحبه.

[59] يشير إلى واقعة طريف الشهيرة التي انهزم فيها أبو الحسن والجيش الغرناطي سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٠م. أنظر (- العبر ٧/٣٦١).

L. Seco de Lucena, "La fecha de la batalla del Salado", Al-Andalus, XIX, (1954), pp. 228-231.

- إشارة إلى هزيمة أبي الحسن بالقيروان لما ثار عنه ابنه أبو عنان فارس سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م. أنظر (- ابن خلدون أبو يحيى : بغية الرواد ١/٣٧٢. - الاستقصا ٣/١٥٨).

[60] أغم القفا : كثير شعر القفا، وهو مذموم عند العرب.

[61] جيان : (Jaèn) وهي مدينة شهيرة بالأندلس، تبعد عن غرناطة بمسافة ٩٧ كلم. أنظر (الخريطة).

- ابدية : (Úbeda) وفي الروض المعطار بالذال معجمة، وهي مدينة صغيرة قرب النهر الكبير. أنظر (- معجم البلدان ١/٧٣. - الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١١. - الاحاطة ٤/٥٥١).

- بياسة : (Baeza) تقع على مرتفع مظل على النهر الكبير قريبا من أبدة. أنظر (- معجم البلدان ١ / ٤١٨ . - الروض المعطار، نشر ليفي بوفنسال ص ٥٧).
- مارتش : (Martos) حصن يقع جنوب غرب جيان بمسافة ١٧ كلم. أنظر (- جغرافية الأندلس وأوربا ص ١٢٦ . - ابن حيان : المقتبس ٦٥/٥).
- [62] ادرب : لخل إلى أرض العدو.
- [63] يقصد إسماعيل بن يوسف النصرى أخا الغني بالله (٧٤٠ - ٧٦١ هـ / ١٣٣٩ - ١٣٦٠ م). أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ١/ ٣٢٨).
- [64] متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه.
- [65] هينمة : كلام خفي لا يلهم.
- [66] انكفا ادراج : رجع من حيث أتى، وهو اقتباس من المثل، "رجع ادراج". أنظر (مجمع الأمثال ١/ ٢٩٥ رقم ١٥٥٨).
- [67] الورق : يفتح الواو والراء، معناها الخسة.
- [68] عمر بن العجز : أحد خدام الدولة المرينية. أنظر (العبر ٧/ ٥١٦).
- المسلمة : أو المسألة، وهم الذين اعتنقوا الإسلام حديثا من يهود أو نصارى. أنظر (بوزي ١/ ٦٧٩).
- القلب : المحتال.
- [69] إبراهيم بن أحمد البطروجي، من الرماة الأندلسيين، وقد كان قائدا لجند الرجل الأندلسيين في المغرب. أنظر (- النفاضة ٢/ ٣٣٢ . - الاستقصا ٤/ ٢٤ . - ابن عبد الله : الموسوعة المغربية ١/ ٨ . - المنوني "قطعة عن نشاط الرماة بالجنوب المغربي"، مجلة الباحث، ١، (١٩٧٣)، ص ١ - ٢٧).
- [70] مسعود بن رحو بن علي، كان وزيرا لأبي سالم، ثم تولى الوزارة في عهد أبي زيان، قتل سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م. أنظر (- التعريف ص ١٢٠ . - روضة النسر ص ٣١ - ٣٢ . - الاستقصا ٤/ ٤١).
- [71] تضمين للمثل : "منك أنفك وإن كان أجده"، ويقال فيمن يلزمك خيره وشره. أنظر (- فصل المقال ص ٢١٧ . - زهر الأكم ١/ ٩٨)، - مجمع الأمثال ٢ / ٢٩٨ رقم ٤٠٠٧.
- [72] الاسفهلر : لقب من ألقاب أرباب السيف. أنظر (صبح الأعشى ٦/ ٧).
- [73] الصاحب : من ألقاب الوزراء، ويختص بأرباب الأقلام، أنظر (صبح الأعشى ٦/ ١٦).

الفصل الثالث

«رحلة ابن الخطيب إلى مراكش»

فصل :

وكان خروجنا لمراكش يوم السبت الثالث والعشرين لربيع الآخر من العام [1]، والنزول بعين غبولة (١) [2]، في مضارب الأنس والتشييع بأنعم ليلة أمر حلاوتها فراق الغد، ومضاض فطام الألفة، وتضمنت هذه الحركة رحلة لم تقع العناية باتصال أخراها بأولها، لكونها كانت خداجا [3]، إذ لم ألف لرقية العناية الإلهية جنا يصغي أو علة تشكى ولا حلت حيا يحفل بمن يذم أو يثني، أو يهدم أو يبنى، ولا اجتليت مخيلة / عن المروعة تنبي (٢) :

/42/

(واقر)

تَغَيَّرَتْ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَتْ الْأَرْضُ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ [4]

والناس يموجون بين منتفخ سحره، سام لما يناله طرفه، وسائل من الذعر سلحه، ومضغ إلى نداء أول الحشر سمعه، وراعي بهم أقمته نفسه، وأمراء العرب (...) (٣) أبا المنوى، ومرمى عصي النوى، أسماء دون مسمى، وألفاظ بلا معنى، وسباع قد أخصبوا من سلب قومهم. وارتاشوا [5] من بحار عيصهم، وامتصوا (٤) عظام عشائهم، لا يرجعون فيها إلى سياسة ناظمة، ولا شريعة حاكمة، ولا عفاف وازع، ولا خوف من الله رادع، يضطفون كراهم للامتطاء، ونعاجهم للامتشاش، وحبوبهم للعلفة والتزد، وسمنهم للاندام (٥)، ويجلبون (٦) عليهم الضغط في قطعان الإثارة (٧) [6]، ومقترض (٨) الخراج وتكيل الإتاوة (٩)، فتراهم سكارى، والفرج حيارى، يترامون بأبوابهم شاكية جرحاهم إلى الغربان والرخم [7]، تنتظر الأيم البادي هنا إلى سمل سترتها فوق ظهر وصيفة الشيخ، وإلى طحينها في قصعة ضيفه، وإلى نعتتها الحبيبة (١٠) إلى فؤادها وكراعها مشاش فكى وليدته،

فلا تتمالك نفسها أن تسيل في جميل صُراخها فلا تجلو زرافاتهن إلا الزُّياد الذي يتقصّد [8] عَصِيهِ فوق المفارق والأنوف، وقد تاذّن الله بنصّر المظلوم، وإن طال المدى وتراخى طولُ الإملاء، لا إله إلا هو.

فأنفّت من اقتحام حدودهم التي لا تلوح بأعلامها هيبة الملك، ولا تخفق فوق سبلها ألوية الأمانة، واغتنمت ذنّب كبيرهم إليّ، مبارك ابن إبراهيم بن عطية أمير عرب الخلط [9]، الرحب الوسيعة، الكثر الرماد، في مثل هذه السبل المذمومة، وقد تأخر عني لقاءه وإصْحارُه بياضَ اليوم، يومٌ وصولي معتذرا / ببعض يُقبَل، وإن لم يتأخر طعامه وبره، "فاتخذت الليل جملاً [10]"، وطير ثقاته إليّ باستقالته من الهفوة واستعتابه، وتقرير عظيم موقع هذه النفرة على نفسه، وجنايتها على عرضه، فلم يجدوا بي مغمّزا، ولا في استرجاعي مطمعا، وعرضوا ما أصحبهم من ملاطفة، فسدت الألية سبيل قبولها، والله يُعزّنا بعزّ القنوع، ويبت أماننا عن غيره. ولحقت "بسلا" لأيام عشرة.

/ 43 /

وخطبت المقام السلطاني بما نصه (١١) :

(كامل)

أَبْقَاكَ ظِلًّا لِلْعِبَادِ وَمَلَجًا وَأَعَانَكَ الرَّحْمَانُ مِنْ سُلْطَانٍ قَدْ زَيْنَ الدُّنْيَا بَنُورِ جَمَالِهِ فَلِذَاكَ مَا يُدْعَى أَبَا زَيْنَانَ

مولاي سلطان الإسلام، مختار الملك العلّام، المُستخلص رَحْمَةً لِعِبَادِ اللَّهِ مِنْ أَيْدِي عَبْدِهِ (١٢) الْأَصْنَامِ، الَّذِي أَحْسَنَ اللَّهُ خَلْقَهُ (١٣) الزَكِيِّ وَخَلَقَهُ وَرَحِمَ بِهِ خَلْقَهُ (١٤)، وَسَوَّغَهُ إِرْثَهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ الزَّاهِرَةِ، وَالْأُمَمِ الْكَافِرَةِ، وَأَوْرَثَهُ حَقَّهُ، الْمَوْلَى الْهَامِ، الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ، أَبُو زَيْنَانَ ابْنُ مَوْلَايَ وَلِيِّ الْعَهْدِ، وَقَارِعِ هَضْبَةِ الْمَجْدِ، الْمُقَدَّسِ، الْمُطَهَّرِ، الْمَعْلَمِ بِشَيْمِ الْكَرَمِ الْمَشْهُورِ، أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مَوْلَايَ الْكَبِيرِ الْمَلُوكِ وَإِمَامِهَا، وَعِلْمِ أَعْلَامِهَا، الْإِمَامِ الْكَبِيرِ، الْخَلِيفَةُ الشَّهِيرِ، الْمُعْظَمِ الْمُقَدَّسِ، أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ مَوَالِينَا الْأَثَمَةِ الْمُهْتَدِينَ، وَالْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي مَرَيْنَ، أَبْقَاهُ اللَّهُ مَتَمْتَعًا بِالْمَلِكِ الَّذِي أَلْبَسَهُ خُلْعَتَهُ، وَشَفَقَ بِهِ غُلَّتَهُ، وَجَعَلَهُ فِي عَقِبِهِ بَاقِيَا، وَكَانَ لَهُ فِيهِ حَافِظًا وَاقِيَا، عَبْدُكَ الَّذِي أَمِنَ عُتْوَانُ الدُّهْرِ فِي ظِلِّكَ، وَنَشَقَّ نَسِيمُ الرَّحْمَةِ مِنْ جَانِبِ فَضْلِكَ، وَتَعَرَّفَ مِنْ ضُرُوبِ نِعَمِكَ الْكَرِيمَةِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ، وَاسْتَضَاءَ مِنْ حُبُّكَ وَطَاعَتِكَ "بَنُورِ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ [11]"، مَا أَوْجِبَ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ

[12] (١٥) :

(طويل)

عَلَقْتُ (١٦) بِجَبَلٍ مِنْ حِبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ (١٧) الْحَدَثَانِ
تَقَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي (١٨)
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي لَمَا دَرْتُ (١٩) وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

يسلّم على المقام المولويّ سلام العبودية الثابتة الرّسم، ويتطارح على تقبيل تراب ذلك البساط بالروح قبل الجسم، ويسأل الله لكم وفور الحظّ من السعادة والقسم، ويطالعُ بأنه انصرف بنية الرحيل إلى مراكش، وأهم الأغراض : أن يلتبس الدعاء لمقام مولاه من المشاهد المشهورة بقبول السؤال، المتكلفة ببلوغ الآمال.

فلما توسّط "تامسنا" [13] شَعُرَ بِالضَّعْفِ عَنْ الْحَرَكَةِ، وَأَحْسَ بِأَسْبَابِ الْمَرَضِ مِنْفَرَدَةٍ وَمَشْتَرَكَةٍ، فَانْكَفَأَ رَاجِعًا، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ وَبِبَرَكَةِ الْمَوْلَى الَّذِي عَرَفَتْ رَحْمَتَهُ، وَغَمِرَتْ (٢٠) فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ نِعْمَتَهُ، خَوْفًا مِنْ أَلَمِ يَسْتَحْكُمُ أَوْ مَرَضٍ يُسَدِّي فِي هَذِهِ الْبَنِيَةِ الضَّعِيفَةِ وَيُكْحِمُ [14]، وَنَرَجُو اللَّهَ أَنْ نَقْتَضِيَ لَكُمْ الدَّعَاءَ مِنْ هَذَا الْوَلِيِّ [15] الَّذِي مَنْ اللَّهَ بِجَوَارِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذَا الْبَلَدِ وَأَثَارِهِ، وَإِلَى أَنْ يَتَّبِعَ اللَّهُ تَعَالَى نَشَاطًا مُسْتَأْنَفًا لِلْحَرَكَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ أَرْزَمَهَا، وَيَسْرُرُ الْإِعَانَةَ وَيَسْرُغُ مَشْرَعَهَا. وَقَدْ كَانَ لِلْعَبْدِ عَنِّي بِرَحْلَةِ تَصَفِّ الْمَرَاحِلِ وَالْمَنَازِلِ، وَالْحَادِي وَالنَّازِلِ، مَطْرَزةً بِاسْمِكُمُ السَّعِيدِ، مُشْرِفةً [بِذِكْرِكُمُ الْحَمِيدِ، حَسْبَمَا تَتَّخِذُهُمْ أَفْذَادَ بَعَثَ الْعَبْدُ شَيْئًا (٢١)] مِنْ فَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا وَأُصُولِهَا، تَقَرَّرُ أَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسَّكُنَةَ بِالْخِدْمَةِ مَعْمُورَةٌ وَالتَّقَفُّسُ مَسْخُورَةٌ فِي خِدْمَةِ الْمَوْلَى - أَيْدِيهِ اللَّهُ - وَمَأْمُورَةٌ - وَهُوَ - جَلَّ وَتَعَالَى - الْمَعِينُ عَلَى لَازِمِ الْعِبُودِيَّةِ لَخُلَافَتِكُمْ (٢٢) الْمَوْلَوِيَّةِ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَى مَوْلَايَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من الرحلة المشار إليها (٢٣)

لَمَّا خَفَّ عَبْدٌ مَقَامَهُ صَحْبَةً وَفَدَ طَاعَتَهُ، وَمَقَدَّمُ سُنَّةِ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ وَجَمَاعَتِهِ، بِأَذَلٍّ فِي الْبِدَارِ / جُهِدَ اسْتِطَاعَتُهُ، طَائِرًا بِجَنَاحِ الْحُبِّ لِأَمْرِ الْإِمَّاكُنِ وَسَاعَتِهِ، 45 / فَرَأَى السَّرِيرَ قَدْ اسْتَقَلَّ بِهِ عَاصِبُهُ، وَالْمَلِكُ قَدْ تَقَرَّرَتْ مَنَاصِبُهُ (٢٤)، فَأَذَى الْفَرَضِ، وَقَرَضُ فَاحْسَنِ الْقَرَضِ، وَعَرَضُ كِتَابِ الْمَدْحِ فَاسْتَوْعَبَ الْعَرَضُ (٢٥)، وَمَلَأَ بِهَا الْأَرْضَ، وَصَدَرَ قَافِلًا، وَفِي ثِيَابِ الْعَزِّ رَافِلًا، وَاقْتَضَى مِنْ إِذْنِهِ فِي زِيَارَةِ الْبَلَادِ

المراكشية ما يُهدي لمن غاب (٣٦) خلال كماله، ويهني العباد بتمام الأمر ونُجج ماله،
ويلتمس بركة الضريح [16] الذي يحسب الراغب بأماله، وظهر له أن يُدون (٣٧)
رحلة وجهته المنسوبة إلى عناية أمره، ويفتق كمامة فخرها عن زهره، مستعينا
بأله في سره وجهه. فقال :

"خرجنا من أم القرى، ومجمع الورى، وكعبة السير والسرى، مدينة "قاس"
دار الملك الأصيل، والعز المشرف التليل، حيث القصور البيض، والمكُّ الطويل
العريض، والأبواب المحروسة، والبساتين المفروسة، والمياه المتدفقة، والجنود
المرتزة [17]، والمباني العظيمة، والرباع المرتفعة (٣٨) عن القيمة، والدين والدنيا،
من غير شرط ولا ثنيا، حرسها الله وكلاها، ووفر - وقد فعل - ملاها، تلتفت إلى
معاهد السادة، وعلق الودادة، ومراقب أولي الإجابة (٣٩).

(طويل)

هُمْ أَسْكُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ ظِلَالِ بَيْوتِ أَدْنَاءُ وَأَكْنَ
أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا تَلَاهِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتِ [18] [٣٠]

وشيعنا - ممن كرم ذمامه، وعرف برّيع الوفاء إلمامه - جملة من الصدور،
والشموس والبدور، تذكرت عند وداعهم المهيج للشكاة، والمدامع المشتبكات (٣١)،
قول شيخنا أبي البركات [19] [٣٢] :

(سريع)

يَا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تَوْدِيْعُهُ وَدَعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوَدَاعِ
وَبِتْ لَيْلَى سَاهِرًا حَائِرًا أَخَادَعُ النَّفْسَ بَبْغَضِ الْخِدَاعِ [٣٣]
يَا مِحْنَةَ النَّفْسِ لِمَا لَوْفِهَا (٣٤) مِنْ أَجْلِهِ قَدْ جَاءَ هَذَا الصُّدَاعِ

/46

وكان المبيت بدشار البؤير من أحوازها، دشار نشقت (٣٥) الطريق بلالة أهله،
وأعدم الله المروعة من فتاه وكهله، ومن الغد قطعنا المرحلة الأهله، والطريق
الطاعمة الناهله، حيث السهل المندود، والماء الموجود (٣٦)، والجسور المحنية،
والدشور السنية، والآثار المرينية، إلى مدينة "مكناسة".

ومنها بعد كثير.

حتى إذا الشمس همت بتسلق (٣٧) الجدرات، وقادت أهلها إلى وءاء
الحجرات، وطفق عسجدها يذهب لجين الضحى، وموساها الموشية تحلق (٣٨) خذ

الأرض بعدما التحى، قمنا نستشعر التجلّد للبين وهو يفضح، ونُجمل حُكم الوجود والدمع يُشترَح، فودّعنا الخليط المصاحب، وسلّكنا الطريق غير اللاحب، وقد طبق ضباب، له على الأرض إكباب حَجَبَ الجِهاث، ولابَسَ بين الأمهات [20]، فضللنا، لولا أن الله هدانا، وسرنا وقد ألحفتنا السحاب وردّانا، والنبتُ قد أطلع ولدانا، ونواحل الطلول قد عادت بدانا، ثم إن مرآة الأفق جَلَّت الشمسُ (٢٩) صداها، وأتت كل نفس هداها، فَحَمَدَت السَّراة مَقْداها [21]، واقتحمنا الرَّمْل الذي أخرج الله مرعاه، وحَشَرَ البَهم فحضرت مدعاه، ما بين خيام، ورعاة غير لثام، وبيوت شعر، ومعاطن ويعر (٤٠)، وَغَنَم قَمَلَتْ [22] بها الأرض، ويَقَر ضاق بها الطول والعرض، وعجائز يشنّ من المخيض، مَهْدِيَةٌ قَرَبَ المخيض، وقد اضطربت في الفحص الأفيح محلة الساعي، ناجحةً منه المساعي، فالأنواد تعدّ، والقطنعُ تمتدّ، والعاملون عليهم حُجَّتْهُمْ لا تُرَدُّ، ولم تكد الشمسُ تقتعد سنام خط الزوال، وتسدل من رؤوس القوائم [نوائب الظلال، حتّى نزلنا بعين الشعراء، وانتبذنا عن] (٤١) حصنه إلى العراء، / حِصْنٌ مثْلُوم (٤٢) مهذوم، موجود الأنس به معدوم، إلا أنه كثير الوقود، ومناخ مقصود، ومعدن الحديد، وباب الوطن العريض المديد، خيمنا بظاهره خيفة برغوئه، ولم نخف من سباعه التي تزأر حولنا وليوئته، فكانت الوقاية النادرة، وأمنت - والمنّ لله - الباردة، وبلونا من وليه مبرة، وما فقدنا من اللطف منقال ذرة.

وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعَيْنُ الشمس بِمَرَه [23] الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكنا (٤٣) خندق هارون، فحصى خزان، ومأزق بران ومظان احتزان، إلى دشار مَكُول [24]، وهو إلى الفناء مَوَكُول، وبرجل الخراب من الأعراب مَرَكُول، ولما رأينا جنباه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جَزَنَاه إلى "ماغوس" [25]، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية (٤٤)، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة "تامسنا"، حيث مجلس قاضيهها، وتشاجر ساخطها وراضيهها، وحمام متوضيها، دشار كبير، "يأكل من هُرِّي ويشرب من بِير" [26]، فَقَد النُّضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الإختزان (٤٥) أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تَعَثْ شمال للفساد ويمين، فاتخذ (٤٦) به مسجد، شان النقص من مناره، لقصور [درهمه و] (٤٧) ديناره، فمَنظَره شَنِيع (٤٨)، وحماه غير منيع، بتنا في كَنَفِ شاهده العدل، فصم عن العذل، وترَفَع عن خَلْقِ البدل، إلى خلق أولي البذل.

وأنشدته من الغد :

(بسيط)

ماذا لقينا بماغوس من اللُط
ومن رداء ماء لا يسوغ لنا
ومن لفات حوالينا مزيرة
جرداء لا شجرات يستظل بها
منارها قعد البائسي بنصبت
كأنه فيشة جاؤوا لقلفتها
لكن فاضل كُتاب الشروط بها
أحيا بها الأنس يحيى بعد وحشتها

/48/

ليلاً ومن هرج (٤٩) الأحراس والشرط
شراب جرعت به إلا على شطط
كأننا في بلاد (٥٠) الرنج والنبط
ولا أنيس يريح النفس من قنط
فلا تشير إليه عين (٥١) مفتبط
بخاتن قط منها النصف عن غلط
يحيى أبرفتي للفضل مشتبط
وناب عن جملة (٥٢) من ذلك النمط

ورحلنا من الغد عن شكر لقراه، وصرف الركب إلى محلة "سفيان" سراه،
فسرنا نوم حلة سفيان [27]، وترك الخبر إلى العيان ونجوس خلال البهم وملاعب
الريان، بين خيام قد استدارت كالوذائل، واشتملت على الولاند والعقائل، ودشّر
ركبت الهضاب بأخصاصها (٥٣)، وملأت الوهاد ببهمها وقلاصها، يسمّح أهلها
باللبن الحامض بعدما نزع جبته وزبده، وترجّع للراغب فيه زهده، ووجدنا الطاعون
في بيوتهم قد نزل، واحتجز منهم الكثير إلى القبور واعتزل، وبقر وبزل، واحتجز
واختزل، فلا تبصر إلا ميتا يخرج، وكميناً إلى جنازة يسرج، وصراخا يرفع، وعويلا
بحيث لا ينفع، ففغننا الهجوم، وألفنا الوجوم، وتراوغنا عن العمران، وسألنا الله
السلامة من معرة ذلك القران، وركضنا نبغي الحاق "بالبروج" [28] حيث مخيم
شيخ تلك القبيلة، ونروم المبيت بالمنزلة غير الويلة، وقلت:

(سريع)

تري لهذا السير من منتهى
قالوا: تريد البرج (٥٤) قلت: أرجعوا
بناءً أعضائي به قد وهى
عن سهوكم قد جزت برج السها

فزالت الشمس ومالت، ثم انهالت (٥٥) وانهارت، في حجر المغرب وانهاالت،
وبعد لأي ما بلغنا، ومن الكل فرغنا، ومنحة الراحة تسوغنا، ونزلنا بإزاء خيام،
استدارت في سنام (٥٦)، قد اشتبكت حبالها / وتراصت جبالها، مدائن دورها
شعر، ووقودها بعر، وسورها سدر، وبقلها لا يخلو منه قدر، قد جاورت بركا ريانة،
ومنازل بالأم ملائنة، ومروجا مرقومة الطرد، وبطاحا مفضوضة الصرر، وبادر
الشيخ فرحب، وتبسط وتسحب، رجل قد اكتمل، وعلى الوخط قد اشتمل، تدل منه
المنايشة على نبل تحت جهامة، وتنشق منه كمامة الفهامة (٥٧) [29] عن فهامة،
ولم يقصر عن طعام نظيف، واحتفال مضيّف، وركب لوداعنا في مركب لجب (٥٨)،

/49/

وير غير مُحْتَجَزٍ ولا مُحْتَجِبٍ، وسأل (٥٩) عن الطَّيَّةِ، ومناخ المطيَّة، قلنا : المنزل الأثير، من حلة (٦٠) أبي كثير، فهو من محركات الرحلة، وأصح مذهب تلك النحلة، فوكل بلحظنا عينه، وقسم المرحلة بيننا وبينه، ونزلنا مرحلة مهدي بن موسى، وقد امتدَّت إليها أنامل اليوسى، فانتبذنا عن جوارها، وأصحرنا عن قورة دوارها، ولم يجد صاحبها فينا (٦١) مرغوبا لجوده الذي بذله، ولا قَبولا لقراه الذي عجله، واجتنبناه اجتنابا ما أخجله، وبثنا في وقاية ضفا جناحها، إلى أن اشتعل في فحمة الليل صباحها، فركضنا تحت رواق ضباب سائر، ورذاذ له مستأثر (٦٢)، لم تزل الشمس ترشفه، والرياح تستكشفه، حتى تقشع، وبان الأهل من البلقع، فتعرفنا في بعض طريقنا أن أبا مثنانا، ومأم (٦٣) نوانا (٦٤) يجمع بيننا وبينه الطريق، ويلتقي بالفريق الفريق، لجمع بين العرب معقود، ورأي مشهود، فقلنا : تعجيل اجتماع، وحظ أبصار بعد أسمع، ومزيد استكثار بأبي كثير واستمتاع، وعلى برید [30] تراءت الخيل تسيل الأباطح بأعرافها، وتأخذ الأجواء (٦٥) بأطرافها، وخالفت بيننا بنيات الطرق باشتباهها، فنزلنا ببعض تلك الجهات على مياهاها.

وخاطبته بما نصه (٦٦) :

(طويل)
مُبَارَكٌ مَا قَدُمْتُ سَفِيَانِ رَغْبَةً وَلَا خَوْفَ تَقْصِيرٍ وَلَا سَوْءَ سِيرَةٍ
وَمَا نَظَرَةٌ مِنِّي إِلَيْكَ أَعْدَاهَا سَوَى مَنَّةٍ لَّكَ فِيَّ كَبِيرَةٍ
وَأِنْ كَانَ مَنْ لَأَقْبَتَ بَوْنَكَ أَنْجَمًا فَانْتِ عَلَى التَّحْقِيقِ شَمْسٌ مُنِيرَةٍ
[وَرُبَّ صَلَاةٍ قَدِمَ النُّقْلُ قَبْلَهَا وَتَشْرَبُ قَبْلَ الثَّرِيدِ حَرِيرَةٍ] (٦٧)

ثم كان النزول بالزاوية، حيث قبر زمام، وأبي زمام، ورعي واهتمام، دشار وجدناه - والحمد لله - مختوما على صحة، مجبوا عن خطوب حواليه ملحة، رجب بنا أهله، وأسهل إلينا رحبه وسهله، واقتدى فينا بمذهب الشيخ فتاه وكهله، ولما أصبحنا (٦٨) بكرنا محلته الأهله، وذكرنا والشيخ يذكر بأهله (٦٩)، ونظرنا إلى خيام وحلل، وجديد وطلل (٧٠)، ومبارك ومعاطن، ومعاهد ومواطن، ومسكن يعرف إصابة (٧١) قاطن، تيط أفوران [31]، وما أدراك ما تيط، حيث الجناوب الغبيط، والنشر (٧٢) والبسيط، والبحر المحيط، تفجرت للزال بها عين، كما سال لُجَيْن، أو صَقَلْ صفحة السيف قَيْن، وتسئم ذروه البيوت منها قصر مشيد، أتلع منه جيد، وأغري به تحكيم وتنجيد، ودارت البيوت، كما نسج العنكبوت، واتجهت إليه الطرق والسموت، وعج بإزائه السوق، وبان من فخر ساكنه البسوق. وقلت :

(وافر)

بَاخْتِ الرُّخْنِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ
غَنِيٍّ بِالْفَعَالِ عَنِ الْكَلَامِ
بِيوتِ الْخَيْلِ وَالنَّعَمِ الْجِسَامِ
وَتَفَرُّشِهَا الْوَلَانِدُ بِالطُّعَامِ (٧٢)

نَزَلْنَا حِلَّةَ الْخَلِيطِ الْكَرَامِ
وَمَنْ يَكُ مِنْ ضَيُوفِ أَبِي كَثِيرٍ
وَأَنْ بِيوتَهُ لَكُمَا سَمْعُنَا
تُظَلِّلُهَا الْفَوَارِسُ بِالْعَوَالِي

ونظمت أثناء هذه المراحل كلمة في مخاطبة عامر بن محمد بن علي لتكون

تحفة / قدومي عليه، وهي (٧٤) :

(طويل)

سَمَحَتْ لَهَا بِالذَّمْعِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
نَاوًا بِالَّذِي أَسَارَتْهُ مِنْ تَجَلُّدٍ (٧٦)
إِذَا لَمْ تَحِنْ (٧٧) مِنْ بَعْدِهِمْ فَكَأَنَّ قَدْرَ
وَأَثْبَاجٍ بِحِرِّ زَاخِرِ الْأَجْرِ مُزِيدٍ
وَلَا وَقِفَ بِالرَّبِيعِ وَقَفَّةً مَكْمُودٍ
فَعِيَتْ جَوَابًا بَعْدَ طَوْلِ تَرْدُدٍ
وَمُسْتَنْجِدٍ مِنْ ضَرَرِهِ غَيْرَ مُنْجِدٍ
إِذَا مَا وَنَتْ رِيحَ الزَّفِيرِ الْمُصْعَدِ
فَإِنْ شَتَّتْ فَلْتَقَلَّ وَإِنْ شَتَّتْ فَازْدَدَ
لِنُكْرَانِهَا مَاضٍ مَضَاءُ الْمُهَنْدِ
وَأَنْ هِيَ ضَلَّتْ لَمْ يَقْدَمْهَا بِمَقْوَدٍ
وَأَنْ كَانَ مُعْتَدًّا بِهِ ضَرَرٌ مُعْتَدِي
وَلَا تَتْرَكُنْ يَوْمَ السَّرُورِ إِلَى غَدٍ
وَكُنْ لِنُوَالِ اللَّهِ مُتَبَسِّطَ الْيَدِ
فَلَذَّ بِحِمَى مِنْ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ
وَخَيْرَةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْمُجَوِّدِ
وَبَعْدَ أَبْنَيْهِ مِنْ كَوَكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
فَمَا هُوَ (٧٨) بِالْمُنْصَفِيِّ لِقَوْلِ الْمَفْتَدِ
تُنَاسَبُ خَلْقُ النَّاسِكِ الْمُتَعَبِّدِ (٨٠)
إِذَا اشْتَغَلَ الْأَقْوَامُ (٨١) بِاللَّهُوِ وَالذِّدِ [33]

أَهَاجَتِكَ (٧٥) ذِكْرِي مِنْ خَلِيطٍ وَمَعَهْدٍ
وَعَادِكَ عِيدٍ مِنْ تَذَكُّرٍ جَبِيرَةٍ
حَنَانِيكَ فِي نَفْسٍ شِعَاعٍ وَمُهْجَةٍ
فَكَمْ بُونَهُمْ مِنْ مَهْمَةٍ وَمَفَازَةٍ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ يَوْمِكَ عَاشِقُ
وَلَا سَالَ الْأَطْلَالُ بَعْدَ قَطِينِهَا
وَمُسْتَنْصِرٍ مِنْ دَمْعِهِ غَيْرُ نَاصِرٍ
سَوَى عِبْرَةٍ تَحْدُو ثِقَالَ سَحَابِهَا
أَسَى النَّفْسِ لَا يَقْوَى عَلَى رَدِّ فَائِتٍ
وَمَا رَجُلُ الدُّنْيَا سَوَى مُتَفَطِّنٍ
إِذَا أَقْبَلَتْ بِالْخَيْرِ لَمْ تَسْتَفِزْهُ
فَلَا تَقْنُ مَا يَجْنِي عَلَيْكَ ذَهَابَهُ
وَحُذِّ مَا بِهِ جَادَ الزَّمَانُ مُسَامِحاً
وَسِرِّ فِي مَرَاكِ اللَّهِ مُقْتَصِرِ الْخَطِي
وَأَنْ رَاعٍ دَهْرٍ أَوْ تَتَكَرَّرُ حَادِثُ
فَتَى الْحَيِّ مِنْ مَهْنَاتِهِ [32] جَبِيرَةِ الْهُدَى
وَكِرْكَبِ أَفْقِ الْغَرْبِ لَمْ يَبْقُ بَعْدَهُ
رَحِيبُ (٧٨) مَجَالِ الْفَضْلِ يَكْلَفُ بِالْعُلَى
وَيَطْوِي بَرُودَ الْمُلْكِ فَوْقَ خِلَانِيْقِ
وَمُسْتَفِيلٍ بِالْحَزْمِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ

/ 52 /

وضافي لباس المجد بالفضل مكس
 وتحتل الركبان طيب حديثه
 ومرقب الإقبال في كل وجهة
 فوالله ما ندري أيمن نقيبة
 تسام (٨٢) به الأقطار بعد اضطرابها (٨٣)
 له جبل (٨٤) في ملتقى الماء (٨٥) عاصم
 وراي إذا ما جهزت عنه راية
 يرى الأمر في أعجازه وصدوره
 أليس من القوم الذين علام
 ماثرهم في الدين غير خفية
 خلانف عبد المؤمن [36] الملك الذي
 ودوخ أكناف البسيطة بغيره
 وأبناؤه من بعده أعملوا الظبي
 فسئل إن أدبت الأزل [37] إذ غصت الرئي
 فمن ذا له كالقوم إن شئت في ندي
 لنن زينوا الدنيا بزهر وجوههم
 وأبقوا ثناء عاطراً فكأنما
 أبا ثابت لزال سعدك ثابتاً
 ولازلت قطبا تستدير به العلى
 رفعت بناء الملك لما تمايلت
 وأصرخته لما دعاك على النوى
 بكل صقيل المتن سال خليجة
 يري بنحول (٨٦) الحد شيمة عاشق
 وملتفت عن أزرق (٨٧) اللحظ قد حكى
 شكا مره الألاحظ في حومة الوغى
 وكل شهير (٨٨) العتي أشرف جیده
 تألق عن برقي الدجئة كلما
 إذا ما تقنى بالصهيل مرجعاً (*)
 وجددت نصر الجد في ابن ابنه الذي
 ولم تات بدعاً في الوفاء (٨٩) وإنما
 ويأبى لك المجد الذي أنت أهله

وبالفخر معتم وبالحمد مرتد
 قياتيك بالأخبار من لم تزود [34]
 وأمر والصنيع الجميل معود
 ترف عليه أم سعادة مواليد
 وتذني به الأقطار (٨١) بعد تبعيد
 يناول من يحتله النجم باليد
 كفى سعداً عن كل جند مجند
 بعين البصير الأملعي [35] المسدد
 مخلدة واستشهد الكتب تشهد
 فهم كالنجوم الزاهرات لمهند
 بسر من المهدي قد كان يهتدي
 وأعلن بالتوحيد في كل مسجد
 وأمضوا (٨٨) سيوف الله في كل ملحد
 بكل عميد بالرغام مؤسد
 وبأس وفي فضل وفي صدق مشهد
 لقد زينوا بالذكر كل مجلد
 نسيم الصبا هبت على الزهر الندي
 وجودك يزوي ورده غلة الصدي
 كما دارت الأفلاك حول المحدث [38]
 دعائمه فوق الأساس الموطد
 وواصل ترجيع النداء المردد
 ولكن حكم الله (٨٩) قال له : أجمد (٩٠)
 ويكذب دعواه (٩١) بخد مؤرد
 به العلق المحمر مقالة أزمرد
 فوافاه ملتف الغبار بالأميد
 وقام على ملمومة من زبرجد
 تبسم في قطع من الليل أريد
 سمعت به صوت الغريض ومغيد [39]
 رعيت له حق الذمام المؤكد
 شفعت الذي أسلفت في القوم من يد
 على الدهر إلا أن تتمم ما بددي (٩٦)

وَعَدَتْ يَجْزُ الْمَلِكُ خَلْفَكَ ذِيْلَهُ
وَيَعْتَدُ مِنْكَ الْمَلِكُ وَالْدِّينُ وَالْدُّنَا (١٧)
وَسَوْفَكَ الْعَقْدُ السَّعِيدُ مَسْرَةً
شَدَدَتْ بَصَهْرُ الْمَلِكِ أَرْزَ مَجَادَةً
وَمِنْكَ مَنْ يَرْمِي بِهِمَّتِهِ الْعُلَى
وَيُخَيِّئُ مِنَ التَّوْحِيدِ رَسْمًا يُعِيدُهُ
عَقْلُهُ مَلِكٌ قُرْتَ مِنْهَا بَطَانِيلُ
يَزُرُّ عَلَيْهَا هَوْدُجُ الْمَلِكِ هَائِلَةٌ
فَلَوْ أَنْصَفْتَ فَوْقَ الْعِيُونِ ابْتِغَاءً لَهَا
وَفِي نَسَبَةِ الْأَشْيَاءِ يَظْهَرُ حُسْنُهَا
فَهَذَاكَ اللَّهُ الْإِيَابُ وَلَا انْقَضَتْ
وَقَابِلُ صَنِيعِ اللَّهِ فِيكَ بِشُكْرِهِ
فِيَا هُضْبَةَ الْعُلَى وَيَا مَرْزَةَ النَّدَى
وَيَا عُدَّةَ الْمَلِكِ الْمَرِينِيِّ كَلِمَا اسْتَنْ
رَكَضْتَ إِلَيْكَ الْجُرْدُ أَفْلَى بِهَا الْفَلَا
يَطِيرُ بِهَا الشُّوقُ الْحَثِيثُ فَيَنْبِرِي
وَلَوْ هَاجَ عَزْمِي مِنْ سِوَاكَ وَصَاحَ بِي
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أُنَالَ ذُرِيَعَةً
وَأَقْتَحِمُ الْأَخْطَارَ (١٨) وَالْأَرْضُ تَلْتَضِي
وَلَوْ أَنَّ شَمْسَ الْجَوِّ أَوْ قَمَرَ الدُّجَى
وَلَكِنَّهُ وَدَّ حُسْنُ تَخْيِيرِ
[جَعَلْتُكَ بَيْنَ النَّاسِ حَظِي الَّذِي سَمَتْ
وَحَرَكُ عَزْمِي أَنْ أَزِدَكَ قَاصِدًا (١٨.٨)
لِيُخَلِّصَ تَأْمِيلِي إِلَيْكَ وَوَجْهَتِي
فَلَا تَنْسَ لِي هَذَا الذَّمَامَ فَإِنَّهُ
أَجَارَ (١٨.٩) عَلاكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
وَأَحْيَا أَبَا يَحْيَى لَعَيْنِكَ قُرَّةً
مُؤَمِّلَ ابْنَانِي وَمُظْهِرَ دَعْوَتِي
وَلَا زِلْتُ تَجْنِي كَلِمَا اشْتَجَرُ (١٨.١٢) الْوَعْيُ
وَكَثُرَ مِنْ حَسَادِكَ اللَّهُ إِنَّهُ

/55 /

وَفِي حُكْمِكَ الْعُلَى تَبْرُجُ وَتَغْتَدِي
بِكَافِي النُّوَاهِسِي الْهَمَامِ الْمُؤِيدِ
وَهَذَاكَ (١٨) الْإِمْلَاكَ أَعَذَّبَ مُؤِيدِ
تَوَارَثَتْهَا عَنْ أَوْحَدٍ بَعْدَ أَوْحَدٍ
وَيَرْفَعُ أَعْلَامَ الثَّنَاءِ الْمَجْدِدِ
لَخَيْرِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ بَعْدَ تَبَدُّدِ
عَزِيْزٍ عَلَى نَفْسِ الْكَرِيمِ الْمَجِيدِ (١٩)
يَدُورُ عَلَيْهَا كُلُّ غَفَرٍ وَفَرْقَدٍ [40]
طَرِيقًا فَتَمِشِي مِثْلَ (١٩.١) صَرْحِ مَمْرِدِ
مُوحَّدَةٍ زُقْتُ لَخَيْرِ مُوَحَّدِ
سَعُودُكَ تَتَرَى بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحَدِ
وَرَاقِبُهُ حَالِ السَّرِّ وَالْجَهْرِ تُسْعِدُ (١٩.١)
وَيَا مَفْخَرِ الدُّنْيَا وَيَا قَمَرَ النَّدَى
تَجَارَى بِهِ فِي الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْفَدَى
وَأَذْرَعُ مِنْهَا قَدْقَدًا بَعْدَ قَدْقَدٍ [41]
لِثَوَاكِ مِنْهَا كُلُّ سَهْمٍ مُسَدَّدِ
لَا تَرْتُ سِيمَا الْعَاجِزِ الْمَتَلَبَّدِ
أَكْدُ لَهَا نَفْسِي وَأَبْعَدُ (١٩.٢) مَقْصَدِي
وَأَلْتَهُمُ الْأَقْطَارَ (١٩.٤) وَالْحَوْصُ تَعْتَدِي (١٩.٥)
يَعُودَانِ لِي هُضْبَى لُجَيْنِ (١٩.٦) وَعَسْجَدِ
قَضَى لَكَ مِنِّي بِالثَّنَاءِ الْمُخَلَّدِ
لِإِحْرَازِهِ نَفْسِي وَطَبْعِي مُتَجِدِي (١٩.٧)
عَلَى فَرَشِ الْعِزِّ الْأَصِيلِ الْمُجْدِدِ
وَيَبْرَأُ عَزْمِي عَنْ (١٩.٩) سِوَاكَ وَمَقْصَدِي
لَخَيْرِ ذِمَامٍ قَدْ وَصَلْتُ بِهِ يَدِي
وَلَا زِلْتُ فِي سَعْدٍ عَلَى الدَّهْرِ مُسْعَدِ
قَرِيعِكَ فِي حَزْمٍ وَحِلْمٍ (١٩.١١) وَسَوْقَدِ
وَأَوَّلَا اتَّقَانِي عَتَبُهُ قُلْتُ : سَيِّدِي
جَنَى الثَّمَرِ مِنْ غَرَسِ الْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَى خَيْرَهُ لَكَ تُحْسَدِ

ومن المنظوم والمنثور الصادرين لهذا العهد وقد توسطت بحر "تامسنا" :

(طويل)

كأنا بتامسنا نجوسُ خِلَالَهَا وممنودنا في سَيْرِهِ (١١٤) ليسَ يَقْمُرُ
مراكب في البحر المحيط تخبطت ولا جِهَةً تُدْرَى ولا بَرٌّ يُنْصَرُ

وقولي وكان القصد أن تثبت في الرحلة عند اطلال المنار بالمرحلة القريبة
من "مراكش" (١١٥) :

(بسيط)

ماذا أُحَدِّثُ عَنْ بَحْرِ سَبَخْتُ بِهِ حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ لَا إِثْمَ وَلَا حَرَجَ / 56
دحاه مُبْتَدِعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِيًّا مَا إِنَّ (١١٦) بِهِ دَرَكٌ كَلَّا وَلَا دَرَجَ
حتى إذا ما المنار [42] الفردُ لاحَ لَنَا صَحْتُ : ابْشُرِي يَا مَطَايَا جَاءَكَ الْفَرَجُ
قَرِيتُ مِنْ عَامِرٍ دَارًا وَمَنْزِلَةً وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ هَذَا الطَّيِّبُ وَالْأَرْجُ
وقلت في وصف بيوت الشعر :

(طويل)

تَرَى حَلَّلَ الْأَعْرَابِ فِي رُؤْيَا الْعَيْنِ إِذَا مَا لَتَشْيِيهِ جَنَحَتْ بِلَا مَيْنِ
نَسِجَ شَبَاكِ الْعَنْكَبُوتِ بِمَطْبَعِ وَلَا فَكَالْخَفَاشِ مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ

وقلت في بعض الليالي عندما اشتد القحط (١١٧) :

(بسيط)

بِتْنَا نُنَاقِلُ (١١٨) هُمُ الْقَحْطُ لَيْلَتُنَا وَأَيَّدَ الْمُهْدُ (١١٩) وَالْكَرْبُ الْبِرَاغِيثَا
وَكُنْ يَحْمَلُ مَا بِتْنَا نَكَايِدُهُ مِنْ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبِرَاغِيثَا [43]

وقلت قبل ذلك في قريب من المعنى (١٢٠) :

(طويل)

وقالوا : بَدَتْ مِنْكُمْ عَلَى الْجِلْدِ حُمْرَةٌ فَقُلْنَا : بِرَاغِيثٍ لَكُمْ رَقُطُونَا
عَدَتْ نَحُونًا لَيْلًا وَمِنْ بَعْدِ ذَا اغْتَدَّتْ (١٢١) كَمَا رَقَصَتْ فِي الْقَلْرِ بَزْرُ قَطُونَا [44]

وقلت وقد نظرت إلى خمول أسوار "مكناسة" وكثرة قذر سيككها، وكلا
الأمرين لا شيء فوقه :

(منسرح)

أَسْوَارُ مَكْنَسَانِهِ مُرْقَعَةٌ كَانَهَا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِهَا
بُورُ خَرَابٍ عَلَى بِحَارٍ خَرَا تَنَاسَبَتْ خَالَهَا بِمَنْ فِيهَا

وحضرني شيء من ريحان أرض 'سلا'، وهو ريحان بوجه، فقلت (١٢٢) :

/57/

(سريع)

أَهْلَ سَلَا صَاحَتْ بِكُمْ صَائِحَةٌ غَادِيَةٌ مَا بَيْنَكُمْ رَائِحَةٌ
كَفَاكُمْ يَا عُرُؤَ أَنْكُمُ رِيحَانُكُمْ لَيْسَتْ لَهُ رَائِحَةٌ

وتعرفت في العشر الوسط لجمادى من هذا العام 'بسلا' أن الوزير مدبر الدولة [45] تلوعب بين يديه بنارنج، فأصابت وجهه منها واحدة أثرت فيما حول عينيه، فخاطبته بما نصه (١٢٣) :

(طويل)

أَيَا عُمَرَ الْعَدْلِ الَّذِي مَطَّلَ الْمَدَى بَوَعْدِ الْهَدَى حَتَّى وَقَيْتَ بَدَيْنَهُ
وَيَا صَارِمَ الْمَلِكِ الَّذِي يَسْتَعِدُّهُ لَدَفْعِ عِدَاةِ أَوْ لِمَجْلِسِ زَيْنِهِ
هَنْتَ عَيْنَكَ الْيَقْظَى مِنَ اللَّهِ عَصْمَةً كَفَتْ وَجْهَ دَيْنِ اللَّهِ مَوْجِعَ شَيْنِهِ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا الْمَلِكُ وَالِدَيْنِ وَالِدُنَا وَلَا يَلْبِسُ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِمَيْنِهِ
إِذَا نَالَ مِنْكَ الْعَيْنُ ضَرْقَانِمَا أَصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي عَيْنِ عَيْنِهِ

الوزير الذي هو للدين الوزر الواقى، والعلم السامي المراقب والمراقى، والحلى المقلد فوق الترائب والتراقي، والكنز المؤمل والذخر الباقي، حجب الله العيون عن عين كمالك، وصير الفلك الدوار مطية آمالك، وجعل اتفاق (١٢٤) اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقودا بشمالك.

اعلم أن المعظم لسان الشتاء على مجدك، والمستضيء على البعد بنور سعدك، والمعقود (١٢٦) الرجاء بعروة وعدك، لا يزال في كل ساعة يسحب الفلك [فيه] ذيلها، / ويعاقب يومها وليلها، مصغي الأذن إلى نيا يهدي عنك لله دفاعا، أو يمد في ميدان سعدك باعاً، فأنت اليوم التصير على الدهر الظلوم، وأسي الكلوم، وذو المقام المعلوم، فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين يدي السادة والخدام، وتففكه به المثاقفة والأقدام (١٢٠) [46]، من كرة مرسلة الشهاب، أو نارنجة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب، حومت حول عينك لاكدر صفاؤها، ولا عديم (١٢١)

/58/

فوق مهاد الدعة والأمن إغفاؤها، فرعت حول حماها، ورامت أن تُصيب فخبب الله مرماها.

(طويل)

نرى السوء مما نتقي فنهابه وما لا نرى مما بقي الله أكثر [47]

فقلت : مكروه أخطأ سهمه (١٣٢)، وتنبيه من الله لمن نبه عقله وفهمه، ودفاع قام دليله، وسعد أشرف تليله (١٣٣)، وأيام أعربت عن إقبالها، وعصمة غطت سريالها، وجوارح جعل الله الملائكة تحرسها، فلا تغتالها الحوادث، ولا تقتربها، والفطن يشعر بالشيء وإن جهل أسبابه، والصوفي يسمع من الكون جوابه، فبادرت [أهنته] (١٣٤) تهنته من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه من جوارحه، ويرسل طير الشكر لله في مساقط اللطف [الخفي] (١٣٥) ومسارحه، وسألته - سبحانه - أن يجعلك عن التوانب حجرا لا يقرب، وربك ريعا لا يخرب، ما سبحت الحوت ودبت (١٣٦) العقرب، ثم إنني شفعت الهناء ووترته، وأظهرت السرور فما سترته، بما سنأه الله لتديريك من مسالة تكذب الإرجاف، [وتغني عن الإيجاف] (١٣٧)، وتخصب (١٣٨) الآمال العجاف، وتزيح الكيد (١٣٩)، وتفرغ إلى محاولة (١٤٠) عمرو وزيد، وكان يسعدك قد سدل الأمان، وعدل الزمان، وأصلح الفاسد، ونفق الكاسد، وقهر الروح المستاسد، وسر الحبيب وساء الحاسد. والسلام.

وصدر لهذا العهد عني موضوع سميته : "الإشارة إلى أدب الوزارة" [48]
مقول لألسنة (١٤١) الحيوان، ككتاب "دمنة وكليلة"، / صغير الحجم، كثير الفائدة، / 59 /
غريب المأخذ، حرك إليه المجلس في هذا المعنى، والحمد لله.

هوامش الفصل الثالث

- (١) م : غيولا وصحته غيولا أو غيولة.
- (٢) م : محيت نقطتا التاء من لفظة تنبي.
- (٣) بياض بالأصل.
- (٤) م : وامطوا، وهو تحريف.
- (٥) الأنسب قراءتها للاستدाम.
- (٦) م : ويحيلون.
- (٧) م : الاتاوة، وهو تحريف.
- (٨) م : الاتارة، صحته ما أثبتنا.
- (٩) م : مفتراض.
- (١٠) م : الحبلية، وهو تحريف، يمكن قراءتها الحبيبة.
- (١١) ثبتت هذه الرسالة في ربحانة الاسكوريال، ل ٢١٤، ٢١٥، وفي ط. القاهرة ٢/٢٢٤، ٢٢٥.
- (١٢) ر ٢١٤ و : عباد.
- ما بين (١٣ - ١٤) ساقط من ر.
- (١٥) أنظر الأبيات في ديوان أبي نواس ص ٥٣٨.
- (١٦) الديوان : أخذت.
- (١٧) الديوان : نائب.
- (١٨) م : تران، تصويبه من الديوان.
- (١٩) م : مادرت، وهو تحريف.
- (٢٠) م : عمرت، وهو تصحيف.
- (٢١) زيادة من ر ٢١٥ ط.
- (٢٢) ر : لجلالتكم.
- (٢٣) ورد في ربحانة الاسكوريال : ٢٢٧ - ٢٢٩، وفي ط. القاهرة ٢/٢٦٤ - ٢٧٠.
- (٢٤) م : منصابه، والأصح ما أثبتناه من ر ٢٢٧ ط.
- (٢٥) م : الفرض.
- (٢٦) ر ٢٢٧ و : ما يبدى لمن ناب.
- (٢٧) م : ينور، وهو تحريف.
- (٢٨) ر : المترفة.
- (٢٩) ثبت البيتان في معيار الإختيار ص ٤٧.
- (٣٠) م : الملت، وهو تحريف.
- (٣١) م : المستكات، تصويبه من ر ٢٢٧ و.
- (٣٢) وردت الأبيات في الكتيبة الكامنة ص ١٢٧.
- (٣٣) الكتيبة : فاترك التوديع عمدا لكي أعلل النفس ببعض الخداع.
- (٣٤) م : لما بها، تصويبه من الكتيبة.
- (٣٥) م : نسفت، وهو تصحيف.

- (٣٦) ر ٢٢٧ و : المورود.
- (٣٧) م : تملق، تصويبه من ر.
- (٣٨) ر : تجلو.
- (٣٩) ر : الفزالة.
- (٤٠) ر : ويقر.
- (٤١) زيادة من ر ٢٢٨ ظ.
- (٤٢) ر : ملثوم، والمتن أصح.
- (٤٣) م : فملكنا، وهو تحريف.
- (٤٤) ر : المتساوية.
- (٤٥) م : الاخترار، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
- (٤٦) ر : قد اتخذ.
- (٤٧) زيادة من ر .
- (٤٨) م : سنيح.
- (٤٩) ر : حرس.
- (٥٠) ر : ببلاد.
- (٥١) ر : كف.
- (٥٢) ر : جلة.
- (٥٣) م : أخصامها، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
- (٥٤) م : البروج، وما أثبتناه من ر ٢٢٨ وهو أنسب للوزن.
- (٥٥) ر : وسالت.
- (٥٦) م : منام، والأنسب ما ورد في ر.
- (٥٧) ر ٢٢٨ و : الفهامة.
- (٥٨) م : لحب، وهو تصحيف.
- (٥٩) م : وحمال، تصويبه من ر.
- (٦٠) م : مرحلة، والأصح ما أثبتناه من ر.
- (٦١) ر : وصاحبنا فيها.
- (٦٢) ر : متناثر.
- (٦٣) ر ٢٢٨ و : مؤم.
- (٦٤) ر : وقرانا.
- (٦٥) م : الاحواء، وهو تحريف.
- (٦٦) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٧.
- (٦٧) زيادة من ر، د.
- (٦٨) ر ٢٢٩ ظ : ولما أصبح.
- (٦٩) ر ٢٢٩ ظ : والشئ يذكر بخسده ناهله.
- (٧٠) من ر.
- (٧١) ر : بأصالة.
- (٧٢) ر : والنشير.

- (٧٣) إلى هنا ينتهي ما ورد في الريحانة.
- (٧٤) وردت القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٤٣٨ - ٤٤٥.
- (٧٥) م : اهجتك، وهو تحريف.
- (٧٦) م : مجلد، تصويبه من د ٤٣٨.
- (٧٧) د : يحن.
- (٧٨) م : حبيب، والأنسب ما أثبتناه من د ٤٣٩.
- (٧٩) من د.
- (٨٠) د ٤٤٠ : المتزهد.
- (٨١) د : الأملاك.
- (٨٢) د : تسام.
- (٨٣) د : ارتجاجها.
- (٨٤) د : وتدنو به الأقطار، ولعلها الأوطان.
- (٨٥) م : حميل.
- (٨٦) د ٤٤٠ : الهول.
- (٨٧) م : البصيرة، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه من د ٤٤٠.
- (٨٨) م : مضوا، تصويبه من د.
- (٨٩) د ٤٤١ : القين.
- (٩٠) م : أحمد، تصويبه من د.
- (٩١) م : محيت نقطتا هذه اللفظة.
- (٩٢) د ٤٤٢ : خداه.
- (٩٣) م : أوراق، تصويبه من د.
- (٩٤) د : شهيد.
- (٩٥) د : بالوفاء.
- (٩٦) د : مايد.
- (٩٧) د : والورى.
- (٩٨) م : وهنالك، وهو تحريف.
- (٩٩) د ٤٤٣ : المجد.
- (١٠٠) د : فوق.
- (١٠١) د : تحمد.
- (١٠٢) د ٤٤٤ : واكذب.
- (١٠٣) م : الاقطار، والأنسب ما أثبتناه من د.
- (١٠٤) م : الأخطار.
- (١٠٥) د : والهول يفتدى.
- (١٠٦) د : نضار.
- (١٠٧) زيادة من د ٤٤٥.
- (١٠٨) د : قاعدا.
- (١٠٩) د : من.

- (١١٠) م : أحرار، وهو تصحيف.
- (١١١) د : وعزم.
- (١١٢) م : استبحر، تصويبه من د.
- (١١٣) ثبت في النفاضة ٤٨١/٢.
- (١١٤) ن ٤٨١/٦ : ومملوذا في سيرنا.
- (١١٥) وردت هذه الأبيات في النفاضة ٢/٢٨٠، ديوان الصيب والجها م ٣٥١، الاعلام للمراكشي ١/٦٥، النفح ١/٢٨١، الأزهار ١/٢٦٥.
- (١١٦) م : ان، تحريف.
- (١١٧) ثبت البيتان في النفح ١/٤٧٤، الأزهار ١/٣٠٩.
- (١١٨) ن ١/٤٧٤، الأزهار ١/٣٠٩ : نكابد.
- (١١٩) ن : الهم.
- (١٢٠) ورد البيتان في النفح ١/٤٧٤.
- (١٢١) م : اعتدت، والانصب ما أثبتناه من ن.
- (١٢٢) ورد البيتان في النفح ١/٢٧٨ على هذه الصورة :
أهل سلا صاحبت بهم صائحه غادية في نورهم رائحه
يكفيهم من عور أنهم ——— ريحانهم ليست له رائحه
- (١٢٣) ثبتت هذه الرسالة في ريحانة الاسكوريال، ١٨٠، ط. القاهرة ٢/١٠٥ - ١٠٦. وفي النفح ١/٤١٢ - ٤١٤.
- (١٢٤) م : الاتفاق، وهو تحريف.
- (١٢٥) ر ١٨٠، ن ١/٤١٢ : المطلق.
- (١٢٦) ن : ومعقود.
- (١٢٧) من ر، ن.
- (١٢٨) ن : وأنت.
- (١٢٩) م : المظلم، وهو تحريف.
- (١٣٠) م : المشاقفة، وهو تحريف، وفي ن : المشاقفة والاقدام.
- (١٣١) ن : هدم.
- (١٣٢) م : أسهمه، وهو تحريف.
- (١٣٣) ن ١/٤١٢ : أشرق جليله.
- (١٣٤) من ر ١٨٠، ن.
- (١٣٥) من ن.
- (١٣٦) ر، ن، ١/٤١٤ : ما سبحت الحوت ودبت.
- (١٣٧) من ر، ن.
- (١٣٨) م : تخصيب، وهو تحريف.
- (١٣٩) ن : من كيد.
- (١٤٠) ن : مجادلة.
- (١٤١) م : محول الألسنة.

تعليقات الفصل الثالث

- [1] السبت ٢٢ ربيع الثاني ٧٦٣ هـ = ١٩ فبراير ١٣٦٢ م.
- [2] غبولة : أو ايغبولة، وهي جمع تكسير للفظه اغبالو البربرية التي تعني عين الماء، وتوجد عدة عيون تسمى اغبالو، لكن هذه توجد في جنوب غرب الرباط بنحو تسعة عشر كيلو مترا، وقد أشار الدكالي محمد بن علي أنه في عهد الموحدين كان يجلب منها الماء لشالة.
- أنظر (الدكالي : الاتحاف الوجيز، ص ٥١ - ابن صاحب الصلاة : المن بالأمامة ص ٢١٨ - ٤٤٨ . محمد القاسي : "الاعلام الجغرافية المغربية"، مجلة البيئة، ع ١، مايو ١٩٦٢، ص ٤٢).
- [3] خداجا : ناقصة.
- [4] لا يعرف قائل هذا البيت، وقد قيل أنه أقدم بيت شعري قيل، بعض المصادر تنسبه إلى آدم، كما تنسبه أخرى إلى شيت بن آدم ضمن شعر رثى به أباه. أنظر (معجم الأدياء ١ / ٢٠١ . الهلالي : اضاءة الادموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس مخ. الخزانة العامة بالرباط، رقم ٢٦٩، لوحة ٦٥ . ابن عبد البر : القصد والامم في التعريف بأصول انساب العرب ص ١٩).
- [5] ارتاشوا : تحسنت أحوالهم المادية.
- [6] الاثارة : الفلاحة.
- [7] اقتباس من بيت المتنبي :
- لا تشك إلى خلق فتشمتته
شكوى الجريح إلى الغريان والرخم
- أنظر (العرف الطيب ص ٥٤٠).
- [8] الزباد : نبات. - يتقصد : يتكسر.
- [9] عرب الخلط : قبيل معدود من جُشم، وهم من بني عامر بن عقيل بن كعب، كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين، ثم ارتحلوا إلى مصر فأفريقيا، حيث أسكنهم يعقوب المنصور بسيط تامسنا، وكانت لهم حروب مع الموحدين والمرينيين، لازالوا إلى الآن بالمغرب مستقرين ببسيط الغرب قرب القصر الكبير مع قبيلة طليق. أنظر (قبائل المغرب ص ٢٣٤ . معجم قبائل العرب ٣٥٤/٢).
- [10] "اتخذ الليل جملا" : مثل يضرب لمن يهرب في الظلام. (فصل المقال ص ٣٣٣ . مجمع الأمثال ١٣٥/١ رقم ٦٧٠).
- [11] سورة ٦ (الأنعام)، آية ١٢٢.
- [12] أبو نواس : هو الحسن بن هانيء الشاعر العباسي المشهور، (١٤٦ - ١٩٨ هـ = ٧٦٣ م). أنظر (الاعلام ٢/٢٢٥).
- [13] تامسنا : كلمة بربرية معناها البسيط الخالي، وهي المنطقة الواقعة بين نهري أم الربيع وأبي رقراق وامتدت إلى تادلة، كانت عاصمتها شالة ثم أطلقت بعد ذلك على إقليم الدار البيضاء. أنظر (وصف إفريقيا ص ١٥٣ . الروض المعطار، تج. إحسان عباس ص ١٢٩ . بتعبد الله : بين أنفا والدار البيضاء، مجلة المناهل، ٣٠، (١٩٨٤) ص ٩٢).
- Morocco Official Standard names, p.804.

- [14] يسدى : من السدى، وهي خيوط الثوب الممتدة طولاً.
- يلحم : وهي الخيوط الممتدة عرضاً، وتستعمل اللفظتان في النسيج، ويقصد بهما هنا أن يسري المرض في جسمه كله.
- [15] هذا الولي : هو أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي كان مقيماً بسلا، توفي سنة ٧٦٥ هـ = ١٣٦٣م. أنظر (الأعلام ١/١٨٠ - ابن زيدان : اتحاف أعلام الناس ١/٣٠٥ - تحفة الزائر في مناقب الحاج أحمد بن عاشر، مخ. خع، الرياط رقم ٢٢٦٩ د).
- [16] الضريح : يقصد به ضريح المهدي بن تومرت.
- [17] الجنود المرتزقة : يتكونون من الوصفان والاغزاز والروم القشتاليين. أنظر (ورقات المتوني ص ٧٠).
- [18] هذا البيت للشاعر طفيل الغنوي. أنظر (ابن شريفة : أبو المطرف ابن عميرة ص ٥٧ حاشية ٤).
- [19] أبو البركات (٦٨٠ - ٧٧١ هـ = ١٢٨١ - ١٣٧٠م) محمد بن إبراهيم بن الحاج البلقيقي، قاض، مؤرخ، أديب، من شيوخ ابن الخطيب، له عدة مؤلفات منها "تاريخ المرية"، وديوان شعر. أنظر (المراقبة العليا ص ١٦٤ - التعريف ص ٢٣ - الأعلام ٧/٢٩).
- S. Gibert, "Abū l-Barakāt al-Balafīqī, Qādi, historiador y poeta", Al - Andalus XXVIII, (1963), pp. 381-424.
- [20] الأمهات : الطرق الرئيسية.
- [21] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمد القوم السرى، وقد أشير إليه سابقاً.
- [22] قملت : كثرت حتى أصبحت كالقمل.
- [23] مره : بفتح الميم والراء، بياض ببواطن الأجفان لترك الكحل.
- [24] فحص خراز : يقع قريباً من مكول، بين ابن سليمان وقرية الكارة، من بسيط تامسنا. أنظر (- نزعة المشتاق ص ٧٨ - الإستقصا ٣/٥٠).
- [25] ماغوس : منطقة قريبة من مكول في بسيط تامسنا.
- [26] اقتباس من المثل : "يكل من جرف ويشرب من غدير". أنظر (أمثال العوام ٢/٤٦٩ رقم ٢٠٤٤).
- [27] حلة : ج حلال، بيت.
- سفيان : بطن من جشم، وهم من بني هلال بن عامر من العدنانية، وقد هاجر بنو هلال وبنو سليم من مصر إلى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري / منتصف الحادي عشر الميلادي، فاستوطنوا بسيط تامسنا. لأخبارهم بتفصيل أنظر (- قبائل المغرب ١/٤١٧ - ٤٢٣ - ابن عبد الله : معلمة الصحراء ١/٥٨ - راضي دغفوس : العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبنو سليم من مصر إلى إفريقيا، أوراق، ٤، (١٩٨١) ص ١٤٧ - ١٦٣).
- [28] البروج : قرية تابعة لإقليم سطات، تبعد عنه بمسافة ٧٣ كلم.
- [29] الفهاة : العي، وقملها فيها.
- [30] بريد : مسافة تقدر بإثني عشر ميلاً. أنظر (التاج ٢/٣٩٨).
- [31] تيط اقوران : تيط بالبربرية تعني العين في معنيها، وتوجد عدة مناطق في المغرب تسمى تيط، ولعل المنطقة المقصودة هي التي تدعى اليوم افوران، قرب سد بين الويدان. أنظر (- التقي

العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٣٥٣.
 - Les guides bleux, Maroc, p.27
 هنتاتة : من أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، وقد كانت تستوطن جبل درن الذي أطلق عليه إسمها، لعبت دورا هاما في عهد الموحدين والمرينيين، لكن اسمها تضاعف الآن وحلت محله أسماء بطونها التي ارتفعت إلى قبائل. أنظر (- البيدق : المقتبس من كتاب الانساب ص ٤٤ - .
 قبائل المغرب ٣٢٦/١ - العبر ٣٢٦/١.
 - Pierre de Gineval ; "Les èmires de Hintata, rois de Marrakech", Hespèris, XXIV, (1937), pp. 245 -254).

- [33] الدد : اللهو واللعب.
 [34] عجز بيت شهير لطرفة.
 سبدي لك الأيام ما كانت جاهلا ويأتيك بالآخبار من لم تزود
 وهو مثل يقصد به أن الخبر ياتيكم لا محالة. (مجمع الأمثال ٤٢٧/٢ رقم ٤٧٥٧).
 [35] الألعي : مشتق من اللعان، كان الأمور تلمع وتبين له، ويضرب مثلا للرجل الذي يصيب بالظنون حتى كأن الظن عيانا. أنظر (فصل المقال ص ١٤٩).
 [36] عبد المؤمن الكومي بن علي بن مخلوف (٤٨٧ - ٥٥٨هـ = ١٠٩٤ - ١١٦٢م)، وهو مؤسس الدولة الموحدية، أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٣١٩/٤).
 [37] اشارة إلى غزوة الأرك التي انتصر فيها الموحدين سنة ٥٩٠هـ = ١١٩٣م، لآخبارها راجع (الاستقصا ١٦٥/٢).
 [38] المحدد : الفلك الأعظم (كشاف مصطلحات العلوم والفنون ٢٨٧/١).
 [39] الفريض : هو عبد الملك أبو زيد، من اعلام الفناء في العصر الأموي، توفي سنة ٩٥ هـ = ٧١٣م. أنظر (الاعلام ٣٠٠/٤).
 - معبد : معبد بن وهب، اشتهر بالفناء في العصر الأموي، توفي سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣م. أنظر (الاعلام ١٧٧/٨).
 [40] الغفر : ثلاث كواكب خفية، وسمي غفرا لأنه عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها. أنظر (القزويني : عجائب المخلوقات ص ٨١). - فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي.
 [41] فدغد : م فدافد، وهو الفلاة.
 [42] المنار : يقصد به منار الكتبية بمراكش.
 [43] البرى : بفتح الباء والراء، تعني التراب.
 - غيثا : فعله غيث، بكسر الغين، نزل به الغيث.
 [44] القلو : فعله قلا، أي انضج في المقل.
 - بزر قطونا : نوع من التوابل.
 [45] يقصد الويزر عمر بن عبد الله، سبق تعريفه.
 [46] الماثقة : فعله ثاقف، أي لاعب بالسلاح، محاولا إصابة الغرة في المسابقة أو نحوها.
 - الاقدام : ج قدم يفتح القاف والداد، أي السابقة في الأمر، ويفتح القاف وكسر الدال : الكثير الاقدام. ومن معانيها : الأرجل.

[47] نسب البعض هذا البيت إلى الأمير عبد الرحمان، بينما نسبه ابن قتيبة إلى أحد ولد عمر بن الخطاب، وأورده بالرواية التالية :

ترى السوء مما تنقي فتخافه وما لا ترى مما يقي الله أكثر
أنظر (- النفح ٣/٥٣٩، ٦١٢ - عيون الاخبار ٣/٣٦٤).

[48] نشره محمد كمال شبانة تحت عنوان : الإشارة إلى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة، الرباط ١٩٨٠.

الفصل الرابع

رجع التاريخ <أحداث مغربية>

وارتحل الشيخ مبارك بن إبراهيم صبيحة يومئذ، على ميعاد ضربته وجيرانه من العرب الدياشمة [1] في سبيل القُدوم (١) على منصور بن محمد بن عمر الهسكوري، شيخ الهساكرة [2]، ومزوار جبلها، جنين مشيمة [3] السجون، وعبر وتد الاعتقال، وقد اتصل بهم بث خلاف ونزوة وصغوة إلى ناحية الأمير عبد الحليم، المستقل بوطن القبلة [4]، مناقسة لجاره المصاقب عامر بن محمد بن علي، إذ لم يزل ما بينهما خشناً، ثم زادت الإحنة من لدن أوقع بجارهم، ابن سعد الله [5]، فرام هؤلاء العربُ الذاهبون في قطيعة الأمير المذكور كل مذهب، الرانشون جناح عامر بن محمد سدَّ الخرق، ورأب الثَّأني، فقدموا عليه مقدّم وافد البراجم على النعمان في يوم يؤسه [6]، وأسهل إليهم، ووقعت المفاوضة فيما وقدا (٢) إليه من مرام استصلاحه، فأجلت المحاورّة عن نفرتة وجماحه، ثم إنه انقاد لبعض ما ريم من صفار، ما عدا لقاء عدوه عامر بن محمد، فانصرفوا عنه وثنوا الأعتة تعاليا ونبذاً، ولم يبعد إلا وقد بدا لذلك الخب [7] في أمرهم، لما تأذن الله به من إيقاع النّعمة بهم، وشفاء صدور العباد المضطهدين ببيغيهم وسوء ملكتهم، المخصوصين بجورهم (٣)، وعثوهم، فصاح في أعقابهم بما أوجب لفتّهم، واستمالهم بما أطمعهم، وتحرّج من إغضائهم في التماس مرضاتهم، فاستخفهم واستهواهم، وزين لهم الشيطان عودهم بجحين بآتياده، وتآتي الغرض منه، ونزع شجاه من نحر الدولة، فانعطفوا مختالين يحمدون فيثته، ويؤخرقون معتبته، وسألهم إمهاله برهة يأخذ فيها أهبة سفره في سوادهم، فأجابوه، ثم تطارح يناشدهم في ترفيعهم إياه / بمباشرة / قراءه، وإجابة دعواه، فأعطوه من ذلك ما سأل، ذاهلين عما وراءهم، لبعدهم عن الحزم، وتخارقهم في النوك [8]، ومرانهم على الغفلة، فانزلهم من بيوت قومه المسهلين في سفح الجبل الشامخ إنزالاً أغرى به من تحفيّه ما شاء، فضمت نبهاهم وعليتهم المضارب، ومن دونهم البيوت والكهوف والأنفاق، وعاشت للحين

في البهم (٩) المُدَى، وَسَمَتْ حَوْلَ الْمَنَازِلِ الْجُرُزَ الْحَرَّةَ الدَّمَاءَ، وَعَاثَتْ الْإِبَادَةَ فِي كُلِّ بَقْرَةٍ أَوْ مِعْزَى، وَنُصِبَتْ فَوْقَ الْحَيُوبِ الْمَفْضِلَةُ رُغُودَ الْأَرْحَى، وَأَتَتْ قَنَافِشُ السَّمَنِ تَتْرَى [9]، وَجُنِبَتْ عَلَى الْإِقْتَادِ أَوْعِيَةُ الطَّلَاءِ (١٠) وَالْمَاءِ الرُّوْيِ، وَانْحَدَرَتْ صَقُورُ الْمَصَادِمَةِ [10] مِنَ الْمَصَامِ الْأَعْلَى، مِنْ كُلِّ طَاوِي الْكَشْحِ، أَخْزَرَ الْعَيْنِ، شَدِيدِ الْعَجْمَةِ، فَعَمَّ السَّاعِدَ، وَحَيَّ الْوُثُوبِ، بَعِيدِ الضُّفُورِ، عَرِيقِ السَّبْعِيَّةِ وَالشَّرْهَ، مَتَقَلِّدُ سَيْفِ هَلَالِيَا، عَرِيضُ الْقَفَا، مَاضِي الطُّبَا، صَادِعَا صَمِّ الصَّفَا، مَمْسِكُ بَكْفِهِ جَمْلَةٌ مِنْ قَصْرِ الْقَنَا، وَأَقْلَامُ الْوَغَى، لَا يُخْطِنُونَ بِهَا الْمَرْمَى، وَلَوْ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى، تَسَاتَلُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَنَسَلُوا مِنْ كُلِّ حَذَبٍ، مُؤَرِّينَ بِالْحِرَاسَةِ وَالسَّهْرِ، وَقَدْ قَرَّرَ بِهِمُ الْوُثُوبِ، وَقَدَّرَ بِهِمُ الْفَتَكَ، وَأَخَذَتْ بِهِمُ الْمَسَالِكَ وَالشُّعَابَ، وَنَذَرَ أُولَئِكَ النَّوْكَى بَعْضُ مَلَابِسِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ فَكَذَّبُوا الظَّنَّ، وَعَمُوا وَصَمَوْا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَازَ قَضَائِهِ وَقَدْرَهُ.. الْحَدِيثُ [11].

فلما هدأت الأصوات، وسكنت الحركات، ثار الجميع بواحدة، لوعد مرقوب، ووقت محدود، فكبسوا القوم في مضاجعهم، فلم يُقَلَّتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَشَمَلَ النَّهْبُ أَسْبَابِهِمْ، وَمَزَقَّتْ الْأَيْدِي مَضَارِبَهُمْ، وَقِيدَ أُولَئِكَ النَّوْكَى فِي الْأَوْهَاقِ عِرَاءُ حَقَاةٍ، دَامِيَةٌ كُلُّهُمْ، بَادِيَةٌ عَوْرَاتِهِمْ، رَابِيَةٌ أَخَذَتْهُمْ، فَأَرْهَقُوا صُعُودًا فِي مَعَارِجِ ذَلِكَ الشَّاهِقِ، تُحْرِيبُهُمُ الْأَسِنَّةُ، وَتَكْتُمُهُمُ الْمَدَافِعَةُ، وَأَقْلَتْ شَاكِرِي [12] لَهُمْ، قِيَوْمٌ بِعَجْمَةِ (١١) الْمَصَادِمَةِ، فَكَانَ "النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ" [13] بِخَبْرِهِمْ، وَذَاعَ النَّبَأُ، فَانْكَفَأَتْ خِيَامُ عَرَبِ الْخَلَطِ وَسُفْيَانُ وَالْعَاصِمُ وَالْحَارِثُ [14] نَوَاحًا وَعَوِيلًا وَزَفَنًا وَصِرَاخًا وَقَطَا وَتَلَوِيثًا وَنَدْبًا، وَانْشَرَحَتْ صُدُورُ جِيرَانِهِمْ، الْأَذَلَةُ بِتَعَزِيزِهِمْ فَطَوَّهَآ / عَلَى سُرُورٍ لَا كِفَاءَ لَهُ.

/ 61 /

(طويل)

"بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ" [15] وَيَادِرُ وَلِيَهُمُ الْمُسْتَظْهِرُ بِهِمْ، عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُخَاطَبَةُ السُّلْطَانِ بِالْحَادِثَةِ عَلَيْهِمْ، فَوَصَلَ خُطَابُهُ بِتَخْفِيزِ الْبَثِّ، وَسَدُّ مَكَانِهِمْ بِأُولِي التَّرْشِيحِ لِرَثْبَتِهِمْ، فَشَعَبَ النَّاسُ (٧)، وَحُسِبُوا فِي عِدَادِ الْمَوْتَى، وَوَقَعَ النِّفِيرُ وَالْإِسْتِحْشَادُ لِفِرَاقِ الْجِهَةِ الْمُسْكِرِيَّةِ، وَاجْتَنَّتْ مَا تَنَالَهُ الْأَيْدِي بِالسَّهْلِ مِنْ شَجَرَاتِهِمْ، وَمَسْتَقْلُ زَرْعِهِمْ، وَمَكْتَنَزُ خَزِينِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يَأْتِي بِهِ الذِّكْرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

وتم لهذا العهد عقد المهادنة مع الجهة الزبانية، ووصلت الرسل فألقت (٨) مالدبيها، وصدر العقد بإجراء ما أجراه سلفهم قبل تخارق الخط (٩) [16]، وتعاضل الصنَّع، من الإقصار والتجافي عن الحدود، والتزام المكارمة في المخاطبات والتبري

عن أهل الخلاف، وكُرِّمَتْ وفادَةُ الوافدين بفك قوم من عليّة قبيلهم، زُرْتُ أطواق السجون عليهم منذ سنين عديدة، فأنصرفوا محبورين، وتُعرِفُ الآن عودَتهم [17] مُصْحَبِينَ بمُلاطفة، فاستبشَرَ الناس واستؤنس الصلاح.

واتصل ما انتهى إليه عمل عرب تامسنا، المتوردين بالهساكرة من العياث في أذيال ذلك الجبل، وهو الوطن الخصيب، الكثير السقي، الغزير الربيع، الجَمُ الفاكهة، الملتف (١٠) الشجر، المستبحر الغلّ، فانتسفه وأتوا على راعيته، واحترشوا الأرض من خزينة، واجتثوا قائم شجرته، وارتعوا مدرك زرع، ولم يتركوا به "نافع ضرمة" [18].

وفي أواسط جمادى الآخرة تحقق النبا برجوع عامر بن محمد بن علي من منزله (١١) المشارف حدود هسكرة، بعد الاجتهاد والاحتشاد والاستظهار بأقصى ما لديه من القوة، لما كان من لحاق الأمير أبي محمد عبد المؤمن وعبد الرحمان ابن أخيه [19]، المستقر قبل بمدينة / "مكناسة" في طائفة من الجيش المريني، الملتف بهم بعد التمهيص ومحك التشذيب، وإطلاله على البلاد المراكشية، وقد حلّ عقال أشياخ العرب المناكيب، في سبيل تدميث الطاعة لأمر أخيه، وأركبوا للقائه، ونالوا حظا من أعتابه، وعرض عليهم استدعاء رهان من الأعرّة عليهم، من أهلهم وشقاق (١٢) نفوسهم، توثق بالركون إلى عهودهم، وأخذ طاعة سوادهم وجمهورهم، وجزت بين يدي هذه الحال للهساكرة وضيقهم المُصرخين وقبعة على عرب الخلط، استلحم السيّف فيما جُملة.

فرجع عامر بن محمد، داهية الوقت، وعقد سفرته أدراجه مقهقرا قبل المواجهة، فاضطرب بظاهر مدينة "مراكش"، وأبرز للناس الأمير أبا الفضل [20]، الصبيّ الخبور، كبير ولدي السلطان أبي سالم، قتل القوم بالأمس، فأخذ له البيعة مشروطة بطاعة ابن عمه السلطان "بغاس" ورث له أليقاب الملك، وأخذ ميثاق الجند، وتوثق بالرهان، وأفاض العطاء، وشهر آلات السلطان في الثامن عشر لجمادى الآخرة من عام التاريخ.

ثم تحقق خروج الوزير مسعود بن رحو بن علي، ثاني الوزيرين، في جيش كثيف يشتمل على من أثر (١٣) الجماعة، وناصح الدولة، من شيوخ بني مرين، وفرسان الدخلة، في سبيل تمهيد وطن تامسنا، فقد كان أهله طردوا السعاة، ومنعوا الجباية، وأخافوا السبيل، وليكون مددا لعامر بن محمد، فارتحل من "سلا" في الخامس والعشرين لجمادى الثانية، وعرض قرابة الأشياخ أولي الورطة، أسارى الهساكرة، وكتب استدعائهم، فسدت السبل، ووكل بهم الرقباء، وغيّرت

نَعَمْ أولئك الأسرى، وأُذْهِبَتْ رسومهم [21]، ومُحِيتْ بأعواضهم من المرشحين إلى محالهم، والمنهضين إلى وظائفهم، وكانت سنة وافقت (١٤) هوى عند أرباب الدولة، لاستفاضة آرائهم في طلب الأمر لأنفسهم وطماحهم، وشموخ أنوفهم في هذا الهرج، والله يطلع على ما فيه صلاح العباد والبلاد، بفضله.

هوامش الفصل الرابع

- (١) م : القوم، ولعل الصواب ما أثبتنا.
- (٢) م : نفذوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٣) م : محيت الحروف الثلاثة الأولى.
- (٤) م : الهم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٥) م : الطلى، وهو تحريف.
- (٦) م : بجمعة، وهو تحريف واضح، صحته ما أثبتنا.
- (٧) م : محيت نقط اللفظة.
- (٨) م : فالف، ولعلها ما أثبتنا.
- (٩) م : الحط.
- (١٠) م : المتلف، وهو تحريف.
- (١١) م : منزلة، والأنسب ما أثبتنا.
- (١٢) م : وشقات، ولعل المناسب ما أثبتنا.
- (١٣) م : آثار، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٤) م : وافقة، وهو تحريف.

تعليقات الفصل الرابع

- [1] الدياشمة : لعلها الجياشمة، نسبة إلى جشم من بني هلال. أنظر (معجم قبائل العرب ١٥٦/٨).
- [2] الهساكرة : أو هسكرة، بعض النسابين يعدم من صنهاجة، وآخرون ينسبونهم إلى مصمودة للجوار، ومنهم بطون كثيرة بالمغرب، أشهرها قبيلة سكرة، وقد كانت تستوطن المنطقة الممتدة من درن إلى تادلا شرقا، وإلى وادي درعة جنوبا. أنظر (العبر ٥٥٢/٦ - ٥٥٦ - قبائل المغرب ٣٣٥/٨. - التقي العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٢٢٥-٢٢٦).
- [3] مشيمة : م مشائم، الطبقة البرانية للفضاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، واستعماله هنا مجازي.
- [4] وطن القبلة : سجلماصة ونواحيها.
- [5] ابن سعد الله : صهر محمد بن حسون بن أبي علي الذي كان واليا على مراكش، وقد انحازا إلى جهة الأمير عبد الحليم فاعتقلهما أبو ثابت عامر. أنظر (النفاضة ٣٢٠/٢).
- [6] "وائد البراجم" : مثل يضرب لسوء الحظ. (فصل المقال ص ٤٠٤. - مجمع الأمثال ٩/١ رقم ٦).
- [7] الخب : الخداع.
- [8] النوك : الحق.
- [9] قنانش : وردت اللفظة في النفاضة ١٢٢/٢، قنانش، واحتمل د. العبادي أنها قلانش باللهجة المغربية التي تعني أواني السمن، وهو احتمال قريب إلى الصواب.
- تترى : متتابعة.
- [10] المصامدة : من أكبر القبائل البربرية في المغرب، لتفصيل أخبارهم راجع (- العبر ٤٢٧/٦ - قبائل المغرب ٣٢١/٨. - التقي العلوي : "شعب المصامدة"، مجلة البحث العلمي، ٢٨، (١٩٧٨)، ص ٢٠٩-٢٤٨).
- [11] هذا الحديث لم يرد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
- [12] شاكري : صاحب حيل.
- [13] "النذير العريان" : مثل يضرب للإنذار بالشر. أنظر (- زهر الأكم ٦٦/٨. - مجمع الأمثال ٤٨/٨ رقم ١٨٦).
- [14] عرب سفيان والعاصم والحات : بطون من بني هلال.
- [15] هذا البيت للمتنبّي. أنظر (العرف الطيب ص ٣٣٠).
- [16] تخارق الخط : يقصد عدم احترام كل من الدولتين حدود الأخرى.
- [17] سجل أبو زكريا بن خلون وصول هؤلاء السجناء إلى تلمسان بتاريخ ١٠ رجب ٧٦٣هـ = ٥ ماي ١٣٦٢م. (بغية الرواد ١٠١/٢).
- [18] "نافخ ضرمة" : مثل يقصد به ما بقي أحد. أنظر (مجمع الأمثال ٢٧٨/٢ رقم ٣٨٤٨).

- [19] عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد وهو أخو عبد الحليم، تولى حكم مكناسة مدة ثم تغلب على أخيه وانتزع منه سجل مكناسة، وأقام بها دولة إلى أن فتحها مسعود ابن عبد الرحمان بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس. أنظر (ابن ابراهيم : الاعلام ٤١٧/٤ - النفاضة ٢٩٩/٢ - ٣٠١).
- عبد الرحمان بن يفلوسن المريني، ابن أخ عبد المؤمن المذكور. لأخباره بتفصيل راجع (الاستقصا ٦١/٤، ٦٥ - ابن ابراهيم : الاعلام ١٠٣/٨ رقم ١٠٩٥ - النفح ١٠٢/٥ - ١٠٩).
- [20] لأخبار تولية أبي الفضل راجع (- العبر ٦٦٦/٧ - الاستقصا ٦٥/٤).
- [21] رسومهم : وظائفهم.

الفصل الخامس

فصل رجب التاريخ

63 /

<أحداث اندلسية>

ولما استقر بيد المتغلب على الأمر بغرناطة من استقر من فرسان النصارى (١)، ومنهم زعيمهم الميشر الكبير [1]، وقد أبلى وصدق موقفه لما خذل جيشه، فلم يبرح يدافع عنه خالصته إلى أن كثرُوا وأُخِنُوا وتقبضَ عليه، كما تقدم من ذكر الفتح الواقع للمسلمين بجهة وادي أش طلب الخلو من المتغلب المذكور، وهذا القومس في أمته خلوب عذب الحديث، بعيد الفور، فاستحضره وضمن له عقد المهادنة مع الطاغية، وانحرافه عن جهة السلطان أبي عبد الله مطالبه، عند إطلاقه والامتنان عليه، واتخاذ اليد عنده به، وهو المطلب الذي لا شيء وراءه، فتبرع بذلك أن ابتدأه سلطان قشتالة بطلبه وسؤاله، وخلى بينه وبين المحاولة على نفسه، ففسد المخاطبة إلى السلطان بما دار بينهما، وهذه الأمة النصرانية لا تؤثر شيئاً على الوصول إلى أغراضها حتى إذا أمكنتها الفرص في ذلك، لا تزال تطرح في أمثالها الحشمة، وتتزل عن الترفع، حتى إذا فازت أيديها، عاودت التجني، وراجعت التعزُّز، فاقتضى منهم الرأي أن تطلب المذكور بُنيَّة السلطان من حظيته ومحل هواه، العلجة أخت هذا المأسور، وهي بكرٌ ولده، فتوجهت الرغبة من تلك الوليدة، وخاطبت المتغلب في شأن خالها الميشر، ووصل عنها أحد الكفاة من خدام السلطان، المتصرفين بينه وبين المسلمين في المهادنة، يطلب منه تسريح خالها، وتعهده بحسن المكافأة عليه، فقبل رغبته، وأسعف طلبتها، وخلع عليه، ويبحث به في جملة من نبهاء الأسرى، رُزِيَ الإسلام بخلاصهم، لما فقد الكفر من وقف بأسهم، ولاستنفاد الكثير من أمواله في سبيل فدائهم، ووجه رسولاً «من قبله» (٢) فالفاه بحصن «قاشرة» [2] من الحصون القرطبية متوفراً [3] (٣) على/ قصد بلاد المسلمين، وقد تألفت عليه حشود الرُّوم. ولما شافهه بالرسالة، شكر قصد المذكور في إطلاق زعيمه (٤)، وأعرض عن المسألة ما لم تقع شروط منها : التجافي للسلطان المستقر «برندة» عن «مالقة» وما إليها، ووعد في المكافأة بمثلها عند

64 /

ظهوره على المسلمين، وإيثاره المعتبرين من رؤسائهم. وتحرك في أواخر ربيع الآخر، فنزل حصن آشور [4]، المطل على الثغر بضفة وادي شنجل، وهو معقل كبير، وركاب للجهاد، وشجراً في نحر العدو، يشتمل سورهُ الأقصى على مدى بعيد من جبل موطا الأعلى، بمراح يسمى المائدة لا عمران به، والحصن منه في جوفه، وله من "لوشة" جوار، و"بانتقيرة" و"أرجنونة" [5] اتصال، وعلى الساحل إشراف (٥)، كان المسلمون قد أهملوا حراسته، لما حسيبوه من سريع الطاغية عنه، وصمده إلى "أنتقيرة"، فكبسه، ودل على عورته من بعض حافاته، نازع إلى دين النصارى من خواص المتقلب على الأمر، فتقلب على "المائدة" وتحصن (٦) بها الرجال، وسربت إليهم العدة، واجأ المسلمون إلى الحصن وليس بذى منعة، لإعتماده على ما وراءه.

وكان السلطان المستقر "برندة" قد استدعاه سلطان قشتالة، فوصل إليه في شوكة حادة، تنيف على خمسمائة فارس، من الحماة نقاوة ومضارب وعدة، فلما رأى تغلب النصارى على حوزة الحصن فاولضه في شرطه، وطلب منه أن يخلي بينه وبين من به من المسلمين، فاعتذر بقلب قومه عليه، وأنه لا يمكنه صرفهم (٧) عنه في ذلك الوقت، فأبى السلطان من إقراره وهودته على هذه الحال، وأنف خبره بأنه لا يؤثر الدنيا بحذاقيرها على أسر مسلم أو قوات حصن للمسلمين، وانصرف أدراجه إلى "رندة"، طوع الدين المتين، والحرية البحتة، ولم ينشب الطاغية بعد مفارقتها وانصرافه أن أقلع، بعد أن استولى على الحصن المذكور، وحصن "بني بشير" [6]، وحصني / "الصخرة" و"السهلة" [7]، وثقفها، ما عدا حصن "السهلة" فإنه هذه ثم اغتبط به، ووفر بحصن "آشور" الحصنة، ورتب به الحامية. وعلى تقنية إقلاعه بأدر الجيش الغرناطي لنظر وزير الدولة محمد بن علي ابن مسعود [8]، وشيخ الجند المغربيين، اندريس بن عثمان بن أبي العلى [9]، حصن الصخرة منها، وقاتله وتغلب على من به، فاستنزل منه بحكم الأمان نيفاً على الأربعين رجلاً، وكر الطاغية عند تعرف النبا، وأجفل المسلمون أمامه، فهد الحصن ونازل حصن "مُنتفريد" [10]، وبلا منه منعة وعدة، فانصرف إلى الجهة الغربية من "مالقة" فاستولى على كثير منها.

/65

وفي الخامس وعشرين من جمادى الثانية، طرق هذا البلد [11] النبا بالفتح على السلطان المعظم، ملك الأندلس، المكفور النعمة، المجهود الحق، المؤكوس الوزن، المحص بالحادثة على ملكه، ابتلاء من الله، خير (٨) به صبره في الجلى (٩)، وثباته في الكائنة العظمى، ورفع بسببه أكف المؤمنين لاستئزال غيث الرحمى، وخبره، لما ساءت به الظنون، وأطرقت العيون، وقد تقدم ما كان من منابذته ملك قشتالة، وانصرافه عنه، مغريا طوع الأنفة الدينية، والحرية والإبابة، من أن

يجعله العدو وليجةً إلى استباحة الحصون، واقتراع المعازل، وإدالة الكفر من الإيمان.

ولما استقرُّ برنده قراره ثنى أعنته - كما ذكر - يجرُّ خلفه ذيل الخميس العرمم، الذي عد (...) (١٠) ومنون من الأعلاج (١١) [12] تحمل السلاح وآلات الهدؤالهدم، والحصب (١٢) [13] والرجم، والنطاج والصدم، والزلال والرجف، والتسور من الأكبش والمجانيق، والرعدات والدبابات، والستائر [14] والحبال. وقصد حصن "منتفريد"، جار "أليرة" [15]، المطل على غربي مرج الحضرة - كما تقدم - ، وقد بودر إليه بالحماة، وهو ما هو من سمو الشاهق من / دونه مطار الفتح ووكون (١٣) العصم، وعجم عوده، قبل ما منه شوكة، وثنى عن مغمزه (١٤)، وألفاء كورة ديزر أصيب بظاهره قوم من الروم، ولو صابر حصاره أياما قليلة، لم يعي عليه أمره لعسرة الظمأ، وعدم الماء، فانتثنى عنه مخفق السقي، يشتم ربح فرصته، ويحدو إلى معلق ظفره، ويجزم (١٥) إلى محط وثبته، والشقي الجاني على المؤمنين، والمشؤوم على الآباء والبنين، خريج العهر والفحشاء، الظاهر الفرج، البادي العورة، الأشوه الخلق، المستهين بحرمة الله المعتز بالسفلة، سلطان الأوباش، وأمير السفهاء، وملك السوق، وحجة الله في احتقار عالم السياسة، قد بدا عليه خلاف ما بجح به من الحماسة والسقارة (١٦) ووعد عن نفسه من الإقدام، فالترزم كسر البيت، ومكسع الفسق، والإطلال من كوى المراقبي، فلم يبرز قيد [16] شبر، ولا أصرح مقدار فتر، بعد أن حشد أهل القطر الأندلسي، وأخذهم من كل صقع عصي زياده، وجأجأ بالقاصي والداني، حتى غص منهم الفضاء بكل محرب، وعسكروا بظاهر الحضرة، يترشقون بلألتها، ويسبون سمو سحرها، ثم لما احتل جميعهم، وحضر قضهم وقضيضهم [17]، صرفهم أحوج ما كانت الحال إليهم، وأياسهم من ظهوره، فعلت الأصوات بسور القبله، وتوجهت إلى تنقصه سهام الألسنة.

وفي أثناء هذه الحال، نازل الطاغية حصن قنط [18]، فتيحة القائد المجاهد رضوان [19]، مولى آل نصر، فاستولى عليه، وانتقل إلى ثغر "الطورون"، شجا طيبة ثغره، فأخذها، وله منعة، وبه شوكة، فخذ الشوكة، وذلل المنعة، واستضاف إليه حصن "فردالش" [20]، مسلحة الجهة المجاورة من كتب، ثم نازل حصن "برغة" [21]، السبب (١٧) الواصل بين "مالقة" و "رندة"، حصن نبيه خصيب، كثير الزيتون والأشجار به الدور الحافلة والوجوه، فأخذ بكظمه، وتغلب عليه / بعد أن رمى عليه بنفسه السلطان، وطرح عليه في سبيل الشفاعة وجوه القرابة، فينس منه، وشرع بعده في منازلة حصن قصر بنيرة [22]، وأشفق السلطان

لتلّف هذه الجهة، فآلح عليه في طلب الإفراج عنه، والوفاء بالعهد، فأجابه إلى ذلك، وأعطى صفقة يمينه، على منازلة ما لا تشمله طاعة السلطان من البلاد لتمام أيام عشرة.

وتحرك السلطان في جملة معززا (١٨)، فتبادر الناس، وانقادت الحصون النبيهة، "كذكوان" [23] و"قرطمة" [24] و"تُلّش" [25] ومجيش المنشاة [26]، بعد امتناع من قصبها يومين أو ثلاثة نالهم فيها الضيق المنجلي عن استنزاهم.

وتقدم إلى مالقة في السادس عشر من جمادى الثانية المذكورة، وبلغ "الوادي الكبير" من ظاهرها، على ثلث فرسخ، مقتحما أجمة ملك، وغاب جند، ومطلع ألوية، وبحر أسطول، ودار عدة وعدد، فسهل الله أمرها، وراض صعبها، وحين برزت الحامية إلى مدافعتها، زاحمها الناس هاوين، إليه مستقدمين، فحث ركابه يقدمه الطائر الميمون، والوعد المفعول، والأدلة المكتبة، وتبادر الناس إلى فتح أبواب المدينة، فدخل إلى المسجد الأعظم، وانتال عليه الناس يقرضونه من البكاء والرقّة والدعاء والتعلق به أعجب ما تمخض عنه دهر، فأغرامهم بالقصبة [27]، وبها ابن وزير الدولة، فانقادت له بعد ممانعة، وتحصّل من بها في قبضة ثقافه، واستقر بها فكان أملك لها.

وورد الخبر بذلك مدينة "سلا"، مؤرخا بالسابع عشر من الشهر، عشي يوم الخميس السابع والعشرين منه أو الثامن، صحبة خطابه إلى ولده، الأمير المتخلف بمدينة "فاس"، بما نصّه :

من الأمير عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين، أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين، أبي الوليد بن نصر، وصل الله سعده، ووالى (١٩) عضدّه، إلى ولدنا / الأمير الأسعد، الأرضى الأرشد، الأهدى البرّ الأكمل، أبي الحجاج يوسف، وصل الله سعادته، ووالى هدايته. سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.

/68

أما بعد حمد الله الذي أقر بتأييد أوامرنا وتخليد مفاخرنا عين الإيمان، ومد على المسلمين بإعلاء دعوتنا وتمهيد دولتنا ظلال الدّعة والأمان، والصلاة على سيدنا محمد نخبّة الأكران، وحبيب الرحمان، وعلى آله وصحبه شمس المحاسن وغيوث الإحسان، وصلة الدعاء لأمرنا العليّ بأنّصال العزّ المديد الميدان، والنصر الرائق الخبر والعيان.

فإنّا كتبناه إليكم من حضرتنا العلية بقصبة "مالقة" المحروسة، وعناية الله - سبحانه - تعذب لنا موارد الصنع الجميل، وتعرفنا عوارف التسيير والتسهيل،

وإلى هذا فإننا نقص عليكم أنباء الفتح المبين، ونطالعكم بما منحنا الله من النصر والتمكين، وذلك أننا لما استخرنا الله تعالى وأسلمنا أنفسنا في صلاح المسلمين، وخرجنا لقربة "مالقة" فيسر الله - تعالى - وثلقنا جميع من بها على أميال من البلد مستبشرين بدعوتنا، وراغبين في طاعتنا، وكان يوماً مشهوداً، وميقاتاً اتخذته الناس عيداً، وتمنعت القصبة ساعةً من النهار، ثم فتحناها وأمنّا جميع من كان بها وبغيرها من القصب، وعفونا عن جميعهم، ثم وردت علينا بيعات "بلش" [28] و "الحمة" [29] وأنتقيرة، وعن قريب - إن شاء الله - يصلكم فتح "غرناطة" فقد صدق الله ظننا في "مالقة"، فمارلنا نقول لكم : لمالقة يكون قدومكم، وكذلك - إن شاء الله - يصدق ظننا، ويقر عيننا، وتردون غرناطة على ما فيه قرّة العين للجميع، فهو - سبحانه - لا يخيب من توكل عليه، وفوض الأمور إليه، وأعلمناكم بهذا الفتح الجسيم، واليسر الوسيم، لتأخذوا يحظكم من السرور، وتحمدوا الله على تيسير الأمور، والله يصل سعادتكم، ويسني من نصر لوائنا وقهر أعدائنا / إرادتكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في السابع عشر لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبع مائة.

69/

ثم ردفه تعريف بما كان من التشريد بعدو الله وعدوه (٢١)، وأنه لما تحقق خروج "مالقة" عن يده، وانتثار عقد طاعته، بنى على الفرار، وأحكم حيلته، فتمت له إملاء من الله - عز وجل - ومحنة لم يتأذن بعد في اجتثاث شجرتها، فلف ما بدار الملك من مال عين، وأنية وماعون، نبه السخ، شريف العنصر، وثياب ديباج ووشي والذخيرة التي لم تشتمل قصور دولة بني أمية وبني العباس على مثها، فضلا عن دول هذه التخوم المغربية، استخلصتها (٢٢) الدولة النصرية من أيدي جالية الأمهات، من بلاد الإسلام، كقرطبة وإشبيلية و"جيان" و"مرسية"، وسواها عندما قدفت أمواج المحنة بأشرافها إلى ساحل عمالتها (٢٣)، ثم بما استأثرت أيدي الأمراء "بسبته"، محط من عبر البحر منهم، صارت إلى الخزائن النصرية عند التغلب عليها، وقد طمى البحر، وعظم الخطر، ولا ينبئك مثل خبير" [30]، فقد ناشرت أشخاص عقودها النفيسة (٢٤)، المنتهي لؤلؤها الجديد السليم، البراق السطوح، المحكم الدُحاح، المتضايق خروت السلوك، إلى ما فوق أشكال الكبير من حبّ البندق، البالغ ياقوتها الشفاف المائي، العظيم الشعشعانية، المَهراق، اللالاء، الروماني [31] المجاجة، السليم من الاستئناس، والغليان والضباب، البديع الشكل، إلى أشكال ثمر الجوز بين مقرطح وململم، الدائر قصبها، العجيب اللون، الذبائية [32]، مضت الخواص، المنحولة حجر الزمرد والاطراء بالأفعال العجيبة اللالائية (٢٥)، على قدر البنان، إلى عصائب تضمنت من نفيس الأحجار بين

زرق وحمرة، ورمانيّة وقانيّة وصفر، ومن اللؤلؤ النفيس، الراجح الوزن، والقصب الزمردي، والزبرجد، ودوائر الأشكال المدعوة بالمرزمة [33]، حلي الصدر، وقُرص النحر، رأيت بيعها حجرا من بلخش [34] الياقوت في شكل حيل / تصطف فيه حديبات ثلاث، يبلغ جرم عصفور، أعيا الناظم، ويتر السلك، فاضطر إلى استعماله قارا، والتزين به ساكنا، فأرسي في قرصة العسجد المرقوم بالفصوص الشريفة، واللآلئ النفيسة، ليقر بها قراره، ما آمن هذه العقود إلا من اختص بتسميته، وأفرد بلقب لفشو الشهرة، وذياح الصيت، كاليتيم والصحيح والقوي، وغير ذلك، يتبعها من أجناسها المقصرة عن هذه الدرجات العلى - أعداد تجاوزت العشرات إلى المئين، إلى الأحجار المحيطة بها اللآلئ، المحيطة بواثرها في قواعد الحرير والجلد، نوات الأذناب والتعاقيف، المكلل بها ما فوق الأذان، المدعوة بالزرائف [35]، إلى التيجان والعصائب والقلائد، المتعددة القرص الذهبية، فوق صحنها صنائع الزجاج والأسورة (٣٦) والأقراط المتخذة تراريات مضاعفة، نوات أخراص (٣٧)، يتعلّق بها بنون، وتنساب منها جداول الجوهر في شباك، وسلايم ونسائج وخفريات وحلقان، تفوت العد، وتغيي الوزن، إلى حقائق اشتملت على نثر بين محول وهمل، تكال بالأصع كثرة، إلى الدمالج والوذائل، وقلائد العراقيب، والأزدة بين مكل ومجزع وساذج، تبته العين، وتستولي <على> (٣٨) الفكر، وتستدعي الذهول، وتحير اللب، جلى على جميعه السلطان المقدس أبو الحجاج مرشحي، والمنوة بي، بعد وعد متكرر، ليقر عيني بغنى خبئه، ونجح خزانته، واستحضر أمين الصواغ [36]، ونحرير الجوهرين، روميا كان بيايه، من كفار تجار جنوة، قُبِهَت الذي كفر [37]، وحوقل الشيخ واسترجع، واستفهم الجنوي عن ثمن بعضه، فنفر من الجرأة والإقدام (٣٩)، وقال ما معناه : 'إنما يُعَيَّنُ أَثْمَانُ الْأَشْيَاءِ الْمَعْهُودِ وَجُودَهَا وَجَرِيَانَهَا بَيْنَ الْخَلْقِ، وَانْتَقَالَهَا فِي الْأَيْدِي، وَأَمَّا مَا لَمْ يَزَلْ لَهُ نَدٌّ وَلَا عِلْمٌ لَهُ نَظِيرٌ، فَلَا،' واسحنقر [38] الكل في الدعاء بصون تلك الذخيرة في كنف عزه، وصوان حجابيه، وأبقى الله إياها في عقبه / فاستولى هذا الفسل [39]، بختنصر [40] الوقت عليها، واستضاف فيما نقل لنا عند استيحاشه ما يختص بجدة السلطان، أم أبيه، الحرّة الخيرة، بهار من الحلي المتجافي لها أول الدولة عنه، طمعا في تصيره إلى يده، بأجل تدنيه الكبرة، فانتزعه - زعموا - وهو من ذلك القليل، ولاحق ببعض عيونه، واهتبل الغرة، وورى بالمدافعة، ومطل الجند بالأعطيات، وعللهم بمنتجع الجباية، وقاتهم بحيوان مسارح السلطان، وتوفر على ما تحصل ببيت ماله، فشال جميعه، والتف بخاصته، أعداء الدين، وأصدقاء المؤمنين، من الحراب والسراق والمهاجرة والشرار المعدودين من السباع العادية،

والشياطين الغاوية، "فاتخذ - زعموا - الليل جملاً" [41]، وقصد عبود الدين، ونجا منجى الطيف، وقد رزا الإسلام رُزَّةً فادحا، ونقل ذخيرته إلى بلاد الكفر، كأنه استردها من يد موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وصرفها على أربابها، والله من ورائه، أهانه وأساء ميتته، وأخذ من كل جانب يطمئن إليه، فينس الفسل المشنوم على بلاد الله وعباده.

وكان بالباب المريني، وزير هذا الأمر، الممنوح الإدالة، الشيخ علي بن كماشة، أشعب الطمع [42]، قد احتال في الوصول، مورياً بخدمة السلطان، هاويا إلى استنجاز ما أخذه على السلطان أبي زيان من الشروط التي تشطط فيها عدم الحياء، وزمانة المروءة، حين تردد في أمره، من مال وأقفزة [43] بر وأشخاص بلاد ومجال إثارة، فاقترض ما يليق بذوي الأطماع الجامحة، المستعيز منها سيد البشر، صلوات الله عليه وسلامه، في داعيته، وأقطع الرفض والنيكر إصماتا للسان استنجاهه، وإقناعا له بالسلامة، والشيخ الظاهر التدين والحسب، المستعد للرسالة والحمل، القديم التعيين، المحمود السير، الكثير المعانة للأنقال، أبو الحسن بن / الحسن، فانصرفا، وقد فاتهما مباشرة ريق الإقبال، ووليمة مراجعة الدولة المباينة، وأتفق الألباء، وشاركهم الأغمار (٣٠) في كون غيبة هذا الرجل المشتق من الانكماش، المتكرر في توصياته (٣١) عدم النجح، السبب القوي في الفتح.

ولقد قال صاحب الدولة [44] - أعانه الله - لمن يعاوضه عند صرفه : دفع الله عنا معرفة هذا الشيخ، فإني أظن به، وأخاف على الوقت عدوى عره، فانصرف محموم لما كان من رجوع مضايقه ابن السراج [45]، الرأسب بالمغرب، عند سفر السلطان إلى الأندلس، مرشحا للوزارة، كرسي الأقدام في الوقت، وانصرف الشيخ، صاحب الكتابة ابن الحسن [46] مقتصرًا معه على شطر ما عين لرفيقه من الزاد، لنفوذ القوم عنه وعجل الكور الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن محمد بن قطبة [47]، وولده الثلاثة، فحيوا بسلاح وآلة، أعلق بها سؤله، ووقف عليها طلبته، لكفه بالاتصاف بالإقدام، وترايمه إلى الانخراط في حملة (٣٢) السلاح، فانصرفوا تطير بهم أجنحة العزم، أجار الله لنا ولهم، واستعملنا في أكرم مسعى وأقرب رُحْمى (٣٣)، لا إله إلا هو.

رجع التاريخ

ولما "صرح المخض" (٣٤) عن الزبدة [48]، وظهر من طاغية "قشتالة" الجبن، وأكذب فيه الظن، وطالبه السلطان بالإفراج عن حصن "برغة" استنجازا لوعده،

وتمسكاً بجديلة عهده، فصمَّ صداه، وأثر هواه، واستقر في الثغور المخترمة دينه، وثبتت فيها قدمه، وظهر أن قصده استئصال الإسلام، واتخاذهُ للسلطان علةً لذلك وسبباً، وفأوض السلطان من لديه، فاتفقوا على اقتحام الخطر، وتسور الهول، واستعجال الموت، والنيو عن هفوة الضيم، فنهضوا مستميتين، يعذلهم الطاغية، ويناشدهم في الاستهداف، فلم يرعهم ذلك، لما تأذن الله به من إتاحة الكرّة، وإدالة الدولة / فارتحلوا خالصة جماعتهم، متحدةً نياتهم، فكان ما مرُّ به الذكر من افتتاح الحصون الغربية، ودخول مالقة في الطاعة، لخلوها من الجيش والطعمة، فلقد حدثني بعض من موّه بالاحتجار والانحصار بقصبتها ريثما استنزل من بها، أنها لم تكن بها نغبة ماء، ولا سدُّ جوعَةٍ، ولا حبة علفَةٍ، فلو قصدوا الطاغية لم تصابره يومين مضية وخذلانا وفشلا، وعدو الله، المتوَّب على الأمر، الحليق الهمة، الغليظ القفا، البائس (٣٥)، المجنون، قد ذهل وأخذته الصيحة، فاتخذ بدار الملك أسراباً لفراره، وأنفاقاً لانسلاله، وجراباً من جلود بعض الأخشاف محكماً، يشتمل على ماعون صنّعتة الأصلية، المتوارث عتاها عن أبيه، من نعال الحلفاء، الملحمة بالقنّب، وشريط التسوّر، ومخاطيف الانشباب والاختلاس، وفرُّ - واللّيل عدّة الخلفاء الراشدين، وأئمة الهدى من المؤمنين . .

/73

فاستقلَّ السلطان قصبتهَا، وهي العقيلة على الإدقاع والكبرة، حاضرة البحر والبرِّ، ودار الملك، ومعدن الصنائع، وينبوع الحضارة، ومثوى الظرف، أمسك الله رمقها، وأحيا شأوها، وأعاد نعمتها.

وفرَّ يومئذ رئيس [الجند] (٣٦) الغربي، محمد بن عثمان بن أبي العلى، تاجياً برأس طمرّة ولجام [49]، فأهدى القفر، وخرج عن الجلية، واهتز الأفق المتبرّم بالإيالة (٣٧) المحروبة، والدعوة المشنومة، فاقتبل (٣٨) الخائن واستطير فرقا، فلم يلبث أن ركب الليل جملاً ليلتذ في جملة تتاهز ثلاثمائة فارس، من شوكة حادة تشتمل على رؤوس الجند الغربي، إدريس بن أبي العلى، وأخيه، المشرّد بهما من المغرب، المعتسفين المفاوز والبحر إلى عنوة "برجلونة"، ثم اللاحقين بهذه الإيالة، والملتقنين للكرة القلقة تحت هوى الصولجان، والوزير الممرور، الأقبل، حليف الجنون والتهود، والوكيل القهرمان، عبد الرحمان بن هذيل، حمار القوم المترامي في تيار أصحاب المشأمة وغيرهم من غاشية وأتباع نفروا / في ساعة واحدة، قد حسبوا كل صيحة عليهم، وتوقعوا ثورة الناس بهم، فخرجوا لا يلوون على شيء بعد رفع الكثير من المتاع والسلاح والذخيرة جمعاء، إلا ما شدَّ بيد من أخذ إلى الأرض وتخطّرف منهم، واجتمعوا بخارج السبيكة [50] من الحمراء وقد أوسع كل منهم مستقرّة من الحمراء تشعيثاً وتغييراً، بما يدل على سوء العهد، ولؤم (٣٩)

/74

النفس، وخلق الشر، ثم انسابوا في غير حفظ الله ولا رعايته، فركبوا الوادي، وانضاف إليهم إدريس بن عثمان بمن لف لفه من شُرذمة الشوم، وركبوا طريق القلعة، كما يقصد الرجل مثوى أبيه، من غير عهد معقود، ولا وعد مضروب، ولا ود محفوظ، ولا جوار مبرور، إلا ما سئلت لهم أهواؤهم من التثقق عن عدو الدين باستئصال الشافة، وتحويل الملة، وتمكينه من الجملة، توعنوا بذلك من مروا به من نوي البيوت المصحرة، والقرى الماثلة، ووعد الله قد سبق وصدق بتخيب قصودهم، وتبيب [51] كيدهم، وإخزاء مرادهم، سبحانه ولي المؤمنين، ومحيط النعمة بالظالمين.

ولما وصلوا إلى القلعة، طير من بها من النصارى إلى سلطانهم بالنبا، واستحثوهم في القُدوم عليه، فتعنوها متوغلين في البلاد، ملججين في وحل الورطة، يقدمهم الدّم، ويبدو لهم سيئات ما كسبوا، ويزجرهم الطائر المشنوم، ويذخرهم قرى وافد البراجمة، وإحين تعرف الطاغية الخبر، أخرج من وزرائه من يتلقى قدومهم، في لمة خشنة، تَلَف طانفتهم، مورية باستصحابهم، ومتولية لمؤنهم، حتى قدموا على حضرته "باشبيلية"، وقد عجب منهم النصارى، لكونهم نقارة ولبابا، قد حملوا خلاصة ما انتهى إليه الاستظهار، من الملك وزينته وعدته، من التجافيف والدروع، ومذهبة الطي وفرة الخيل وعنق الشفار ورائق البر، وقد تمنطق كل واحد منهم بما انتهت إليه جدته / [52] من ذهب أو حجر أو خرزة، غنيمة باردة نقلها الله ملك الروم، لم يوجف [53] عليها ركابا، ولا جمع لها جيشا، ولا قدح حربا، فأمر بإتزالهم، وجعل المسلحة، ووكل بهم وفرق أماكن أعلامهم، وكان من الأمر ما يأتي به الذكر - إن شاء الله - .

رجع التاريخ

ولما أطل صباح فرار الخائن، صاح الناس ووقع نفيرهم إلى سلطانهم المستقل بمالقة، يتبارون في السابقة، ويتناغون في نيل المزية، فاتصلوا به ليومه، وتقاتلوا بفيته (١٠) وليله، وضبط قلعة الحمراء المشيخة وبعض المتناقلين، منهم الحاج سهل بن محمد بن سهل من وجه الحضرة، والشيخ الأشوه نو الشترّة، أحمد القرطبي، المثل البعيد في عدم الصلوح لغير الإخطار بدمه، والإنخراط في أحزاب الثورة، مع السوء وقصر الخطو وضعف البصر وعدم الإبانة ومقاربة القمى، قبح الله وجهه، وجعل الخروء وضوءه، ومطرح الزيل قبلته، وسمو السعير جنته، وخضراء الدمن إليه، أولى ثم أولى له، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون [54]، ومعهم أوياش (١٧) من منتجعي المدر، وتيوس الفلاحة، وشرار الشرط، لم يقصروا في تسكين السواد وبث البريج [56]، فعصم الله الأموال، وحاط النعم، وسدل الوقاية على يهود الذمة.

وتحرك السلطان من مالقة فطوى المراحل إلى «غرناطة» (٤٣) تاسع عشر الشهر، والأمداد تتسائل والوفود تترادف، والحضرة تقذف بمن فيها، ومن الغد كان قدومه عليها في الحفل الذي قَدَّمَ به العهد، وأزرى على خبره الخبر، ولم يأت به الدهر، ولا أدركه الوصف، تهافت الناس عليه تهافت الفراش، والتفوا به التفاف النحل، لا يقنعون من ركابه بغير الاستلام، والتعلق، يزدحمون أفواجا، ويذهبون ذهاب الموج قد علت أصواتهم بالتفدية والتهنئة والدعاء، / واجهاش الرقة، وظللهم الغبار بين يديه، ومن خلفه، يرجع لفيفهم وأرباب الصنائع منهم إلى أُلوية كثيرة، لا تعد (٤٤) أصنافهم، ويعلو حول موكبه الذكر من خيارهم، وهو على شكله من التبدُّل وعدم الزينة، مشرق القسام، ظاهر الاستعبار، سرورا بنعمة الله، قرير العين بانجاز وعد الله، مبدول البشر، حسن الرد.

/76/

ولما سما إلى الجبل، جبل الحمراء، كادت السماء تخرُّ على الأرض، لعل أصوات النساء المُصحرات (٤٥) من المدينة إلى رؤيته، وقد ملأن الفضاء (٤٦) الأفتح كأنما تراكم الثلج، به بياض شارة، واحتفال بروز، وقد جعل الله له في القلوب من الرحمة والامتعاظ والرقة، ما لم يجعله لأحد قبله. ولما بلغ باب الحمراء وقف به مليا، مكاسا ممن بها وتحجبا، وحفظا وتوقيا، ثم افتتحت له أبوابها فدخلها قبل الزوال من يوم السبت الموافق لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وبطالع [المشتري] (٤٧)، وكون المشتري في الطالع والشمس في العاشر [56]، اتفاق سعادة لو خير أبو معشر - رحمه الله - ما تعداه اختياره. ويادر السلطان يوم دخوله بالقصد دار جدته، فقضى الحق، وبث لوعة (٤٨) الفراق عقب صدره عن قبر والدته، ثم انصرف إلى قبة الحائر (٤٩) الريان، فنزل بها، وقد جاء بها غريبة لم تنسج على منوال، فسبحان مديل الدول، ومصرف الأيام، لا إله إلا هو.

ويادر الطاغية تعريف السلطان باستقرار ضده لديه، وتحصله في قبضته، وأوعز بتعجيل صك بغدره (٥٠)، وثبت من أهل الملة بجرأته، فتوجه أحد الرؤساء من خلصان السلطان بعقد ضاق بياضه عن الشهادات المتبادرة، ووقع الاستقلال، واستصحب مُزَوِّدَ الآلة الشاهدة (٥١) بتجلته، وصدق حقه، وأصيل استبصاره، ولحين وصوله شرع في قتل أولئك الغدرة، بعد تقرير الطاغية إياهم، ومواجهته بالتأنيب لعميد فسقهم وتقرُّعه بما كان من اغتراره، وتعاطيه إياهم وطماحه وجرأته على مولى نعمته، ومنوه صهره، وعاهد ولايته، وكافل يتمه، ومعتد / عمره، ثم طيف به على أتان (٥٢) هجين، وحوله شيعة مكره، وظهراء غدره، وأخذان جهله، وأبناء جنسه، فتنخل منهم متسورو السور، وتناول السلطان قتل ذلك الخبيث، أثبتتها في صدره فسقط لحينه، وأجهز عليه وزعة السلطان، وعاشت في الطائفة

/77/

المشهرة السيوف والحراب، ثم جُزَّت رؤوسهم وعولج منها رأس الخائن، فُقْشِيَّ وجهه طبقاً من الشمع حفظ شكله، وطير بها، وعددها أربعة وأربعون رأساً، فورد بها على السلطان أحد قضاة الروم، فكان دخولهم بتلك الرؤوس فوق الأعواد والقنا عيرة برز الناس إلى مشاهدتها، معروفة أعيانها، مثبتة صورها، مرسله شعورها، اتخذت (٥٧) لها بمتسور الغدر الذي افترعته خُشْبُ مدرجة، نصبت بها عن يسار المار إلى القلعة، وصِفَتْ به مثبتة بدسُر وأسباب لا يمكن معها سقوطها، يعلوها رأس رئيسها الشقي عيرة لأولي الألباب، وذكرى لأولي الاستبصار، ودفع الله الشر، وأسكن الذعر، وأمن الخوف، وصرخ (٥٨) العار، وتدارك القلعة، سبحانه لا إله إلا هو.

وأُنشد السلطان - أسعده الله - إلى هذه الغاية، في هذه الأحوال، من الشعراء من يذكر، فمن ذلك ما رفع به إليه " بمالقة"، الشيخ، الصدر، الفقيه، كاتب جده، الشهير في العلم والأدب، أبو جعفر بن صفوان [58]، وعلى تقيته ذلك كان مهلكه، والله در القائل : "والزهر يسقط نفسه إذ يثمر"، تجاوز الله عنا وعنه :

(كامل)

أَنْوَارُ سَعْدِكَ بِأَنْسَى تَتَأَلَّقُ
هِيَ نَوَلَةُ الْعِزِّ الْمَدِيدُ لَوَائِهَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لِبَهَائِهِ
شَهِدَتْ مَخَابِلُهَا وَقَالَ لِسَانُهَا :
أَيَّامُهُ عَدَلٌ يَفِيضُ وَنَائِلٌ
وَبَشَائِرُ مَوْصُولَةٍ يَسْرِي بِهَا
جَمَعَتْ شَمْلَ الْمَلِكِ فَاعْتَزَّ الْوَرَى
وَحَلَفَتْ أَسْلَافاً كَرَاماً كُلُّهُمْ
شَابُوا مَبَانِي الْمَجْدِ فِي أَيَّامِهِمْ
وَأَتَيْتْ مُقْتَفِيّاً قَرِيبَ سَبِيلِهِمْ
فَعَمَرَتْ مِنْ بَنِيَانِهِمْ مَا شِيدُوا
فَلَهُمْ بِكَ الْخَلْفَ الَّذِي وَرِثَ الْعَلَى
وَأَقِيَتْ رِيَّةٌ فَاحْتَلَّتْ بِأَفْقِهَا
أَلْقَى عَلَيْهَا السَّعْدُ مِنْكَ شِعَاعُهُ
وَزَهَتْ وَحَقٌّ لَهَا بِأَنْ تَزْهِيَ كَمَا
أُجْرِيتَ بَحْرًا مِنْ نَدَاكَ زَلَالُهُ
فَلَأَهْلُهَا وَلَهَا بِكَ الْفَخْرَ الَّذِي

وَبِمَا يُخْلَدُ أَمْرَ مَلِكِكَ تُشْرِقُ
بِالنُّصْرِ وَالتَّائِيدِ فَوْقَكَ يَخْفِقُ
وِكَمَالِهِ سَيِّمَا سَمُوْا تَطْبِقُ
مَلِكٌ سَعِيدٌ فِي الْمُلُوكِ (٥٥) مَوْفُقُ
غَمْرٍ وَشَاؤُ فِي الْعَلَى لَا يَلْحَقُ (٥٦)
فِي الْخَافِقَيْنِ مُغْرَبٌ وَمُشْرِقُ
لَمَّا تَنْظُمُ شَمْلُهُ الْمُتَفَرِّقُ
بِأَمْسٍ بِتَاجِ الْعِزِّ مِنْهُ الْمَفَرِّقُ
وَتَحْكُمُوا فِي وَصْفِهَا وَتَأْنِقُوا (٥٧)
فِيمَا لَهُ مِنْ صَالِحٍ قَدْ وَفَّقُوا (٥٨)
وَفَتَحَتْ بَاباً لِلْنَدَى لَا يُغْلَقُ
وَبِهِمْ لَكَ السَّلَفُ الْكَرِيمُ الْأَسْبَقُ
بِدَرٍّ وَأَضْحَتْ هَالَةً بِكَ تُخْدِقُ
قَلْبَهَا بِكَ الْمَرَأَى الْبَهِيحُ الْمُتَنَبِّقُ
بُشْرُوقِ نَوْرِ الشَّمْسِ يَزْهَوُ الْمَشْرِقُ
وَأَجَاجُ (٥٩) بَحْرِ جَاوَرْتَهُ مُفَرِّقُ
قَدْ قَلَدُوا أَسْنَى حُلَاهُ وَطَوَّقُوا

مَوْلَايَ عَبْدُكَ لِلْمَحَبَّةِ مُخْلِصٌ
لَمْ يُلْغِني (٦١) عَنْ نَظْمِهَا الْهَرَمَ الَّذِي
وَبَخْدَةِ السَّلَفِ الْكَرِيمِ وَسَائِلِي
يَرَعَى أَدْمَتَهَا الْكَرَامَ وَحَقُّهَا
وَمَقَامُكَ الْأَعْلَى بِرَعْنِي ذِمَامِهَا
لَا زِلْتُ مُحَرَّوساً تَحْوَطُكَ عِصْمَةٌ
تَضْفُرُ (٦٢) لَدَيْكَ دُرُوعَهَا فَهِيَ الَّتِي
وَعَلَى مَقَامِكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرٌ

/ 79 /

تَحْبِيرُ (٦٠) إِمْدَاحِي لِذَلِكَ مُصَدِّقُ
عَجَزَتْ لَهُ مِنِّي الْقَوَى وَالْمَنْطَبُ
حُمِدَتْ مَسَاعِيهَا فَمَا إِنْ تُخَفِّقُ
عِنْدَ الْأَكَابِرِ ثَابِتٌ وَمُحَقِّقُ
وَأَكِيدُ حُرْمَتَهَا أَحَقُّ وَأَخْلَقُ
مِنْ ذِي الْجَلَالِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ
مَا تَنْتَهِي أَبَدًا وَلَا تَتَمَزَّقُ
أُنْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيقِ وَأَعْبَقُ

وأنشد الفقيه الصدر، بطل هذا الشأن، وفارس الميدان، والبعيد الشأن،
البارع الخصل، الحائز قصب الشهرة، المتوقِّل قنَّة الإجابة، الفائز من الملوك بقداح
الحظوة، أبو إسحاق بن الحاج [59]، قوله :
(طويل)

نَائِتَ فَعَطَفَ الْفُصْنُ لَمْ يَتَأَوَّدِ
وَلَا تَفَتَّتْ فِي الرُّوضِ مَقْلَةٌ نَرْجِسِ
وَلَا ابْتَسَمَتْ لِلزُّهْرِ فِيهِ مِبَاسِمِ
وَلَا جَرَّ ذَيْلَ الْأَسِّ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا
وَلَا زُدَّ جَيْبُ الْغَيْمِ فَوْقَ حَدِيقَةِ
وَلَا انْفَضَّ مَجْرَى النَّهْرِ عَنْ نَوْبِ فُضَّةِ
عَسَى زَوْدَةٌ يَا سَاكِنِي الْجَزَعِ إِنْ لِي
وَلِي زَفْرَةٌ لَوْلَا نَوَامُ انْبِسَاطِهَا
وِطَانُ قَلْبِي لِاصْطِبَارِي مُقَرَّبِ
وَلَفَّحَ غَرَامِي فِي صَفَاءِ مَدَامِي
نَسِيتُ وَلَا أَنْسَى الْعَذِيبَ وَنَاهِدَا
لِيَالِي جَاذَبَتْ الشَّبَابَ أَرَاكَةَ
وَإِذَا أَنَا (٦٧) فِي نَعْمِ أَطِيلُ صَبَابَتِي
وَكَمْ لَيْلَةٌ حَلَيْتُ عَاطِلَ جِيدِهَا
وَفِي كَيْدِ (٦٨) الظُّلَمَاءِ قَدَحُ يَفْتُهَا
إِلَى أَنْ شَدَّتْ وَزِقَ الْحَمَامِ فَنَبَهَتْ
وَمَالَتُ كَوْوَسَ الشَّهْبِ حَتَّى حَسِبْتُهَا

/ 80 /

يَنْجِدُ وَخَدَّ الْوَرْدِ لَمْ يَتَوَرَّدِ
وَلَا اكْتَحَلَتْ مِنْ عَيْنِهِ (٦٣) بِإِثْمِدِ
لَهَا شَنْبُ مِنْ طَلْهَا الْمُتَزَيِّدِ (٦٤)
عَلَى شِبْهِ دُرٍّ بَيْنَ شِبْهِ زَبَرْجَدِ
يَصُورُ النَّدى مِنْ تَرْبِهَا الْعَطْرِ النَّدى
تَمُوهَا كَفَّ الْأَصِيلِ بِعَسْجَدِ
إِلَى الْجَزَعِ أَشْوَاقَا (٦٥) تَرُوحُ وَتَفْتَدِي
لَقَلْتُ وَمِيْخُ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ
بِطَائِرِ غُصْنٍ لِاصْطِبَاحِي مُفَرِّدِ
كَمَا انْطَبَعَتْ شَمْسٌ بِصَفْحِ مَهْنَدِ
تُصْبِخُ أَمَامَ الْحَيِّ لِلْمُتَنَهَّدِ
تَظَلُّ مِنَ اللَّذَاتِ أَعْدَبَ مَوْرِدِ
وَأَعْصِي عَنُودِي فِي الْهَوَى وَمُفْتَدِي (٦٦)
بِدُرِّينَ مِنْ شَعْرِ وَغُفْرِ مُنْضَبَدِ
بِنَارَيْنِ مِنْ شَمْعٍ وَوَجْدٍ مُكْمَدِ
بِمَا أَسْمَعَتْ مِنْ شِدْوِهَا كُلِّ مُنْشَبَدِ
مَسَائِلُهُ عَنْ خَمْرِهَا الْمُتَبَدَّدِ

وَأَرْعَفَ أَنْفَ الصَّبْحِ كَثْرَةَ شَمِّهِ
وَقَدْ هَمَّكَتْ سَحْبُ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
سَمِّي رَسُولَ اللَّهِ وَالْمَلِكُ الَّذِي
إِمَامُ الْهُدَى الْمَنْصُورُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
سَلِيلُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَكْرَمُ مُسْتَعْفٍ
مِنَ الرَّاكِظِينَ الْخَيْلَ تَزْجِفُ لِلْوَفَى
نَوَابِئُ مَجْدٍ فِي الصَّرِيحِ تَأْتِلُوا
سُرَاةً بَنِي كَهْلَانَ قَرَّتْ كَهْلُهُمْ
هُمُ الْقَوْمُ أَمَا مِنْ حَمَوٍ فَهُوَ غَالِبٌ
وَهُمْ مَا هُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي كَائِنَهَا
إِمَامُ حَوَى الْمَلِكِ الرَّفِيعِ وَبَوْنَهُ
فَبَاسُ كَسْفِجِ الْبَرْقِ فِي قَلْبٍ مَبْغُضٍ
وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَّ (٧١) السَّيْفُ بِضَارِبٍ
حَيَاةً لظَلْمٍ وَمَوْتَ لظَالِمٍ
يَلْذُ نَدَاهُ بَعْدَ إِرْهَابٍ بِأَسِهِ
وَيَرْضَى رِمَاحَ الْخَطِّ حَطْمُ قُدُودِهَا
وَيُخَسِّنُ فِي سَمْعِ الْحُسَامِ ضَرَابَةً
نَمَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ نَصْرٌ وَقَدْ حَوَى
لَكَ اللَّهُ مَا أَرْكَى مَنَاسِكَ (٧٢) الَّتِي
وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا وَرِثْتَ وَإِنَّهُ
صَدَعَتْ بِشَمْسِ الْعَدْلِ فِي مَشْرِقِ الْهُدَى
وَقَمَّتْ بِأَمْرِكَ كَانَ فَرَضًا عَلَيْكَ أَنْ
وَأَذْهَبْتَ عَنَّا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
وَقَدْ كُنْتَ أَوْحَشْتَ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
وَأَظْلَمْتَ الدِّينَ لِإِعْدِكَ وَاغْتَدْتَ
إِلَى أَنْ أَرَانَا اللَّهَ غَرَّتَكَ الَّتِي
وَكُنْتَ كَمَثَلِ الرُّوحِ عَادَ لِجِسْمِهِ
هَنِيئًا لِهَذَا الْقَطْرِ مَقْدُمِكَ الَّذِي
وَيُشْرِي الْوَدَى طَرًّا بِبَيْعَتِكَ الَّتِي
وَقَدْ رَعَتْ أَهْلُ الْبَغْيِ مِنْكَ بَعْرَمَةً
وَجَدْتَ بِمَا عَزَدْتَ لَا الْجُودَ مَوْكَسًا

لِمَسْكَ الدَّجَى حَتَّى رَمَى الْمَسْكَ مِنْ يَدٍ
مَدَامَعُ عَيْنِي أَوْ نَوَالٍ مُحَمَّدٍ
لَهُ شَادَتْ الْأَنْصَارُ أَشْرَفَ مُحْتَدٍ
1 / (٧٠) بِهِ الْأَسَدُ أَسَدُ الْغَابِ فِي الْوَلَبِ تَقْتَدِي
بِأَكْرَمِ مَا يُرْجَى وَأَعْظَمِ مُسْعِدٍ
سِرَاعًا كَأَمْثَالِ النُّعَامِ الْمَشْرِدِ
فَرُوعُ الْمَعَالِي بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ
وَشَبَابُهُمْ وَالشَّيْبُ فِي خَيْرٍ مُصْنَعِدٍ
عَدَاهُ وَأَمَّا مَنْ هَلَوَهُ فَمَهْتَدٍ
سَفَانُنْ فِي بَحْرِ مِنْ مَزِيدٍ
مَقَامٌ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ يَمْرُودٍ
وَجُودٌ كَسَحَ الْغَيْثُ فِي كَفِّ مُجْتَدٍ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الرِّمَاحَ بِمُقْصِدٍ
وَيُشْرِي لِمُعْتَدٍ وَيَبْلُ لِمُعْتَدٍ
كَمَا لَذَّ جَمْعُ الشُّمْلِ بَعْدَ تَبَدُّدٍ
إِذَا هَزَّهَا لِلطُّغْنِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
كَمَا تَخَسَّنُ الْأَمْدَاحُ فِي سَمْعِ سَيِّدٍ
عَنِ الْجَدِّ سَعْدًا أَيْ سَعْدٍ مُجَدِّدٍ
تَبَوَّأتْ مِنْهَا فِي الْجَنَابِ الْمُمَهَّدِ
لَعَنَ أَمَجْدٍ سَامِي الْعِلَاءِ فَأَمَجْدٍ
وَأَرْشَدَتْ مِنَّا لِلتَّقَى كُلُّ مَرْشَدٍ
تَقَوْمٌ بِهِ رُحْمَى بِكُلِّ مَوْحِدٍ
لَهَا فِي حَشَا الْإِسْلَامِ أَيْ تَوْقِدٍ
وَأَذْكَرَتْ حُسْنَ الْعَهْدِ فِي كُلِّ مَعْهَدٍ
مُرْدَدَّةً ذَكَرَ الْحَنِينَ الْمُرْدَدِ
جَلَّتْ كُلُّ بُشْرَى فِي مِطَالِعِ أَسْعَدِ
وَكَالْقَوْمِ وَاقِي (٧٢) الْعَيْنِ بَعْدَ تَسْهَدِ
2 / بِهِ ثَلَتْ أَمَالِي وَبَلَّغْتَ مُقْصِدِي
غَدَتْ رَفَقَى مَوْلَى الْجَمِيلِ وَمَشْهَدِ
سَتُودِعُ أَلْحَادَ الرَّدَى كُلَّ مَلْحَدِ
وَلَا النَّيْلُ بَعْدَ الْعَوْدِ يَوْمًا يَبْعَدِ

وما أصْلَحَ العلياءَ والمجدُّ مُصْلِحٌ
أقولُ لحادي العير (٧٤) والليلُ ضاربٌ
وقدْ أجهَدْتُ عِوَجَ الرِكابِ لَبَانُهَا (٧٥)
وداعَكَ عَنْ كُلِّ الملوِكِ وعِجْ بِهَا
وأُمِّلْ أَمِيرَ المُسلمينَ مُحَمَّدًا
أَمْوَلَايَ حُبِّي مَا عَلِمْتَ وَإِنَّهُ
وأُمَّا مَدِيحِي فِي عُلاكَ فَأَوْحِدْ
فَعَدَّ لِي بِمَا عَوَدْتَ قَبْلُ مَوَاصِلًا
ودَعِ عَنْكَ مَا قَالَ العَدُوُّ فَإِنَّهُ
رِمَانِي بَدَاءَ هُوَ وَاللَّهِ دَاوُدُ
وَكُلُّ الَّذِي رَكَاهُ فِي الغَرْبِ حَاسِدٌ
وإنِّي لِرَاجٍ أَنْ يَخِيبَ احْتِيَالَهُمْ
بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي خَيْرِ نَوَلَةٍ
ولا زِلْتُ فِي عَزِّ وَفَتْحِ مَوَاصِلِ

/83/

ثم أنشد بعد ذلك :

(كامل)

وافْتَكَّ بِالْخَيْرِ الطَّيِّبِ الْمُبْهَجِ
رَدَّتْ بِهَا الدُّنْيَا نَضَارَةً حُسْنَهَا
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذِهِ الْبُشْرَى التِّي
خَابَ الْبُغَاةُ الْغَادِرُونَ وَقَدْ أَتَى
وَأَتَتْ رُؤُوسُ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ
فَقَدَّتْ قَوِيْمَ جَسُومِهَا ثُمَّ انْتَنَتْ
حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى السُّورِ الَّذِي
نُصِبَتْ بِهِ مُسَوْدَةٌ عِبْرًا لِمَنْ
وَكَانَتْهَا قَطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ (٨٠) الَّذِي
مَا ثُمَّ إِلَّا اللَّهُ قَاهِرٌ مَنْ بَغَى
هَذَا عَنَابَةُ رَبِّنَا بِمَعَاشِرِ
خَرَجُوا عَنِ الْأَوْطَانِ قَبْلُ وَحُبُّهُمْ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ كَخَابِطِ

لأمواله يومَ النَّدَى غَيْرُ مُفْسِدٍ
بِأَكْوَارِهَا فِي كُلِّ قَفَرٍ وَقَدْ قَسِدِ
تُنَّتْ كُلُّ صَبْرٍ دُونَهَا وَتَجَلَّدِ
لأَحْمَدَ مَلِكِ سَاسِ أُمَّةٍ أَحْمَدِ
تَجَدَّ خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمَ مُتَّجِدِ
لأَكْرَمِ حُبِّي فِي الْخُلُوصِ مُؤَكَّدِ
يُقَدِّمُهُ صِدْقُ الرُّجَاءِ لِأَوْحَدِ
رِضَاكَ وَأَحْمَدُ سَعْيِي عَبْدَكَ تُحْمَدِ
بِقَاسِ أَتَى بِالزُّرْدِ فَعَلَّ تَعَمُّدِ
وإنْ يَسْأَلِ الْحَقُّ الَّذِي بَانَ يَشْهَدِ
مَتَى تُلَّتْ خَيْرًا مِنْكَ مَوْلَايَ يَكْمَدِ (٧٦)
فَعَادَةُ رَبِّي أَنْ يَخِيبَ حُسْدي
يُقَصِّرُ مِنْهَا الْيَوْمَ فِي النَّصْرِ عَنْ غَدِ
وَسَعْدِ وَإِسْغَادِ وَمُلْكِ مَوْيِدِ

بُشْرَى كإقبال الصُّبْحِ الْأَبْلَجِ
وَعَدَتْ تَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُرْتَجِ
أَهْدَتْكَ كُلَّ مَفْرَجٍ وَمَفْرَجِ
رَأْسُ الشَّقِيِّ الْخَائِنِ الْمُسْتَدْرَجِ (٧٧)
تَشْكُو لَجَرِ الشَّمْسِ أَيُّ تَوْهَجِ
وَجَسُومِهَا مِنْ كُلِّ رُمَحٍ أَعْوَجِ
طَلَعَتْ بِهِ فِي جَنَحِ لَيْلٍ مَدْعِ
قَدْ جَاءَ مَعْتَبِرًا هُنَاكَ وَمَنْ يَجِي (٧٨)
غَدَرُوا بِهِ الصَّمْرَاءَ بَعْدَ تَلْجَاجِ
وَمَفْرَجِ الْكُرْبَاتِ لِلْقَلْبِ الشَّجِي
أَفْضَالُهُمْ لِسْوَالِهِمْ لَمْ يُخَوِّجِ
عَنْ كُلِّ قَلْبٍ عِنْدَهَا لَمْ يَخْرِجِ
فِي الْبَيْدِ يَطْوِيهَا كَطَيِّ الْمُدْرَجِ

مُتَطَلِّعٍ مِنْ كُلِّ نَجْدٍ قَاذِفٍ
لَوْ سَأَمَ فِي طَالِقٍ لِأَصْبَحَ ذَارِيحًا
أَدَّى الْبِشَارَةَ وَهِيَ خَيْرُ بَشَارَةٍ
مَلِكٍ وَأَشْيَاعَ لَهُ وَقَرَابَةَ
قَدَمِ الْجَمِيعِ وَكَانَ يَوْمَ قَدِيمِهِمْ
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مَقْضَضٍ وَمَذْمُوبٍ
وَالْقَضْبُ تَرْقُصُ وَالْقَدِيرُ مُصَفَّقُ
وَالرَّيْحُ قَدْ فَهَمَتْ حَدِيثَ قَدِيمِهِمْ
وَالْأَرْضُ هَذِي (٨١) الْأَرْضُ تَبْسُطُ خُدَمَهَا
أَهْلًا بِمَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ سَعَادَةٍ
يَعْفُونَ إِنْ قَدَرُوا وَيُولُونَ الرُّضَى
فَهُمُ الْغَيُوثُ إِذَا الْمُحُولُ تَوَاتَرَتْ
الْمُوقِبُونَ النَّارَ فَنَقَّ شَوَاهِقُ
وَالضَّارِبُ (٨٢) طُولُ الْكُمَاةِ بِمَارِقِ
وَالطَّاعِنُ (٨٣) كُلُّ الْفَوَارِسِ فِي الْوُغَى
مَرَجَتْ عَهْدُ الدَّرْعِ يَوْمَ ضَرَابِهِمْ
مِنْ ضَنْضُنِي الْمَجْدِ الَّذِينَ (٨٤) طَلَابُكِهِ
فِي سِرِّ قَطَّانٍ قَدْ انْتَسَقَتْ لَهُمْ
شَرَفٌ إِذَا كَأْسُ الْمَعَارِفِ شَعْشَعَتْ
مِنْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ السَّذِيِّ
وَبَلَاةُ قَيْسٍ وَهُوَ أَكْرَمُ مَا جَدِ
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذُو الْجَلَالَةِ وَالْعُلَى
وَلَقَدْ نَمَى نَصْرًا مُحْيَا كَأَسْمِهِ
وَأَتَى الْأَنْثَى مِنْ أَبْنَائِهِ
خُلَفَاءُ أُمَّةٍ أَحْمَدُ وَغِيَاثُهُمْ
كَالْجُيُوشِ بَدَتْ لَنَا وَمُحَمَّدُ
مَلِكُ الْمُلُوكِ وَخَيْرُ مَنْ قَهَرَ الْعَدَى
يَا رَاكِبًا يَطْوِي الْفَلَاةَ بِجَسْرَةٍ
مَنْ تَسْلُ شِدْقُكُمْ لَا تَعْلُ مِنَ السَّرَى
تَشْنُو إِذَا جَنَّ الدُّجَى بِقَصَائِدِ
أَقْصَدَ بِأَنْدَالُسٍ أَعَزَّ خَلِيفَةَ

84 /

بِأَغْرَ نَهْدٍ مِنْ سُلَالَةِ أَعْوَجٍ
تَرَبَّ الْعِرَاقِ عَلَيَّ أَبَاطِحَ مَنِيحٍ
وَأَفَتَ بِخَيْرٍ مَعْمَمٍ وَمَتَوَجٍ
أَلَسْتُ شِدَائِسُدَ دَهْرِهِمْ لَتَفَرِّجِ
لَا يَرْتَجِيهِ كَمَا رَأَاهُ الْمُرْتَجِي
وَالرُّوضُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمَذْبَحِ
وَالْوُرُقُ قَدْ غَنَّتْ وَلَمْ تَتَلَجَّجِ
فَحَبَّتْ بِكُلِّ مُعْطَرٍ وَمُؤَرِّجِ
لِلضَّارِبِينَ قَبَابِهِمْ بِالْمُدْرِجِ
بِسَوَاهِمُ صَدْرُ الْعُلَى لَمْ يَتَلَجَّ
وَيَقُلْ عَنْدَهُمُ الْكَثِيرُ لِمَلْتَجِ
وَهُمُ اللَّيُوثُ غَدَاةُ يَوْمِ تَوَلَّجِ
كَادَتْ تَذُوبُ (٨٥) بِجَاحِمٍ مُتَأَجَّجِ
إِنْ يُدْعُ لِلْمَوْتِ الزَّوَامُ يَغْرِجِ
بَشِيهِ أَرْشِيَةَ (٨٦) يَلُوحُ بِمُدْلَجِ
وَعَهْدُ فَتَكُ سَيُوفُهُمْ لَمْ تَفْرِجِ
دَرَجَا وَطَيْبُ شَائِهِمْ لَمْ يَسْدِرِجِ
سَرَوَاتُ أَرْحَامِ كِرَامٍ وَشَجِ
فَيَغْيِرُ طَيْبُ حَدِيثِهِمْ لَمْ تَمَزِجِ
قَدْ شَادَهُ سَعْدٌ كَبِيرُ الْخَزْدِجِ
نَدَبُ بَغْيٍ فُضَائِلُ لَمْ يَلْهَجِ
وَالْحَمْدُ بِأَسْمِ الْبَشْدَا الْمُتَارِجِ
فَالْحَقُّ لَوْلَا نَصْرُهُ لَمْ يَعْرِجِ
كُلُّ لَهُ شَرَفٌ كَرِيمُ الْمُنْتَجِ
إِذْ لَا مَفِيَتْ غَدَاةُ خَطْبٍ قَدْ يَجِي
شَمْسٌ بِأَفْقِ عُلَاهِمُ الْمُتَبَرِّجِ
مَنْهُمْ وَأَكْرَمُ مَلْجَمٍ أَوْ مُسْتَبْرِجِ
كَالْقَدَحِ تَبْصِيرُهُ بِكُفِّ مُعَوِّجِ
أَوْ تَصْدَعُ الْبَيْدَاءُ صَدْعُ الْبَدْلُجِ
الْأَدَاةُ (٨٧) فِي حِفْظِهَا لَمْ تُخَوِّجِ
فِي عَصْرِهِ وَأَجَلُ مَلِكٍ قَدْ رَجَبِي

85 /

واخْصُصْ بِمَا نَظَّمَتْ مَوْلَى مُتَعَمِّاً
أَضْحَتْ مَدَانِحُنَا خَدَاجاً كُلَّهَا
مَا الْأَرْضُ فِي الزَّمَنِ (٨٨) الْجَدِيبِ إِلَى الْحَيَا
يَا مَنْ يَفَاخِرُهُ وَرَأَىكَ تَلَيْسَ ذَا
مَلِكٌ لَهُ خَضَعَتْ تَبَايَعُ حَمِيرُ [61]
لَوْ كَانَ عِنْدَ الْبَدْرِ بَعْضُ جَمَالِهِ
أَوْ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ بَعْضُ وَقَارِهِ
أَوْ جَارَتْ الظُّلُمَاءُ نَسْرَ جَبِينِهِ
أَغْنَاهُ شَرْبُ دَمِ الْعَدَى، وَلِوَاوِهِ
لِلَّهِ فِي يَوْمِ الْحُرُوبِ مُحَمَّدٌ
وَالْخَيْلُ تَرْحَفُ بِالْكَمَاءِ كَانَهَا
مِنْ أَشْهَبِ كَالطُّرْسِ لَاحِ الطُّغْنُ فِي
أَوْ أَشَقَرُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَ فِي دُجَى
أَوْ أَحْمَرُ عِرْقَتْ نَوَاصِعُ نَحْرِهِ
أَوْ أَصْفَرُ لَبِيسُ الْأَصِيلِ وَعِرْفُهُ
أَوْ أَذْمَرُ كَسَوَادِ عَيْنٍ فَتَحَّتْ
أَوْ أَشْعَلُ كَضِرَامِ نَارٍ إِنْ يَطْلُلُ
مِنْ خَيْرِ انْتَاكِجِ الْوَجِيهِ وَلاحِقِ [62]
تَنْقُضُ عِقْبَاناً وَفَوْقَ ظُهُورِهَا
أَقْسَمْتُ مَا حَسَنَاءُ طَرَةً (٨٩) دَمِيَّةٌ
مِنْ عَفْرِ أَرَامِ الْكَنَاسِ بِوَجَرَةٍ
مَضْغُوفَةٌ مَجْرَى الْوِشَاحِ تَخَالُهَا
مَعْشُوقَةُ اللَّحْظَاتِ طَيِّبَةُ الشُّدَا
كَكَافَاةِ سَقِيَّتِ بِمَاءِ غَمَامَةٍ
يَوْمَا بِأَشْهَى عِنْدَهُ مِنْ مَشْهَدِ
وَلَقَدْ حَلَقْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْأَلَى (٩٠)
مَا الزَّمَرُ مُتَمَسِّكاً بِأَذْيَالِ الصَّبَا
أَوْفَى لَدِيهِ مَحَاسِنُ مِنْ رَايَةٍ
شَهْمُ أَخَوِ حَزْمِ سَلِيمٍ رَأْيُهُ
لَوْ كُنْتُ (٩١) تَشْهَدُهُ أَمَامَ بِلَادِهِ
وَإِذَا الْمَنَايَا تَلْتَطَيُّ بِجِهَاتِهَا

/86 /

/87 /

لِسَوَى عَلَاهُ النُّظْمُ لَمْ يَتَخَوُجْ
فَإِذَا خَصَصْنَاهَا بِهِ لَمْ تُخْذَجْ
مِنَّا إِلَى جَدْوَى يَدَيْهِ بِأَخْوَجْ
يَوْمًا بَعَثَكَ فِي الْمَفَاخِرِ فَادْرُجِي [60]
وَبِنُو (٨٨) الْأَعَاظِمِ مِنْ قِبَائِلِ مَدَحِجْ
عِنْدَ انْخِسَافِ كَمَالِهِ لَمْ يَتَهَيَّجْ
عِنْدَ اشْتِدَادِ الرِّيحِ لَمْ يَتَمَوَّجْ
لَمْ تَبْغِ صَدْعُ صَبَاحِهَا التَّبَالُجْ
عَنْ مَوْرِدِ عَذْبٍ وَظِلِّ سَجْسَجْ
وَالْأَرْضُ تَشْرِقُ بِالْقَنَا الْمُتَوَشَّجْ
بَحْرُ وَبِيضُ الْهِنْدِ طَامِي الْأَمْوَجْ (٩٠)
لَبَّاتِهِ كَسَطُورِ خَطِّ مَدَمَجْ
نَقِمَ بِكَرَّاتِ الْخِيُولِ مُهَيَّجْ
فَقَدَتْ كَمِثْلَ الْخُمُرِ مَهْمَا تَمْزِجْ
كَالْثَّلِ فَاضَ عَلَى الْأَصِيلِ الْمُبْهَجْ
وَحِجْوَالُهُ كِبْيَاضِهَا الْمُسْتَمْزِجْ
فِي الْحَرْبِ هَائِلُ نَفْخِهِ يَتَأَجُّجْ
قَبِ الْأَيَاطِلِ مِثْلُهَا لَمْ يَنْتَجِجْ
أَسَدٌ مَتَى دُعِيَتْ نَزَالُ تَهَيَّجْ
تَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفِ أَحْوَرِ أَنْعَجْ (٩١)
مُنِيَّتِ بِأَيِّ مَجَلَسِي وَمَهْجَجْ
بَذَرَا عَلَى غُصْنِ بَدْعٍ حَرَجْ
تَقْتَرُّ عَنْ أَلْمَى أَغْرُ مَقْلَجْ
فِي رَوْضَةِ بِالزَّفَرْدَاتِ تَارِجْ
بِسَوَى الْحُسَامِ بِكَفِّهِ لَمْ يَقْرِجْ
بِسَوَى مَوَاقِفِ قَوْمِهِمْ لَمْ يَحْجِجْ
فِي إِيْرٍ وَيَلِ الْبِطَاحِ مُدْبِجْ
مِنْ فَوْقِ رُمُحِ بِالْأَمْهَاءِ مُضْرِبْ
لَمْ تَرْمِ كَفَ النُّقْدِ مِنْهُ بِيَهْرِبْ
أَيَّامَ لَمْ تَمْتَحِنَ وَشَكَ تَوَلَّجْ
كَالنَّارِ تُشْعَلُ فِي الْغُضَا وَالْعَرْفَجِ

لَرَأَيْتَ لَيْثًا وَالْفَوَارِسُ دُونَهُ
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بَفَتْحِهَا
وَأَذَلَّ مَائِلٌ قِتْنَةً خَبِطَتْ إِلَيْهِ
وَأَتَى إِلَى غَرْنَاطَةٍ فِي طَالِمٍ
قَبِيتَ لَهُ مِثْلُ الْعُرُوسِ وَإِنَّهَا
أَضْفَى عَلَى أَعْطَافِهَا حَلَّلَ الرُّضَى
وَحَوَى بِهَا الْمُلْكَ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
وَتَزَيَّنَتْ مِنْ وَجْهِهِ أَفَاقُهَا
فَاسْمَعُ مُحَمَّدٌ حَمْدَهَا فِقْيَاسَهُ
وَلْيَكُنْهَا مِنِّي مَدَائِحَ أَنْهَجَتْ
وَلَوْ أَنِّي أَعْطَيْتُ كُلَّ بَلِيفَةٍ
لَأَتَيْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا وَلَمْ
فَاشْرُفْ وَسَدَّ وَاسْعَدَ وَعَزَّ وَجَدَّ وَصَلَّ
وَاللَّهِ يَمْنَحُكَ الْأَمَانِي كُلَّهَا

ورفع بعد ذلك متوسلا بقوله :

(طويل)

حَظِيَّتَ بَعْدَ الْمُلْكِ وَالشَّرَفِ الْمُخَضِرُ
وَفَضَّلَكَ الرَّحْمَانُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَأَصْبَحْتَ فِي الْأَمَلِكِ أَمْجَدَ وَاحِدٍ (٩٦)
نَمَاكَ إِلَى الْعُلَيَاءِ كُلِّ خَلِيفَةٍ
وَيَا لَكَ مِنْ ذُرِّيَةِ (٩٧) ظَلَّ بَعْضُهَا
عَدُوَّكَ أَضْحَى بِالرَّمَاكِ مُجَدِّلاً
وَقَدْ كَانَ يَشْقَى بِالنَّدَامَةِ قَبْلَهَا
يَمِينًا لِهَذَا الْعَصْرِ نَحْوَكَ قَدْ أَتَى
وَمَلِكِ (٩٨) طَاهِرٍ وَمُطَهَّرٍ
قَدِمْتَ عَلَيْنَا بِالْجِيُوشِ وَإِنَّمَا
عَلَى كُلِّ طَرَفٍ سَابِغُ الذِّيلِ سَابِقُ
جِيَادٍ تَمَلُّ الْعَيْنُ مِنْ طُولِ شَاوَرِهَا
شَهِدَتْ لَقَدْ أَطْلَعْتَ غُرَّ كَتَائِبِ

مَنْفُضَةً مِثْلَ النِّعَامِ الْهَبْدِجِ
وَعَدَتْ نَفُوسُ الْخَلْقِ ذَاتَ تَحَشُّرِجِ
أَعْطَانَهَا خَبِطَ الْبَعِيرِ الْأَعْرَجِ
لِلسَّعْدِ هَادٍ نَحْوَ أَكْثَرِمٍ مِنْهَجِ
بَسَوَى نُجُومِ الْأَفَقِ لَمْ تَتَمَوَّجِ (٩٩)
فَهَفَّتْ إِلَى ذِكْرِي الْخَبِيبِ لَهَا الشَّجِي
وَبِكَلِّ مَدَحٍ يَرْتَضِي قَمَنُ حَاجِجِ
بِأَجَلٍ مِنْ قَمَرِ السَّمَاءِ وَأَبْهَجِ
لِسَوَى مَقَامِكَ شَكْلُهُ لَمْ يَنْتَجِجِ
بُرْدُ الزَّمَانِ وَبُرْدُهَا لَمْ يَنْتَهَجِجِ
وَبِكَلِّ مَا يَهْوَى الْبَيَانَ إِلَيَّ جَبِي
أَبْسُطْ سَوَى كَفِّ الْفَقِيرِ الْمُحَوِّجِ
وَالْتَدَّ وَاصْعَدَ وَاسْمُ وَانْقَمَ وَافْجِجِ
مَا احْتَلَّ بَدْرُ فِي ثَوَانِي الْأَبْرَجِجِ

88 /

وَمَكَّنَكَ الرَّبُّ الْمُهَيَّنُ فِي الْأَرْضِ
فَقَمَّتْ بِمَا يَرْضِيهِ فِي الثَّقَلِ وَالْفَرَضِ
تَحَضُّ عَلَى دِينَ النَّدَى أَيْمًا حَضِ
بِأَمْرِ إِلَهِ الْعَرْشِ تُصَدِّعُ أَوْ تَقْضِي (١٠٠)
كَمَا شَاءَهُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ مِنْ بَعْضِ
وَذَاقَ مِنَ الْإِذْلَالِ مَضًا عَلَى مَضِ
فَمَهْمَا خَلَا أَدْمَى الْأَنَامِلِ بِالْعَضِ
بَنَحْرٍ لِابْكَارِ الْبِشَائِرِ مُفْتَضِ
نَقِي ثِيَابِ الْمَجْدِ مُسْتَصَوِّنِ الْعَرَضِ
قَدِمْتَ بِأَسَدِ سَرِيعِ الْوَيْبِ وَالرَّيْضِ
يَكَادُ يَذِيبُ اللَّحْمَ بِاللَّوْكِ وَالْعَرَضِ
وَلَكُنْهَا مَا إِنْ تَمَلَّ مِنْ الرُّكُضِ
إِذَا عَرَضْتَ أَذْكَرْنَا مَوْقِفَ الْعَرَضِ

89 /

تُرِي النَّقْعَ سَحْبًا أَثْقَلَتْ بِدَمِ الْعِدَى
إِذَا خَفَقَتْ أَعْلَامُهَا فَرَمَاحُهَا
حَمَيْتَ حِمَى الْإِسْلَامِ فَالَلَهُ رَيْنَا
إِذَا مَا دَنَا مِنْ أَفْقِ مُلْكِكَ مَارِدِ
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكٍ لِسَيْفِكَ مُنْتَقِضِ
تَتَنَامُ الرَعَايَا تَحْتَ ظِلِّ أَمَانِهِ
هَمَامٌ إِذَا مَا هُمْ أَمْضَى عَزِيمَةٍ
تُثِيرُ أَحْمَ النَّقْعِ كُحْلًا جِيَادُهُ
نُهَوِضُ إِلَى الْأَعْدَاءِ لَا فِعْلَ بِأَسِهِ
يَمِيضُ عَجَاجُ اللَّيْلِ أَسْوَدَ حَالِكَا
مُحَمَّدُ الْمُحِبُّوبُ بْنُ يَوْسُفَ الرِّضَى
أَخُو الرُّشْدِ لِلْعُلَيَّا وَلَكِنْ حُسَامُهُ
وَطَبِيقُ أَفَاقِ الْبَسِيطَةِ مَذْخُهُ
كَرِيمٌ عَلَى التَّعْذَالِ لِلْمَالِ مُسْخِطِ
إِذَا مَا شَكَ قَبِيضًا أَخُو الْفَقْرِ عِنْدَهُ
وَأَفْعَالُهُ تَخْتَصُّ بِالْخَفِضِ وَالْفَنَى
دَرِيٌّ بِكَسْبِ الْمَذْحِ يُفْنِي نَظِيمَهُ
إِذَا مَا حَدَا الرِّكْبَانُ فِي السَّيْرِ بِاسْمِهِ
وَلَا عَيْبَ فِي عُلَيَّانِهِ غَيْرَ أَنْهَا
أُمُولَايَ جَاءَ الْعِيدُ وَهُوَ مُذَكَّرُ
بَقِيَتْ عَزِيزُ الْمُلْكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا

/ 90 /

فَبَرِقَ الظُّبَا مَا بَيْنَهَا صَادِقُ السُّومَضِ
كَأَنَّمَلِ أَسَى فِي الْحَنُوقِ عَلَى النَّبْضِ
يَضَاعَفُ مَا قَدِمَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْقَرِضِ
رَمَاهُ بَنَجْمٍ مِنْ سِنَانِكَ مُنْقَضِ (١٠٠)
وَاللَّطَرَفُ فِي يَوْمِ الْوَعَى أَبَدًا مُنْضِ
وَأَجْفَانُهُ لَمْ تَكْتَحِلْ سَنَةَ الْقَمَضِ
هِيَ السَّيْفُ بَلْ بِالسَّيْفِ تَزْدِي إِذَا تَمَضِي
إِذَا الشُّنُوسُ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْأَعْيُنِ الْمَرَضِ
تَزُلْ وَلَا مَمْشَاهُ (١٠٢) لِلْحَرْبِ بِالْذُّخْرِ
فِيكَشَفُ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ النَّصْرِ مَبْنِيضِ
بَأَيِّ رِضَى بِالسَّعْدِ أَحْكَامُهُ تَقْضِي
يَدِينُ مَعَ الْأَجَالِ فِي الْحَرْبِ بِالرَّفْضِ
فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الطُّولِ وَالْعَرَضِ
وَلَكِنَّهُ سَخِطَ لِكُلِّ الْوَرَى مَرَضِ
ثَنَاهُ وَلَا قَبْضُ وَلِلْمَالِ ذَا (١٠٣) قَبْضِ
فَاعْجَبْ لِلْأَفْعَالِ تَخْتَصُّ بِالْخَفِضِ
بِمَالِ شَتِيَّتِ بِأَلْدَى جِدِّ مُنْفَضِ
طَوْتُ عَيْسُهُمْ مَا لِلْفَلَاةِ مِنَ الْعَرَضِ
تَرَى مَالَهَا طَوْلَ الْعِدَاةِ وَالْبَغْضِ
لِأَحْوَالِهِ يَا خَيْرَ مَنْ عِيدُهُ يَرْضِي
وَمَالَتْ قَدُودُ الْقَضْبِ فِي رَوْضِهَا الْفَضِ

وَأُنشِدُ الْفَقِيهَ الْعَدْلَ، الْمُرْتَقِيَ بَعْدَ إِلَى تَعْلِيمِ الْأَمِيرِ وَادِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ

الشَّرِيشِي [64]، قَوْلُهُ :

(طَوِيل)

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْمُلْكُ
وَكُلُّ الْبَرَايَا فِي يَمِينِكَ أَلْقِيَتْ
فَمَا جَرَتْ الْفُلُكُ الْمَوَاحِرُ أَوْ رَسَّاتُ
وَمَا عَدَتْ الْجُرُودُ السَّوَابِقُ إِذْ عَدَدَتْ
وَلَا أَعْلَمْتُ سُمُرَ الْعَوَامِلِ وَالْقَنَاسَا
وَلَا جَرَّتِ الْأَفْلاكُ إِلَّا بِسَعْدِكُمْ

فَكُنْ كَيْفَ تَهْوَى فَالزَّمَانُ لَكُمْ مَلِكُ
مَقَالِيدُهَا وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْفُلُوكُ
سَوَى لَتَنَالِ الْمُلْكَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ
طَلَابُ تَرَاثٍ فِي مَدَاكِ لَهَا دَرَكُ
وَلَا لَيْسَتْ إِلَّا إِلَى نَصْرِكَ التُّرُكُ
فَجَرُّ عَلَى أَعْدَانِكُمْ سَيْفُهُ الْهَلَاكُ

فيا مالك الأملاك غير مدافع
ويا وارث العلياء عن خير واليد
من الغالبين الذين لدى الوفى
بني نصر الأعلين أنصار أحمد
هم نصروا المختار في كل مشهد
وشدوا عرى الإسلام بعد انفصامها
وهل مثلهم إلا سلاله مجدهم
فيا أيها المنصور والملك الذي
لك الله ما أخفى لطائف قد بدت
سلكت سبيلا أعجز الخلق كنهها
خلعت ولا شين وحسبك إسوة
وفارقت دار الملك لا عن قلى لها
ولكن قضاء الله يجري وحكمه
وكتت كما الباقوت قلب في عى (١٠٦)
وأحت كبد التم إذ نال شخصه
أعدت ضيا الإسلام من بعد ظلمة
وقرت بأجر الصبر والظفر الذي
لذاك بدا ثغر الهدى وهو ضاحك
فهنت يا مولاي أرغد عيشة
قدمت على "غرناطة" وعروضها
وأويتها بعد الزخاف سلامة
وأبرمت عقد السلم بعد انتفاضه
فأهدتك بشرى من ربها لنشرها
وثغر الأتاعي افتت من جدل يك
وورد الرياض أحمر من خجل به
فهنتها مولاي عود خلافة
وإننا لترجو أن تعود كبدتها
فلمكم والصفح منكم وراثته
فأول المسي منهم فضل حلمكم
وهنت ما خوات من هلك غادر
جزاء فاقا من حكيم مهيم

ووسطاهم إما ينظّمهم سلك
به في سماء المجد قد رفع السمك
لسمر العوالى فوقهم شهب تذكو (١٠٧)
ومن في قم الأيام ذكرهم ضحك
وهم أثروا إذ (١٠٨) كان من غيرهم مسك
فأصبح دين الحق لم يعبره إفك
محمد الأرضى الذي حبه نك
محبتة دين وبغضته شرك
لذلك من الرحمان لم يخفها شك
فهل ملك في طي أثوابه ملك
بملك الذي لا يتغى مثله ملك
ولا عن ملال كان منها ولا فرك
وهل أحد عما قضى الله ينك
وكالذهب الإبريز خلصه السك
خسوف ومن بعد استبانته به الحيك
وجمعت شمل الدين وأفترق الشرك
قد أعقبه يا حسنة عمل يزكو
وحق لأرباب الضلالة أن يبكوا
وإن الذي ناواك عيشته ضحك
توالى على أجزائها الجزء والنهك
وإن الخليل [65] يرتضى ذاك لا شك
بكف بغاة في الجهالة ما انفكوا
بنود شقيق منذ بعدكم حلك
كما زهر الروض الأنيق له ضحك
وعرف الربى يحكي شذاك له المسك
أعيد لها الإسلام والدين والشك
بفلكم والظلم يرفع والفتك
وحاشاكم من أن يكون لدا ترك
لتلقاه عبدا يشكر الحلم لا يشكو
وأشباعه والغدر يتبعه الهلك
له البطش والإمهال والأخذ والترك

لقد ركبوها في الزمان عظيمة
 وراموا لدى الروم النجاة سفاهة
 فقد أصبحوا ما بينَ عانٍ مُقيِّدٍ
 وبينَ قَتيلٍ في الجحيمِ مُخلَّدٍ
 لقد سولت نفس الشقي له منى
 ونظمت الأسيافُ جَوهراً عَمَّهم
 تحلى به جيدُ الزمانِ وأطلعَت
 وقد كحلت ألوانها فكأنها
 وقد خطَّ بالهندي في صفحاتها
 فهناك الرحمان يا خير مَالِكٍ
 ولازلت منصور اللواء مؤيداً
 وعشت رفيع القدر في ظل غبطة

لوَقَعَتْها قد كادت الأرضُ تَنزِدُكُ
 وأنى لهم من أخذة الله مُنْفَكُ
 يقيد هوان ماله أبداً فكُ
 وفوق أديم الأرض من دمه سفكُ
 أنته المنايا قبل وانتشر السلكُ
 بسلك الردى أنى يرى مثله سلكُ
 على شُرقات النصر أصدافها السكُ
 ليااليهم اللاتي غدرن بها الحلكُ
 خطوط لذي ذكرى ومعتبر يزككو
 عوارف رَحْمَى مِنْ إِلَهٍ لَهُ الْمُلْكُ
 وسيفك في صدر العدو له فتكُ
 عبيدُ نَدَاك العُربُ والرومُ والتُركُ

وأنشد الفقيه الأديب، أبو بكر بن الفقيه الكاتب أبي القاسم بن قطبة [66]

قوله :

(كامل)

وجهُ الزمانِ بدا له استيشارُ
 انظر إلى الدنيا يروك حُسْنُها
 لستَ ملابس سنْدُسٍ أعلامها
 وتفتحُ الوردُ النضيرَ بروضه
 وتأرجت نفحاته فكأنما
 وكأنما عشقَ الحيا زهر الرُيى
 وكأنما زار الحبيبَ مُحِبُهُ
 وكأنما خشي الرقيبَ فجردت
 وكان حرَّ الشمسِ خيفاً سُدلت
 وكأنما سَجَعَتِ بجود مُحَمَّدٍ
 ملك يُعزُّ المسلمونَ بملكه
 إن ساءَ أحجَمَتِ الأسودُ ضراعه
 أو لاحَ في نادِي المكارمِ وجهه
 لا تحسبوه كالضراغمِ ريمما
 من قاس بالأنواءِ جودَ بنائمه

فاشربَ فكاساتِ السرورِ تُدارُ
 من بعدما ريعت بها النظارُ
 من ذي الأَظْهَرِ فضةً ونضارُ
 فاصفر من خجلِ هناك بهارُ
 قامت بشكر نسيمها الأطيافُ
 فلذاك تبسمُ أن يكى الأَظْهَارُ
 سراً فرامت ستره الأشجارُ
 أسافها تخمي الحمى الأنهارُ
 للسحبِ فوق رؤوسنا استارُ
 فبدا على عجل لها استعبارُ
 وبذل من سطواته الكفارُ
 أو جاد ودت جوده الأمطارُ
 خجلت بنور جبينه الأَقْمارُ
 عند الضراغمِ يستخامُ الجارُ
 فلقد تخيد، وجوده مِدَارُ

أُحْمَدُ لَمَّا قَدِمْتَ تَيَمَّنْتَ
عَهْدِي بِأَنْدَلُسٍ وَقَدْ قَارَقْتَهَا
وَالْأَرْضُ رَاجِفَةٌ تَمُودٌ وَأَفْلُهَا
وَالْمَلِكُ يَلْطِمُ خَدَّهُ مِنْ حَسْرَةٍ
وَالْفَادِرُونَ بِهَا مَلُوكَ إِسْنُوَةٍ
قَدْ أَلْبَسُوا حُلَّ الْمُلُوكِ وَطَالَمَا
وَتَوَهَّمُوا أَنْ لَا زَوَالَ لَأَمْرِهِمْ
وَلَجُوا عَلَى رِضْوَانٍ لَيْسَ لَهُ دَارُهُ
قَتَلُوهُ مَا بَيْنَ الْبَنِينَ وَمَثَلُوا
مَا كَانَ قَصْدُهُمْ سِوَاكَ وَإِنَّمَا
وَقَضُوا عَلَى أَخِيكَ وَهِيَ مُصِيبَةٌ
هَبْ أَنْ إِسْمَاعِيلَ أَذْنَبَ ^أ وَأَتَى
أَعْرَافَهُ مَعَ زَمَنِ الصَّبَا فَاجَابَهُمْ
فَاذْكُرْ أَيْبَاكَ وَلَوْ رَأَاهُ مُجَدِّلاً
مَا كَانَ يَصْنَعُ إِذْ رَأَى قَيْسًا وَقَدْ
أَعَزَّ عَلَيَّ بَأَنُ الرَّوَاطِي بِهَا
مَا زَالَ كَيْدُهُمْ يَزِيدُ نَمُوهُ
فَمَلَكْتَ مَلِكُ أَيْبِكَ دُونَ مُنَازِعِ
مَذْ عَادَ مَوْلَانَا الْإِمَامَ بِمُلْكِهِ
أَوْ مَا تَرَى الْآيَامَ كَيْفَ تَبَسَّمْتَ
مَوْلَايَ لَمَّا غَبْتَ غَبَّ سُورُونَا ^(١٠٧)
وَتَحَكَّمْتَ الْفِدَارُ فِينَا ظَالِمًا
وَنَفَى وَطَرْدَ وَاسْتَطَالَ بِغَدْرِهِ
لَكِنْ بَعْدَهُ مَلِكُكُمْ عُدْنَا لَهَا
كَمْ مَبْغَضٍ فِي أَرْضِ فَاكِسٍ لَمْ تَزَلْ
سَلَّ هَوْلًا كَيْفَ كُنَّا بَعْدَهُمْ
لَوْ كُنْتَ تَبْصُرُنَا لِرَاقِكَ فَعَلْنَا
فَانْصَرَّ عَلَيْهِمْ وَلْتُخَيَّبْ كَيْدَهُمْ
وَأَحْسِنْ وَتَبَّ قَدَرْنَا بَيْنَ الْوَدَى

هَمَّ الرُّجَالِ وَصَحَّتِ الْأَخْبَارُ
تَكَلَّى فَلَيْسَ لِعَقْلِهَا اسْتِقْرَارُ
حَزَنٌ وَالْبَابُ الرُّجَالِ تَخَارُ
وَالْوَمُّ قَدْ غَصَّتْ بِهِ ذِي الدَّارِ
يُدْعَى إِمَامُهُمْ بِهَا الْفِدَارُ
كَانَتْ تَعَزُّ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارُ
مَا لَاحَ نَجْمٌ وَاسْتَخْضَاءَ نَهَارُ
غَدْرًا كَأَنَّ الْغَدْرَ مَا هُوَ عَارُ
ظَلَمًا بِهِ أَنَّى يُقَالُ عَثَارُ
كَانَ الْفِدَاءُ وَسَاعِدَ الْمُقْدَارُ
دَمَعَ الْهَدَى مِنْ بَهْرَهَا مَذْرَارُ
ذَنْبًا فَإِنْ عَقَابَهُ اسْتَغْفَارُ
إِنَّ الشَّبَابَ بِمَثَلِهَا أُمَارُ
لَغَدَا عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَهُوَ مُطَارُ
عَبَثَ الْحَسَامُ بِحُسْنِهِ الْبِتَارُ
حَيًّا وَلِلْمُصِيبِ الْكَرَامِ بَوَارُ
حَتَّى أَتَاهُمْ جَيْشُكَ الْجَرَارُ
وَعِنَا الْمَعَانِدُ وَاسْتَقَرَّ الدَّارُ
سَمَحَ الزَّمَانُ فَمَالَهُ أَعْدَارُ
وَالدَّهْرُ كَيْفَ بَدَأَ لَهُ اسْتِبْشَارُ
وَعَمَلًا لِفَتْيَتِكَ الْبَسُودُ سَرَارُ
وَتَجَدَّلْتَ بِحُسَامِهِ الْأَحْرَارُ
وَارْتَجَّتِ الْأُطْلَانُ وَالْأَمْصَارُ
فَرَحًا وَهَانَتْ أَبْحَرُ وَقِفَارُ
تَقْضَى لَنَا فِي كُتُبِهِ الْأَوْطَارُ
هَلْ ضَلَّ مِنَّا لِلْهَدَى اسْتِبْصَارُ
وَلَسَرَكُ الْإِبْرَادُ وَالْإِنْصَادُ
يَا مَنْ نَمَتَهُ إِلَى الْعَلَى الْأَنْصَارُ
حَكَمْتَ بِرِفْعَةٍ قَدْرِكَ الْأَقْدَارُ

5 /

6 /

وأنشد كذلك جملةً، حُجِرَ الله على جميعهم الإجابة يومئذ على اتساع مجال القول، والنعم تبهر، والمكيفات المتعالية عن الوصف تبهر وتقطع.
وهذا ما تحصل باليد بعد اللحاق بالحضرة لاستيلاء الضياع على هذه الأغراض، وعدم العناية بها اليوم، حتى كاد يُطمس الرسم، ويُفلق الرهن.

هوامش الفصل الخامس

- (١) م : النصري، تصويبه ما أثبتنا.
- (٢) بياض بالأصل.
- (٣) م : متوفراً، وهو تصحيف.
- (٤) م : محيت نقط الشين.
- (٥) م : الشراف. تصويبه ما أثبتنا.
- (٦) م : تحصل.
- (٧) م : صرفه عنهم، والأنسب ما أثبتنا.
- (٨) م : محيت نقط اللفظة.
- (٩) م : الجار.
- (١٠) بياض بالأصل.
- (١١) م : الأعيال، وهو تحريف.
- (١٢) م : الخطب، صحته ما أثبتنا.
- (١٣) م : مطار الفتح وزكون، تصويبه ما أثبتنا.
- (١٤) م : معمره، وهو تصحيف.
- (١٥) م : ويجزيم.
- (١٦) م : السقارة، ولعلها الستارة.
- (١٧) م : السب، وهو تحريف.
- (١٨) م : معزراً، وهو تصحيف.
- (١٩) م : وولي، تصويبه ما أثبتنا.
- (٢٠) م : وتحمد، وهو تحريف.
- (٢١) م : وعده، وهو تحريف.
- (٢٢) م : استخلصها، صحته ما أثبتنا.
- (٢٣) م : عمالته، وهو تحريف.
- (٢٤) كتبت في الهامش.
- (٢٥) م : الإلاهية، وهو تحريف.
- (٢٦) م : الأسررة، وهو تحريف.
- (٢٧) م : اخراس.
- (٢٨) ساقطة في المتن.
- (٢٩) م : والاقام، صحته ما أثبتنا.
- (٣٠) م : الأعمار، وهو تصحيف.
- (٣١) م : ترضياته، صحته ما أثبتنا.
- (٣٢) م : جملة، وهو تصحيف.
- (٣٣) م : رحماً.
- (٣٤) م : المخص وهو تصحيف.
- (٣٥) م : الباس، وهو تحريف.

- (٣٦) بياض بالأصل قدرناه بما أثبت.
- (٣٧) م : اليلة، صحته ما أثبتنا.
- (٣٨) م : فاحتبل، وهو تصحيف.
- (٣٩) م : والوم، وهو تحريف.
- (٤٠) م : بفيته، تصويبه ما أثبتنا.
- (٤١) م : الذي جعل الخرو.
- (٤٢) م : أو شاب وهو تحريف.
- (٤٣) بياض في الاصل.
- (٤٤) م : التعديد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٤٥) م : المصجرات، وهو تصحيف.
- (٤٦) م : الأرض، مع إشارة إلى استبدالها بلفظة الفضاء التي كتبها الناسخ في الهامش.
- (٤٧) بياض بالأصل قدرناه بما أثبتنا.
- (٤٨) م : الوعة وهو تحريف.
- (٤٩) م : الحار، ولعلها الحائر.
- (٥٠) م : بغر.
- (٥١) م : الشاهد.
- (٥٢) م : أثار، تصويبه ما أثبتنا.
- (٥٣) م : اتخذ.
- (٥٤) م : صرح، وهو تصحيف.
- (٥٥) م : الملك، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٦) م : ورد الشطر كما يلي : "عمر وشاي في العلى يلحق"، ولعل الأنسب للوزن والمعنى ما أثبتنا.
- (٥٧) م : وتائق.
- (٥٨) م : وفق.
- (٥٩) م : وجاج، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٦٠) م : تخير، لا يستقيم بها الوزن.
- (٦١) م : لم يثني، تحريف واضح.
- (٦٢) م : تصفو، وهو تصحيف.
- (٦٣) م : قينه، ولعلها ما أثبتنا.
- (٦٤) م : محيت نقطتا الياء، ولعلها ما أثبتنا.
- (٦٥) م : الند.
- (٦٦) م : أشواق.
- (٦٧) هذا الشطر مكسور.
- (٦٨) م : مفند.
- (٦٩) م : أكباد، ويستقيم الوزن بما أثبتناه.
- (٧٠) م : تقند.
- (٧١) م : مرسل، وهو تحريف.

- (٧٢) م : مناسبك، غير منقطة النون.
- (٧٣) م : وفي، تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
- (٧٤) م : المين، وهو تحريف.
- (٧٥) م : لبانه، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
- (٧٦) م : مكمد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٧٧) م : حسد.
- (٧٨) م : كتب البيت في الهامش.
- (٧٩) م : م : ييج، وقد أضفنا الياء في بعض قوافي ما يأتي من القصيدة استيفاء للمعنى.
- (٨٠) م : اليل، سهو من الناسخ.
- (٨١) م : هاذى، والوزن يقتضي قراعتها بدون مد.
- (٨٢) م : ينوب.
- (٨٣) م : والضاريون، الوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٨٤) م : والطاعون.
- (٨٥) م : أرشبة، ولا معنى لها، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
- (٨٦) الأنسب للوزن قراعتها : من ضنضيء المجد الذي.
- (٨٧) كذا في الأصل ولا يستقيم بها الوزن.
- (٨٨) م : الزمان، والأنسب للوزن قراعتها الزمن.
- (٨٩) م : بنوا، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
- (٩٠) يعني بها الأمواج، وحذف الألف لضرورة الوزن.
- (٩١) م : ما حسنا، زدنا الهمزة ليستقيم الوزن.
- (٩٢) محيت اللفظة ولم يبق منها إلا الجيم، فقدرونها بما أثبت.
- (٩٣) م : الأولى، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٩٤) م : كانت، ولا يستقيم بها الوزن.
- (٩٥) هكذا في الأصل والأنسب قراعتها تتزوج.
- (٩٦) م : واحدا، سهو من الناسخ.
- (٩٧) م : وتنقض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٩٨) م : درية، وهو تصحيف.
- (٩٩) يبدو أن الناسخ سها عن لفظة مما أدى إلى كسر الشطر.
- (١٠٠) م : بمنقض، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠١) م : تمض، وقد زدنا الياء لسياق المعنى، كما زدناها في أواخر بعض القوافي إذا اقتضاهم السياق.
- (١٠٢) م : ممستاه.
- (١٠٣) م : إذا، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
- (١٠٤) م : تذكر، وقد زدنا الواو في أواخر بعض القوافي إذا استلزمته المعنى.
- (١٠٥) م : إذا، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠٦) كذا في الأصل، ولعلها غضى.
- (١٠٧) م : سرونا.

تعليقات الفصل الخامس

- [1] الميشر : يقصد به أخا زوجة Pedro el Cruel الذي كان أسيرا لدى أبي سعيد البرميخو محمد السادس.
- [2] قشره : (Castro) يقع جنوب غرب مارتش اتجاه قرطبة. أنظر (- لحة ص ١١٤ . - الإحاطة ٥٣٥/٨).
- [3] متوفز : فعله توفز، أي تهيأ.
- [4] اشر : (Iznàjar) يقع بين مالقة وقرطبة، وقد كان من الحصون المهمة. أنظر (- نزوة المشتاق ص ٢٠٤ . - الإحاطة ٥٢/٢).
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 124.
- [5] لوشة : (Loja) تقع غرب غرناطة على ضفتي نهر شنجل، وقد كانت من أهم المدن الأندلسية. أنظر (- معيار الاختيار
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 95.
- W. Hoenerbach, "Loja en la época naṣṛī", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, III, (1954), pp. 55-69.
- أنتقيرة : (Antequera) تعتبر من المدن الأندلسية القديمة، وتقع بين مالقة وغرناطة. انظر (معجم البلدان ٢٤٢/٨).
- L. Torres Balbás, "Antequera islámica", Al Andalus, XVI, (1951), pp. 427-454.
- José Luis Ortega, Así es Antequera, Málaga 1955).
- أرجنونة : (Archidona) أو أرشونة، وهي تقع شمال غرب مالقة على نهر شنجل. انظر (الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١٢ . - معيار الاختيار ص ٦٦).
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 38.
- F. Requena, "El castillo de Archidona o fortaleza de Raya", Boletín Asociación Española Amigos Castillos, (1965), pp. 191-204.
- [6] حصن بني بشير : (Benameji) يقع على ضفة نهر شنجل ناحية المنكب. أنظر (- المقتبس ١٤٨/٥).
- Madoz, Diccionario geográfico, IV, p. 177).
- [7] حصن الصخرة : يقع بين انتقيرة ورندة، وقد اندثر الآن. أنظر (- الإحاطة ٧٨/٢ . - الروض المعطار، تج. إحسان عباس ص ٣٥٥).
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 128).
- السهلة : هناك منطقتان تحملان هذا الاسم، الأولى : منطقة سهلية تقع إلى الغرب من تيرول الحالية بمسافة ٣٠ كلم، وتسمى بسهلة بني رزين، أما الثانية : وهي المقصودة، فحسب وصف ابن الخطيب، حصن قريب من لوشة، وقد اندثر الآن. أنظر (- حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين ص ١٠٤).
- J. Bosh Vilà, Historia de Albarracín y su sierra, t. II, p. 79).
- [8] محمد بن علي بن مسعود، كان وزيرا لأبي سعيد البرميخو محمد السادس. لتفصيل أخباره أنظر (- النفاضة ١١٢/٢ - ١٢٣ . - النفح ١٤٣/٥).
- [9] إدريس بن عثمان بن أبي العلى بن عبد الحق المريني، ولاء أبو سعيد البرميخو إمارة الجند

المغربي بدل يحيى بن عمر بن رحو، قتله عبد العزيز المريني سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م. أنظر (النفاسة ١١٥/٢ - الاحاطة ٥٢٩/١ - العبر ٧٨١/٧).

[10] حصن منتفريد : (Montefrio) يقع شمال غرب غرناطة بين لوثة وجيان. أنظر (معيار الاختيار ص ٦٥ - عنان : نهاية الأندلس ص ٥٠).

[11] هذا البلد : المغرب.

[12] العلاج : ممالك مسلمون من الفرسان الرماة. أنظر (- ورقات المنوني ص ٧١).

[13] الحصب : ج حصباء، وهي الحجارة.

[14] الأكيش : ج كيش، وهي آلة حربية تستعمل لهدم الأسوار، أنظر (دوزي ٤٤٠/٢).

- المجانيق : ج منجنيق بفتح الميم وكسرهما، وهي آلة حربية تقذف بها الحجارة.

- الرعادات : أو العرادات، ج رعادة أو عرادة، وهي آلة حربية لرمي الحجارة.

- الدبابات : دبابة، وهي آلة تتخذ في الحصار، كانوا يدخلون في جوفها، تدفع في أصل الحصن لينقبوه.

- الستائر : ج ستارة، وهو حاجز خشبي يجتمى به الجنود. أنظر (دوزي ٦٣٢/١).

[15] اليرة : (Illora) قرية تابعة لغرناطة، تقع شمال مدينة لوثة، أنظر (- حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ص ٥٨٤).

- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 51.

- L. Seco de Lucena, Tóponimos árabes identificados, p.5).

[16] قيد : مسافة.

[17] "حضر قضهم وقضيضهم" : مثل يضرب إذا جاء القوم كبيرهم وصغيرهم. أنظر (فصل المقال ص ١٩٨).

[18] حصن قنيط : (Canete la Real) يقع بين قرطبة وجيان. أنظر (البكري : معجم ما استعجم ص ١٧٠).

[19] أبو النعيم رضوان : مولى آل نصر ، تولى عدة مهام، وقد كان حاجبا للغني بالله، قتل في ثورة إسماعيل ضد أخيه الغني بالله سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م. أنظر (- الاحاطة ٥٠٦/١ - ٥١٣ - المقري : أزهار الرياض ٢٠٢/١).

- J.M. Casciaro, "El visirato en el reino nazarí de Granada", Anuario de Historia del Derecho Español, XVIII, (1947), pp. 233-58).

[20] حصن فردالش : (Ardales) يقع شمال أنتقيرة على بعد ٢٢ كلم (Campillos) وهو تابع لمالقة.

- Madoz, Diccionario geográfico, II, 496.

[21] حصن برغه : (Burgo) يقع بين مالقة ورندة. أنظر (- الاحاطة ٥٧٥/٤ - جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٧٣).

[22] حصن قصر بنيرة : (Casarabonela)، وفي معجم البلدان : قصر بليرة، وهو يقع شمال مالقة. أنظر (- معجم البلدان ٤٩٣/١).

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 128.

- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 57.

- R. Berjano Pérez, El repartimiento de Casarabonela, Málaga, 1974).

[23] ذكوان : (Coín) يقع غرب مالقة على النهر الكبير. انظر (- تحفة النظار ١٨٩/٢ . -
البيان المغرب ١٨٩/٢ .

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- F. Bejarano Robles, "El repartimiento de Coín", Gibralfaro, XVI - XVII, (1965)
pp. 108-139).

[24] حصن قرطمة : (Cártama) يقع شمال غرب مالقة، وقد كان من حصونها المنيعه. انظر
- نزهة المشتاق ص ٢٠٦ .

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 121.
- R. Berajano Pérez, Los repartimientos de Alora y Cártama, Málaga, 1971).

[25] حصن تليش : (Tolox) يقع شمال ذكوان.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 123).

[26] حصن ميجش : (Mijas) يقع بين مالقة ومريلة.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 100).

[27] القصبة : قصبة مالقة الإسلامية، وتقع على منحدر صخري قريب من البحر، يشرف على
منتزه مالقة الكبير، الواقع قريباً من الميناء.

- V. (- L. Torres Balbás, "Excavaciones y obras en la Alcazaba de Málaga (1934-
1943)", Al Andalus IX (1944), pp. 173-190).

[28] بلش (Vélez Málaga)، وهي تقع غرب مالقة بمسافة ٣٤ كلم. أنظر (معيان الاختيار ص
٥٣ .

- J. E. Lopez, "El repartimiento de Velez Málaga", Cuadernos de Historia, VII, (1977),
pp. 357 -440).

[29] الحمة أو الحامة : (Alhama) وهي مدينة وحصن من أعمال المرية، وقد سميت الحامة
نسبة إلى العين الحارة الموجودة بها التي يقصدها المرضى للاستشفاء. انظر (- الروض
المعطار، تح - إحسان عباس ص ٨٠ . - تحفة النظار ١٨٧/٢ .

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 146.
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 12.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 29).

[30] سورة ٣٥ (فاطر)، آية ١٤ .

[31] الرمانى : من أنفس أنواع الياقوت الأحمر. أنظر (صبح الأعشى ٥٧/١).

[32] الذبابية : نسبة إلى الذبابي، وهو زمرّد أخضر اللون. أنظر (صبح الأعشى ١٠١/٢).

[33] المزمة : م مزمات أو مزام، وهو نوع من القلائد.

[34] بلخش : نوع من الياقوت الأصفر. أنظر (صبح الأعشى ٥٧/١).

[35] الزرائف : ج زروف، وهو حرير أو جلد يزين بأحجار كريمة تحلي به المرأة شعرها. أنظر
(دوني ٥٨٩/١). ولا زال الزروف يستعمل في المغرب لكنه من ذهب.

[36] أمين الصواغ : خبير بالمجوهرات، ومهمة أمين معروفة في الأسواق المغربية إلى الآن.

[37] سورة ٣ (البقرة)، آية ٢٥٨ .

[38] اسحنفر : توسع.

[39] الفسل : النذل.

- [40] يختصر : ملك بابل يضرب به المثل في القسوة والعنف.
- [41] "اتخذ الليل جملاً" : مثل أشير إليه سابقاً.
- [42] "أشعب" : شخص يضرب به المثل في الطمع فيقال : اطمع من أشعب". أنظر (مجمع الأمثال ٤٣٩/١ رقم ٢٣٣٣).
- [43] اقفة : ج قفيز، وهو مكيال توزن به الحبوب.
- [44] صاحب الدولة : الغني بالله.
- [45] ابن السراج : يرجح أنه من أسرة بني السراج التي تنتسب إلى قضاة اليمينية. أنظر (النفاسة ١١٨/٢ - العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة العهد الإسلامي ٨، (١٩٦٠)، ص ٤٩).
- L. Scco de Lucena Paredes, Los Abencerrajes. Leyenda e Historia, Granada, 1960).
- [46] ابن الحسن : أبو الحسن النباهي، سبق تعريفه.
- [47] أبو القاسم محمد بن قطبة، سبق تعريفه.
- [48] "صرح المخض عن الزيد" : مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين. (مجمع الأمثال ٤٠٥/١ رقم ٢١٤٤).
- [49] اقتباس من بيت حسان بن ثابت :
- ترك الأحبة أن يقاتل نونهم ونجا برأس طمرة ولجام
(ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٦٩/١ - اليوسي : المحاضرات ص ٢٤٧).
- [50] السبيكة : بسيط يقع جنوب شرقي الحمراء. أنظر (الاحاطة ١١٦/١).
- [51] تتبيب : خسران.
- [52] جدة : بكسر الجيم وفتح الدال، رضاء العيش.
- [53] يوجف : يحث.
- [54] سورة ٥٨ (المجادلة)، آية ١٩.
- [55] البريح : بضم الباء وفتح الراء، تعني الصريخ وإعلان الحرب والهتاف بالتعبئة. (نوزي ٦٦/١).
- [56] الطالع : البرج الذي على الأفق الشرقي.
- العاشر : البرج الذي يقع فوق سمت الرأس.
- [57] أبو معشر الفلكي : جعفر بن محمد بن عمر البلخي (... - ٨٧٢هـ = ... - ٨٨٦م)، وهو عالم فلكي مشهور. أنظر (الاعلام ١٢٧/٢).
- [58] أبو جعفر بن صفوان : (٦٧٥ - ٧٦٣هـ = ١٢٧٦ - ١٣٦٢م) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، أبو جعفر، من مالقة، له شعر وتآليف، كما كان من شيوخ ابن الخطيب. أنظر (الكتيبة الكامنة ص ٢٩٣ - النفع ٤٦٦/٣ - الاعلام ٨٧/١).
- [59] أبو إسحاق بن الحاج : (٧١٣ - ٧٦٨هـ = ١٣١٣ - ١٣٦٧م) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج، من غرناطة، خدم بعض ملوك تونس والمغرب الأقصى، ثم رجع إلى الأندلس، من مؤلفاته رحلة سماها : "فيض العباب، وإجالة قدام الآداب في الحركة إلى قسطنطينية والزاب، حققه د. ابن شقرون. أنظر (الاعلام ٤٩/١).
- A. L. de Premare, Maghreb et Andalusie aux XIVE siècle, les notes de voyage d'un andalou au Maroc, 1344-1345, Lyon, 1981).

- [60] اقتباس من المثل ليس هذا بعشك فادرجي، ويضرب فيمن يرفع نفسه فوق قدرها. أنظر (فصل المقال ص ٤٠٣. - مجمع الأمثال ١٨١/١ رقم ٣٢٦٢).
- [61] تبابع : أو التبابعة، وهم ملوك اليمن الحميريين. أنظر (العبر ٩٢/٢ - ١١٣).
- [62] الوجيه : فرس لغني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو من أجود أفراس العرب (تاج وجه. - مخصص ١٩٥/٦).
- لاحق : عرفت أفراس كثيرة باسم لاحق، لكن أشهرها فرس غني بن أعصر الجاهلي. أنظر (المخصص ١٩٤/٦. - التاج، لاحق).
- [63] إشارة إلى قوله تعالى : "وإن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم"، سورة ٦٤ (التغابن)، آية ١٧.
- [64] محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، أبو عبد الله الشريشي، أحد تلامذة ابن الخطيب، وهو الذي جمع الاحاطة، كان حياً سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٥ م. أنظر (الكتيبة ص ٢١٤. - جنوة الاقتباس ٣١٧/١. - النفح ٢٨٢/٧).
- [65] يقصد الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض.
- [66] أبو بكر بن قطبة : سبق تعريفه.

الفصل السادس

رجع التاريخ

«عودة ابن الخطيب الي غرناطة صبة اسرة الغني بالله»

وتحركات دقائن الحقود، وأغرى السلطان أغماره (٧) [1]، والإغراء من فسل السياسة، على التتبع والمواخذه والمطالبة بالمال، وجرت في ذلك خطوب. وشرع في عرض الجيش فنال فيه الإسقاط والحطية، وارتابت النفوس، وأشعرت الخيفة، ومرج الأمر، واختلت السياسة، وكثر الفرار، ووغرت (٢) الصدور، وكان من الأمر ما يذكر، إن شاء الله.

فصل:

ولما اتسق الأمر، وتدمت الطاعة، وقعت بيني وبين الوزير، قطب (٣) رضى الملك بالمغرب، ومديل دوله، ومصابر هوله، ومكفي سمائه على أرضه، أبي علي عمر بن عبد الله المكاتب في القدوم بولد السلطان، المخلف في جوارهم، وتحت حجورهم، وجمع شمله بأبيه، وهو غليم (٤)، حسن الشكل والفهم، ظاهر الحركة والنبل، اسمه يوسف، اسم جده، فاستحثني لهذه الطلبة، وقد يسرها رأيي، ووقف عليها عزمي، وتسنى بغيرها صنّع الله لأبيه وفضله.

/97 / فكان الخروج من مدينة سلا في خف من الرجل، وعلى قدم تجريد / ونية عودة، يوم السبت الرابع عشر من شهر رجب عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

ولما وردت الباب السلطاني المريني، جرى الرسم من العز، والمنّة لله، ومقتضب الخلع المفضلة، والمراكب الفارحة، شرعت في الارتحال بالأمير ومن تعلق به من ذيل وحرمة.

رسالة من أبي زيان الى الفتي بالله»

وصدرت المخاطبة بما نصه :

من عبد الله المتوكل على الله، محمد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين. [ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي عبد الرحمان] (٥)، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله بنصره، وأمه بمعنوته ويسره، الى السلطان الأجل الأسمى الأعز والأرفع، الامجد الأصيل، الأزكى الطاهر الأفضل، الأسعد، الأصعد، الهمام، الأعلى، الأحقل، الأود، الأخلص، الأصفى، الأكمل، أبي عبد الله ابن السلطان الأجل الأعز الأسنى، الأنوه الأنزه الأحقل، الأفضل الأطهر، الأظهر، الأشهر، الأخطر، الهمام الأمضى، الماجد الأرضى، الطاهر الأزكى، الأكمل، المقدس، المرحوم، أبي الحجاج ابن السلطان، المعظم الكبير الشهير، الخطير المثل، الأوحد الأفضل، المجاهد، الأزكى الأرضى الأكمل، المقدس، المرحوم أبي الوليد بن أبي سعيد بن نصر - وصل الله سعده، ووالى تأييده وعضده، وبلغه في كل مرام صالح قصده.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله، مبدى النعم ومعيدها، ومخول المواهب الجلية ومفيدها، ومهلك الطائفة المعاندة (٦) ومعبيدها، ومهنيء أسباب الصنع الجميل لمن (٧) توكل عليه ومريدها، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وعمودها، وسيد العوالم الذي كان وجوده سبب وجودها، وصاحب الشفاعة المنقذة من النار ووقودها، / وعلى آله وصحبه، الذين ثابروا على إظهار ملته وتمهيدها، وحافظوا 98/ على اقتفاء سنته وسلوكوا طرائقه بما أتاها من قويمها وسديدها، وصلة الدعاء لهذه الدولة العلنية الإمامية المجاهدية المتوكلية باتصال عزها وسعودها، وتوالي النصر الكفيل بتمكينها وتوطيدها، وتعاقب الفتوحات في صدورهم وورودها، فإننا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزا مقيما، وسعدا قويما، وسعيا في مرضاة الله كريما، من حضرتنا العلية، المدينة البيضاء، مهدها الله تعالى، والصنع الجميل يروق العيون ويفوت الظنون، ويهيب الفتح المذخور والنصر المضمون، والحمد لله على ذلكم، وسلطانكم معتمد بالتكريم والثناء المقيم، والاهتمام بأموركم الحرية بالتقديم.

والى هذا، أعز الله سلطانكم، فإننا لما عندنا من حسن العهد وجميل الود، والاتحاد في الصدر والورد، ننظر (٨) في أموركم كما ننظر في أمورنا، وننزل من لكم من الأولياء والأبناء النجباء منزلة أعز أبنائنا وأوليائنا، فنوسع لهم جناب التكريم، ونوثر لهم مهاد الاعتناء العميم، ونرعى أحوال الظاعن منهم والمقيم ونتحرى مقاصدكم فيه فنعتدها، ونخص أغراضكم بالتكميل ونقصدها.

ولما عزمنا على توجيه ولدكم، الأمير الأسعد، الأهدى الأحب محل ولدنا أبي الحجاج، أسعده الله وأرشدته، من بابنا الكريم الى بابكم، رأينا أن من أقرب الناس اليه، وأخصهم به، وأولاهم بتأنيسه، حظيكم الشيخ الفقيه، الأعز الأسنى، الأمجد، الأنوه الأنزه، الوزير المكرم الأفضل الأكمل، أبا عبد الله بن الشيخ الوزير الجليل المكرم المبروم، الأفضل الأكرم المرحوم، أبي محمد بن الخطيب، أعزه الله، علما بما له عندكم وعند سلفكم من المحل الكبير، والقدر الخطير، / والمكان الشهير، وعملا على ما أشركم إليه في خطابكم إلينا بالإيصاء به من منزلته لديكم، وأثرته عندكم، واختصاصه بكم، فرأينا من ذلك أنه له الأتيس، والمراكب والجلس، والذخر من أولياء دولتكم النفيس، فأصبحناه إياه ملبسا أثواب الاعتناء، مجزلة لديه مواهب النعماء، موفى الحظ من الاحتفاء، وعرفناكم بذلك لتعلموا ما اعتمدناه في ذلك القصد الجميل، والنظر الكفيل، والله يصل عزتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كُتِبَ في الثاني والعشرين لرجب الفرد، عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وكتب في التاريخ.

وكان السفرُ يوم الأربعاء الموفى عشرين منه [2]، في زينة وعدة وركب نبيه، وعلى مرحلتين من الطريق وردت علينا مخاطبة السلطان ظانا إياي قاعدا عنه بمدينة «سلا» حسبا كان عليه عقدي، لولا أن العبد مسلوب الاختيار، مصرف بأيدي الأقدار بما نصه (٩) :

من الأمير (١٠) عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيد الله أوامرهم، ونصر أجنادهم المظفرة وعساكرهم، وخذل مفاخرهم الكريمة ومآثرهم الى ولينا في الله تعالى الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا، (والموالة لمقامنا) (١١) من حسن المذاهب، وخلصتنا الذي نثني على مجده البعيد الغايات في الشاهد والغائب، ونعتد به اعتدادا يتكفل بنجاح المقاصد وتمام المآرب، الفقيه الوزير، الجليل، الصدر الأوحد المثيل، الكبير الرفيع الشهير، الأصيل الماجد الخطير، الخطيب البليغ الحافل، الفاضل الكامل،

إمام البلغاء، وصدر الخطباء، وعلم العلماء، وكبير الرؤساء، الحبيب المخلص، الأول الأصفى، أبي عبد الله ابن الوزير الجليل الأعز الأرفع، الماجد الأسمر، الصدر الحافل الفاضل، / الأعلى، الخطير الشهير الكبير الأرضي، المعظم الموقر المبرور، المقدس المرحوم الشهيد، أبي محمد بن الخطيب وصل الله سعده، وحرس مجده ..

/100/

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله، وناصر الحق ومطلع أنواره، من أفاق رحمته وفضله، قاهر كل باغ وخاذله ومذله، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد صفوة أنبيائه وخاتم رسله، المبعث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، نبي الرحمة الذي ببركة محبته نلنا أقصى الأمنية في جمع الدين ونظم شمله، وبفضيلة جاهه عدنا الى أرفع رتبة ملكنا وأعلى محله، والرضى عن آله وصحبه، المقتدين بهديه في أمرهم (١٢) كله. فكتيناه اليكم كتب الله لكم عزا لا يبلى جديده، وسعدا لا ينقطع مزیده (١٣)، من حمرائنا بغرناطة - حرسها الله تعالى ومهدا - ولا متعرف بفضل الله سبحانه إلا ما عود من أطفاه الخفية، وأبدى (١٤) من صنائعه السنية، وعنايته التي تكفلت ببلوغ الأمنية، والحمد لله كثيرا كما ينبغي لجلاله، ويليق بصفات كماله، وعندنا من إجلالكم ما يليق بكمالكم، ومن المعرفة بمقداركم ما يعرب عن حسن اعتقادنا في كريم نجارك، ومن قدر مقدار أحسابكم ما نلتزم بسببه تعظيم جنابكم، وإلى هذا - وصل الله سعودكم (١٥)، وحفظ وجودكم - فإننا بحسب الوالد الذي نصله لكم (١٦)، والحب الذي نضاعفه فيكم، (وكرم معتقدنا في فضل معاليكم (١٧)، خاطبناكم بهذا المكتوب نشرح لكم ما من الله به علينا من الفتح العظيم الذي أشرقت له الأقطار بهذه البلاد، وما من به من العودة الى ملكنا المتوارث عن الآباء (١٨) والأجداد، وما أنعم به من قهر ذوي الشقاق والعناد، وذلك أنا - أعزكم الله - أطال علينا المقام «برندة»، ولم نزل نوجه الى أهل الحصون التي بغربي «مالقة» وغيرهم، / نقص عليهم ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا ونحذرهم عاقبة النكث لطاعتنا، الى أن أن أوان الفرج، ونفذ قضاء الله وقدره بالعودة الى ما كنا تغلبنا عليه، فاقترضى نظرنا أن خرجنا الى «مالقة» في مائتي فارس، فما ان وصلنا واديها وعلم بنا أهلها إلا وخرج إلينا جميعهم، ملبين بالبيعة، فرحين بقومنا وفي الحين بادروا (١٩) لقتال القصبة حتى استخلصوا واستنزلوا (٢٠) من فيها، وحلنا بنواحيها، وليوم آخر وصلتنا بيعات أهل الجهات التي تواليها، من «أننقيرة» و«لوشة» و«بلش» و«صالحة» [3] و«لمتاس» [4] و«الحمة»، وسائر الحصون الغربية، فلما بلغ (٢١) الخبر الى الغادر الخاسر، خاف وذعر، ورأى أن لا نجاة له، إلا أن يفر، فجمع شرذمته، [وآلف حاشيته] (٢٢)، وخرج عن الحمراء ليلة

/101/

الخميس الماضي [قريباً] (٣٣) من التاريخ الى أرض الكفار، وفي صبيحة الليلة وجه إلينا أهل حضرتنا، وتوجهت الأجناد الى بيعتنا، وانصرفنا الى دار مملكتنا، وحللتنا يوم السبت الماضي من غير حرب ولا قتال، بل بفضل الله تعالى ذي العظمة والجلال، وعرفناكم بذلك لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة العظمى، إذ أنتم الحبيب الذي لا شك (٣٤) فيه، والخالص الذي نعلم خلوصه (٣٥) وتصافيه، والله يصل سعدكم (٣٦)، ويحفظ وجودكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب في يوم الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية عام ثلاثة وستين وسبعمائة. (صح هذا) (٣٧).

وأدرج في الكتاب ما نصه :

وصل الله لجلالكم العلمي، وكمالكم العلمي الرياسي، ومجدكم الطاهر الديني الحسيني عوارف السعادة، وجمع لكم من خير الدارين بين الحسنى والزيادة، وأطلع لدى نفسكم الكريمة الطيبة وجه المسار المبدأ المعادة، مما نعرفكم به بحسب الود فيكم، والعلم بتصافيك، ما أنعم الله به على العباد والبلاد، من الصنع الكريم الذي تجلى نوره ملء السمع والبصر والفؤاد، فتفتحت به أبواب النصر تشرع الى انتظام شمل الإسلام، / واتساق هذا الملك الرفيع المقام، وذلك أن الشقي الغادر الخائن، لما فر بنفسه وشرذمته الغادرة الخاسرة حذار المنون، ولحق بالأرض التي حل بها محل الخزي والهون، قدم على السلطان المعظم صاحب قشتالة - أسعده الله بطاعته - شر مقدم، وحصل من الحسرة والندامة على ما لم يكن يعلم، فهوت به جرائمه في مصرع الحتوف، ودنت اليه المنايا من حيث لمع بها بريق السيوف، ولما مثل بين يديه قرره على ما صدر عنه من القدر، ووقفه من موبق ذنبه على أحر من الجمر، وأمر به للحين وبثلاثة وأربعين من شرذمته الغادرين، فضربت أعناقهم، وسلبت بالعذاب عنهم أطواقهم، وعجل بتوجيه رؤوسهم إلينا، وفي غرة شهر التاريخ، قدم بها رسوله علينا مرفوعة في العصي، حتى تكون عبرة للاعتبار، وعظة لأولى الاستبصار وردعا للفجار والأشرار، وعرفنا القاضي المذكور ان الباقيين ممن فر مع الشقي في حكم الاعتقال وهم بدار صنعة اشبيلية في الحديد والنكال، وأمرهم موقوف (٣٨) على ما رأينا فيهم، من المؤاخدة لهم أو الصفح عنهم والإجمال، وفاء منه معنا بالعهد، وعملا بحسب ما بيننا وبينه من المحافظة على الود.

وإن هذه النعمة جل موقعها في الصنائع الكرام، وعظم قدرها في آثار الإسلام، وأوزعنا الله شكرها بواجب الشكر، وسلك بنا مرضاته على سنن البر،

فعرفناكم بهذه النعمة لتأخذوا بحظكم من المسرة بها والابتهاج بسببها، فأنتم الولي الذي له في الخلوص راسخ القدم، والوفي المعهود الوفاء على القدم، وعين الكمال الرياسي الذي عدم نظيره في الأمم، ونحن نعرفكم - أعزكم الله - أننا بما عندنا من الاعتداد بؤدكم، والحفظ لكرم عهدكم، لما حللنا مقعد ملكنا، وانتظمت بلادنا النصرية في سلكتنا، أمرنا للحين بضم جميع ما يعلم / لجنا بكم المعظم بالحضرة وسواها من الأملاك على اختلافها، وشتى أصنافها، واستحضرننا مفاتيح الدور منها، فدفعت لصهركم الوزير الحاج المعظم أبي الحسن - أعزه الله - لينتظر من يتولى مباشرة الحال فيها عنكم، وصرفنا جميع ذلك عليكم صرف العناية والإنعام، واللحظ والاهتمام، حتى ييسر الله قدومكم على أفضل حال، وإن ظهر لكم توجيه من يشاركه من قبلكم في هذا الغرض، خلال ما يسني الله مقدمكم في كنف العافية المقتربة ببلوغ الآمال، فعلمت فاعلموا ذلكم، والله يصل سعادتكم ويحرس مجادتكم. والسلام.

وصحبت العناية من الله والستر، فكان المحمل سهلاً، والمنزل خصباً ودفئاً، والهواء ظلاً، والمورد نهلاً وعلاً، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» [5]، ووردنا «سبته»، فكان بها التربص ريثما تلاحقت أساطيل الأندلس، وبها ظهير الدولة، ويعسوب [6] الكتبية (٢٩) الزبانية، الشيخ الشهير بموالة الأمر ومظاهرة الدولة المستولي، على خلال الكريمة من مشهور المجاورة (٣٠) وإحكام الثقافة، إلى الخط والرجاحة وحسن المجلس، والكلف بالأدب وذكاء الطبع، تبرع بخوض البحر، ومباشرة إجازة الإمارة، فهياً الله ذلك على أتم الأحوال التي تقر العين، وتشرح الصدر، وتري من الله العناية، ورام الأسطول قصد مالقة، فاضطره البحر إلى النزول «بجبل الفتح» يوم الثلاثاء الحادي عشر لشعبان، ثم كان النزول «بمالقة» إثر صلاة الجمعة الرابع عشر منه، فنشف القوم نسيم الإيالة التي أزعجهم عنها التحيص والابتلاء، واجتلا محاسن البلاد التي عرفوا بها العز، وصحبوا الملك، فنعم المتاع لو أطرد البقاء، وحصل الخلود، «ولكن الدنيا دار الغرور» [7] والآخرة خير لو كانوا يعلمون.

وصدرت المراجعات السلطانية بالملك ليتم الاستعداد، فتأتى من ذلك أيام قليلة / ما يدل على فضل القطر، وإن تعرقته النواشب، وضخامة الملك وإن ترشفت بلالته (٣١) المصائب، ووصلت لإقلال (٣٢) الأمير ومن معه دواب الظهر، تحمل من الكساء والخلع والفرش والوطاء والآلة والمضارب والقباب والهواج ما لا شيء فوقه، أخذ ذلك كله الإبداع بجميع (٣٣) احتفاله، فما شئت من نسج ذهبي، وديباج خسرواني واشكال بديعة، وفرش موضوعة، وحلي لصدور الظهر ورؤوسها (٣٤) رفيعة.

وكان دخول «الحضرة» يوم السبت الموالي عشرين من شعبان، من المنزل المعروف «بإغرم» [8] من «قنب قيس» [9]، في يوم مشهود، خرج عن حد الوصف، وترفع عن الذكر، وشذت محاسنه عن العبارة، لما اشتمل عليه من حسن الترتيب، ووفور العدة، وظهور الزينة، وكثرة البنود، وتعدد الطبول، وسبوغ الدروع، استحكمت التعبئة بين يدي السلطان، في السهل المدحرج المنبت للشيخ (٣٥) المعروف «بالقنب جاجر» [10]، محل الكائنة المستفتح بها على العدو والحدثان، الجاري على الألسنة.

ولما تلاقى ركب الأمير بالموكب السلطاني، احتُمِل الولد الى تأدية حق أبيه، وتحرك طراد الزينة بين يديه، ولقبل ما تقدم لقائي بالمولى السلطان، واقتضائي عادة شفقتي من الهشة والاستعبار والتمايل والاستلزام، والأمر بالموازاة والمراكية، وغير ذلك من اللطاف التي أذهلني إجهاش الرقة، وعدم التماسك عن ملاحظة أجزائها العريقة المترامية الى أقصى حدود المروءة، وصرفت الأعنة الى دار الملك عن حفل أربى على كل ما تقدمه في قديم الزمان وحديثه.

ولحين الاستقرار بالشمل المجموع، والعز الجديد، والدنيا المستأنفة، أنشدته القصيدة التي تقدم نظمها «بسلا» كأنما كوشفت بالغيب أو أطلعت على العقبي، وهي المسماة «بالمنجح» (٣٦) الغريب في الفتح القريب، وهي التي مطلعها (٣٧) :

(كامل)

105 /

الحقُ يَعْلُو والأباطيلُ تَسْفُلُ واللَّهُ عَن أَحْكَامِهِ لَا يُسْبَلُ

وقد كنت عجلت له كلمة تنوب عن اللقاء، قبل إزمار الحركة من «سلا»

وهي:

(طويل)

هنيئاً بما خَوَّلَتْ مِنْ رِفْعَةِ الشَّانِ وَأَنْ خَصَّكَ الرَّحْمَانُ جِلْ جِلَالَهُ
بِمُعْجِزَةٍ مَنْسُوبَةٍ لِسُلَيْمَانَ أَغَارَ عَلَى كُرْسِيِّهِ بِغَضٍ جِنِّهِ
فَالْقَتُّ لَهُ الدُّنْيَا مَقَادَةٌ (٣٨) إِذْ عَانَ فَلَمَّا رَأَاهُ فَتَنَتْهُ خَرُّ سَاجِداً
وَقَالَ إِلَهِي أَمِنْتُ عَلَى بَغْفَرَانٍ وَهَبْ لِي مَلِكاً بَعْدَهَا لَيْسَ يَنْبَغِي
تَقْلُدُهُ بَعْدِي لِإِنْسٍ وَلَا جَانٍ فَاتَّاهَ لَمَّا أَنْ أَجَابَ دُعَاءَهُ
مَنْ الْعِزُّ مَا لَمْ يَوْتْ يَوْمًا لِإِنْسَانٍ وَلَنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي الدَّهْرِ مُفْرَداً
فَأَنْتَ لَهُ لَمَّا اقْتَدَيْتَ بِهِ الثَّانِي فَقَابِلْ صَنِيعَ اللَّهِ بِالشُّكْرِ وَاسْتَعِينْ
بِهِ وَاجْزُ إِحْسَانَ إِلَهِهِ بِإِحْسَانٍ

وَحَقُّ الَّذِي سَمَّاكَ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ
لَمْ يَلْغُ التَّعْمَى عَلَيْكَ سِرُّهُ
فَإِنِّي أَنَا الْعَبْدُ الصَّرِيحُ انْتِسَابُهُ
كَمَا أَنْتَ مُوَلَّيُ الْعَزِيزِ وَسُلْطَانِي
إِذَا كُنْتُ فِي عِزٍّ وَمُلْكٍ وَغِبْطَةٍ
فَقَدْ نِلْتُ أَوْطَارِي وَرَاجَعْتُ أَوْطَانِي
لَوْ أَنَّ الصَّبَا قَدْ عَادَ مِنْهُ بَرِّيْعَانِ
أَلَيْتُ وَأَفْ لَا أَلَيْتُ خَوَانِ

مولاي الذي شأنه عجب، والإيمان بعناية الله به قد وجب، وعزه أظهره من برداء العزة احتجب، [إذا كانت] (٤٠) الغاية لا تدرك، فالأولى أن تسلم وتترك، ومنه الله [عليك] (٤١) ليس مما يشرح، قد عقل العقل فما يبرح (٤٢) وقيد اللسان فما يرتعي في مجال العبارة ولا يسرح، اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرًا ترضاه / وإمدادًا من لدنك نتقاضاه، يا الله، يا الله، سعود أثارته بعد أقول شهابها، وحياة كرت بعد ذهابها، وأحباب اجتمعت بعد فراقها، وأوطان دنت بعد بُعد شامها من عراقها، وأعداء أذهب الله رسم بغيهم ومحاه، وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه، وعباد أعطوا من كشف الغم ما سألوه، ونازحون لو سئلوا في إتاحة (٤٣) القرب بما في أرماقهم لبدلوه وسبحان من يقول : «لو أنا كتبنا عليهم (٤٤) أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه» [11]، فليهن الإسلام بياض وجهه بعد اسوداده، وتغلب إيالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده، وعودة الملك المظلوم إلى معتاده، واستواء الحق النائم جفته (٤٥) فوق مهاده، ورد الإرث المغصوب إلى مستحقه (٤٦) من أبائه وأجداده، والحمد لله الذي غسل عن وجه الملة المحمدية العار، وأنقذ عهدتها وقد ملكها الدعار، فرد المعار، وأعيد الشعار، نحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك، لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والعبد يا مولاي قد بهرت عقله (٤٨) الاء الله قبلك، فالفكر جائل واللسان ساكت، والعقل ذاهل والطرف باهت. فإن أقام رسما للمخاطبة، فقلم مرح وركض، وطرس هز جناح الارتياح ونفض، ليس هذا المرام مما يرام، ولا هذه العناية التي تحار فيها الأفهام (٤٩)، مما تصمي غرضها (٥٠) السهام، نسأل الله أن يجعل مولاي من الشاكرين، وبأحكام (٥١) تقلبات الأيام من المعتبرين، حتى لا يغره السراب الخادع، والدهر المرغم لأنوف الجادع، ولا يرى في الوجود غير الله من صانع، ولا معطف (٥٢) ولا مانع، ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد، ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد. والسلام.

وأنشد يومئذ القاضي الكاتب الشهير أبو إسحاق بن الحاج المتقدم الذكر
قوله : /

(طويل)

107/

إِلَّا ارْتَقِبُوا هَذَا الْهَلَالَ الَّذِي بَدَأَ
وَبَشِّرَاكُمْ بِالْعِيدِ عِيدَ مَسْرَةٍ
وَاللَّهُ شَبِلَ قَدْ دَعَاهُ بِيُوسُفَ
وَبَحَرَ أَتَاهُ النَّهْرُ لَكِنْ ذَا أَبٍ
وَفَرَعَ أَتَى أَصْلًا يُسَمَّى بِوَالِدِ
وَقَرَّةٍ عَيْنٍ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ
إِلَى أَنْ أَتَانَا اللَّهُ بِالْفَرَجِ الَّذِي
فَعَادَ إِلَى غُصْنِ الْخُلَافَةِ زَهْرَهُ
وَعَاوَدَ جَيْدَ الْمُلْكِ أَكْرَمَ زِينَتِهِ
وَقَدْ عَضَدَ السِّيفَ الْمُحَلَّى (٥٦) بِمِثْلِهِ
وَقَالُوا : وَلِي الْعَوْدُ يَقْدُمُ عَاجِلًا
وَمَا هُوَ إِلَّا الْغَيْثُ سَوْفَ يَجُودُنَا
أَمِيرُ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ كَامِلًا
وَمَا ظَلَمَ ابْنُ مُشَبَّهٍ خَيْرَ وَالِدٍ
لِيَهْنِي (٥٧) جِيَادَ الْخَيْلِ أَنْ رَكُوبُهُ
وَيَهْنِي سَيْوْفَ الْهِنْدِ أَنْ ضَرَابُهُ
وَيَهْنِي رِمَاحَ الْخَطِّ أَنْ طَعَانُهُ
وَقُلْ لِلرَّبِّيعِ الْأَهْلَاتِ بِسَبْتَتِهِ
وَيَا بَخْرَهَا بِشَرِّ بَرٍّ حَمَلَتْهُ
وَلَنْ تَكُ حَقًّا قَدْ جُنُنْتُ بِحُبِّهِ
فَمَا وَاجِبُ الْإِنْصَافِ ذَاكَ وَإِنَّمَا
وَكُنْ بَاسِطًا خَدًّا لَهُ فِي طَرِيقِهِ
وَدُونَكَ فَأَنْتُمْ كُلُّ جَفْنٍ أَتَى بِهِ
وَيَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ هُبِّي وَحْيَهُ
وَرَفَقًا بِأَسْطُولٍ يُلْذُّ لَهُ السَّرَى
وَلَا تَبْرَحِي تُهْدِي لَهُ عَاطِرَ الشَّدَا
وَحِفْظًا لَهَا حِفْظًا لَهَا مِنْ وَدِيعَةٍ
كَأَنِّي وَقَدْ وَافَى الْأَمِيرُ وَأَقْبَلَتْ
كَبِيرُ الدُّجَى حَقَّتْ بِهِ الشَّهْبُ وَانْبَرَتْ
خَذَّ الرُّوحَ مِنْ يَا بِشِيرَ بِشَارَةٍ
وَعِنْدِي هَنَاءٌ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ

مَنْ الْغَرْبِ مَرْفُوعًا عَلَى أَفْقِ الْهُدَى
بِمَقْدَمِهِ (٥٦) السَّعْدُ الْمَقِيمُ تَجَدُّدًا
شَبِيهَ بَلَيْثٍ قَدْ دَعَاهُ مُحَمَّدًا
وَذَاكَ لَهُ ابْنُ رَاحٍ فِي الْبِرِّ وَاعْتَدَى (٥٤)
شَبِيهَ بِذَاكَ الْأَصْلِ فِي الْبَاسِ وَالنُّدَى
وَبَيْنَ الَّذِي أَبْكَى الْعَيُونَ وَسَهْدًا
أَفَاضَ عَلَى الدُّنْيَا جَمَالًا وَأَسْعَدًا
لِيَجْمَعَ (٥٥) مِنْ أُنْدَائِهِ مَا تَبَدَّدَا
بِأَكْرَمِ سَلَكٍ بَعْدَ حِينَ تَقْدَا
مَنْ الْغَرْبِ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ يَرْهَبُ الْعَدَا
فَقُلْتُ : نَعَمْ يَهْنَأُ أَبَاهُ الْمُؤِيدَا
بِأَكْرَمِ مَنْ غَيْثُ السَّمَاءِ وَأَجُودَا
هُمَا وَلَدَاهُ بِالْمَحَاسِنِ مُفَرِّدَا
غَدَا لِمَلُوكِ الْأَرْضِ أَجْمَعَ سَيِّدَا
لِيَكْسِبَهَا الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمُخْلَدَا
لِيَبْقِيَ لَهَا الْفَخْرَ الصَّرِيحَ الْمُؤَكَّدَا
لِيُورِثَهَا الْعِزَّ الْمَشِيدَ الْمُشِيدَا
حَوَّيْتُ أَجَلَ النَّاسِ قَدْرًا وَمَحْتَدَا
وَلَكِنَّهُ بِالْمَلِيعِ يَعْتَذِبُ مَوْرَدَا
فَأَصْبَحَتْ مَرْتَجٌ (٥٨) الْجَوَانِبِ مُزِيدَا
سَكُونُكَ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ تَوْدَدَا
وَأَقْسِمُ عَلَى الْأُمُوجِ تَلْقَاهُ سُجْدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَلْتَمِ لَهُ الرَّجُلَ وَالْيَدَا
بِرَفْعِ وَرِيحَانِ غَدَا حَلِيهِ النَّدَى
بِأَمْضَى بَنِي الْأَمْلَاقِ سَيْفًا وَأَحْمَدَا
وَتَرَوِي لَهُ حَدِيثَ وَالنُّورِ مُسْنَدَا
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُعَزَّ وَيَسْعَدَا
عَسَاكِرُهُ مِثْنَى، تَرْوُقُ، وَمَوْحِدَا
لِتُحْرِقَ فِي الْأَفَاقِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى
وَنَفْسِي مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ لَكَ الْفِدَا
سَيَحْمَدُ لِي سَعْيَا وَيُنْجِحَ مَقْصِدَا

خليفة رب العرش والملك الذي
كريم له في آل نصر فضائل
أجل ملوك الأرض ذاتاً ومنصباً
وأكرم من قاد الجواد إلى الوغى
أمولاي حالي ما علمت وإنني
فكن مظهراً للعبد ما أنت أهله
وعد للذي عودت يا خير منعم
بقيت قرير العين في عز دولة

تعود منه الجود ما قد تعوداً
برؤيتها غصن المنى قد تأوداً
وأملام في رتبة الملك مصعداً
وسقى عداه (٥٩) أي كاس من الردى
لأرجوك بعد الله غيباً ومشهداً
وأنجز له يا أكرم الناس موعداً
وأفضل من في فضله جاوز المدى
تسرك ما غنى الحمام وغرداً

وتقررت الحال على ما يذكر،

ورد مع ركاب الأمير في غرض التقرير للود والإعلام بمتزيدات الأحوال،
صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين [12]، فيبلغ في
إكرامه، والتحفى بوجهته، (...) (٦٠) لأنسه، وانصرف بمراجعة نصها : (٦١)

المقام الذي تقلد نافلة الفضل شفعاً، وجود أفراد (٦٢) الكمال أفراداً وجمعا
(٦٣) واستولى ملكه الرفيع العمد على الفخر البعيد الأمد عقلا وسمعاء (٦٤)، وجمع
بين المنح، والتهنئة بالفتح، فأحرز الكمال أصلا وفرعا، واستحق الشكر عقلا
وشرعا، وأغرى أيدي جوده، بالقصد الذي هو حق وليه من جوده (٦٥)، فثار من
جيش اللقاء نقما (٦٦) ووسط به جمعا، مقام محل أخينا، الذي أقلام مقاصده درية
(٦٧) بحسن التوقيع، وعيّن فضله مزكاة (٦٨) الأحكام الصنيع، وعذبات فخره تهفو
بذروة العلم المنيع، ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع، أبقاه الله، وألسن فضله
ناطقة، وأقيسة سعده صادقة، وألويته بالنصر العزيز خافقة (٦٩)، وبضائع مكارمه
في أسواق البر نافقة، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة، السلطان
الكذا، ابن الأمير الكذا بن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا. سلام كريم / طيب
بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، [وطريقكم المثلى] (٧٠)، وأخوتكم الفضلى، ورحمة
الله وبركاته، مجل قدركم، وملتزم بركم، وموجب حمدكم وشكركم، فلان.

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكرمات وقفا، ونهج منه بإزائها
سبيلا لا تلتبس ولا تخفى، وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا، وجعل المودة في ذاته
مما يقرب إليه زلفى، مريح تجارة من قصد وجهه بعمله (٧١) حتى يرى الشيء
ضعفا، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا وعطفا،
ويدين (٧٢) ثمار الآمال فتتمتع (٧٣) بها اجتناء وقطفا، والصلاة على سيدنا ومولانا
محمد النبي العربي الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي مد على الأمة من الرحمة سجفا،
[وملا قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفًا، القائل] (٧٤) "من أيقن بالخلف جاد بالعطية

[13]، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية، وعدا لا تجد (٧٥) فيه خلفا، والرضى عن آل وأصحابه الذين كانوا من بعده للإسلام كهفا، وعلى أهله في الهواجر ظلا ملتقا (٧٦)، غيوث الندى كلما شاموا سماحا، وليوث العدى كلما شهدوا زحفا، والدعاء لمقام أخوتكم الأسعد بالنصر الذي يكف من عدوان الكفر كفا، والمجد الذي لا يغادر [كتابه] (٧٧) من المفاخر الذي ترك الأول للآخر حرفا، ومنه :

والى هذا - أيدكم الله بنصر من عنده، وحكم لسلطانكم (٧٨) الأسمى باتصال سعده، وأنجز في ظهوره (٧٩) على من عاند أمره، سابق وعده - فإننا نقرر لدى مقامكم، وإن كان الغني بأصالة عقله، عن اجتلاب (٨٠) الشاهد ونقله، وجلاء البيان وصقله، أن الهدايا وإن لم تحل العين بها كلما حلت، أو تناولها الاستتار فما نهت في لحط الاعتبار ولا جلت، أو كانت زيفا كلما أغري بها الاختيار قلت، لا بد أن تترك في النفوس ميلا، وأن تستدعي من حسن الجزاء كيلا، وأن تتال من جانب / التراحم والتعاطف نيلا، وأي دليل أوضح محجة [وأبين حجة] (٨١)، من قوله صلى الله عليه وسلم : «تهادوا تحابوا» [14]، من غير تبين مقدار، ولا اعمال اعتبار، ولا تفرقة بين لجين ونضار، فكيف إذا كانت الهدية فلة الكبد التي لا يلذ العيش مع (٨٢) مع فراقها، ولا تضيء ظلم الجوانح إلا بطلوع شمسها وإشراقها، وجمع الشمل الذي هو أقصى آمال النفوس الألفة، والبواطن المصاحبة للحنين المحالفة، لا سيما إذا اقتعدت محمل (٨٣) الهناء بالفتح الرائق السناء، وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البر وقومه الاعتناء فهناك تعجز ألسن الثناء، وتطابق (٨٤) أعلام الشكر السامية البناء.

وإننا ورد علينا كتابكم الذي سطره البر وأملاه وكنته اللحظ وتولاه، ووشحه البيان وحلاه، مهنّا بما منح الله - جل جلاله - من رد الحق، وتحقيق الحق (٨٥)، وتعيين الجمع ورفع الفرق، وتطوير الأمان وأمان الطوق (٨٦)، وإسعاد السعد، وبلوغ القصد، وقطع دابر من جحد نعمة الأب والجد، وسل سيف البغي دامي الحد، فالحمد لله حمدا يلهمه ويبيعه (٨٧) ونسأله إمدادا يسوغه ويتيح (٨٨) على أحسن العقبي، وأعقب الحسنى، وأرى النعم بين فرادى ومثنى، وجمع الشمل وقد تبدد (٩٠) وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد، وأخذ الظالم فلم يجد من محيص، وجمع لنا الأجر والفخر بين تخصيص وتمحيص، وقلد (٩١) برؤوس أولئك الفجرة الغدرة (٩٢) الفرصة التي فرعوها، وأطفأ بمهراق (٩٣) دمائهم نار الضلالة التي شرعوها، وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر، والحق الذي لا يجحد ولا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلصان، وتحفى عندما تنكر الزمان، وسبب الإزالة،

وطاوع الأصالة والجلالة، حتى فرج الله الكربة، وأنس الغربة، وأقال العثرة،
وتقبل القربة، له الحمد على آلائه، وصلة نعمائه، ملء أرضه وسماؤه.

/11/

ووصل الولد صحبتته مكنوفا / بجناح اللطف، ممهدا له ببركتكم مهاد
العطف، فبرزنا الى تلقيه تنويها بهديتكم وإشادة، وبدء (١٤) في بركم وإعادة،
وأركبنا الجيش الذي أثرنا لحين استقلالنا عرضه، وقررنا بموجب الاستحقاق
فرضه، فبرز (٨٥) الى القضاء الأفيع حسب الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب،
لولا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره، والتشوق الى اللقاء الذي لا
يجده (١٦) منصف ولا ينكره، لما شق علينا طول مقامه في حجركم، ولا ثاؤه لصق
أريكة أمركم، فجواركم محل لاستفادة رسوم الإمارة، وتعلم السياسة والإدارة،
حتى يرد علينا يقدم كتيبة جهادكم، ويقود علينا طليعة نصركم إيانا وإمدادكم،
فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها، وزين المجد افاقها
وقدرها فأحكم طباقها، ونقرر لديكم أن حفظنا من ودمكم، ومحطنا من جميل
اعتقادكم، حظ بان رجحانه وفضله، ولم يتأت بين [من] (١٧) سلف من السلف مثله،
من الصحبة في المنزل الخشن وهي الوسيلة، وفي رعيها تظهر الفضيلة،
والاشتراك في جامع (١٨) لازم الوصول الى الحق، وضم أشتات الخلق، والمودة
الواضحة الطرق، الى ما بين السلف، من الولد الأمن بدره من الكلف، المذخورة (١٩)
أذمته للخلف، فإذا كانت المعاملات (١٠٠) جارية على حسبه، وشعبها راجعة الى
مذهبه، جنى الإسلام [ثمرة] (١٠١) حافلة، واستكفى الدين إيالة كافلة، قاله - عز
وجل - يمهّد البلاد بيمن تدبيركم، ويجري على مهيع السداد جميع أموركم،
ويجعلكم ممن زين الجهاد عواتق أعماله، وكان رضي الله أقصى آماله، حتى تربى
مأثركم على مأثر سلفكم الذي عرف هذا الوطن الجهادي أمدادهم، وشكر جهادهم،
وقبل الله فيه أموالهم وأولادهم، وحسن من أجله معادهم.

وقد حضر بين أيدينا رسولكم الذي وجهتم [الولد - أسعده الله - لنظره،
وتخيرتموه لصحبة سفره، فلان، وهو من الأمانة والفضل، والرجاحة والعقل] (١٠٢)،
بحيث طابق اختياركم (١٠٤) واستحق ايثاركم، فأطنب في تقرير ما لديكم من عناية
بهذه الأوطان، عينت الرغد، وضربت / الوعد، وأخلصت في سبيل الله القصد،
وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الأركان، المؤسسة على التقوى والرضوان،
فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم، وقابلنا بالثناء الجميل أقوالكم وأعمالكم
(١٠٥)، والله يصل سعدكم ويحرص مجدكم - والسلام - (١٠٦).

/113/

هوامش الفصل السادس

- (١) م : أعماره، وهو تصحيف.
(٢) م : وغرت، زدنا وار العطف للسياق.
(٣) م : قبط، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
(٤) م : عليم، وهو تصحيف.
(٥) زيادة لتصحيح النسب.
(٦) م : المعاند، وهو تحريف.
(٧) م : لم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٨) م : نظير، والأصح قراعتها ننظر.
(٩) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ. الأسكوريال، السفر ١ لوحة ٤٢٨. وفي ط. القاهرة ج ٤ ص ٤٤٧ - ٤٥٠.
(١٠) ح س : من أمير المسلمين.
(١١) ساقطة في ح س.
(١٢) م : امره، صحته ما أثبتنا من ح س.
(١٣) ح س ٤٢٩ : مديده.
(١٤) ح س : واسدى.
(١٥) ح س : سعدكم.
(١٦) ح س : لمعالكم.
(١٧) ساقط في ح س.
(١٨) ح س ٤٢٩ : كرام الآباء.
(١٩) ح س : يادرتنا.
(٢٠) ح س : استخلصت وانزل.
(٢١) ح س : وصل.
(٢٢) من ح س .
(٢٣) من ح س.
(٢٤) ح س ٤٢٩ : لا يشك.
(٢٥) ح س : والخلاصة الذي يعلم صدق خلوصه.
(٢٦) ح س : سعودكم.
(٢٧) ساقط من ح س.
(٢٨) م : موقوف، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
(٢٩) م : الكتبية، صوابه ما أثبتنا.
(٣٠) م : المحاولة، وهو تصحيف.
(٣١) م : بلالتها، تصويبه ما أثبتنا.
(٣٢) م : الإقلال.
(٣٣) محي حرفا الميم والياء من اللفظة.
(٣٤) م : ورئيسها، ولعل الصواب ما أثبتنا.

- (٣٥) م : للشيخ، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٣٦) م : بالفتح، تصحيحه من المراجع الآتية.
- (٣٧) وردت القصيدة كاملة في النفاضة ٢٨٧/٢ - ٢٩٧، و٣٤ بيتا في النفع ٤٧٨/٦ - ٤٨٠، انظر تعليق د. العبادي، النفاضة ٢٨٧/٢ حاشية ٣.
- (٣٨) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ١٧٨، ط. القاهرة ٩٨/٢ - ٩٩، وفي النفع ٣٥٢/٦ - ٣٥٣.
- (٣٩) م : مقالة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨ ط. ن ٣٥٢/٦.
- (٤٠) زيادة من المرجعين.
- (٤١) من المرجعين.
- (٤٢) م : فيما، والأنسب ما أثبتناه من المرجعين.
- (٤٣) م : اناحة، وهو تصحيف.
- (٤٤) م : عليكم، وهو تحريف.
- (٤٥) ر ١٧٨ ط ن ٣٥٢/٦ : الثاني جنبه.
- (٤٦) م : أهله مع الإشارة الى استبدالها بما أثبتنا.
- (٤٧) ر، ن : الحنيفة.
- (٤٨) ر : بهرته.
- (٤٩) ر ١٧٨ و : الأقلام.
- (٥٠) ن ٣٥٣ / ٦ : غرضه.
- (٥١) م : وبأحلام، الأنسب ما أثبتنا من «ن».
- (٥٢) المرجعان : ولا معط.
- (٥٣) م : بمقدمها، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٥٤) م : اعتدا ، وهو تصحيف.
- (٥٥) م : وجمع، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٦) م : المحل، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٥٧) م : يهن، وكذا في البيتين التاليين، وما اثبتناه يقتضيه الوزن.
- (٥٨) م : مرتج، وهو تصحيف.
- (٥٩) م : عدآء.
- (٦٠) بياض بالأصل.
- (٦١) وردت هذه الرسالة في الريحانة، مخ، الأسكوريال، ل ١٢٩ - ١٣٠، وفي ط . القاهرة ٤٨٦/١ - ٤٨٩، وفي النفع ٣٤٠/٦ - ٣٤٣.
- (٦٢) ر ١٢٩ ط. ن ٣٤٠/٦ : سورة ما بين (٦٣ - ٦٤) ساقط من ر ١٢٩ ون.
- (٦٥) ن : حظ وأيه من وجوده.
- (٦٦) م : فائر من جيش اللقاء نفعا، تصويبه ما أثبتنا من المرجعين.
- (٦٧) ر ١٢٩ و، ن ٣٤٠/٦ : دريه.
- (٦٨) ن : مذكاة.
- (٦٩) م : خافية، صوابه من ر، ن.
- (٧٠) زيادة من «ن».

- (٧١) م : يعلمه، تصحيحه من ر، ن.
 (٧٢) ن : ومدني.
 (٧٣) م : فتمتع، تصويبه من ر، ن.
 (٧٤) زيادة من ر ١٢٩ و، ن ٣٤١/٦.
 (٧٥) ن : لا يجد.
 (٧٦) م : ملتقا، صوابه من ر، ن.
 (٧٧) من ر، ن يقتضيها السياق.
 (٧٨) ر، ن : للكم.
 (٧٩) م : ظهره، وهو تحريف.
 (٨٠) ر : عن اختلاف، ن : واجتلاء.
 (٨١) زيادة من ر ١٢٩ و، ن ٣٤١/٦.
 (٨٢) ر، ن : بعد.
 (٨٣) ن : محل.
 (٨٤) ن : تلفخ.
 (٨٥) م : وتناظم من من، تصحيحه من ر، ن.
 (٨٦) ساقطة من «ن».
 (٨٧) م : وتطريق الأمان وأمان الطرق.
 (٨٨) ن : وبيته.
 (٨٩) ن : وبيته.
 (٩٠) ن : ٣٤٢/٦ : الذي قد.
 (٩١) م : وتلذ.
 (٩٢) ساقط من «ن».
 (٩٣) ن : بمراق.
 (٩٤) ن : ابداء.
 (٩٥) م : وبرزنا، تصويبه من ر، ن.
 (٩٦) م : لا يجده، تصحيحه من ر، ن.
 (٩٧) زيادة من ر ١٣٠ ظ، ن ٣٤٢/٦.
 (٩٨) «جامع» : ساقطة من ن ٣٤٣/٦.
 (٩٩) م : المنخور، وهو تحريف.
 (١٠٠) ن : المعاملة.
 (١٠١) من ر، ن .
 (١٠٢) ن : أسلافكم الذين.
 (١٠٣) زيادة من المرجعين المذكورين يقتضيها السياق.
 (١٠٤) م : أخباركم، تصويبه من ر، ن.
 (١٠٥) ن : ٣٤٣/٦ : قواكم وعلمكم.
 (١٠٦) ن : والسلام الكريم يخصكم، ورحمته الله تعالى وبركاته.

تعليقات الفصل السادس

- [1] اغمار : م غمر، الجاهل بالأمور الذي لا تجرية له
 [2] أشار ابن الخطيب سابقا الى خروجه من سلا يوم السبت ١٤ رجب.
- [3] صالحة : (Zalia) حصن بين الحمة وبلش مالقة، وقد كان يكتسني بعض الأهمية آنذاك لقربه من الميناء. انظر (معيان الإختيار ص ٦٥ - نزهة المشتاق ص ٩٩.
 - Simonet, Descripción del reino de Granada, p 98).
- [4] ملتاس : أو منتاس (Bentomiz) يقع شرقي مالقة، وقد كان من أهم حصونها آنذاك. انظر (- النفع ٨ / ١٢٠)
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p 47.
- [5] سورة ١٦ (النحل)، آية ١٨.
- [6] يعسوب : ذكر النحل وأميرها، ويقصد به هنا، الرئيس.
- [7] إشارة الى قوله تعالى : «وما الحياة الدنيا إلا متاع وغرور». سورة ٢ (آل عمران)، (آية ١٨٥).
- [8] إغرم : (Agrón) ثبت في الإحاطة ط. القاهرة : الغروم، ولعل الأصح ما أثبتناه لأن إغرم : لفظة بربرية تعني حصن، وهي قرية تابعة لفرناطة تقع جنوب غربها على مقربة من الحامة. انظر (- الإحاطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٩٨، ط القاهرة ١٢٨/١.
- Madoz, Diccionario geográfico, I:119).
- [9] قنب قيس : (Quempe) وهي قرية تابعة لفرناطة، وتتركب اللفظة من قسمين، قنب ذات الأصل الاتيني "Campo" بالإسبانية التي تعني حقل، ثم لفظة قيس، اسم لجد قبيلة. انظر (اللمحة ص ٢٩).
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 70)
- [10] القنب جاغر : (Campojalgal) وهي تتركب من لفظتين : قنب المشار اليها سابقا، و جاغر لعلها لفظة بربرية، أصلها (ازاغار) وتعني الحقل الذي ليس فيه نبات، وهي قرية تابعة لفرناطة.
- V. (I. Secode Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 26
- [11] سورة ٤ (النساء)، آية ٦٦.
- [12] أبو يحيى محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، تولى الكتابة في عهد عبد العزيز المريني، وقد أوفده سفيرا الى الأندلس لاستقدام أسرة ابن الخطيب لما فر الى المغرب سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م. انظر (- روضة النسرين ص ٣٧ - الإستقصا ٤/ ٦٩٥ - العبر ٧/ ٦٩٥).
- [13] «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» : انظر شرح المثل في (مجمع الأمثال ٢/ ٣٣).
- [14] إشارة الى الحديث النبوي : تهادوا تحابوا. انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧٤/٧).

الفصل السابع

رجع التاريخ > نفي ابن كماشة <

وفي أوائل رمضان من العام المذكور تُقبض على الشيخ القائد المقيم كان لرسم الوزارة علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي [1] المتفق منه على الخلل الذميمة، وأشهرها الشؤم، تحرك مصاحباً لركاب السلطان، مقيماً (١) رسم وزارته بتعيين ملك المغرب استراحة من إلحاحه ومزاحمته مجتمعات الفضول، ونفرة عن الطيرة، فانصرف قطب منحسه، وفروقة (٢) عوده، شديد الشح، كثير النجاة [2]، عظيم التبرم، قليل الرضى، مُفرط الحركة، لا يسخو بالفتاة، ولا يبين عن الغرض، ولا يضطلع بالفيء، ولا يتلطف في السؤال، ولا يتأنى بذوي الشورى، وجدتُ حُرْقائهُ صوفاً [3]، من مداخلة الروم أيام المجاورة مع صاحب قشتالة، فبلغ أمنيته القصوى من اقتناء عهد، وضرب وعد، واتخاذ مراد، وابتناء دار قرار، موهما نفسه البقاء والتملُّق وانفساح المدى وقيادة الدُجُن عند تحول الوطن داركفر، والعياذ بالله من نقمته، يتبجح بذلك لنقصان عقله، وقلة حيائه، وضعف غيرته، وسقوط دينه وحشيمته، وعظم ذلك على السلطان فقصر من خطوه (٣)، وعرض من شكيمه، لما استقر برندة، فعينه للسفارة إلى باب ملك المغرب، لمحاولة جلب ولده وحرمة، والقصد الأول تهني الوقت نونه، والراحة من شغبه، فتحرك، وراية الإخفاق خافقة على رأسه، وطبول الخيبة تقرر عند جمعته، من شيخ حشي لُؤما، وقمة نهما وخُبثاً، ولسانه هجراً، وحركاته نكاثاً، فأضرب عن الكلام في معنى وجهته / ومقصد رسالته، وتشطط في اقتضاء شروط حملها السلطان أيام كونه رهينة ببلد الروم، يُصانع على نفسه بكل قول وعمل، فضايقه وقد تولى داراً من أمره، في شروط ثقيلة، ومطامع باهظة، أقطع لجراها جانب الرفض، فقام سد الوحشة بين اسعاف السلطان وبين غرض الرسالة، وطال مكثه، وتعدّر وصول الولد بسوء تصريحه، إلى أن فتح الله للسلطان، مرسله، الفتح الهني بخلو موكبهِ من شؤمه، عادته سبحانه، المقترنة بطلعته، المتاحة من نُصبت، فاستعجل

الانصراف، وترك الولد، ولا همّ «له» إلا الولوغ في عرس الدولة، والخوض في ريق (٦) انتقامها، فطوى المراحل رقيص حمى تزلزل لها فكاه (٧)، أصلها الحسرة، وانتدام الخباثت، لاقتياته بثمن القرى، وإسهامه ثدمانه وخدمته البلغة المقصورة عن إمساك الرمق، واقتصاره البرّ المهروس والقول المدبوغ والحريرة الملفوفة في يسير القبار.

ولما استقرّ بسببة اختار ركوب البحر في أجفان النصارى التي كانت بمرساها، ولامه العلية الأعيان على التفرير، فأشهد بتفضيل ملتهم على الحنيفية السمحة، واختارهم على أهل القبلة تهاويا في مطارح الضجر، وخلعا لرسن النقية، وأطراحا للحشمة، وعرقا نزل إليه من أبيه خديم الروم بجملته من الحصون المسلمة، المتوفى في ظل طاعتهم، الموارى بين مدافنهم على رسمهم حسبما ينطق صكّ قد صانه (٨) بالسرق، وأكنه إكتان الذخيرة، يفخر به على قراءة الخطّ الأعجمي على الأيام.

ولما اتصل بمألقة، لحق به إيعاز (٩) السلطان إليه بالإقامة بها وقد اتصل به سوء تصريفه، وأبرمه مشهور شؤمه، ونفّص عليه الفتح النظر إلى وجهه، ثم استقدمه حياءً وطوقه معتبة، وحصره إلى مقر سكناه نافضا يده عنه في طي ترفيه، والنظر في علاج مرضه، ولما أفاق أوقفه دون حده، ولم يجعل له شيئا من أمره / فوقف وقفة العير بين الورد والصدر، وشرع في ديدنه من الفساد عليه، وتمرس بسلطان قشتالة، وشكا إليه بث، وأصحر يسكن قريته بظاهر لوشة، وراب السلطان أمره، وأهمه شأنه، وخاف انبثاق الشر من تلقائه، ورفع المهادنة بسعيه، وإخرا ب الدولة بكده، فتقيّض عليه ليلا، هو وولده العرة المنتسخة من أصله، والعصية المنتجة من عصاه [4]، إلى وادي أش، ثم إلى المرية، وحصرها في جملة من القراية، ودابرة السوء ممن ثقلت وطأته، فغربوا إلى تونس، وكفى الله الشر، وأذهب العر.

/115/

«رسالة من الغني بالله إلى ابن تافراجين»

وصدرت المخاطبة إلى القائم بأمر الموحدين من آل حفص [5] بها، بما نصّه من إنشائي (٨) :

من الأمير (٩) فلان أيده الله ونصره، وأعلى أمره وأظهره، إلى ولينا في الله الذي له القدر (١٠) الرفيع المناصب، والمجد السامي الزواجب، والسياسة التي أخبرها سمرّ المشاهد وحنو الركائب، الشيخ الجليل الكبير، الشهير الخطير، الهام الأمضى، الرفيع الأعلى، الأمد الأوحى، الأسعد الأصعد، الأرقى الطاهر

الظاهر الفاضل الكامل، الباسل، الأرضى، الأنقى، المعظم الموقر المبرور، علّم
الأعلام، سلالة أكابر أصحاب الإمام، معيد دعوة (١١) التوحيد إلى الانتظام، أبي
[محمد] (١٢) عبد الله بن الشيخ الجليل الكبير، الماجد الخطير، الرفيع الأسعد
الحسيب، الأصل، (الظاهر الظاهر) (١٣)، الأرضى الأمضى، الأفضل الأكمل،
المعظم المقدّس، المرحوم أبي العباس بن تافراجين، وصل الله له عزّة تناسب
شهرة فضله، وسعادة تتكفل له في الدارين برفعة محلّه.

سلام كريم [طيب برّ عميم] (١٤)، يخص مجادتك الفاضلة، ورتبتكم الحافلة،
ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي يحص ليثيب، ويأمر بالإستقالة ليجيب، ويعقب ليلة
(١٥) الشدّة بصبح الفرج القريب، ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم إليه ثمر
الصنع العجيب، ويظهر العبر (١٦) مهما كسر ثم جبر لكل ذي قلب منيب، والصلاة
على سيدنا ومولانا / محمد رسول الله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم
العصيب، ونستظهر بجاهه على عبدة (١٧) الصليب، ونستكثر بمدد بركاته في هذا
التغر الغريب، ونصول منه على العدو بالحبيب، والرضى عن آله وصحبه، نجوم
الهداية من بعده، الآمنة من الأقول والمغيب. فإننا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزّة
متصلة، وعصمة بالأمان من نوب الزمان متكفلة من حمراء غرناطة، حرسها الله،
ولا زائد بفضل الله الذي لطف وجبر، وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العبر،
وجعلنا (١٨) ممن كتب له العقبى لما صبر، إلا الخير (١٩) الذي كسا الأعطاف الحبر،
والصنع الذي صدق خبره الخبر، والحمد لله [كثيرا] (٢٠) كما هو أهله، فلا فضل إلا
فضله، ولكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده، وأعلت مصاعده،
وأثبت التواتر شواهد، إذ لا نزال نتحف بسيركم التي هي في التدبير (٢١) أثر
يُفتقى، [وعلم يسترشد به] (٢٢) إذا العلم اختفى، والسبيل عفا، وإن تلكم الدولة
بكم استقام أودها، وقامت، والحمد لله، عمدها (٢٣)، وإنكم رعيتم في البنين حقوق
أبائهم، وحفظتم عليها ميراث عليائها، ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة، وأراؤكم
السديدة، بما يفيد العلم بفضل ذاتكم، ويغري قوى الاستحان بصفاتكم، لغبطنا
بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طبعا وجبلة، من غير أن نعتبر سببا
أو علة، "فالتقارب (٢٤) بين الأرواح" لا ينكر، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل
ويذكر [6]، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر، وحيث
بلغ الورد وكيف كان الصدر، وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار
ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذا، ولا برح في جوانب إحسانها رائحا وغاديا،
يتيم حجرها الكافل، رضيع درها الحافل، الشقي الخاسر، الخائن الغادر، محمد

117 / ابن إسماعيل بن محمد، المستجير نسبنا (٢٥) من لؤم غدره، الخفية عنا حيل مكره/ لخمول قدره إذ دعاه محتوم الشقاء (٢٦) ليهلك ثم (٢٧) يهلك، وسوئلت له نفسه الأمانة بالسوء أن يملك أخانا الخاسر ثم يملك، وسبحان الذي قال : "يا نوح إنه ليس من أهلك" [7]، وكيف تم له ما أبرمه من تسوّر الأسوار، واقتحام البوار، وتملك الدار، والاستيلاء على قطب المدار، وإننا كنفتنا عصمة الله بمتحولنا الذي كان ليلتئذ محل ثواننا، وكفت القدرة الإلهية أكف أعدائنا، وخلصنا غالباً بحال انفراد إلا من عناية الله ونعم الرفيق، وصدق الرجاء (٢٨) برحمته التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق، مهما تنكر الزمان وتفرق الفريق، وشرذمة الغدار تأخذ علينا كل فجٍ وشعب عميق (٢٩)، وتنضي كل ذلول وصعب حتى أويئنا من مدينة وادي أش إلى الجبل العاصم، من الحادث القاصم، والحجة المرغمة لأنف الخاصم، ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب، وتجهّم من الدهر وقطوب، ويلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله وقارا، ولا يالو شعائره المعظمة احتقارا، فأضرمه نارا، وجلّ وجوه وجوه خزيا وعارا، حتى انتهك (٣٠) الباطل حماه، وغير اسمه ومسمّاه، وبدد حاميته المتخيرة وشذّبتها، وسخم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذبها، وأهلك نفوسها وأموالها، وأساء - لولا تدارك الله - أحوالها، ولما تأذن الله جلّ جلاله في إقالة العثار، ودرك الثار، وأنشأت نواسم رضاه إدامة الاستغفار، ورأينا أن قلادة الإسلام قد أن (٣١) انتثارها، والملة الحنيفة كادت تذهب آثارها، ومسائل الخلاف يتعدد مثارها، وجعلت الملة (٣٢) إلى نحونا تشير، والملك يأمل أن يوافيه بقدمونا البشير، تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح، ونهضنا نبتر ما كتب الله من المنح، وقد امتعض الكون بما حمل، واستخدم الفلك نفسه بمشيئة الله واعتمل (٣٣)، وكاد يقرب لقرى طريقنا (٣٤) الثور والحمل [8]، وظاهرنا محلّ أخينا السلطان الكبير، الرفيع المعظم / أبو سالم، الذي كان وطنه مأوى الجنوح، ومهبّ الممنوح، 118 / رحمة الله عليه، مظاهرة مثله من الملوك الأعظم، وختم الجميل بالجميل "والأعمال بالخواتم" [9]، وأنف حتى عدوّ الدين لنعمتنا المكفورة، وحقوقنا المحجوبة المستورة، فأصبح وإن كان (٣٥) العدو حبيبا، وعاد بعد (٣٦) الآباية منيبا، وشحن (٣٧) أساطيله تحضيضا على الإجازة وترغيبا، واستقبلنا البلاد وبحر الشر يزخر موجه، وملك (٣٨) الإسلام قد خر على الحضيض أوجه، والروم مستولية على الثغور، وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الأمور، والخبيث الغادر الذي كان يُموّه بالإقدام قد ظهر كذب دعواه، وجدد نعمة مولاه، فلولاً أن الله - عز وجل - تدارك جزيرة الأندلس بركابنا، وعاجل أوارها بانسكابنا، لكانت القاضية، ولم نر لها بعد (٣٩) تلك الريح العقيم (٤٠) من باقية لكنا - والحمد (٤١) لله - رفعنا عنها

وطأة العدو وقد ناء (٤٦) بكُلِّكَلٍ [10] ، وابتزناه منها أي مشرب وماكل، واعتزنا عليه بالله الذي يُعَزُّ وَيُذِلُّ، ويهدي ويضل، فلم نسامحه في شرط يجرّ غصاضة، أو يخلف (٤٣) في القلب مضاضة، وخضنا بحر الهول، وبرتنا إلى الله بارينا (٤٤) من القوة والحول، وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا وما بذلنا في مصانعة العدو عن الإجهاز عليهم من حسن سريرتنا، ففويت فينا أطماعهم، وانعقد على التخوم (٤٥) بنا إجماعهم، وقصدنا مألقة بعد أن انثالت الجهة الغربية، وأذعنت المعازل الأبية، فيسر الله لنا فتحها، وهنا (٤٦) منحها، ثم توالى البيعات، وصرخت بمأذن البلاد الدعاة، واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه، وحسب كل صبيحة عليه، فاقترضت "نعامته الشائلة" [11]، ودولة بغيه الزائلة، وأراهه الفائلة، أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة، وآلة للملوك (٤٧) مصونة، واستركب أوباشه، / الذين استباح الحق دماهم، وعرف الخلق اعتزازهم، للفدر وانتماهم، وقصد سلطان قشتالة عن (٤٨) غير عهد ولا وثيقة، ولا مثلى طريقة، ولا شيمة بالرعي خليفة، لكن الله - عز وجل حمل على قدمه، لإراقة دمه، وزين الوجود بعدهم، فلحين قدومه عليه راجيا أن يستقره بفرض، أو يحيل صحة عقده المبرم إلى مرض، ومؤلا هو وشيعته الغادرة كربةً على الإسلام مجهزة، ومضرة (٤٩) لمواعيد الشيطان مستنطرة، تُقْبِضُ عليه وعلى شيعته، وصم عن سماع خديعته، وأفحش بهم المثلة، وساء بحسن رأيه فيهم القتلة، فأراح الله بابادتهم نفوس العباد، وأحيا بهلاكهم أرواق البلاد.

119 /

وحثتنا السير إلى دار ملكنا، فدخلناها في اليوم الأغر المحجل، وحصلنا منها على الفتح الهني (٥٠) المعجل، وعدنا إلى الأريكة التي نأى (٥١) بنا عنها التحيص، ثم أعادنا إليها التخليص (٥٢)، فما حسبناه إلا ساررا (٥٣) أعقبه الكمال، ومرضا عالجه الإبلال، فثابت (٥٤) للدين الآمال، ونجحت الأعمال، وبذلنا في الناس من العفو ما تغمد الذنوب، وجبر القلوب، وأشعنا العفو في القريب والقصي، وألبسنا المثيب (٥٥) ثوب البري، وتآلفنا الشارد، وأعذبنا الموارد، وأجرينا العوائد، وأسنيينا الفوائد، إلا ما كان من شرذمة عظمت جرائمهم، وخبثت في معاملة الله سرانهم، وعرف شؤمهم، فاقصيناهم وشردناهم، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادي وأبعدناهم.

ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا، بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الفدر، وأخذان (٥٦) الخديعة والمكر، وبعث إلينا برؤوسهم، ما بين رئيسهم الشقي ومرؤوسهم، وقد طفا على جداول السيوف حبابها، وراق بحناء الدماء خضابها، وبرز الناس إلى مشاهدتها

/ معتبرين، وفي قدرة الله مستبصرين، / "ولدافع الله الناس بعضهم ببعض
 شاكرين" [13]، "وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين" [14]. فأمرنا
 بنصب تلك الرؤوس بمتسور (٥٧) الغدر الذي فرعته، وجعلناها علما على عاتق
 العمل السيء الذي اخترعته، وشرعنا في معالجة الكلم (٥٨)، وأفضنا على العباد
 والبلاد حكم السلم، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله، وسكن هذا الوطن بعد
 زلزاله، وأفاق من أهواله. ولعلمنا بفضلكم الذي قضاياه (٥٩) شائعة، ومقدماته
 ذائعة، أخبرناكم به على اختصار، واجتزاء واقتصار، ليسر دينكم المتين بتماسك
 هذا الثغر الأقصى بعد استرساله، وإشرافه على سوء ماله، وكنا نخطب محل
 أخينا، السلطان الجليل، المعظم الأسعد الأوحى، الخليفة أمير المؤمنين أبا إسحاق
 [15] ابن الخليفة الامام المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر، ابن الأئمة المهتدين،
 والخلفاء الراشدين، وصل الله أسباب سعده، وحرس أكتاف مجده، لولا أننا
 تعرفنا كونه في هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية، فاجتزأنا (٦٠)
 بمخاطبة جهتكم السنية (٦١)، لتنبؤوا عنا في إنباته بهذا التكليف وإخباره، كما
 نبتم عنه في حفظ ملكه وعمارة داره (٦٢)، وبين سلفنا وسلفكم الكريم (٦٣) من الود
 الراسخ البنين، والخلوص (٦٤) الكريم الأثر والعيان، ما يدعو إلى أن يكون سبب
 المخاطبة موصولا، وأخرة الود خيرا من الأولى لكن الطريق جم العوائق، والبحر
 معروف (٦٥) البوائق؛ وقبل العذر بشواغل هذا القطر بالفضل لائق، ومرادنا أن
 يتصل الود، ويتجدد العهد، والله - عز وجل - يتولى المسلمين بمتعود (٦٦) إحسانه،
 ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله ورضوانه، وهو سبحانه يصل (٦٧)
 سعادتكم، ويحرس مجادتكم، وينجح إدارتكم (٦٨)، ويسني إرادتكم، والسلام
 الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته. (كتب في الثالث لذي قعدة عام ثلاثة وستين
 وسبعمائة) (٦٩).

رجع التاريخ

/12

أحداث أندلسية

واشتدت معتبة طاغية قشتالة بما كان من القبض على هذا الشيخ طويس
 الشؤم، لتعلق أمله به، ورجائه الظهور على الأمة بسببه، فأجيب ببعض المقنعات
 ومضى لشأنه من غير حفظ الله ولا كرامته.

وتخلف كثيرا من اللغب [16] والأمثال بطرف شكله، ومغريات لؤمه (٧٠)،
 وسوء سيرته، وقد تعلق بالأكسن كثير من المنظوم، فمن ذلك :

(خفيف)

هَدَمَ السُّدَّ وَفَوَّاهُ فَارُ (٧١) كَيْفَ شَيْخٍ مُكَايِدُ غَدَارُ
 إِنَّمَا الْمَلِكُ نَاقَةٌ وَفَوَّاهُ وَاللَّيْهَ إِذَا لَمْ تَعَاظِلْهُ قَدَارُ [17]
 مَرَجَلٌ فَوْقَ مَجْمَرٍ (٧٢) الْفَدْرُ يَفْلِي أَضْرَمْتُ تَحْتَهُ مِنَ الشَّرِّ نَارُ
 ظَاهِرُ الشُّؤْمِ فِي جَمِيعِ الْمَنَاحِي خَيْرٌ لَمْ يُفْصَ مِنْهُ اخْتِبَارُ
 وَرَسُولُ النُّحُوسِ تَنْكَمِشُ الْأَوَّ جُهُ مِنْ فِأَلِهِ وَيُخَشِى الْبَوَارُ
 لَوْ سَمَا لِلْبِدْوَرِ حَالٌ كَمَا ل نَالَهَا الْخَسْفُ عَاجِلًا وَالسَّرَارُ
 أَوْ أَتَى لِلْبَحَارِ يَجْلُبُ مَاءٌ يَبَسْتُ كُلَّمَا أَتَاهَا الْبَحَارُ
 لَا تَهْلِكُ الثِّيَابُ إِنْ كَانَ فِيهَا إِنَّمَا فِي الثِّيَابِ لُؤْمٌ (٧٣) وَعَارُ
 إِنْ سَرَى فِي رِسَالَةٍ قُرِنَتْ بِاللُّؤْمِ خَسِ مِنْهَا الْأَعْمَالُ وَالْأَسْفَارُ
 جَاءَ فِيهَا الْأَمِيرُ يَوْمَ طَرِيفٍ قَاسَتْ بَاحَتَ حَرِيمَهُ الْكُفَّارُ
 ثُمَّ فِي الْقَيْرَوَانِ عَادَ فَكَانَ الشُّؤْمُ مُسْتَضْحَبًا لَهُ وَالْفِرَارُ
 وَقَدْ ضَاقَتْ الْأُمُورُ عَلَى الْمَوِّ لَى وَخَابَتْ بِرَنْدَةِ الْأَوْطَارُ [18]
 وَتَوَلَّى عَنْهَا فَكَانَ لَهُ الْفَتْحُ حُجٌّ وَطَابَتْ فِي إِبْرِهِ الْأَخْبَارُ
 وَجَلَلُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ فِيهَا حَاضِرًا مَا زَهَتْ بِخَيْرِ دَارُ
 حَكَمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَابِسُ السَّاءِ قِ [19] كَذَا الْحُكْمُ لَيْسَ فِيهِ اخْتِبَارُ

/122/

وأظهر البحث عن الأعمال المالية طعاما يبلغ عدده ألافاً مستقراً بيد كاتب الدولة الغادرة، وظهير الرئاسة الخاملة، المستبصر في ضلالها كرها وطواعية، المستقل بعينها سرا وعلانية، المغتر ببوارقها الكاذبة، الناعلها الألقاب المهدية في الدنيا والآخرة، عبد الحق بن عطية [20]، ظالم نفسه بمصاحبة أئمة البغي الذين لا إيمان لهم، ولا شبهة في أمرهم، المستبعد الوسع في تنفيق بهرجهم، وإلقاء الزخرف على حبيهم، صدعا على المنابر وخطاً في الرقوق وصراخا في المجتمعات الدينية، طولب بذلك مطالبة مغلفة الظفر منحازة (٧٠) إلى فئة العافية، أدت إلى سجنه، ثم ترقى بالمال، فتمشت حاله، والله مقرض السيئة بالحسنة والمال بحسن العقبى والمغبة، فلقد استظهر السلطان ببيعة أخيه مكتبة بخطه، قد جلب بهوره فيها فصلا يقتضي مضايقة أخيه المختار لعقدها، وتسوره على عهد أبيه، فوقع من تسكين اشتطاطه، والإبقاء على جوارحه، ما الله المجازي على السعي فيه.

رجع

زهد ابن الخطيب

واستمرت الأحوال همدنة على دخن [21]، لخلو الدولة عن المدبر، وفقدان دستها مباشرة السائس، وكان السلطان يذخرني لشعب ثايبها (٧٦)، ورم صدعها، وإجالة قدامها [22]، فورد مني على سراب خابت فيه أماله، وانخنس استشرابه، إذ ترشف الدهر بلالتي واستنزف مائيتي، وقصر من خطوي، وأخمل العرض الأدنى في عيني، وجعل العبرة نصب بصري، والموعظة أمام بصيرتي، فتبرأت من الخلط [23]، وخلعت لباس الطماعة، وعاهدت الله على رفض / التسبب، وهجر التكسب، وترفعت عن مزاحمة الوزراء، ولبست أثواب الصوفية والفقراء، ووقفت العقار الثمين على زاوية (٧٧) أقمتها، وملت بكليتي إلى فئة الله، وتحيزت (٧٨) إلى مطاف العزلة، فعلقت في يد السلطان، وقنع مني بالمساكنة والمجالسة، فسوغت في جانب النصيحة التي تحجم عنها الأبوة، وتلع عن اقتحام حماها الصداقة، معاملة خالصة لله والمسلمين، وقربة أستقبل بها وجه رب العالمين، ولم أذكر عنه نهيا عن منكر ولا أمرا بمعروف، أو مجاورة (٧٩) عنق، أو رفع ظلامة تعود على الدين بنفع، أو ترجع على الأمة بحسن مآب.

/12

ثورة ضد الفني بالله بتاريخ

ذي الحجة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م

وفي غرة شهر ذي حجة كانت الثورة الشنعاء (٨٠)، والرجة التي خاب عنها المسعى، وقد كان السلطان [أنذر] (٨١) بطائفة تداخل علي بن محمد (٨٢) بن نصر [24] من قرابته حلف الطرش (٨٣) والشقاء، ورؤاء من دون ثمر، قبلة من سلبه الله التمييز، وطوقه سوء الاختيار، وحاد به عن جادة الصلوح (٨٤)، فعوجل بالقبض عليه بمحل ولايته "برجه"، يريش [25] ويبرى فكبسه الوزعة ورجال الدولة، واحتمل لحينه على الظهر إلى قصبة المرية، فأودع قعر الطبق بها ثقل القيد، شديد الأرقاب، مطبق الغلق، مظلونة به الظنون، فخاف أرياب المكيدة افتضاح الأمر، ووقع التنبغ (٨٥)، فمجلوا إبراز الكامن وإظهار الخبيء، وتولى كبر ذلك الكياد الدليل البركي [26]، وهو في الوقت من الناس "جلدة بين العين (٨٦) والأنف [27]، لما تقدم من هزيمة النصارى بوادي آش على يده، وتظاهره بالاستقامة، وتمويهه بالمدافعة، ولما فشا في الليف من ضيق صدر الطاغية به، وصرفه الوكد إلى إعدام مكانه، وله شوكة من فرسان الثغر، ومكان في صدور العامة، والجزاء

من بني عزون [28] المتوردين بجلاء عمهم المنيز بالفار (٨٧)، عتو الله، المستنفذ عمره للكيد (٨٨) في حط الأقدام بسبب النعمة، المنتفق / وسيلة (...) (٨٩) وإهداء العورة المقتات من أكل اللحوم البشرية، المؤتدم بالدماء المحرمة، قصده مولاه والمنوه به <ن> بولايته عدة الإسلام، قصبة المرية، ليلة الحادثة به وخاطبه من وادي آش، وقد حال بينه وبين أولياء الدولة الفادرة، واستصرخه على كث الجوار، فصم عن نداءه، وأساء صرف رسوله ودفع الأمانة إلى عتوه، وأحمد بن بطرون سمسار هذه الفتنة، وجرّد الحيلة، الصبي الحدث لغة وعرفا، المؤعوف، آية (٩٠) الله في التباغض والتبارد والتقايس (٩١) وقلة الإدراك، ابن الشيخ الزمن، أبي الحسن التلمساني قيضه جرماً وهيئة واحتقاراً وجناية، تولج الأنفاق، وطرق الأبواب، وزين الواقعة، وسهل الأمر، وتحمل المواعيد، وداخل (٩٢) النساء، وأحكم نسيج المكيدة، وتردد بين أقطاب هذا الكياد، وهم العدد الجم وفيهم النبهاء والسفلة، وأبناء الدولة، وليف السوق، ومنكرو السيرة، ومذيعو التصاريغ غير الحميدة، وأولو الأهواء وأذيال الأشقياء، وغثاء سيل النكبة، ومطيعو داعي المروق، قيوهم الدليل البركي، قريع الخزني ومحلل الأدبار، وكان قد أزمع المبيت بالمدينة ليتم المبرم تحت خفارة الفلس الذي يستر الوجوه ويعين على الحيل، ويهديء هول اللفظ، فأزجمه توقع المعالجة، واستبرأ لنفسه لبعض أمتاع اليوم، فارتاب المتواعدون، وخذل المتناصرون، واقتحم البلد، وقد ركض من بين جنابته يهتف بالناس : أن قد غدرتم، وولي عليكم العدو، وقد وصل لاستباحتمكم.

ودخل البلد، وخلفه شرذمة من جفاة الثغر، فهاجوا في سككه، وقصدوا دار الشيخ علي بن علي بن نصر، وقد جمعهم الوعد بيباه، فاستركبوه وتقدم بين يديه الدليل، فصعدوا إلى باب البنود المفضي إلى ريش البيازين، بحر الشر ومعدن الهرج ومتوعد السلطان، فاستندوا إليه يقرعون طبولاً / من طبول الأعراس، أغاروا عليها من دكان عرضها، ونشروا راية من سلاح بني عزون (٩٣) أيام قيادتهم على جند الرجل، وانبث في المدينة نداؤهم، والدعاء لأميرهم، فتواكل أولياؤهم وارتابوا، وسبروا [29] فقيه (٩٤) الریش ومتبوع جملته، فقتلوا منهم، وسد باباه في وجوهم، فخابت آمالهم، وأسلمهم مغويهم (٩٥)، وقد كان السلطان جلس للناس ضحوتتذ، فطره الخبر بأريكة مجلسه، ومنصب تحيته، فقمنا به من فوره، ودخل داره ناظراً فيما يليق بأمره، والمرج والنداء بالبلد غير غائب عن عينه، ولا محتجب عن سمعه، لإطلال القبة على الكثير من ساحة بلده، فأنسب الوضوء وانشمر [30]، واستدعى الرأي، فتقرر العمل على مثوله بالدخول ببعض الأبراج المشرفة، مواجهاً لمصاف العدو، لا يحمل إلا لباب الخالصة، وتفريق ما بالخزائن من

الأسلحة، واستدعيت طبول الملك فقرعت يرتج لها الأفق، ونشرت راية السلطان، وأشيع خبر العطاء، واستركب الجيش بنفير الجهاد، وضبطت الأبواب بالرجال، وعمرت الأبراج بالحامية، وأقبل الناس لما استفاض ظهور السلطان وإخفاق السعي في مناصبته، يغشون مثنى الملك مستميتين مستمسكين بحبل الطاعة، وتوفر عدد المسلمين بإزاء القلعة، وكلما شره إلى مدافعة من يليه أشير بسكونه وحفظ تعبثته استبراء لأهواء اللفيف، واستجلاء لعزيمة أهل الريض، وتربصا بالعدو القلق المكان، الموهم بالصبر (١٦) والمواقفة إلى أن يجيره الليل. فلما كمل الغرض توجه الجيش فأحاط بالريض واقتحمه، وحمل بعضه على موقف الشيخ المنسوب للفتنة، فادبر أمامه، ودخل الريض يستصرخ أهله، وفر الدليل البركي لأول وهلة فيمن لف لفه، فلاحق بحصن اللقون [31] فامتنع به وتقبض على الشيخ البائس فسيق إلى السلطان متولوا، فتقرع بين يديه وهو يقسم على براءته من الدخلة، ثم جر إلى المطبق، / وطير إلى البلاد بما انجلى عنه الصنع.

/12

فكان مما أملت يومئذ من الكلام المرسل الذي حركته في هذه الأصقاع المغربية لهذا العهد جواره، ما نصه بعد صدره وتحميد (١٧) :

وإلى هذا فإن مما أفادته الفطر السليمة، والعلوم الرضية والقضايا الشائعة (١٨)، والنقل الشرعي، والسنن المرعي، أن مغالب الحق مغلوب، ومزاحف (١٩) الله مهزوم، ومكابر البرهان بالجهل موسوم، ومربع (٢٠) البغي مهجور، وسيف (٢١) العدوان مغلول، وحظ الشيطان موكوس، وحزب الله (٢٢) منصور، ولا خفاء بنعمة الله التي اطرادها في المواطن العديدة، والهفوات البعيدة، والمشتبهات (٢٣) غير المبينة، والظلمات الكثيفة، معلى بوفور الحظ من رحمته، وفوز (٢٤) القداح في مجال كرامته، والاختصاص بسيما اختياره، فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع أمامنا (٢٥)، ونهج لنا سبيل النجاة بين يدي كبسه علينا، وسخر لنا ظهري الطرف والطريق، بعد أن فرق لنا بحر الليل، وأوضح لنا خفي المسلك، وعبد لنا العاصي (٢٦) الحزن [32]، ودمث خمر (٢٧) الشعراء [33]، وأوطأنا صهوة المنعة، وضرب وجوه الشرذمة المتبعة، بعد أن ركضوا خلفنا (٢٨) البراذين (٢٩) البادنة، خزين إهدائنا المجلة (٣٠) بحلي ركابنا، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثر (٣١) صلاتنا، وأبهروا الأنفاس التي طالما رفها إيناسنا، وأبلغها الريق تأميننا، وصيبوا العرق الذي أفضله طعامنا، شرهين إلى دمنا المحظور بالكتاب والسنة، المحوط بسياج البيعة، المحصن عنهم بقديم (٣٢) النعمة، وحرمة الأب ومتعدد الأذمة، فجعل الله بيننا وبينهم حاجزا، وسد يا جوجهم المردة مانعا (٣٣)، وانقلبوا الأنامل الغضة (٣٤) من سريط [34] جفاننا، ويقلبون الأكف

التي أخذ بها الدهر ترفيعاً من المهن إلى رتبة خدمتنا، قد جللهم صفار القدر وذل الخيبة، وكبح الله جماهم (١١٥) عن التنفق بتلك الوسيلة. واحتلنا وادي آش (١١٦) لا نملك إلا أنفسنا لم يشبها غش الملة، ولا كيد الأمة، ولا دنسها، والفضل (١١٧) لله، عار الفاحشة، ولا وسمها الشؤم في الولاية، ولا أحبط عمل نجاحها (١١٨) دخل [35] العقيدة، ولا مرض السريرة، قد سلمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب، وصير لنا ملك أبينا من غير حول ولا حيلة، نرى أنه أملك لدمتنا (١١٩)، وأعلم بمآلنا، وأرحم بنا، فتبثت (١٢٠) بها القدم، وحميت لنا من أهلها رعاهم (١٢١) الله الهمم، وصدقت في الذب عنا العزائم، وحاصرنا جيش الغدر (١٢٢) وأولياء الشيطان وظهراء الباطل فبان الصبر والاستقلال (١٢٣)، وظهت الفئة القليلة، والله مع الصابرين [36]، فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين، ومع ما نالنا من الضيق وأهمننا من الأمر، فلم نطلق يد غارة، ولا شرهنا إلى تغيير نعمة، ولا سرحنا عنان (١٢٤) اكتساح على هجمة، ولا شعلنا قبسا (١٢٥) في بيت ولا حلة، وأمسكنا الأرقام بيسير الحلال الذي اشتملته خزانتنا من أعشار وزكاة (١٢٦)، وحظوظ مزارعات، وارتقبتنا الفرج ممن محص بالشدة، والإقالة ممن نبه من الغفلة، وألهم للإقلاع والتوبة، ثم وفقنا سبحانه وهياً (١٢٧) لنا من أمرنا رشداً [37]، وسلك بنا طريقاً في بحر الفتنة ييسر فدناه بحقن الدماء، وتأمين الأرجاء، [وشكرناه على البلاء، كشكرنا إياه على الآلاء] (١٢٨)، وخرجنا عن الأندلس وقد كاد لولا عصمة الله أن تذهب مذاهب تدمت الذروة، وتستأصل الشافة (١٢٩)، وتسبح الفرضة [38]، سبحانه ما أكمل لنا صنعه، وأجمل علينا ستره، إلى أن أن جزنا البحر، ولحقنا بجوار السلطان بالعدوة (١٣٠)، لم تنب عنا عين، ولا شمع علينا أنف، ولا حمل علينا مركب، ولا خفقت (١٣١) حولنا غاشية، ولا نزع عنا للتقوى والعفاف ستر، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذي أغفله الأوغاد من أبناء بولتنا، والضفادع ببرك نعمتنا، حتى إذا الناس عافوا الطخمة (١٣٢)، وتملأوا الحسرة، وسيماوا الخسارة والخيبة، وساسهم الطغام [39] الذين لا يرجون لله وقاراً، ولا يآلون شعائره المعظمة احتقاراً، كلاب الأطماع، وعبدة الطاغوت ومربو حجور الجهل، ومياسير (١٣٣) أسواق / البعد عن الرب، وعرائس محرم الزينة ودود القز، وشعابين النهم، وأعداء الله الأعزة على المؤمنين بالباطل، الأذلة في نفوسهم (١٣٤) بالحق، ممن لا يحسن المجاورة (١٣٥)، ولا يحمل السلاح ولا ينزه مجمع الحشمة عن الفحشاء، ولا يطعم المسكين، ولا يشعر بوجود الله، داروا من شقيهم المحروم على مضعوف ملفف في الحرير المصور (١٣٦)، متحف بلطف العهر، معطل بالخداع، مسلوب الجدة بأيدي انتهابهم، شؤم على الإسلام، ومعة في وجه الدين، أخذ الله منهم حق

الشريعة، وأنصف أئمة الملة، ولم ينشئوا أن تهاشوا فعض بعضهم بعضاً، واستأصلهم البغي وألحم السيف، وتفنن القتل، من بين مجدل يوارى بأحلاس النواب الدبرة، وغريق يقذف به إلى سوء الميتة، واستهينت حرمة الله، واهتضم (١٣٧) الدين، واستبيحت المحرمات، واستبضعت الفروج في غير الرشدة، وساعت في عدو الله الحيلة، فتحركنا عن اتفاق من أرباب الفتيا، وعزم من أولي الحرية، وتحريض من نوبي الحفيظة (١٣٨) والهمة، وتذامر من الشوكة، وتحريك ممن وراء البحر من الأمة.

فكان ما (١٣٩) علمتم من تسكين الثائرة، وإشكاء الغريم، وإصمات الصارخ وشعب الثائي، ومعالجة (١٤٠) البلوى، وتدارك القطر، وقد أشفى وكشف الضر والبأساء، أما الحبوب فانتهبها رجل [40] الدبا (١٤١)، واستشاط عليها جو السماء وأما مرافق البحر ومرافد البر فسدت طرقها أساطيل الأعداء، وأما الحامية فشذ بها فساد السيرة وغمط الحق وتفضيل الأذى، وأما المال فاصطم السقاء (١٤٢) والأدبار بيضاء وصفراء، وكبس خزائنه حتى وقع الإدقاع والإعدام، وأقوى العامر، وأقفر المخابيء (١٤٣) والمقابين، فأعريت جفون السيوف من حلاها، وجرى تمويه (١٤٤) الآلات الذي علامها، وغاض المؤمنين النفاق والبحث والدغل المستبطن، محض الحين الفاضح، وسلمت للعدو والعرصة وتخرمت الثغور من غير مدافعة، / واكتسحت الجهات فلم يترك بها نافخ ضربة [41]، وحق القول ووقع (١٤٥) البهت وخذل الناصر، [وتبرأت الأواصر] (١٤٦)، فحاكمت العدو إلى النصفة ولم نقره على الدنية، وبأيناه أحوج ما كنا إليه (١٤٧)، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرتة على الكفار مثله اعتزازاً بالله وثقة به، ولجأ إليه وتوكلا عليه، سبجانه ما أبهر قدرته، وأسرع نصرته، وأوحى أمره، وأشد قهره. وركبنا بحر الخطر بجيش نحاربه (١٤٨)، ونهدنا قدما لا نرهب الهول ولا نراقبه، وأطللنا على أحوال ربه (١٤٩) في الجمع القليل إلا من مدد الصبر، المفرد إلا من مظاهرة الله، الغفل إلا من زينة الحق المظلل جناح عقابه بجناح (١٥٠) الروح، المفتقة جياؤه بصهيل العن، الطالعة غرره بطليعة النصر. فلما أحس بنا المؤمنون المضطهدون بساحتهم، انتثروا من عقال الإيالة الظالمة، والدعوة الفاجرة، وتبرأوا من الشرذمة الغاوية، والطائفة المناصبة لله المحاربة، وأقبلوا ثناتاً (١٥١) وأفراداً، وزرافات ووجداناً، ينظرون بعين لم ترو (١٥٢) في غيبتنا من محيا رحمة، ولا اكتحلت بمنظر رافة، ووجوه عليها قمرة [42] الخسف، وأبشار عليها يؤس الجهد، يتعلقون بأذيالنا تعلق الفرقي (١٥٣)، ويتنون لإلحاح الجوع أنين المرضى، ويجهشون بالبكاء ويعلنون لله ولنا بالشكوى، فعرفناهم الأمان من العدو أول عارفة جلونا (١٥٤) عليهم وصرفنا وجه [التأمين]

(١٥٥) والتأنيس وجميل الود إليهم، وقارضناهم (١٥٦) الاجهاش والركة، ورتبنا (١٥٧) لهم من الذلة، واستولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا أخايث كان الأشقياء تخلفهم بها من أخلاف لا تزال تطأ أبشارهم الحدود، وتأنف من استكفائهم اليهود، وانتالت علينا البلاد، وشمر الطاغية ذيله عن الجهات، وراجع الإسلام رمق الحياة، وحثنا السير إلى دار الملك، وقد فر عنها الشقي (١٥٨) بشوكة بغية التي أمدته في الغي وجراته على حرمة الله، وقصد دار قشتالة بكل ما صانت الحقائق من ذخيرة، وحجبت / الأبهاء من خرزة ثمينة، يتوعدون المسلمين بإدالة الكفر من الإيمان، واقتياد جيوش الصلبان، وشد الحيازيم إلى تبديل الأرض غير الأرض، ومحو رسوم الدين، وطمس معالم الحق كيادا لرسول الله في أمته، ومناصبته لله في حبيبه (١٥٩)، وتبديلا لنعمة الله كفرا، ولمعروف الحق نكرا، أصبح له الناس على مثل الرضف [43] يرتقبون إطلال الكريهة، وسقوط الظلة، وعودة الكرة، وعقبى المعرة، والله من ورائهم محيط، وبما يعلمون بصير [44]، ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب، ومنهم وإن بعدوا (١٦٠) في أقصى الأرض قريب. ولم نقدم لما حللنا بدار الملك شيئا على مراسلة صاحب قشتالة في أمره نناشده العهد، ونطري له الوفاء، وننافره إلى الحق، ونقوده إلى حسن التلطف، إلى الذي نشاء من الأمر، فحسم الداء، واجتث الأعداء، وناصح الإسلام وهو أعدى عدوه، وخدم الدين وهو المعضل من أدوائه، وصارت صغرى عناية الله بنا التي كانت العظمى، واندرجت أولاهما في الأخرى، وأتت ركائب [الأمن و] (١٦١) اليمن تترى، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع (١٦٢) سدى ولا هياه عبثا، وأن له فينا خبيثة غيب وسر عناية يبلغنا إيها، ويطوقنا طوقها، لا مانع لعطائه، ولا مصدر لآلائه، له الحمد ملء أرضه وسمائه، فمن اطردت له هذه العجائب محملة عوائق الاستقامة، مزينة (١٦٣) جيوب التقوى، كيف لا يتيمن بعهده، ويدان (١٦٤) الله بمناصحته، ويحذر عناد القدر بمخالفته، وتخشى عاقبة محادثته (١٦٥)، "أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [45]، فقللنا أظفار المطالبة، وغضضنا طرف التبعة (١٦٦)، وسوغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة الإبقاء وأقطعنا من قطع رحم طاعتنا جانب الصفح، وأدرنا (١٦٧) لكثير ممن شح عنا ولو بالكلمة الطيبة جرية الرزق، ووهبنا لله ما وجب لنا من الحق، وديننا له بكظم الغيظ، وعمرنا الرتب بأربابها، وجردنا الألقاب بعد خرابها، / وقبضنا الجباية محملة كدت العادة، مقودة بزمام الرفق، ممسوحا عطفها بكف الطراعية، قبللنا صدى الجيش الممطلو بالأمانى الكذاب، المستخدم في الذب عن الفحشاء ومراقدة العهر، ودارينا الأعداء، وحسمنا الداء، "وظهر أمر الله وهم كارهون" [46]، إلا أن تلك الشرذمة الخبيثة أبقت

/130/

/131/

جرائم نفاق أكننتها أحجار الغدر، وبذرتها حصائد الشر، وأخلصوا الحقايب
لللعنة ممن ساء ظنه، وخبث فكره، وظن أن العقاب لا يفلته، والحق لا يذره،
والسياسة لا تخفزه، فدبت عقاربهم، وتزاورت (٨٧٨) طوافاتهم، وتباث (١٦٩)
فساقهم، فدبروا أمرا تبره الله تنبيرا، وأوسع خزيا وببلا، وجعلوا يرتادون من
أذيال القراية من استخلصه الشيطان، وصحبه الخذلان، ومن لا يصلح لشيء من
الوظائف، ولا يستقل ببعض الكلف، فحركوا بوا [47] منهم رهن زمانة (١٧٠) من
شر النواب الذين لا يسمعون فأجرهم رسنه، ووقف وقفة العير بين الورد والصدر،
بخلال ما أطلعنا الله طلع نئه، فعاجلناه بالقبض عليه، واستودعناه مصفدا ببعض
الأطباق البعيدة والأجبال العميقة، فمرج (١٧١) أمرهم، وخافوا أن تحترش
السعايات ضباب مكرهم، وتتبع نفاقهم، فأقدموا اقدام العير على الأسد
استعجالا للحين ورجعا (١٧٢) لحكم الخيار، وإقداما مع الذي تولى (١٧٣) كبرها
[48]، وكشف وجهه في معصيتها، الخبيث البركي [49]، حلف التهور والخرق،
والموهو بالبسالة وهو الكذوب الفلول النكوث، تحملنا هفوته، وتغمدنا بالعفو قديما
وحديثا زلته، وأعرضنا فيه عن النصيحة وأبقينا له حكم الولاية (١٧٤)، وأنسنا من
نفرتة، وتغايينا عن عرته، وسوغناه الجرائم التي سلفت (١٧٥)، والجرائم التي سبقت
(١٧٦)، من إفساد العهد وأسر المسلمين، والافتيات على الشرع، والصدوع بدعوى
الجاهلية، فلم يفده إلا بطرا، ولم يزد إلا مكرًا، والخير في غير أهله يستحيل
شرا، والنفع ينقلب ضرا، والتفت عليه طائفة من الأخلاف، (١٧٧) بني عزون، /
قرعاء الجهل والمشامة، وأذئاب بيت الأدبار، ونفاية [50] الشرار، حرك حرابتهم
(١٧٨) مكان صهرهم البائس ابن بطرون الضعيف المنه، الساقط (١٧٩) الهمة، الخامل
التفصيل والجملة، وغيرهم ممن تأذن الله بتضليل (١٨٠) كيدهم، وتخيب سعيهم،
فاقتحموا البلد صبيحة كذا يهتفون بالناس أن قد طرق حماهم، وأن العدو قد
دهمهم، ملتفتين يرون أنهم في أذيالهم، وأن رماحهم تنوشهم (١٨١)، وسرعانهم
ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحصباء، ثم جالوا في أزقة
البلد يقدحون في الصفاح نار الحباحب [51] ركضا فوق الصخر المرصوف،
وخوضا في الماء غير المصروف، ثم قصدوا دار الشيخ البائس على بن علي (١٨٢)
بن نصر، من نفاية البيت، ودردي القوم، من شيخ قميء الشكل، قبيح اللثغ، طاهر
الكرز لإدمان المعاقرة، مزنون بالريب على الكبرة [52]، ساقط الهمة، عديم الدين
والحشمة، منته في البخل والهلع إلى أقصى دركات الخسة، مثل في الكذب
والنميمة، معيب المثانة، لا يرقأ بوله، ولا يجف سلسه، فاستخرجوه مبايعا له
بالخلافة، منصوبا على كرسي الإمامة، مدعوما بالأيدي لكونه قلعا (١٨٣) لا يثبت على

/132

الصهوة، مختاراً لحماية البيضة والعدل في الأمة، معتمداً للذب عن الضعيفة السمحة، وصعدوا به إلى الربوة بإزاء قلعتنا مستديراً (١٨٤) إلى الرض، مطلاً على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة نكله بن بطرون (١٨٥)، الطاوي الكشح، الدرب (١٨٦) بركض المسومة، الجرد، المبين الحجة، بغل طاحونه الغدر وغذي السرق [و] الخيانة، واليهودي الشكل والنحلة (١٨٧)، وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آله، ونشرت عليه راية فال رأيها، وخاب سعيها، وطافت (١٨٨) به زعنفة من طعام ممن يحلى في الكريهة (١٨٩)، ولا يزيد على المكاء والصفير من حيله، وانبث في سكك البلد مناديه وهتف أولياء باطله باسمه، واستنجزوا (١٩٠) مواعيد الشيطان فاختلفت / (١٩١) ودعوا بسماسير الغدر فصمت، وقدحوا نار (١٩٢) الفتنة فصلدت وما أورت.

/ 133 /

ولحين شعرنا بالحادثة، ونظرنا إلى مرج الناس، واتصل بنا ربح الخلاف، وجهير الخلعان (١٩٣)، استعنا بالله وتوكلنا عليه، وفوضنا أمرنا إليه، وهو خير الناصرين، وقلنا : "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" [53]، واستركبنا الجند، وأذعنا خبر العطاء، وأطلعنا بريح الجهاد، ونفير الجلال، وملأنا الأكف بالسلاح، وعمرنا الأبراج بالرجال، وقرعنا طبول الملك، ونشرنا راية (١٩٤) الحق، واستظهرنا بخلصة الأمر وأولياء الدعوة، وخاطبنا فقيه الرض نخير خبره، ونسبر غوره، فالفينا متوارياً في كسره (١٩٥)، مرعياً على دينه، مشفقاً من الأخطار بدمه، مشيراً إلينا بكمه، وتفقدنا البلد فلم نرتب بأحد من أهله.

فلما كملت التعبئة، وصحت الجملة، أنهدنا بالجيش ولي أمرنا الذي اتخذناه ظهيراً، واستبطناه مشيراً، والتزمناه جليسا وسميراً، ولم نذخر عنه محلاً أثيراً، الشيخ الأجل أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو [54]، فنهد والرعب يقدمه، والسعد في خدمتنا يخدمه، في جيش كثيف الجملة، سابغ العدة، مزاح العلة، وافر الناشبة، أخذنا نقاب الرض وشعابه، ولف عليه أطنابه، وشرع إليه أسله، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى داسه بالسابك، وخلفه مجر العوالي ومجرى السوابق، وهو الحمى الذي لا يتوعد، والحجر الذي لا يقرب فلولاً تظاهر مشيخته بشعار السلم، واستظلّاهم بظلال العافية، لحلت الفارقة، ووقعت بهم الدبرة (١٩٦)، وفر الأعداء لأول وهلة (١٩٧)، وأسلموا شقيهم أذل من وتد في قاع [55]، وسلحافة بأعلى (١٩٨) يفاع، فتقبض عليه، وأخذت الخيل أعقاب الغدرة أشياعه، وقيد إلينا يرسف قبل القيد في قيد الهرم، ثعلبان مكيدة، وسكيت ضلال، ومظنة فضيحة، وأضحوكة سمر، فتقرع بين يدينا / (١٩٩)، وأخذته الملامة، وجلله الخزي، وتل إلى الطبق [56] حتى يستدعى (٢٠٠) حكم الله في جرمه، ونقتضي

/ 134 /

الفتيا في جريسته، ونختار من أقسام ما عرضه الوحي من قتلته، وهذات الثائرة من يومها، واجتث شجرة الفساد (٢.١) من أصلها، فالحمد لله الذي أتم نوره وإن كره الكافرون، "إن هؤلاء متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون [57]"، وماذا رابهم منا، أصغر الله منقلبهم، وأخزى مردهم، واستأصل [ملكهم، أو لا يتبنى] (٢.٢) الأمر وارثه، ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو ضربة، ومددنا (٢.٣) ظلال الأمن دفعة، وابقاؤنا (٢.٤) رمق الثغور حين لم يجدوا حيلة إلى ما عرفوا في مدتنا من أمنة، وبلوا من حيلة وتسوغوا (٢.٥) من هدنة، وانسحب فوق أموالهم وحريمهم من عفة، وظهر لله علينا من نعمة، "ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء [58]". اللهم ألبسنا سريرتنا لهم (٢.٦)، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن كنا أردنا بجماعتهم شرا، وفي دينهم إغماضا، أو عن العدل فيهم عدولا، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقدنا، وتستكشفه من خبيثتنا، وإن كنت تعلم مناصحتنا لسوادهم، واستنفادنا (٢.٧) الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعي صلاحهم، وتكيف أمالهم، فصل لنا عادة صنعت فيهم، وملكتنا طاعتهم، واهدبنا جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم (٢.٨)، يا أرحم الراحمين.

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حسن العقبي، واستقر على التي هي أزكى، وظهر أن دولتنا لا تخاف بالله دركا ولا تخشى، وأن السبيل (٢.٩) الحق أنجي، ومحجته أحجى، [خاطبناكم نجلو نعم الله قبلنا عليكم، ونشيد بتقوى الله بناديكم، و] (٢.١٠) بتوالي عنايته بنا فيكم، (٢.١١) ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم، ليكسبكم اعتبارا فترجوا لله وقارا، وتزيدوا يقينا واستبصارا، ولا تصرفوا لغير من اختار الله لكم اختيارا (٢.١٢)، وهو سبحانه نعم الوكيل.

واستدعيت الفتيا ثاني يوم الثورة، فأطبق الفقهاء على وجوب قتل الرئيس، ثم / 135 خطبوا السلطان العفو عن جريسته، والتزي بحلي الحلم عن زلته، لمكان ذياغ الشبهة في أكناهه، وعدم صلوحه لمكان الخوف الذي أفسد ذكره، ومنع من العقد له، واضطرب منهم قوم عرفوا في انتكاث العزيمة، عادتهم في فضح الله إياهم عند محاك الأهواء، فأبقي في حكم الثفاف، إلى أن هلك حتف أنفه لزمان قريب، وتقول باغتياله.

وخطب السلطان في هذا الغرض بكثير من المنظوم، فمن ذلك قول الشيخ القاضي المفلح الشهير أبي إسحاق بن الحاج [59]:

(طويل)

هَنِينًا كَمَا حَيَّيَ الْحَيَا أَوْجَةَ الزَّمَرِ
وَنَعْمَى أَنْتَ تَتَرَى كَمَا وَافَتِ الصَّبَا
وَحُسْنِي أَنْتَ فِي إِثْرِ حُسْنِي كَمَا أَتَى
وَأَقْبَالَ مُلْكُ رَاقٍ بِالْعَزْ تَاجِبُهُ
وَعَصْرٌ غَدَا يَفْتَرُ بِالسَّعْدِ تُغْفَرُهُ
وَأَيَّامُ أَنْسٍ قَدْ مَحَتْ كُلَّ وَخْشَةٍ
وَأِدْرَاكَ أَمَالٍ مَلَكَتْ قِيَادَهَا
سَمَتْ بِكَ أَفْلَاكُ الْخِلَافَةِ رَاقِيًا
وَوَاقَعَتْ (٢١٣) بِالْحَرْبِ الشَّقِيَّ الَّذِي بَغَى
وَضَمَكَ بَيْنَتْ الْمَلِكِ أُبْلَجَ ازْهَرًا
وَسُرَّتْ بِكَ الدُّنْيَا وَرَاقٍ جَمَالُهَا
وَجَالَ إِلَيْكَ النَّصْرُ فِي حُلُلِ الرُّضَى
وَيَهْنِكَ عِيدٌ بِالسَّعَادَةِ وَالْمُنَى
وَجَاءَكَ لِلْأَعْيَادِ فِي الْفَضْلِ سَابِقًا
وَقَدْ ذَهَبَتْ بِالْأَمْنِ كُلَّ مَسَاءَةٍ
وَاللَّهُ فَتَحَ قَدْ طَرِبْتَ لَوَقْتِهِ
هَزَزَتْ بِهَا الدُّنْيَا فِدْلٌ عَلَى الْعُلَى
وَأَصْبَحَتْ فِي الْحَمَاءِ تَسْكُنُ رُبْعَهَا
حَرِيصًا عَلَى الْجُودِ الْمَوَاسِلِ وَالنَّدَى
فَلَا شَخْصَ إِلَّا وَهُوَ جَذْلَانُ فَارِحٍ
وَيَا ابْنَ أَبِي الْحَجَّاجِ لِلْسَّعْدِ يَهْتَدِي
إِمَامٌ رَضِيَ قَدْ جَاءَ فِي الْفَضْلِ أَوَّلًا
بِبَذْلِ النَّدَى وَالْبَيَاسِ يُعْرِفُ دَائِمًا
هُمَا يَزِينُ الْأَرْضَ نَقْعُ جِيَادِهِ
يَحُومُ عَلَى قَيْضِ النُّجَيْعِ حُسَامُهُ
إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَتَى الْمَلَا (٢١٤)
وَحَنَّتْ لِرُؤْيَاكَ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً
وَعَادَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى الْخَفْضِ (٢١٥) وَالْغَنَى
وَكُنْتَ لَفَيْضِ الْجُودِ أَصْلًا وَالْعُلَى
وَأَنِّي بِالْأَمْدَاحِ فَيْكَ لَمَوْلَعٌ
وَأَنِّي بِالْأَشْعَارِ قَدْ جُنْتُ مُتَحِفًا

وَيُشْرَى كَمَا جَلَّى الدُّجَى وَصَحَ الْفَجْرُ
فَجَرَتْ ذِيُولُ الرُّوضِ عَاطِرَةُ الشَّشْرِ
إِلَى الرُّوضِ إِثْرُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبُ النَّهْرِ
كَمَا رَاقٍ تَاجُ الْأَفَقِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
كَمَا افْتَرَّ تُغْرِ الْكَاسِ عَنْ حَبِيبِ الْخَمْرِ
كَمَا قَدْ مَحَا صَبْحُ الرُّضَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ
كَمَا مَلَكَ السَّاقِي قِيَادَ أَخِي السُّكْرِ
كَمَا قَدْ سَمَا فِي أَوْجِهِ طَائِرُ النَّسْرِ
كَمَا قَدْ بَغَى شَرَّ الْبُغَاةِ عَلَى الصَّقْرِ
كَمَا ضَمَّتْ الْأَصْدَافُ كَشْحًا عَلَى الدُّرِّ
كَمَا رَاقٍ مُنْسَوِّقُ الْحَلِيِّ عَلَى النَّحْرِ
كَمَا جَالَ غُصْنُ الرُّوضِ فِي الْوَرَقِ الْخَضِرِ
كَمَا عَادَ بُرْدُ الْعَصَبِ لِلطِّيِّ وَالنَّشِيرِ
كَمَا سَبَقَ الْأَمْلَاكُ يَوْمًا بَنُو النَّصْرِ
كَمَا ذَهَبَتْ شَيْمًا (٢١٥) [الإمارة (٢١٦)] بِالْبِشْرِ
كَمَا طَرِبَتْ نَفْسُ الْجَوَادِ إِلَى الشُّكْرِ
كَمَا دَلَّ مَرْقُوبُ الْهَلَالِ عَلَى الشُّهْرِ
كَمَا سَكَنَ الْقَلْبُ الْمُؤْمَنُ فِي الصَّدْرِ
كَمَا حَرَصَتْ نَفْسُ الْبَخِيلِ عَلَى الْوَفْرِ
كَمَا خَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي لَيْلَةِ النَّفْرِ [61]
كَمَا يَهْتَدِي الضَّلَالُ (٢١٥) بِالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ
كَمَا جَاءَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ السُّطْرِ
كَمَا تُعْرِفُ الْأَنْهَارُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ
كَمَا زَيْنَتْ بِيضُ الْقَرَاطِيسِ بِالْحَبْرِ
كَمَا حَامَ ظَمَانٌ عَلَى مُورِدِ عَمْرِ
كَمَا قَدْ أَتَى الْحَجَّاجُ شَوْقًا إِلَى الْحَجْرِ
كَمَا حَنَّتِ الْوَرَقَاءُ لَيْلًا إِلَى الْوَكْبَرِ
كَمَا عَادَ سِرُّ الْعَاشِقِينَ إِلَى الْجَهْرِ
كَمَا كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ أَصْلًا سَنَا الْبَدْرِ
كَمَا وَلَعَ الْأَبْطَالُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ
كَمَا أَتَحَفَ الْجَمَالُ يَشْرِبُ بِالتَّمْرِ

بمقدامك الميمون أرخت أسعدي
وأنت الذي صنت السرى وحميتهم
وأصبحت بالسيف المطاول غالباً
ولكن على عفو جيلت تكرمياً
فلا زلت في برز السعادة رافلاً
ودام لك العز المجدد والعلى

كما أرخ الروم التواريخ بالصفير
كما قد حمى رب التقى جانب الصنير
كما يقلب السران بالشرع للفسر [62]
كما جيلت نفس الجبان على الذعر
كما ترقل الحسناء في حلل الخمر (٢١٨)
كما دام حب العرب للنظم والنثر

«القبض على الدليل البركي»

واستقر الدليل البركي في الشرملة الخاصة بحصن اللقون من الحصون الملجئة في جوار العدو، وكان لنظرة، وقد أعدده للثورة منذ أزيد من عشرين سنة، فلم يدع فيه خلة إلا سدها، ولا عورة إلا حصنها، واختزن به الآلة والطعمة، واستجرى الماء، فلما أخفق سعيه، وتبر كيده، صرف إليه وجهه على جبال الفخار، شرقي المدينة، وسبق إليه التدبير، فدخله في سريع من ليلة يوم الكائنة، طوى في برهة اليوم إليه سبعين ميلاً، ودخله، ولم يستقر به حتى غشيت الخيل المتبعة، فآلفته أمنع من عقاب الجو، قد استقل بمصام منقطع السبب، مختزل من الأرض، منسوب للسحاب، فنكا القرح، وأثار الغمة، ورجم الظنون، واستدعت الجهات إلى منازلته، واتخذت المجانيق، فلم يغن ذلك شيئاً، وأهم المسلمين أمره، وتوقع أن تغلظ شوكته، ويتصل به أولو الفساد، وينخرق من جهته عقد السلم، ويسلك مسلكه بعض المجاورة من الحصون، فداخلته أدعوه إلى النزول، وأضمن له عفو السلطان، / وأطرنى له التوبة، وأحذره سوء العاقبة، فراجعني مستقيماً إلي، باخعا (٢١٩)، إلا أنه لا يقنع بأحد من المسلمين في رم أمره، ومباشرة إنزاله من منتزاه وعقد وثيقة أمانه غيري. فكان ذلك، وتوجهت إليه تاسع عشر ذي الحجة من العام <٧٦٣هـ> وصعدت إلى باب الحصن مشاهدا كرك [63] الأندلس سنوا ومنعه، فنزل إلي بعد أن أشرت بإفراج المحلات عنه، وسمحت في ذات الله بنفسه إلى توقع مكيدته، واستنزته ومن معه، وقبضت الحصن بما فيه، فثقفته بمن يضبطه للسلطان، واستتقته وجملته سالكا طريق الثغر من البر حيلة إلى أنتقيرة، وأوصلته إلى مأمته من العمالة المرينية المشاركة لهذه الحدود، فاستقر بجبل الفتح، إلى أن كان من سأمته للمطاوله به ما أوجب صرف وجهه إلى جهة السلطان المتجافي عن جريمته، موهما التطارح عليه في قبول الفينة (٢٢٠) فصاحت به الجهات، ووقع التحذير، واستركب الجند، وأخذت عليه الثنايا والفجاج، وغار جملة من خيله، وتقبض على طائفة من قومه، ولجأ إلى أنتقيرة ركضاً، فتقبض بها عليه، وتوجه من باب السلطان في صفده في الحديد، واحتمله إلى مالقة، فاستودع بمطبق القسبة منها إلى هذا العهد.

/138

ولما عدت من استنزال هذه الشريعة الثائرة، وتسكين النائرة، وسد حرب الفتنة، أشرت على السلطان باستيلاف النفوس، وتسكين نفرتها لاشتراك الجمهور في لازم الذنب، وضم النشر، وإصلاح فساد السيرة، والتجاني عن الناس، والسلوك على نهج السنة، فانقاد رضي الله عنه لذلك انقياد مثله من الملوك أولي العقول الرضية، والنفوس الزكية، والأخلاق الرضية.

فصدر عني منشور من إنشائي علوت به ذروة المنبر الأعظم من حضرته عقب الفراغ من صلاة يوم الجمعة القريب اتصاليه بيوم الإياب، خاطبت به الجم الغفير بعد التسليم عليهم من أعلى القمة والإجهاش في / سبيل العطف عليهم والرحمة نصه (٢٢١).

هذا كتاب كريم أصدرناه، بتوفيق من الله، شارحا للصدور، ومصلحا بعناية الله للأمور، ملحقا جناح الأمان والعدل والإحسان للخاصة والجمهور، يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرأه (٢٢٢) ويتدبر ما لديه ما أعاننا (٢٢٣) عليه الله من تأمين النفوس وحقق الدماء، والسير في التجاني عنها على سنن (٢٢٤) السواء، ورفع التثريب عن البعيد فيها والقريب، والمساواة في العفو عنها والغفران بين البريء والمريب، وحمل من يظن أنه ينظر بعين العداوة في باطن الأمر وظاهره محمل الحبيب، وترك ما يتوجه بها من المطالبات، ورفض التباعات (٢٢٥)، مما لا يعارض حكما شرعيا، ولا يناقض سننا (٢٢٦) من الدين مرعيا، فمن كان رهن تبعة، أو طريد تهمة، أو منبزا (٢٢٧) في الطاعة برية، فقد سحبتنا عليه ظلال الأمان، وألحفتنا أثواب العفو والغفران، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق [و] الإحسان، حكما عاما، وعفوا تاما، فاشيا في جميع الطبقات، منسحبا على الأصناف المختلفة، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال، ولا يضع السؤال، واستغفرنا الله عن نفسنا وعن أخطأ علينا من رعبتنا، ممن يدرأ الشرع غلطته، ويقبل الحق فينته، "ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا" [64] لما رأينا من وجوب اتفاق الأهواء والضمائر، وخلوص القلوب والسرائر، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر، ومسه بمتقدم الفتنة الضر، وصلة لما أجراه الله على يدينا، وهياه بنا، فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة، ورفع من بأس وإحنة، وكشف من ظلمة، وأسدل من نعمة، وأصفى من مورد عافية، وأولى من نعمة (٢٢٨) كافية، بعدما تخرمت الثغور، وفسدت الأمور، واهتضم الدين، واشتد على العباد والبلاد كلب الكافرين، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائما، والشكر واصبا (٢٢٩)، ومن الله أسأل أن يتم نعمته علينا، كما أتمها على آبائنا، من قبل، إن ربنا (٢٣٠) / حكيم عليم [65]، ونحن قد شرعنا في تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعدالة، والدين

والجلالة، للتطوف بالبلاد الأندلسية، ومباشرة الأمور بالإيالة النصرية، ينهون إلينا ما سيتطلعون، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه، ويقيدون ما تحتاج إليه الثغور، وتستدعيه (٢٣١) المصلحة الجهادية من الأمور، ونحن نستعين بفضل رعيئنا وخيارهم، والمراقبين الله (٢٣٢) منهم في إيرادهم وإصدارهم، على إنهاء ما يخفى عنا من ظلامة تقع، أو حادث يبتدع، ومن اتخذت بجواره خسر فاشية، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية، فنحن نقلده العهدة، ونطوقه القلادة، ووراء تنبيهنا على ما خفي عنا من الشكر لمن أهده، وإحماد سعي من أبلغه وأداه، ما نرجو ثواب الله عليه، والتقرب به إليه، فمن أهدى لنا شيئاً من ذلك فهو شريك في أجره، ومقاسم في مثوبته، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب عن الأمر الكذا في الكذا.

فلم نر بالأندلس يوماً أعلى نداء، ولا أذيع دعاء، ولا أعظم بكاء، من ذلك اليوم، ثم ظهر مصداقه عامة اليوم وما بعده من إطلاق عقال الجناة، ورفع الجناح، وتسريع الآمال، وإنزال الوهم من منصة الشهرة ومواراتها بالتراب حكم السنة، وإفشاء الصدقة، وإذاعة العفو، والأخذ على أيدي الظلمة، وتغيير المنكرات، فسكن الناس وأنسوا بجناب العافية، واستروحوا ريح الأمانة، وأخلصوا للسلطان الدعاء وأمحضوا الطاعة، وسكن لهذا العهد الزلزال.

واستقر رجال البيت النصري من وراء البحر، وبريء مرض القلوب، واقصرت في الفساد الآمال، وبدا للناس في أمر السلطان ووزنوه بميزان النصفة، ونظروا إليه بعيون البصيرة، وثنوا الأعنة إلى حسن الطاعة وسؤال الامتاع به، من ملك مصنوع له / مكيف الغرائب لدولته، حسن الخلق والشكل، قد امتاز بذلك ما بين الأمة، لطيف الشمائل، خفر الوجنة، بري عن الشر والموجدة، نساء للأحقاد (٢٣٤)، معتدل الأحوال، مغمد السيف إلا بحقه، كثير الهوينا، سريع الدفعة، متحمل النصيحة، صبور على الموعظة مبسوط الكنف، داع بالكنى والألقاب المحبوبة، كثير الهوى للصالحين، مواصل للصدقة، ثاقب الفهم، صانع اليمين، شجاع مقدم على الهول، قلما يأتي الزمان بمثله، أو يوجد بشبهه، من غير التماس لرفده، ولا تمهيد لصلته، ولا خوف من جوره، تولاها الله بما تولى به أهل العناية منه، ورده الرد الجميل إليه بعد الوفاء بحق قلادته، ومناصحته في عهده.

هوامش الفصل السابع

- (١) م : مقيم.
- (٢) م : وفرية، ولعل المناسب للسياق ما أثبتنا.
- (٣) م : حظوة.
- (٤) م : ريق.
- (٥) م : تولول لها فكاهة، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٦) م : هانة، تصويبه ما أثبتنا.
- (٧) م : إيعان، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٨) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٢٤ - ١٣٦، وفي ط. القاهرة ١/٥٠١ - ٥٠٧. وفي النسخ ٢٢٢/٦ - ٢٢٩.
- (٩) ن ٢٢٢/٦ : من أمير المسلمين.
- (١٠) ن : القدم.
- (١١) ن ٢٢٢/٦ : بولة.
- (١٢) من ر ١٢٤ ط، ن.
- (١٣) اللفظتان ساقطتان من ر ن ٢٢٤/٦.
- (١٤) من ر، ن.
- (١٥) ر، ن : ليل.
- (١٦) م : المعبر، تصحيحه من ر، ن.
- (١٧) ر، ن : على جهاد عبدة.
- (١٨) ساقطة من ن ٢٢٤/٦.
- (١٩) ن : الخبر.
- (٢٠) من ر ١٢٤ و، ن.
- (٢١) ن : التدبيرات.
- (٢٢) من ر، ن.
- (٢٣) م : عمومها، تصويبه من المرجعين.
- (٢٤) ر ١٢٤ و ن ٢٢٥/٦ : فالتعارف.
- (٢٥) ن : بنسبنا.
- (٢٦) ن : الحين.
- (٢٧) ن : إلى أن .
- (٢٨) ن : اللجأ إلى رحمة الله تعالى.
- (٢٩) من ر ١٢٤ و، ن ٢٢٦/٦.
- (٣٠) ن : هتك.
- (٣١) م : دان، تصويبه من ن.
- (٣٢) ن : الملتان.

- (٣٣) ر ١٣٥ ظ، ن : اكتمل.
 (٣٤) ن : لقرى ضيفنا.
 (٣٥) ن ٣٣٦/٦ : بعد.
 (٣٦) من ر ١٣٥ ظ، ن.
 (٣٧) ر، ن وسخر.
 (٣٨) م : فلك، تصويبه من ن.
 (٣٩) ر، ن : من بعد.
 (٤٠) م : العظيم، تصويبه من ر، ن.
 (٤١) ر، ن : والفضل.
 (٤٢) م : ثناء، تصويبه من ر، ن.
 (٤٣) م : ولا يخلف.
 (٤٤) ر ١٣٥ ظ : ربنا.
 (٤٥) ن ٣٣٧/٦ : التحرم.
 (٤٦) ر، ن : هيا.
 (٤٧) ن : للملك.
 (٤٨) ن : من.
 (٤٩) ر، ن : نصرة.
 (٥٠) ن ٣٣٧/٦ : الإلهي.
 (٥١) ر ١٣٥ و، ن : نبأ.
 (٥٢) هذه الجملة ساقطة من "ن".
 (٥٣) م : سرا، تصويبه من ر، ن.
 (٥٤) م : فثاب.
 (٥٥) ر، ن : المريب.
 (٥٦) ر ١٣٥ و، ن ١٣٨/٦ : ولخوان.
 (٥٧) ن : بمسور.
 (٥٨) ن : العلم.
 (٥٩) م : قصاياها، وهو تصحيف.
 (٦٠) م : فاجتزنا، تصويبه من ر ١٣٥ و، ن ١٣٨/٦.
 (٦١ - ٦٢) ساقط من "ن".
 (٦٣) ساقط من "ن".
 (٦٤) ساقط من "ن".
 (٦٥) ن : مفروق.
 (٦٦) ن ٣٣٩/٦ : بمتوارد.
 (٦٧) ن : يطيل.
 (٦٨) م : اردادتكم، تصويبه من ر، ن.

- (٦٩) ساقط من "ن".
 (٧٠) م : لومه.
 (٧١) م : عار، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
 (٧٢) م : بياض.
 (٧٣) م : لوم.
 (٧٤) م : الأمير فيها، والأنسب للوزن ما أثبتنا.
 (٧٥) م : منجزة، وهو تصحيف.
 (٧٦) م : ثاها، وهو تحريف.
 (٧٧) م : زاوية.
 (٧٨) م : تحيرت.
 (٧٩) م : محاولة.
 (٨٠) وردت الإشارة إلى هذا الحدث في الإحاطة مخ. الأكاديمية التاريخية ل ١٧٠، ١٧١ في تسعة أسطر، وفي المطبوع ٦٥/٢. وفي اللوحة ص ١٢٩ في سطر ونصف.
 (٨١) من ح ١٧٠، ل ١٢٩.
 (٨٢) ح ١٧٠، ل ١٢٩ : علي بن علي.
 (٨٣) م : الطرس.
 (٨٤) م : حادة الصلوع، ولعل المناسب ما أثبتناه لأن الصلوح تعني الصلاح.
 (٨٥) م : التنبع، وهو تصحيف.
 (٨٦) م : العنف، وهو تحريف.
 (٨٧) م : الفارئ، ويمكن قراءتها الفار.
 (٨٨) م : الكيد، والسياق يقتضي قراءتها للكيد أو في الكيد.
 (٨٩) بياض بالأصل.
 (٩٠) م : آيات.
 (٩١) م : التعاصص.
 (٩٢) م : ودخل، والأنسب ما أثبتنا.
 (٩٣) م : بنو غرون، يراجع التعليق السابق.
 (٩٤) م : ففية، ولعل المناسب ما أثبتناه.
 (٩٥) م : مغويهم، وهو تحريف.
 (٩٦) م : للصبر.
 (٩٧) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأكاديمية التاريخية ورقة ١٧١ - ١٧٥، وفي المطبوع ٦٦/٢ - ٧٧.
 (٩٨) ح ١٧١ : والقضا بالشرعية.
 (٩٩) ح : مزاحم.
 (١٠٠) ح : ومرتع.
 (١٠١) ح : وسيوف.

- (١٠٢) ح : السلطان.
- (١٠٣) ح : والشبهات.
- (١٠٤) ح : ويراز.
- (١٠٥) ح : وإمانا.
- (١٠٦) ح ١٧١ : عاصي.
- (١٠٧) ح : غمر.
- (١٠٨) ح : قلييا.
- (١٠٩) م : الباردين، تصويبه من ح.
- (١١٠) ح : المتجملة.
- (١١١) م : اثر، والسياق يقتضي ما أثبتناه من "ح".
- (١١٢) ح : بتقديم.
- (١١٣) م : وسد الباب اجوجهم المردة مالعا.
- (١١٤) م : العضة.
- (١١٥) ح : جماعتهم.
- (١١٦) ح : قسبة وادي آش.
- (١١٧) ح : والحمد.
- (١١٨) م : دحل.
- (١١٩) ح : لرمتنا، وفي ط. القاهرة ٦٧/٢ : لحرمتنا.
- (١٢٠) ح : فتشبتت.
- (١٢١) ح : رحمهم الله.
- (١٢٢) ح : العنق.
- (١٢٣) ح : الظفر والاستقبال.
- (١٢٤) ح : عنا.
- (١٢٥) ط. القاهرة : ولاشعنا لبسا، وهو تحريف واضح.
- (١٢٦) ح : وزكوات.
- (١٢٨) ح : والهمنا.
- (١٢٨) م : "ح".
- (١٢٩) ح : العرصة.
- (١٣٠) ح : سلطان المغرب.
- (١٣١) ح ١٧١ : خفت، وفي ط. القاهرة : هتفت.
- (١٣٢) ح : الصيحة.
- (١٣٣) ح ١٧٢ : ومياسيس.
- (١٣٤) ح : أنفسهم.
- (١٣٥) وردت الجملة الآتية زيادة في "ح" وهي : "ولا يلزم الصهوة".
- (١٣٦) ح : الحرم المحصور.

- (١٣٧) ح ١٧٢ : واستضيم.
- (١٣٨) م : الحفظة، تصويبه من "ح".
- (١٣٩) ح : ما قد.
- (١٤٠) ح : ومعالجة.
- (١٤١) ح : فالتمسها وجل الرب.
- (١٤٢) ح : السفه.
- (١٤٣) ح : المجابي.
- (١٤٤) ح : تموه.
- (١٤٥) ح ١٧٢ : ووقع القول وحق.
- (١٤٦) غير واضح في المتن، تصويبه من "ح".
- (١٤٧) ح : ما كنا إلى كحه.
- (١٤٨) م : غواربه، والأرجح ما أثبتنا.
- (١٤٩) م : أحوازية، وهو تحريف تصويبه من "ح".
- (١٥٠) ط. القاهرة : يحتاج، والأنسب ما ورد في المتن وفي "ح".
- (١٥١) م : تباتا، تصويبه من ح.
- (١٥٢) م : تسر، وهو تحريف.
- (١٥٣) ح ١٧٢ : الفريق.
- (١٥٤) م : من "ح".
- (١٥٥) ح : جعلونا.
- (١٥٦) ح : وخارطناهم.
- (١٥٧) ط. القاهرة ٧١/٢ : ووثننا بتشديد التاء بمعنى أقلنا من الذلة، وهو أرجح.
- (١٥٨) ح : الشقي الفاضب.
- (١٥٩) ح : حنيفيته.
- (١٦٠) م : وان بعدن، وفي ح ١٧٣ : وان قعدوا، والأرجح ما أثبتنا.
- (١٦١) م : من "ح".
- (١٦٢) م : الصنع.
- (١٦٣) ح : فحمله عوائق الاستقامة مزية.
- (١٦٤) ح : لا يتمنى بعهد ويدين الله.
- (١٦٥) ح : وتخشى عاقبة أمره.
- (١٦٦) ح : التبعية.
- (١٦٧) م : وارردنا، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ح ١٧٣.
- (١٦٨) ح : وتدارت.
- (١٦٩) ح : وتبات فسادهم، وفي م : وتبات، ولعل الأصح ما أثبتناه، لأن تبات بمعنى تبادلوا الأسرار فيما بينهم.
- (١٧٠) ح : زهق زمانه.

- (١٧١) ح ١٧٣ : فخرج.
- (١٧٢) م : ورعاً، تصويبه من "ح".
- (١٧٣) ح : واقداً على التي هي أشبه وتولى.
- (١٧٤) م : وألفينا حكم الزالية، وما أثبتناه من "ح" يتفق مع ط. القاهرة ٧٠/٢.
- (١٧٥) ح : سبقت.
- (١٧٦) ح : سلفت.
- (١٧٧) ح : الخلاف.
- (١٧٨) ح : عرك جراتهم.
- (١٧٩) ح : السقيط.
- (١٨٠) ح : يأذن الله بضلال.
- (١٨١) ح ١٧٣ : تنهشهم وتنوشهم.
- (١٨٢) ح : أحمد.
- (١٨٣) م : قلماً، تصويبه من ح.
- (١٨٤) ح : مستتراً.
- (١٨٥) ط. القاهرة ٧٥/٢ : مطرون، وفي "ح" : يكون صححها الناسخ في الهامش "بطرون" وهو يتفق مع ما ورد في "م".
- (١٨٦) ح : الدروب.
- (١٨٧) ح ١٧٤ : والنحل.
- (١٨٨) ح : ودارت.
- (١٨٩) ح : من لا يملأ.
- (١٩٠) ح : وانتجروا.
- (١٩١) ح : فاخلفت.
- (١٩٢) ح : زناد.
- (١٩٣) م : الجعلان، تصويبه من "ح".
- (١٩٤) ح : الوية.
- (١٩٥) م : كسره، ولعل الصواب ما أثبتناه من ح ١٧٤.
- (١٩٦) ح : ووقعت به الرزية.
- (١٩٧) م : الويلة.
- (١٩٨) ح : في أعلى.
- (١٩٩) ح ١٧٤ : أيدينا.
- (٢٠٠) نستدعي.
- (٢٠١) ح : الخلاف.
- (٢٠٢) بياض بالأصل، تصويبه من "ح".
- (٢٠٣) م : ومدنا.
- (٢٠٤) كذا بالأصل ويمكن قراءتها وأيقينا.

- (٢٠٥) ح : وتسوغا .
 (٢٠٦) ساقطة في "ح" .
 (٢٠٧) م : واستفادنا، تصحيحه من ح ١٧٤ .
 (٢٠٨) م : أضاعة، والأنسب ما أثبتناه من "ح" .
 (٢٠٩) ح ١٧٥ : سبيل .
 (٢١٠) زيادة من ح .
 (٢١١) ح : وعنايته لدينا ولديكم .
 (٢١٢) ح : وتصفو العين من اختار لكم اختيارا .
 (٢١٣) م : واقعت، وهو تحريف مخل بالوزن .
 (٢١٤) م : زيادة لاستقامة الوزن .
 (٢١٥) م : سيما الأمرة، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والمعنى .
 (٢١٦) م : الله، وما أثبتناه للامعة الوزن .
 (٢١٧) م : الحفض .
 (٢١٨) م : الحمر، ولا معنى لها هنا، ولعل الأنسب ما أثبتنا .
 (٢١٩) م : باجعا، والأنسب ما أثبتناه لأن بخع معناها : بالغ في الطاعة (لج) .
 (٢٢٠) م : الفئة، والأنسب ما أثبتنا .
 (٢٢١) وردت هذه الخطبة في الريحانة مخ. الاسكوريال، لوحة ١٦٤، وفي ط. القاهرة ٥٧/٢ .
 (٢٢٢) ر ١٦٤ و : أو يقرأه .
 (٢٢٣) ر ١٦٤ و : ما عاهدنا .
 (٢٢٤) ر : السنن .
 (٢٢٥) ر : التبعات .
 (٢٢٦) ر : سببا .
 (٢٢٧) م : منيرا، وهو تصحيف .
 (٢٢٨) ر ١٦٤ و : عصمة .
 (٢٢٩) ر : واجبا .
 (٢٣٠) ر : ريك .
 (٢٣١) ر : وتستوجه .
 (٢٣٢) ر : والمرافقين لله .
 (٢٣٣) ر : ما تخفي .
 (٢٣٤) م : للاحناد، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

تعليقات الفصل السابع

- [1] يوسف بن كماشة.
- [2] النجدة : الصد والنهر.
- [3] وجدت خرقاؤه صوفاً : مثل يضرب للحمق. أنظر (مجمع الأمثال ٥٥/١ رقم ١٣٥٩).
- [4] اقتباس من المثل : "العصا من العصية"، وعند العوام "العصا من العصي". أنظر (مجمع الأمثال ١٥/١ رقم ٣٢ - أمثال العوام ١٧٥/١ رقم ١١).
- [5] يقصد بالقائم بأمر الموحدين، محمداً بن عبد الله بن تافراجين، وفي الإحاطة، ابن تافراجين، بينما ابن خلدون أورده : ابن تافراجين، وقد كان حاجباً، ثم استبد بأمر الدولة فانتزعها من أبي حفص عمر الثاني بن أبي بكر (٧٤٧ - ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ - ١٣٦٨ م)، توفي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٦٤ م. أنظر (- الإحاطة ٢٢/٢ - العبر ٢٣/١).
- آل حفص : نسبة إلى حفص بن عمر الهنتاتي. أنظر أخبارهم بتفصيل في (- ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان) - العبر ١/٥٧٧).
- [6] إشارة إلى الحديث : "الأرواح جنود مجندة..." أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٣٥٨/١).
- [7] سورة ١١ (هود)، آية ٤٦.
- [8] الثور والحمل : برجان من البروج الإثنى عشر. انظر وصفهما في (عجائب المخلوقات ص ٦٧).
- [9] تضمين للحديث "إنما الأعمال بالخواتيم"، أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١٠/٢).
- [10] اقتباس من بيت معلقة امرئ القيس :
فقلت له لما تمنى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلل
- [11] من المثل "شالت نعماتهم" أي تفرقوا. (مجمع الأمثال ٢٣٩/١ رقم ١٢٦٧ - زهر الأكم ٢٤٠/٣).
- [12] السرار : آخر ليلة من الشهر.
- [13] إشارة إلى قوله تعالى : "ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٥١.
- [14] اقتباس من قوله تعالى : "ويريد الله أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين، سورة ٨ (الأنفال)، آية ٧.
- [15] السلطان أبو إسحاق إبراهيم (... - ٧٧٧ هـ = ... - ١٣٦٩ م)، من ملوك الحفصيين، تولى الملك سنة ٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م، وهو غلام، فقام بأمره ابن تافراجين الذي كان حاجباً لوالده، أنظر حياته ومصادرها في (الاعلام ١/٣٤).
- [16] اللغب : الكلام الفاسد.
- [17] يقصد قدار بن سالف عافر ناقة صالح عليه السلام، أهلك الله بفعله ثمود، ويضرب به المثل في الشؤم. (مجمع الأمثال ٢٧٩/١ رقم ٢٠٣١).
- [18] إشارة إلى فشل الغني بالله في ردة محمداً تبعه ذلك إلى شؤم ابن كماشة لأنه كان وزيره آنذاك.

- [19] يابس الساق : أي قليل الخير.
- [20] أبو محمد بن عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي ولد بوادي آش سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، كان شاعرا، كاتباً، تولى القضاء بوادي آش في سلطنة الغني بالله الأولى، كما تولى الكتابة ورئاسة بيت المال في فترة إسماعيل ومحمد السادس. أنظر (اللمحة ص ١٢٧. الإحاطة ٥٥٥/٣-٥٥٩).
- [21] "هدنة على سخن"، مثل يضرب فيمن يضمم الأذى ويظهر الصفاء، وهو مأخوذ من قول الرسول (صلم). أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧/٧٠. - مجمع الأمثال ١/١٦١ رقم ٨٣٦).
- [22] اجالة قداحها : إدارة القدر في الميسر، وهو مأخوذ من المثل : "مجيل القدر والجور ترثع". (- مجمع الأمثال ٢/٣١٦ رقم ٤٠١٤).
- [23] الخلط : الإختلاط بالناس.
- [24] أورده ابن الخطيب في اللمحة تحت إسم علي بن علي بن أحمد بن نصر، وفي الإحاطة مرة باسم علي بن علي ومرة بإسم علي بن أحمد، وفي المتن علي بن علي، وأيضا علي بن محمد، وهو من قرابة الغني بالله، بويج بالخلافة ليحتل مكانه في ثورة منيت بالفشل بتاريخ ذي الحجة ٧٦٣هـ / أكتوبر ١٣٦٢م. أنظر (- اللمحة ص ١٢٩ - الإحاطة، مخطوطة الاسكوريال، رقم ٦٠ لوحة ١٧٠، ط. القاهرة ٦٥/٢).
- [25] برجه : قرية تابعة للمرية تقع غربيها بحوالي ١٠٠ كلم. أنظر (- معجم البلدان ٢/١١٣). وقوله : لا يريش ولا يبرى : أي لا يضر ولا ينفع. أنظر (المخصص ٢/٦٥).
- [26] الدليل البركي : وهو الذي ترأس ثورة ذي الحجة ٧٦٣هـ، وقد كان من أنصار إسماعيل أخي الغني بالله. أنظر (الإحاطة ٢/٦٥).
- [27] اقتباس من بيت لعبد الله بن عمر قاله ردا على من لاموه في حب ابنه سالم :
يديروني عن سالم وأريغهم وجلة بين العين والأنف سالم
وسالم يكنى أبا عمر وأبا المنذر، كان فقيها، توفي سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م.
وفي الحديث : "لا تؤنوا عمارا فإنما عمار جلة ما بين عيني". أنظر ابن قتيبة : المعارف ص ٩٣.
- [28] بنو عزون : اختلف في تسميتهم، بعض المؤرخين سماهم بني غزلون، والبعض أطلق عنهم بني غزون، والأرجح ما أورده ابن صاحب الصلاة "بنو عزون" وهم بيوتات من البربر ينتمون إلى قبيل زناتة، كانوا أمراء بتيروال، ولا زالت عائلات في المغرب تحمل هذا الإسم. أنظر (الجمهرة ص ٤٩٩. - ابن حيان : المقتبس ٥/٣٥٩. - ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٣، ٨١. - Bosh Vilà, Historia de Albarracín y su sierra, II, 169).
- [29] سبروا : جربوا واختبروا.
- [30] انشمر : تهيأ.
- [31] حصن اللقون : (Alicún) من المناطق الخصبة التابعة للمرية.
- V. (Madoz, Diccionario geográfico, II, 7).
- [32] الحرن : الممتع عن الإنتقياد، وفعله حرن.
- [33] دمت : سهل ولين.

- خمر : بفتح الخاء والميم، ما وارى من الشجر، ويكسر الميم، المكان الكثير الخمر.
- الشعراء : الأرض الكثيرة الشجر، ورمال شعراء : تثبت العصي وما شابهه.
- [34] سريط : فعله سراط، أي سار سيرا سهلا في الحلق، ومنه المثل، الأخذ سريط والقضاء سريط. (- مجمع الأمثال ١٤/١ رقم ١٥٧).
- [35] بخل : فساد.
- [36] اقتباس من قوله تعالى : كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.
- سورة ٢ (البقرة) آية ٢٤٩.
- [37] إشارة إلى قوله تعالى : ربنا آتتنا من لدك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً، سورة ١٨ (الكهف) آية ٢٤٩.
- [38] الفرضة : من النهر، التلثة التي ينحدر منها الماء، ويقصد بها هنا، تشتت خطورة الأمر.
- [39] الطغام : أوغاد الناس.
- [40] رجل الريا : بكسر الراء وتسكين الجيم، قطعة عظيمة من الجراد.
- [41] "نافخ ضرمه" : مثل يقصد به ما في الدار أحد. (مجمع الأمثال ٢٧٨/٢ رقم ٣٨٤٨).
- [42] قمرة : بياض يعيل إلى الخضرة.
- [43] الرضف : ج رصفة وهي الحجارة المحماة.
- [44] إشارة إلى قوله تعالى : "إن الله بما تعملون بصير"، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٣٧.
- [45] سورة ٢٢ (الحج) آية ٢٣٧.
- [46] سورة ٩ (التوبة) آية ٤٨.
- [47] البو : ولد الناقة، ويطلق أيضا على جلد ولد الناقة يحشى تبنا أو غيره ويقرب من أم الفصيل، فتخدع وتعطف عليه فتدر، ومنه المثل : "أخدع من البو"، أنظر (لج).
- [48] الكبر : بكسر الكاف وتسكين الباء، الاثم الكبير.
- [49] الخبيث البركي : يقصد به الدليل البركي الذي سبقت الإشارة إليه.
- [50] نفاية : بقية.
- [51] الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة.
- الحباحب : ذباب ذو ألوان يطير في الليل وفي ذنبه شعاع كالسراج، ومنه نار الحباحب التي يضرب بها المثل في الضعف.
- [52] الكبرة : بفتح الكاف وكسرها وتسكين الباء، الكبر في السن.
- [53] سورة ٧ (الاعراف) آية ٨٩.
- [54] أبو سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو، كان أبوه شيخا للغزاة المغاربة في السلطنة الأولى للفني بالله، وقد سجنهما السلطان المذكور في ١٣ رمضان ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م. أنظر (اللمحة ص ١١٦ - ١٣٠).
- [55] "وتد في قاع" : يوجد عند العامة بالصيغة "بحال وتد في نخال". أنظر (أمثال العوام ١٧٧/٨ رقم ٩٤).
- [56] تل : اقتيد وسبق.
- الطبق : أو المطبق، وهو السجن تحت الأرض.

- [57] سورة ٧ (الأعراف)، آية ١٣٩.
- [58] سورة ١٤ (إبراهيم) آية ٣٨.
- [59] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
- [60] شيماء : علامة في الجلد.
- [61] الحجاج الثقفي (٤٠ - ٩٥هـ = ٦٦٠ - ٧٠٤م) وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد، قائد داهية، ولد ونشأ في الطائف. أنظر (الاعلام ١٦٨/٢).
- [62] إشارة إلى الحديث : «لن يقلب عسر يسرين».
- [63] كرك : إسم لقلعة حصينة تقع في المملكة الأردنية الهاشمية على الشاطئ الشرقي للبحر الميت، أنظر (معجم البلدان ٧/٢٤٠ - الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ٢٠٢).
- [64] إشارة إلى قوله تعالى : «استغفر الله إن الله كان غفورا رحيمًا»، سورة ٤ (النساء) آية ١٠٦.
- [65] إشارة إلى قوله تعالى : «وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَيْكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، سورة ١٢ (يوسف) آية ٦.

الفصل الثامن

«بعض الرسائل والأشعار التي كتبها ابن الخطيب بعد عودته الى غرناطة»

وصدر عني إلى هذا العهد من المنظوم والمنثور ما يذكر :

فمن ذلك كتاب من إنشائي للسلطان بمصر [1]، نصه : (١)

«الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، وتستدر (٢) من أفاقها سحب
النعماء، وتجلي بأنوار سعدا دياجي الظلماء، وتعرف نكرة البلاد والعباد
بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد
الاسماء، ويجترأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالاتها (٣)، بالإيماء،
وتحمل لها التحية ذات (٤) الدسر والألواح طاعنة نحر الصباح على كتف الماعز (٥)،
أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد الأسعد، الأصعد
الأمجد، الأعلى العادل، العالم (العلم العامل) (٦)، الفاضل الكامل، سلطان
الإسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال
الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين،
مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والتتر، والملك
المنصور بن الأمير الرفيع المجادة (٧)، الكريم الولادة، الطاهر الظاهر، الكبير
الشهير، المعظم المجد، الأسنى (٨) الموقر، الأعلى فخر الملة (٩)، سيف / الأمة، تاج
الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام (١٠) قمر الميدان ، أسد الحرب [العوان] (١١)،
المقدس المطهر، أحمد ابن والد السلاطين، وملك المسلمين، وسيف خلافة الله (١٢)
في العالمين، وولي المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم رسم العج والثج (١٣)
[2]، ومحبي معالم (١٤) الدين، قاصع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمردين، ناصر
السنة (١٥)، محيي الملة، ملك البرين والبحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل،
العالم العامل (١٦)، الطاهر الظاهر، الأصعد الأسعد الأوحد، الأعلى (١٧) المنصور
المؤيد، المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل، المجاهد المرابط الغازي المكمل، المطهر
الكبير الشهير المقدس، الملك الناصر، أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي،
جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح، وحركات عزمه مبنية على الفتح،

ومجمل سعادته غنيا عن الشرح، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح، وزناده أرائه وارية عند القدح، موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرّر بين السلف، رحمه الله، في الأمس (١٨)، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله [الفني بالله] (١٩) الغالب به محمد بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر :

سلام كريم كما زحفت (٢٠) راية الصباح، تقدمها طلائع مبشرات الرياح، وتفاوح زهر الأدواح، وتحاسن (٢١) طرد الوجوه الملاح، يخص أبوابكم (٢٢) التي رتب العز فصولها، وعضدت نصوص النصر (٢٣) فصولها، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن، وخاتمة دعاء أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمداً وشكراً يستخدمان من الإنسان، ملكتي القلب واللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله، زهرة كمامه الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذي أذل بعزة الله أنوف الطغيان / وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما روي (٢٤) له فكان الخبر وفق العيان، والرضى عن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والإخوان صلاة يجدها الجديان، ويمليها الملوان، وتتزاحم على تربتها (٢٥) المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد (٢٦) البراعة على الأفنان، والتفتت عيون الالتفات من (٢٧) بين أجفان البيان، والدعاء لأبوابكم الشريفة (٢٨)، جعل الله عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الأذان، واستخدم بروج الفلك الدوار في مرضاة (٢٩) أمرها العزيز [استخدام] (٣٠) الأنصار والأعوان، حتى يعمل في (٣١) المدافعة عن حماها مخالبا السرحان، وفي الإشادة بعدلها كفتي الميزان، ويهدي [لها] (٣٢) من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان، إلى يوم تغنوا وجوه الملوك إلى الملك الديان، فإننا كتبناه إلى تلكم (٣٣) الأبواب كتب الله لعبتها النصرة الداخلة، كما أخلج بمكارمها السحب الباخلة، وجعل مفارق مناصلها الفاصلة (٣٤)، المختضبة من نجيع عداها غير الناصلة، وقرن بكل سبب من أضدادها فاصلة، من دار ملك الإسلام بالأندلس، حمراء غرناطة، وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها، وشد بأيدي اليقين عرى أهلها في الله ورجائها، حيث المصاف المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالققام وتعمم، والسيف قد تجرد وتيمم، وغبار الجهاد يقول : أنا الأمان من دخان نار جهنم، حيث الإسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوسق العير، حيث المصارع تتزاحم الحود

على شهادتها، والأبطال يعطو بالتكبير مسمع ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة [3] قد زينتها الكوم (٣٠)، وفر عن سماتها اللوم، ودارت بها الجوامع تواريتها (٣٦)، وسلمت منها النفوس الى الله مشترتها، / حيث لا اله إلا الله قد اقتطعها عن وراها بحر يزخر، وكفر عن الإقدام عليها لا يتأخر، وكلمة بتثليث الله تفخر (٣٧) وأمة لا تصون نفسها عن الموت ولا تذخر، وعندنا من التعظيم لتكم الأبواب ما لو اعتمدته (٣٨) الرياح لسكنت وقارا، والأفلاك ما ألفت مدارا، توسع عن أنبائكم مطالع الصبح استخبارا، وتستهدي لطائفها أنفاس الرياح أصائل وأسحارا، وتقنع بالقليل المحب اذا لم يجد مزارا، وتعد من الاستغراق، بجهاد المراق، عن مراسلة تلك الأفاق أعذارا، لا يوسعها الحق إلا قبولا وإيثارا، ولما ضاق نطاق الصبر من ذلك عما كان (٣٩) يواريه (٤٠)، وأصبح بين خجل يليقه، وأمل يغريه، ويرى اليراع إلى بته شوق (٤١) كاد يغنبه عن يبريه، أصدرنا هذه المخاطبة الحمراء قد ورد خدها الخجل، وقصر عن القيام بعذرها المروي المرتجل، تنوب عن الكلام بالاشارة، وتخاف الرد لإغفال الزيارة، واقفة بباب الإيوان، متقاصرة بدارة الخوان، عن رتب الإخوان، قصارها تحصيل الاغضاء عن قصورها، ورفع الإهمال عن سورها، والإرعاء على غربتها، وبعد تربتها، ورعي وسيلتها وقربتها، فلتنعم الأبواب الشريفة بالإصفاء ولتلق (٤٢) عن باب الإلغاء، ولتعلم مجالسها الممهدة على التقوى المؤسسة، وعلومها المشرفة المقدسة (٤٣) أن هذا القطر الذي (٤٤) أفضت لنا رعاية رعاياه (٤٥)، ومهدت لسياستها أكوام مطايها، وجعلت بيدنا، والمنة لله، عباب (٤٦) عطايها، قطر مستقل بنفسه، مرب يومه في البر [على أمسه] (٤٧) زكي المنابت، عذب المشارب، متم المأمل مكمل المأرب، فاره الحيوان، معتدل السحن والألوان، وسيط في الأقاليم السبعة، شاهد لله بإحكام الصنعة، أما خيله ففارهة، وإلى الركض شارهة. وأما سيوفه (٤٨) فلمواطن الفمود كارهة، وأما أسله (فحسن النعت / لين العطف، وأما أسننته) (٤٩) فمتمدركة الخطف، وأما [عوامله] (٥٠) فبينة الحذف، أما نباله فمحذورة القذف، إلا أن الإسلام به في سبط مع الحيات [4]، وذريئة للمنيات الوحيات، وهدف للنبال وأكلة للصهب السبال (٥١)، تطأهم [5] الفارات المتعاقبة، وتتحيفهم (٥٢) الحدود المصاقبة، وتجوس خلالها العيون المراقبة، وتريب من أشكال مختطهم الا بفضل الله العاقبة (٥٣) فليس الا الصبر، والضرب والهبر، والتغميز والبتر (٥٤)، والمقابلة والجبر، وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم، وأساة علتهم، يقومون بهذا الفرض، عن أهل الأرض، ويقرضون ملك العرض أحسن القرض، قلولا بعد المدى، وغول الردى، ولقط العدى، «وما عدا مما بدا» [6]، لسمعت تكبير الحملات، وزئير أسود تلك القلاة،

ودوي الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر، وصراخ الثكالى، وارتفاع الأصوات (٥٥) الى الله تعالى، ولو ارتفع قيد المكان، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتم مقل الأسنة الزرق، حالة من أطراف قضب الرماح محال الورق، وأبصرتم القنا الخطار وقد عاد أخله، والسيوف قد صارت فوق الخدود (٥٦) أهلة، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة، وكان كما تحصره علومكم الشريفة، حدى سورة الفتح، وآخر دلاء ذلك المنح، عرض على (٥٧) الفاروق فاحتاط، وأغرى به من بعده، فاستشاط، واختط وخاط، وسرحت خيل ابن أبي سرح، في خبر يدعو الى شرح، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت، وخضموها ما أنضجت ورثة الحق وشوت، وأيديهم على الأمر احتوت، وفازوا (٥٨) منه بما نوت، نفل ولأئده الوليد، وجلب له الطارف والتيد، وطرقه طارق (٥٩)، وضافت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة، وظهر على الذخيرة التي منها المائدة [7] ثم استرسل المهب، ونصر الرب، ويكثر الطير / حيث ينتثر الحب [8] وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خيره، وطارأت أجنحة (٦٠) العزائم تيمنا بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر [9] وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح الفال، ووسمت الأعفال، وافتتحت البلاد الشهيرة، وانتقيت العذارى الخيرة، واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطى، وخضد الأرطى، وأركب وامطى ، واستوثق واستوطا، وتتابع وتمطى، حتى تعددت مراحل البريد، وسخن عین الشيطان المريد، واستوسق للإسلام ملك ضخم السراشق، مرهوب البوارق، رفيع العمء، بعيد الأمد تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوراق والأسطار، وهل يخفى النهار، ولكل هبوب ركود، والدهر حسود لمن يسود، فراجعت الفرنج كرتها، واستدركت معرفتها، فدومت (٦١) جوارحها وحلقت، وأومضت بوارقها وتناقلت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعنة واطلقت، وراجعت العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية، ولا من الليل إلا الناشية، وسقطت الفاشية، واخذلت (٦٢) الفنة المتلاشية، وتقلصت الظلال الفاشية، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا «أثبتوا في مستنقع الموت (٦٣) أقدامهم [10]» وأخلصوا لله بأنسهم وإقدامهم، ووصلوا سيوفهم الباترة بخطاهم، وأعطاهم منشور العز من اعطاهم، حتى (٦٤) تعين الدين وتحيز، واشتهر بالمدافعة (٦٥) وتميز، وعادت الحروب سجالا، وعلم الروم أن لله رجالا، وقد أوفد جدنا، رضي الله عنه، على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة، ووجودية منتشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت في الأعطاف حميا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم في اللود (٦٦)، وخفرا في وجوه الببور، فإن ذمام الإسلام / موصول، وفروعه تجمعها

في الله أصول، وما اقرب «الحنن ممن داره صول» [11] والملة والمنة لله واحدة، والنفوس لا منكورة للحق ولا جاحدة، والأقدار معروفة، والآمال لما (٧٧) يوصل الى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، والخواطر فعالة، والكل على الله عالة، والدين غريب، والغريب يحن الى أهله. والمرء كثير بأخيه على بعد محله (٦٨).

ولما صير الله لنا تراثهم (٦٩) الهني، وأمرهم السني، وبناعهم العبادي (٧٠) وملكهم الجهادي، أجزانا، وله الطول، على سننهم، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقننهم، وحملنا فيهم خير حمل، ونظم بنا لهم أي شمل، وألبس أيامنا سلماً فسيح الإثارة (٧١)، وأحكم الإدارة، وهذا الإمارة، ومكن العمارة، وأمن في البحر والبر العبارة والسيارة (٧٢)، لولا ما طرقتهم فينا من تمحيص. أجلى عن تخصيص، وتمحض تبره بعد تخليص، ومرام عويس، نبثكم بث، ونوالي (٧٣) لديكم حث، ونجمع منبثه، فإن في قص الحوادث ذكرى [12]، ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود (٧٤) نكرا، وشر الوجود معاقب بخيره، والسعيد من اتعظ بغيره، والحزم أفضل ما إليه ينتسب وعقل التجربة بالمران (٧٥) يكتسب، وهو أن بعضاً ممن ينتسب الى بيتنا بوشائج الأعراق، لا بمكارم الأخلاق، ويمت إلينا بالقرابة البعيدة لا بالنسبة السعيدة، ممن كفلناه يتيماً، وصناه ذميماً شتيماً، وبوأناه ميوماً كريماً، بعد أن نشأ حرقوشاً ذميماً لثيماً، ونهنا من خموله بالولاية، ونسخنا حكم تسحبه بآية العناية، داخل أخا لنا كنا ألزمناه الاقتصار على قصره، ولم نجعل أداة تدل على حصره، وسامحناه في كثير من أمره، ولم نرتب برزده، ولا عمره، واغتررنا برماد على (٧٦) جمره، فاستدعى له من الصعاليك شيعته، كل درب بفك الأغلاق، وتسرب أنفاق النفاق، / وخارق للاجماع والاصفاق، وخبير بمكائد (٧٧) الخراب ومذاهب الفساق، وتسور بهم القلعة من ثم شرع في سده بعد هده، ولم تكمل الأقدار المميزة في جده (٧٨)، في ليلة أثرتنا بيتتنا (٧٩) فيها ببعض البساتين خارج قصورنا، واستتبنا من يضطلع بأمورنا، فاستتم الحيلة، التي شرعها، واقتحم القلعة واقترعها، وجدل حرس النوبة (٨٠) وصرعها، وكبس محل النائب [13] وجدله، ولم ينشب أن جدله، واستخرج الأخ البائس فنصبه، وشد به تاج الولاية وعصبه، وابتز أمرنا وغصبه، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت، والدبرة (٨١) قد ألت، ولقد همت، فخذل الناصر، وانقطعت الأواصر، وأقدم المتقاصر، واقتحمت الأبهاء والمقاصر، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر، وفقد من عين الأعيان النور الباصر، فأعطوه طاعة معروفة، وأصبحت إليه الوجوه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو أثر منجاتنا، والظلام يخفيها، وتكفي علينا السماء

والله يكفيها، الى أن خلصنا الى مدينة «وادي آش» خلوص القمر من السرار، لا نملك إلا نفسا مسلمة الى الأقدار (٨٢)، ملقية له [مقادة] (٨٣) الإختيار، مسلوية (٨٤) لحكم الملك والبلد، والأهل والولد والشعار والدثار، لا تعرف سببا لنكث العهد من بعد العمل بموجبه (٨٥) والاستقرار (٨٦)، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار، ورضوا لبيوتهم المصحرة، ويساتينهم المستبحرة، بفساد الحديد وغيث النار، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفاء، ولا لنفوسهم بالعار، إلى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوط تسبيح فيها الأقاليم سبحا طويلا، وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا، ويلقي (٨٧) القصص منها على الأذان قولاً ثقيلا، وجزنا البحر، وضلوع موجه إشفافا علينا تخفق (٨٨)، وأكف رياحه حسرة تصفق / ونزلنا من جناب (٨٩) سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا نزرعه، ودل على كريم (٩٠) الأصول فرعه، والكريم الذي وهب وأجزل (٩١)، ونزل لنا عن الصهوة وتنزل، وتخبر (٩٢) وحكم، ورد على الدهر الذي تهكم، واستعبر وتبسم، وألى وأقسم، وبسمل وقدم، واستركب لنا واستخدم.

/14

ولما بدا لمن وراينا سيئات ما كسبوا، وحققوا ما حسبوا، وطفأ الغثاء ودرسوا، ولم ينشب الشقي الجريء (٩٣) أن قتل البائس الذي موه بزيفه، وطوقه بسيفه، ودل ركب المخافة على خيفه، إذ أمن المضعوف من كيده، وجعل ضرغامه بازيا لصيده، واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريخته، حاسر الهامة، متنفقا بالشجاعة والشهامة، مستظهرا بأولي الجهالة (٩٤) والجهامة، وساعت في محاولة عدو الدين سيرته، ولما حصص الحق انتكثت مريته، وخبثت سريرته (٩٥)، وارتابت بجنبه المستور جبرته، وفغر عليه طاغية الروم فمه فالتقمه، ومد عليه الصليب ذراعه فراعه وشد عليه الكفر يده فما عضده الله ولا أيدته، وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها، وشكت الى الله (٩٦) باهتضامها، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها، وظهور أوضاعها، وركلت السنة والجماعة، وانقطعت من النجع الطماعة، واشتدت المجاعة (٩٧) وطلعت دعوتنا من المغرب فقامت علينا الساعة، وأجزنا البحر تكاد جهاته تتقاربان (٩٨) تيسيرا، ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرا، وكأن ماء نوب لقي إكسيرا، ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتبعنا الدعاء (٩٩) وتجأجيء بنا الإشارة، ويحفزنا الإستدعاء.

وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة، والأخافة عليها محتومة، وطوالها مفضوضة، وكانت قبل بنا مختومة / وأخذت الخائن الصيحة عن البلاد (١٠٠) فاختل، وظهر تهوره الذي [عليه] (١٠١) جبل، فجمع أوباشه السفلة وأوشابه وطرقه (١٠٢) الذي غش به المحض وشابه، وعمد الى الذخيرة التي صانتها

/1

الأغلاق الحريزة، والمعازل العريضة، فملاً بها المناطق، واستوعب الصامت والناطق،
والوشح والقراطق، واحتمل عدد الحرب والزينة، وخرج ليلاً عن المدينتي واقتضت
أراؤه الفائلة، ونعامته الشائلة [14]، ودولة بغية الزائلة، أن يقصد طاغية الروم
بقضه وقضيضه [15]، وأوجه وحضيضه، وطويله وعريضه، من غير عهد اقتضى
وثيقته، ولا أمر عرف حقيقته، إلا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة، واستئصال
الامة المسلمة، فلم يكن تحصل في قبضته، ودنا من مضجع ربضته، واستشار
نصحاء في أمره، وحكم الحيلة في جناية غدره، وشهره ببلده، وتولى بعد قتله
بيده، وألحق به جميع من أمده في غيه، وظاهره (١٠٣) على سوء سعيه، ووجه إلينا
برؤوسهم فنصبت بمتسور (١٠٤) غدرها، وقلدت لبة تلك البنية (١٠٥) بشذرها،
وأصبحت عبرة للمعتبرين، واية للمستبصرين، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر
الكافرين» [16].

وعدنا الى أريكة ملكنا كما عاد (١٠٦) القمر الى بيته، بعد كيته وكيته، أو
العقد الى جيده، بعد انتشار فريده، أو الطير الى وكره، مفلتا من غول الشرك
ومكره، ينظر إلينا الناس بعيون لم تَرْمُذْ غَبْنًا. (١٠٧) محيا رحمة، ولا طشت (١٠٨)
عليها بعدنا غمامة رحمة، ولا باتت للسياسة في نمة، ولا ركبت لدين ولا همة،
فطوينا بساط العتاب طي الكتاب، وعاجلنا (١٠٩) سطور المؤاخذه بالاضراب،
وأنسنا نفوس أولى الاقتراف بالإقتراب، وسهلنا الوصول إلينا، واستغفرنا الله
لنفسها ولمن جنى علينا، فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم، ورسوخ قدم /
واستمتاع بوجود بعد عدم، فسبحان الذي يحص ليثيب، ويأمر بالدعاء ليجيب،
وينبه من الغفلة ويهيب، ويجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة (١١٠) بهذا الواقع تسييبا للمفاتيحة
المعتمدة، وتمهيدا للموالة المجددة، فأخبار الأقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها،
وترقم بيدائعه هالات أقمارها، وتستفيد منه حسن السير، والأمان من الغير،
وتستعين على الدهر بالتجارب، وتستدل بالشاهد. على الغائب، وبلادكم ينبوع
الخير وأهله، ورواق الإسلام الذي يأوي قريبه ويعيده الى ظله، ومطلع نور الرسالة،
وأفق الرحمة المنتالة، منه تقدم علينا الكواكب تضرب أباط أفلاكها، وتتخلل
مداريها (١١١) المذهبة غدائر أحلاكها، وتستعلي البدو، ثم يدعوها الى المغرب
الحدور، وتطلع الشمس متجردة من كمام ليلها، متهادية في دكان (١١٢) ميلها، ثم
تسحب الى الغروب فضل ذيلها، ومن تلقائكم ورد العلم والعمل، وأرعي الهمل.
فنحن نستوهب من مظان الإجابة لديكم يقوم لدينا مقام المدد، ويعدل منه الشيء
بالمال والعدد، دعاء المؤمن يظهر الغيب ما فيه (١١٣)، والله يعلم ما يبيده العبد

ويخفيه، وإياه نسال (١١٤) أن يدفع عنا وعنكم عوادي (١١٥) الفتن، وغوائل المحن، ويحملنا على سنن السنن، ويلبسنا من تقواه أوقى الجن، وهو سبحانه وتعالى يصل لأبوابكم سعدا (١١٦) تستقل لدى قاضي القضاة رسومه، فتكتب حقوقه، وتكتب خصومه، ولا تكلفه الأيام فسحا ولا تسومه، بفضل الله وعونه وكرمه ومنه (١١٧). والسلام الكريم الطيب المبارك بدء بعد عود، وجودا إثر جود، ورحمة الله وبركاته. (في كذا، وبه أختتم بخير) (١١٨).

/152

وقلت / في مخاطبة الأمير بغا الخاصكي [17] القائم بأمر سلطان مصر، المكتوب اليه الكتاب قبل (١١٩) :

إلى (١٢٠) الأمير كذا المؤتمن على أمر سلطان المسلمين، المقلد تدبيره السديد قلادة الدين، المثني على رسوم بره المقامة (١٢١) لسان الحرم الأمين، الأوي من مرضاة الله ورسوله الى الربوة ذات القرار والمعين، المستعين من الله على ما تحمله وأمله بالقوى المعين، سيف الدعوة، ركن الدولة، قوام الملة، مؤمل الأمة، تاج الخواص، أسد (١٢٢) الجيوش، كافي الكفاة، زين الأمراء علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجل المرفع الأسنى، الكبير الشهير الأسمى، الحافل الفاضل، الكامل المعظم، الموقر الأمير، بغا (١٢٣) الخاصكي، وصل الله له سعادة تشرق غرتها، وصنائع تسح فلا تشع درتها، وأبقى تلك المثابة قلادة الله وهو دُرَّتْها.

سلام كريم، طيب بر عميم، يخص إمارتكم التي جعل الله الفضل على سعادتها أماره، واليسر لها شارة، فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت إدارة وتمثّل الرسوم (١٢٤) كلما أشارت إشارة.

أما بعد حمد الله الذي هو بعلمه (١٢٥) في كل مكان، من قاص ودان، واليه توجه الوجوه، وإن اختلفت السير وتباعدت البلدان، ومنه يلتبس الإحسان، ويذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد العظيم الشأن، ونبيه الصادق الرسالة (١٢٦) الواضح البرهان، والرضى عن آله وأصحابه وأعمامه وأحزابه أحلاس الخيل، ورهبان الليل وأسود الميدان، والدعاء لامارتكم السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان، والتوفيق الوثيق البنيان، فإننا كتبناه اليكم - كتب الله لكم حظا من فضله وافرا، وصنعا من محيا السرور سافرا، وفي حق الإعلام بالنعيم الجسام مسافرا، من حمراء غرناطة دار (١٢٧) ملك الأندلس، دافع الله عن حوزتها / كيد العداة، وأتحف نصلها بيوكر النصر المهداة، ولا راند إلا تشوق الى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، وبيت قصيدها (١٢٨) المنظوم، والتماس بركاتها الثابتة الرسوم، وتقرير المثول في

/153

سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذرها بالجسوم، وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبل الله جهادكم، وقدس نفوسهم، وأمن معادهم، وبين تلك الأبواب السلطانية (١٢٩)، أبقى الله على الإسلام والمسلمين ظلالها (١٣٠)، كما عرفهم (١٣١) عدلها وأفضالها، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها، وتسطع أنوار السعادة من أفق كمالها، وتلتج من أسطار طرووسها محاسن تلك المعاهد، الزاكية المشاهد، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد، واشتقنا الي أن نحددها بحسن منابكم، ونصلها (١٣٢) بمواصله جنابكم، ونفتتم في عودها الحبيد مكانكم، ونؤمل لها زمانكم، فخطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، وجلة من الناقد البصير، نؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض، والموارد التي لا تغيض، ومثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله، ولا تضحى المآمل في ظل خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الافاق، وصحب الرفاق، واستلزم الإصفاق، وهذه البلاد مباركة، ما أسلف أحد فيها مشاركة، الا وجدها في نفسه وماله، ودينه وماله (١٣٣)، والله أكرم من وفي لامرئ بمكياله، وهو جل جلاله، يجمع القلوب على طاعته، وينفع بوسيلة النبي الذي نعول على شفاعته، ويبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين، وظلا لله على العالمين، وإقامة لشعائر الحرم الأمين، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، ويجعلكم ممن أنعم عليه من المجاهدين، والسلام / الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته. في كذا.

154 /

وكتبت مخاطبا (١٣٤) لرئيس ديوان الإنشاء الشريف شمس الدين أبي عبد الله ابن أبي ركب :

أبقى الله أيام المجلس العالي ظلا على العشائر والفضائل، أجمة للأسد العز الصائل، مفضضة الغدوات مذهبة الأصائل، من أمثالهم التي كلفت بها الألسن، موثرة لما يحسن، «لولا الحمقى لخربت الدنيا»، والذي يشرح به هذا المضمهر، أنها بهم تعمر، فيعمل الصائف للشاتي، ويخلف الذاهب للآتي، ومن الأدلة والبراهين المستقلة عند الجلة، مخاطبة المملوك (١٣٦) ذلك المجلس العلمي مع قصور النسب التي تدمت للعذر وتمهد، بل مع [وفور] (١٣٧) ما يرغب ويزهد، أما باعتبار [الآيالة، فالخلافة أصل، وما سواها فرع، يعضدها طبع وشرع، ولا يتسع في ردها ذرع، وأما باعتبار] (١٣٨) القطر فأتين القدم من المفرق، وأين المغرب من المشرق، وتشهد بذلك الشعائر الخمس، واليوم والامس، لا بل الشمس، فهذا تنصب فيه منصتها، تشهر قصتها، وهذا تبتلع فيه قرصتها، وتجترع غصتها، وأما باعتبار النوات، فلو لم يكن إلا النسب القريشي موجبا للتقديم، مسوغا بالحديث الصحيح مزية القديم (١٣٩)، فإلى أين يذهب مخاطب المجلس العلمي وقد سدت المذاهب، وتباينت الأنوار والغياهب، والله الواهب، ولقد أحس المملوك عند تعاطي

هذه الذريعة التي تزل فيها الأقدام، ويفتضح الإقدام، وتخل الدعوى بصاحبها كما يفعل المدام خورا في الطباع، وقصرا في الباع، وكلا في الأداة، وسهوا في فريضة البيان المؤداة، أما الفكر [ففر] (١٤٠)، وأما اليراع فنحل واصفر، وأما الطرس فخفق فؤاده، وأما النفس فحال سواده، مهلا عليك، واليك عني إليك، والجهل لوم، وأوزان (١٤١) الأعيان حلوم، «وما منا إلا له مقام / معلوم» [18]، ومتعدي طوره ظلوم، «قد علم كل أناس مشربهم» [18] فليعملوا الى الإنصاف مهربهم، «ولا تجود يد إلا بما تجد» [19] مثل معروف، «وإذا لم تكن إبل فمعزى» لمثل هذا الغرض مصروف، ورب حقيرة أجدت، ونفس حر الى الموقع اللطيف مهدت، وقد أهدت [القبرة] (١٤٢) الى سليمان جرادة فقبل ما أهدت، والمجلس العلمي تولى الله اطالة مدته، يجري المملوك في الإدلال على سدته مجرى العاطش، ورد الحوض فاقتحمه، غير مبال على جسده [بمن زحمه] (١٤٣)، والمسلت الذي سقط (١٤٤) على الحميم [20] فأسام، وما سأل ولا سام، ولا بالى ببني حام ولا سام، والمحب أمكنه الوصل، فما راعه النصل، وطالما قبض العنان، وزجر البنان، وعلل بالخدع الجنان، وأمل أن يكون اللقاء بالمشافهة الى لقاء، ويتأتى الى الأفق الأعلى ارتقاء، وتكبر عن أن تصاد العنقاء، [21] فعرج على طلل الصبر ويم، ولم يجد إلا الصعيد فتيمم، [22] فأصدر هذه المفاتيح لتمثل بباب المجلس العلمي حاطة رأسها، رابطة بالفناء المقدس أفراسها، مصدقة افتراضها واقتراسها، جانية غراسها، لاثمة ركن المجد الذي يشهد بمجده الركن المستلم، والتقى والعلم، والسعي (١٤٥) والملتزم، والحطيم (١٤٦) [23] وزمزم، مؤدية من الشوق الذي شب عمره عن الطوق، [24] مالولا نداء المجلس العلمي لخيف تعديه، وظهور ما يكنه زنده الواري ويبيديه، ومن الاعتداد أضفى من تأتزره الآمال (١٤٧) وترتيديه، ومن التحية الطيبة والبركة الصيبة أطيب ما يتحفه النسيم اللدن ويهديه، ومقرره أنه بالنفس يفديه (١٤٨)، وعلى الشوق الحثيث يستعديه، وكان الأمل أن يشاهد غرة السيادة من المرقب القريب، ويقتني غرائب إفادته التي لا غرو أن تحن على الغريب، ويقضي الأمل بلاقائه ممطول دينه، ويزيل المناقسة التي وقعت من جراء كماله بين أذن المملوك / وعينه، لكن الاختيار لمن بيده المقاد، ولا فعل لسواه هو الاعتقاد، [وغير ذلك حظه الانتقاد] (١٤٩)، وعسى ألا تخيب هذه السحابة المستنابة من لثم يمينه واجتلاء نور جبينه، فأجدر بمن ركب الفلك، وخاض اللجج الحلك، الى باب من كرم انتماؤه، وزينت [بنجوم] (١٥٠) الحسب المنيف سماؤه، أن لا يعدم مشفقا، ولا يكون قصده مخفقا، وأقرأ على المجلس العلمي من طيب السلام ما يخجل روضة الحزن، عقب المزن، ورحمة الله وبركاته.

/155

/156

وكتبت عن السلطان للشيخ الأمير الزاهد الصالح وانزمار ابن الشيخ
الوزير الأمير أبي زيان عريف بن يحيى العربي السويدي ما نصه (١٥١) :

من الأمير فلان الى الشيخ الكذا بن الشيخ الكذا، وصل الله سعادة تجذبه،
وعناية اليه تقريه، وقبولاً ممن (١٥٢) يدعوه الى خير ما عند الله ويندبه. سلام [كريم]
عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله المرشد المنيب، السميع المجيب، معود اللطف الخفي
والصنع العجيب، المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب، والصلاة على
سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب، الذي
به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب، ونستظهر منه على العدو بالحبيب،
ونعده عدة لليوم العصيب (١٥٣)، والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا عن مشاهدته
بأوفى النصيب، ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب، فإننا كتبناه إليكم -
كتب الله لكم عملاً صالحاً يختم الجهاد صحائف براه، ويتمحض لأن تكون كلمة الله
هي (١٥٤) العليا جوامع أموره، وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتح فيها أبواب
الجنة حصّة عمره - من حمراء غرناطة، حرسها الله، ولطف الله / [هامي
السحاب] (١٥٥)، وصنعه رائق الجناب، والله يصل لنا ولكم ما عود من صلة لطفه
عند انبثات الأسباب، والى هذا أيها الولي في الله الذي هو بركة المغرب المشار
اليها بالبنان، وواحد في رفعة الشان، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان،
المتقل من المتاع الفان، المستشرف الى مقام العرفان، من درج الإسلام والإيمان
والإحسان، فإننا لما نؤثره من بركم الذي نعهده من الأمر الأكيد، ونضمه من وديكم
الذي نطه محل الكنز العتيق، وتلتمسه من دعائكم التماس العدة والعديد، لا
[نزال] (١٥٦). نسأل عن أحوالكم التي ترقّت في أطوار السعادة ووصلت جناب
الحق بهجر العادة، وألقت الى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة، فنسر بما
هناء الله (١٥٧) لكم من القبول، وبلغكم من المأمول، وألهمكم من الكلف بالقرب إليه
والوصول، [والفوز بما لديه والحصول] (١٥٨)، وعندما رد الله علينا ملكنا الرد
الجميل، وأنالنا فضله الجزيل، وكان لعثارنا المقيّل، خاطبناكم بذلك لمكانكم من
ودادنا، ومحلكم من حسن اعتقادنا، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتقادنا، والله
ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشمل بكم في
الجهاد عن الدين، وتعرفنا الآن ممن له بآئبائكم اعتناء، وعلى جلالكم حمد وثناء،
ولجانِب (١٥٩) وديكم اعتزاء وانتفاء يتجاوز عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره
في ازدياد، وتجديدون العهد منه بأليف اعتياد، وبين رباط في سبيل الله وجهاد،
وتؤثّر مهاد بين ربي أثره عند الله ووهاد، تحشر يوم القيامة شهداؤها «مع الذين

أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين»، فرحين بما آتاهم الله من فضله، [25] والله أصدق الصادقين، حيث لا غارة لغيره عدا الإسلام تتقى، ولا تقية الا لا ابتغاء ما لدى الله ترتقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، وحوار الجنان قد زينت أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، وفازوا بجميل (١٦٠) المنح، وخللوا الآثار/ وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخذوا الثار، وأمنوا من لفح (١٦١) جهنم بما علا وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، ونهيب بكم الى إحدى الحسنين، والصحيح غير خاف عن (١٦٢) ذي عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم اذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه وفضلا ارتديتموه، فائدته عليكم مقصورة، وقضيته فيكم محصورة، وإذا أقمتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا، واستأنفتم سعيًا من الله قريبا، وتعدت المنفعة الى ألوف من النفوس، المستشعرة لبأس البؤس، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطلنا (١٦٣) وأعنة الاستدلال أرسلنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الإشهار، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار، ولقاؤكم أشهى الآمال وأثر الاوطان، فإن قوي عزمكم [والله] (١٦٤) يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه، فالبلاد بلادكم، وما فيها طريفكم وتلاذدكم، وكهولها إخوانكم، وأحداثها أولادكم، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلوة زائدة، ولا تعدموا فيها من روح الله فائدة، وتتكيف نفسكم فيها بكيفيات (١٦٥) تقصر عنها خلوات السلوك، الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتخلفوا فخر هذا الانقطاع الى الله في قبيلكم ونبيكم، وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعلوكم، ومن الله يدنيكم، فتنبئكم العربي صلوات الله عليه وسلامه، نبي الملاحم، ومعمل الصوارم، ويجاهد الفرنج ختم عمل جهاده، والأعمال بالخواتم»، هذا على بعد بلادهم من بلاده، وأنتم أحق باقتفاء جهاده، والاستباق الى أماده، هذا ما عندنا حثثناكم عليه، وندبناكم إليه، وأنتم في إثثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدمكم على / بلادنا من الاستبشار، بحسب ما يخلق عندكم (١٦٦) من بيده مقادة الاختيار، وتصريف الليل والنهار، وتقلب القلوب وإجالة الأفكار (١٦٧)، وإذا تعارضت الحظوظ «فما عند الله خير للأبرار»، و«دار (١٦٨) الآخرة دار القرار» [26]، وخير الأعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والإطلاع، بهذه الأرجاء والأصقاع، قد اتفقت (١٦٩) أخبارها، واتحدت أسرارها، على البشارة بفتح قرب أوانه، وأظل زمانه، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم فيه مسعاه، ويسلف [فيه] (١٧٠) العمل الذي يشكره (١٧١) الله ويرضاه، والسلام الكريم

/158 /

/159 /

[يخصكم] (١٧٢) ورحمة الله تعالى وبركاته.

في كذا.

وخاطبت السلطان أيداه الله على لسان الأمير السعيد ولده [27] من مالقة

بما نصه : (١٧٣)

مولاي الذي رضى الله مقترن برضاه، والنجح مسبب عن نيته ودعاه،
وطاعته مرتبطة بطاعة الله، أبقى الله علي بكم ظل رحماه، وغمام نعماه (١٧٤)،
وزادني من مواهب هدايته (١٧٥) في توفية حقه الكبير فإن الهدى هدى الله، يقبل
مواطيء رجلكم (١٧٦) التي ثراها شرف الخنود وفخر الجباه، ويقرر من عبوديته ما
يسجل الحق مقتضاه، ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذي يحبه الله ويرضاه،
ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة - حرسها الله - والوجود (١٧٧)
ألسن بالعز ناطقة، والأعلام والشجر بالسعد رائقة (١٧٨)، وأنواع التوفيق موافقة
(١٧٩) وصنائع اللطيف الخبير مصاحبة مرافقة، وقد وصل يا مولاي لعبدكم المفتخر
بالعبودية لكم ما بعث به علي مقامكم، وجادت به سحائب إنعامكم، ولن تحت
صعبة ستركم المسدول، وفي ظل اهتمامكم الموصول، ولن ارتسم بخدمة أبوابكم
الشريفة من الخدام، وأولي المراقبة والالتزام، ما يضيق عنه بيان العبارة، ويفتضح
فيه لسان القول والإشارة، من عنايات سنية / ونعم باطنية (١٨١) وجليّة، وملاحظة
مولوية، ومقاصد ملكية، فما شئت من قباب مذهبة، وملابس منتخبة، وأسرة مرتبة،
ومحاسن لا مستورة ولا محجبة، واللواء الذي نشرتم على عبدكم ظله الظليل،
ومددتم عليه جناح العز الكفيل (١٨٢)، جعله الله أسعد لواء يسير في خدمتكم، ومد
علي وعليه لواء حرمتمكم، حتى يكون لجهادي بين يديكم شاهدا، وبالنصر العزيز
والفتح المبين عليكم عائدا، ولطائفة الخلوص لأمركم قائدا، ولأولياء بابكم هاديا،
ولأعدائكم كائدا.

/160 /

واتفق يا مولاي أن كان عبدكم قد ركب مغتتما أبرد (١٨٣) اليوم، وموئرا
للرياضة في عقب النوم، فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايةات المجلوة الصور،
المتلوة السور، وقد حشر الناس، وحضرت منهم الأجناس، فعلا الدعاء وانتشر
الثناء، وراقت الأبصار تلك الهمة (١٨٤) العليا، فنسأل الله يا مولاي أن يكافيء
مقامكم بالعز الذي لا يتذل والنصر الذي يستأنف ويستقبل، والسعد الذي محكمه
لا يتأول، والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على بابكم الرفيع (١٨٥) المقدار،
وأرتياح لقرب المزار.

وأبرح ما يكونُ الشوقُ يوما إذا دنت الديارُ من الديار

والعمل على تيسير (آلات) (١٨٦) الحركة متصل، والدهر لأوامر سعدكم (١٨٧) محتفل، بفضل الله، والسلام على مقام مولاي ورحمة الله وبركاته مقام الشفقة والرحمة، والمنة والنعمة.

وخاطبت السلطان [28] المعظم ملك المغرب - أسعده الله - بما نصه (١٨٨) :

المولى (١٨٩) الذي طلق المنن، وأحيا السنن، وأثبت الله حبه في القلوب النبات الحسن، ناظم كلمة الدين بعد انتشارها (١٩٠)، ومقيل عثارها، والآخذ بثأرها، والمخلد لأثارها، / السلطان الكذا (١٩١)، أبقاكم الله عالي القدم، منصور العلم، ظاهرًا على الأمم، مقصود الحمى كالركن والملتزم، عبد مقامكم الذي أوتيموه غريبًا، وأنستموه مريبًا، وأنلتموه على عو الدهر نصرا عزيزًا، وفتحًا قريبًا، فلم يخش دركا ولا تتريبًا ولا عدم حظوة وثيقة (١٩٢) وشفقة ونعمة وتقريبًا (١٩٣)، فلان ابن كذا عن ثناء يعطر الآفاق، ويرقم الأوراق (١٩٤) ويخلق الجيوب والأطواق، وحب بهر وراق (١٩٥)، وجاس اشتهاه الشام والعراق، ويطلع العبد محل مولاه الذي خلف ببابه قلبه وولده، وصبره وجلده، وصير وطنه داره الحقيقي وبلده، أنه لما قدم على محل أخيه المعتد بما أودع الله من الخلال الشريفة فيه، مولاي ابن أبي عبد الله، كافأ (١٩٦) الله جميل رعيه، وكرم عهده، وحكم بإجلاء جده، ومضاء حده، ورعى الوسيلة، وصدق المخيلة، وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيلة، فلم يدع حقا الا صرفه، ولا نكرة إلا [أظهر شأنها] (١٩٧) وعرفه، ولا نعمة إلا سكبها، ولا مزية إلا أوجبها، ولا رتبة إلا أعلاها، ولا نعمة الا أولها ومن ذاك يا مولاي وإن تعددت الوسائل والأدلة، وادكرت القرب بعد أمة، إلا بوصاتكم التي لا تهمل، وحظوتكم^{١٩٨} التي لا تجهل، وعطف مقامكم الذي اشتهر، واعتنائكم الذي راق وبهر، فالعبد عبدكم بكل اعتبار، وخديمكم بين يديكم وأن نأت الدار، ومحسوب علم نعمة مقامكم الرفيع المقدار، والأمل في مقامكم غير منقطع السبب، والأهل والولد تحت كنف مقامكم الأصيل الحسب، حتى يمن الله بحج بيته وزيارة رسوله من بين يديكم (١٩٩)، ويكون قضاء هذا الوطر منسويا اليكم، وبعده يستقر القرار، حيث يختاره من يخلق ما يشاء ويختار، بحول الله.

/161

والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدي وداعه، ويمرأى من وزيره السعيد / واستماعه، من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره، ونجاح أحواله واستقامة أموره، ويهنيه بصدق الوعد وإمطار الرعد، وظهور السعد، وهي وسيلة اذا عدت الوسائل، وروعيت (٢٠٠) الذمم والجلائل، ومثل مولاي من رعى وأبقى، وسلك التي هي أبر وأتقى، وما قصر عنه القلم في حق مولاي فالرسول - أعزه الله - يتممه، وما قصر

/162

عنه الرسول قاله يعلمه، وهو جل وعلا يديم أيام مولاي ويبقي سعده (٢٠١)، ويصل عزه وعضده. والسلام.

ومما خاطبت به أحد الجلة (٢٠٢) :

أبقى الله أيام المجلس العلمي العلي يانعة من الفضل أدواحه، مؤيدة بروح الله أرواحه، ولازال نور علمه مشرقا صباحه، ونسيم ثنائه شهرا غدوه وشهرا رواجه، وبماذا أثني على شمائله التي لو كانت [أقطارا لكانت حجازا] (٢٠٣)، أو كانت ألقاظا لكانت حقيقة لا مجازا، أو كانت مواعيد (٢٠٤) لكانت إنجازا، أو كانت آيات لكانت إعجازا، أو أكافيء بعض فضائله التي لو كانت غيثا ما خص بلدا، أو شفقة ما أثرت أهلا ولا ولدا، أو قوة نفسانية لشعرت النفوس بما تكسب غدا [29] أو أراجع بيانه الذي امداده فلكي، وإلهامه ملكي، الا لو أنني استعرت لمحة من بلاغته التي بحق ما كانت لها المناير موضوعة، والخواطر «في بيوت أذن الله أن ترفع» [30] مجموعة، والمبادرة إلى التماس بركتها مشروعة، والأكف في أعقابها لاستسقاء أصحابها (٢٠٥) مرفوعة، فلعمرى لقد كنت أوفي حقا، وأشيم من أفق الرضى عن نفسي برقا، لكن حسبي «نية أبلغ من العمل». وعزم مول وجهه شطر بلوغ هذا الأمل، ولم تزل ترد من لدن المجلس العلمي نواسم قدس، وتحيني من تلقائه بماسم أنس، خطرت على ربوع الخواطر فعاشت، وتجلت لجبال الوجود / فتلاشت، وطش ويلها بساحات العقول فطاشت، ومن لخطاب المجلس العالي بمواد تليق بصوره (٢٠٦)، أو لبات تجمل بدرره، أو وجوه يرضاهما الحق لغرره، أو أفهام تقبض أيديها قبضة من أثره، فلولا أن العدل من شيمه، والمجد من خيمه، والفضل من ديمه، ما كان من حقي أن ألوذ بغير القصور، ومن لي (٢٠٧) بمسورة الأسد الهصور، ومقابلة العلم المنصور، غير أنني أقف على شكر المجلس العلمي لسانا لو ملكت غيره لوقفته، وأنفق على حمده بيانا لو ظفرت يدي بأعلى منه لأنفقته، وأنفق في الثناء عليه سببا لولا الاعتماد على إغضائه ما لفقته، وإذا [كان] (٢٠٨) العذر لا يلتبس طريقه، ظهر بالقبول فريقه، وساغ للخجل ريقه، وليعلم سيدي أن مشرقبة وجهها إلي الأمير أبو الحسن أثيره صحبة هدية تشتمل على فذلكة (٢٠٩) الطيب وقلذات من العود الرطيب، فعجبت من انتماء ذلك الأرج حسا ومعنى إلى دارينه [31]، وتذكرت قولهم : «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه» [32]، وقد كان عندي أثيرا فهو اليوم لوصاتكم به فلك أثير، ومحترما وإن رعيه اليوم لكثير، فمن أذاع (٢١٠) عني بعض بركم فكأنما حمل عني فرضا، وأحسن قرضا، وعرض على الآمال عرضا، وقال : خذ حتى ترضى، وسيدي يسمح فيما حمل عليه الإدلال في جوابه، ويجعل إغضاء مثابته حسب ما يلتبس من ثوابه، فلا يخفى عن

عين فضله ما بليت (٢١١) به من شغل متشعب، ومرام للخدمة متصعب، بحيث يشغلني عن شأني، ويضايق في خطرة الذكر (٢١٢) تامر جناني، فلولا أنني اختلست (٢١٣) هذه النفثة من كفه، وفسحت لمصلحتها موقفا في صفه، لما وجدت الى بعثها سبيلا، ولا ألقيت لألمي الصاحي في كنف المراجعة مقيلا (٢١٤)، والله تعالى - يصفي للمجلس العلمي مواد عرفانه، ويحفظ على هذا الوجود إنسان عينه وعين إنسانه. والسلام /1

وكتبت (٢١٥) :

سيدي شهاب الطلبة الثاقب، وفخر الكتيبة العظيم المناقب، أقسم بالحاشر العاقب و«الغاسق الواقب» [33]، لما زلت لنجائبكم (٢١٦) بحال المراقب، وصلني كتابكم الذي هنا ويشر، وأحيا وأنشر، ناصحا هاديا، رائحا في الوفاء غاديا، فأردى صاديا، وأخذ (٢١٧) بحظ من فضيلة قوله : « ولا يقطعون واديا » [34]، فحبذا طعام اشتركناه زكا، ومئات توسد واتكا، ووفاء وبالسموال (٢١٨) حكا [35]، وأنجد لما خذل الدهر الخؤون والله المشتكى، وأنار الله مشكاة تلك الذات التي لطفت أسرارها، وتآلفت أنوارها، وأعلقها بالعالم الأزلي وأنهلها في المورد المفيض على القطب [36] والولي فالفاني محترما، ولخدمة (٢١٩) المولى ملتزما، ومحل (٢٢٠) ودي في مثلها أن يذكر ، فهو أشهر من أن يشهر (٢٢١).

لا تدعني إلا بيا عبدها (٢٢٢) فإنه أشرفُ أسمائي

وأما ما أهديت من نيا بتسريح مكسوب، وملك للمككم مكسوب، فمن جاد بالنفس على أعدائه، كيف لا يوجد بالعرض على أوليائه، والله الكفيل بحسن جزائه، ومن أياديكم لدي يا ولدي حبا وشفقة، ومحل أخي اعتدادا وثقة، أن تمرغوا عني خدكم في أخمص رجلي العالية، وتقبلوا تراب بساطه (٢٢٤) قبلا متواليه، بخلاف ما يرتفع - إن شاء الله - بالحضور حكم النيابة، ويسر الله للهاق بتلك المثابة، والسلام على سيدي وأخي ورحمة الله وبركاته.

ولما قدم على الحضرة الأندلسية الفقيه الصدر الأحفل، وجامع أشتات الفضائل الإنسانية، والشيم الحسبية، المتميز عن أبناء جنسه بالميزية غير الخفية، كاتب سر الخلافة المرينية، الفاضل العالم، الحبيب الماجد المعظم، أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خازن [37] / خاطبته قبل لقائه ببعض الطريق بما نصه (٢٢٥) :

(طويل)

حَلَلَتْ حُلُولَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمُحَلِّ
يَمِيناً يَمْنٌ تَغْنُو الْوُجُوهُ لَوْجَهُ
لَقَدْ نَشَأْتُ عِنْدِي لَلْقِيَاكَ غَبْطَةً
وَوُدِّي لَا يُحْتَاجُ فِيهِ لَشَاهِدٍ
عَلِي الطَّائِرِ الْمَيَمُونِ وَالرُّخْبِ وَالسَّهْلِ
مَنْ الشَّيْخِ وَالطُّفْلِ الْمَعْصُوبِ (٢٢٦) وَالْكَهْلِ
تَسْسِي اغْتِبَاطِي بِالشُّبَّيَّةِ وَالْأَهْلِ
وَتَقْرِيرِي الْمَعْلُومُ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ

يمينا (٢٢٦) برب حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته، ونود
ضربت الأمثال بمشكاته وزيته [38] لو خيرت - أيها الحبيب الذي زيارته الأمانة
السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة - بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف
نماء، ويفازل عيون الكواعب (٢٢٨) [فضلا عن الكواعب] (٢٢٨) إشارة وإيماء، بحيث
لا الوخط يلم بسياج لته، أو يقدح ذبالة في ظلمته، أو يقوم حواريه في ملته، من
الأحباش وأمه، وزمانه روح وراح، ومغدى في النعيم ومراح، [وقصف صراح] (٢٢٩)
ورقى وجراح، وانتخاب واقتراح، وصدور ما بها الا انشراح، ومسرات
تردفا أفرح، وبين قدومك خلع الرسن، ممتعا باليقظة والوسن، محكما في نسك
الجنيد [39] أو فتك الحسن [40]، ممتعا بظرف المعارف، مالنا أكف الصيارف،
ماحيا بآثار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب، وإن شاقني (٢٣٠) زمه،
وأعياني ثمنه، وأجرت سحاب دمعي دمنه، فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي،
وملكني أزمة أرابي، وغبطني بمائي وترابي، ومالف أترابي، وقد أغصني بلذ
شرابي، ووقع على سطره المعتبرة أضرابي، وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية،
ومنتهى الطية، وملتقى السعود غير البطية، وتهني (٢٣١) الآمال الوثيرة الوطنية، فما
شئت من نفوس عاطشة الى ريكك، متجملة (٢٣٢) بزيك، عاقلة خطي/ مهريك،
ومولى مكارمه نشيدة أمثالك، ومطابق مثالك، وسيصدق [الخبر] (٢٣٣) ما هنالك،
ويسعني (٢٣٤) فضل مجدك في التخلف عن الإصحار، بل اللقاء من وراء البحار.
والسلام.

/166 /

فراجعني من ظاهر الحضرة بما نصه : (٢٣٥)

سيدي وذخري (٢٣٦) ومالك أزمة أمري، أبقاك الله مأوى الغريب، وسرود
الكئيب، وملجأ الآمال عند ازدهام الأهوال والخطوب، ولازال جنابك محط رحال
الوفود، ومطمح الأمل البعيد، ما عسى أن أثني على كريم (٢٣٧) سجايك، أو أشكر
عظيم مزايك، وهي صادرة عن الذات، التي لها الفضل بالذات، والبعد الذي [له]
(٢٣٨) المجد من بعض الصفات، والكرم الذي لا يتخصص بالأشخاص والأوقات

(٢٣٩)، ولا يغفل المتأت إليه بالبضاعة من الود والمزجاة (٢٤٠)، فلم يبق إلا الاعتراف بالقصور، والعجز [عن] (٢٤١) توفية حق المشكور، والإحالة على العليم القدير. وأعرف سيدي - أعزه الله - أن كتابه الكريم الذي أوسعني تشريعا، وجمع لي علمية وتعريفا، إنما وصلني بغوير دفعه إلي العدوي المتوجه بكتاب العناية المولوية التمسها لي فضلك الجزيل، ومجدك الأصيل، واستدعاها نظرك الجميل، وكمالك الذي عليه التعويل، فلا تسأل يا سيدي عن ذلك عندي من السرور، وإيناس النجع بما نؤمل، فالحمد لله الذي أنس في القرية بمجدك، ووقف الأفعال والأقوال على شكرك وحمدك، وسيدي - أعزه الله - يتفضل بقبول عذري للإدلال على فضله بمثل هذا الهذر (٢٤٢) الذي أحاشيه عن الخطاب به.

وأما يا سيدي شكر النعم المولوية السلطانية فوالله لا أطيق القيام بها كتابا، ولا والله خطابا، لقصوري وجلالها (٢٤٣) سيدي - أعزه الله - على جميل عادته، وعظيم إفادته يقرر من ذلك بعض الواجب / ولا فاستيفاه عسير، والله المعين على ما يجب، وهو سبحانه يحفظ سيدي وبيقيه. والسلام الكريم يخص جلاله من المملوك المحب ابن خلدون.

/167 /

رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفافه بالجارية هند

وخاطبته وقد اشترى بكرا من بنات الروم مولدة اسمها هند وأعرس بها،
بما نصه (٢٤٤) :

(سريع)

أوصيك بالشَّيْخَ أَبِي بَكْرَةَ لَا تَأْمَنُ فِي حَالَةٍ مَكْرَةٍ
وَاجْتَنِبِ الشُّكَّ إِذَا جُنْتُهُ جُنْبُكَ الرُّحْمَانُ مَا تَكْرَهُ

سيدي لازلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدمالج، وتركض فوقها ركض الهمالج [41] (٢٤٥)، أخبرني كيف كانت الحال، وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال، وأحكم بمرود المراودة الاكتحال، وارتفع بالسقيا الإمحال، وصح الانتحال، وحصحص الحق فذهب المحال، وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر [42]، فله من عشية، تمتعت من الربيع بفرش موشية، وابتذلت (٢٤٦) منها أي اوساد (٢٤٧) وحشية، وقد أقبل ظبي الكناس من الديماس [43]، ومطوق الحمام من الحمام، وقد حسنت الوجه الجميل التطرية، وأزيلت عن الفرع الأثيث الابرية [44]،

وصقلت الخدود فهي كأنها الأمرية، وسلط (٢٤٨) الدّك على الجلود، وأغرّيت النورة بالشعر المولود، وعادت الأعضاء يزل (٢٤٩) عنها اللّمس، ولا تتألفها البنان الخمس، والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم، والمسواك يلبي من ثنية التنعيم، والقلب يرمي من الكهف الرقيم، بالمقعد المقيم، وينظر الى نجوم الوشوم فيقول : إني سقيم، وقد تفتح ورد الخفر، وحكم لزنج (٢٥٠) الظفيرة بالظفر، واتصف أمير الحسن بالصدود المفتقر، ورش بماء الطيب، ثم أعلق ببيله (٢٥١) دخان العود الرطيب. وأقبلت الغادة يهديها اليمن وتزفها السعادة، فهي تمشي على استحياء وقد ذاع طيب الريا، وراق / حسن الحيا حتى اذا نزع الخف، وقبلت الأكف، وصاح (٢٥٢) المزهو وتجاوب الصدف، وذاع الأرج، وارتفع الحرج، وتجوّز (٢٥٣) اللوى والمنعرج [45]، ونزل على بشر بزيارة هند الفرّج، اهتزت أرضه (٢٥٤) وريت، وعوصيت الطباع فأبت، ولله در القائل [46] :

(مقارب)

ومرّت وقالت : متى نلتقي فهشّ (٢٥٥) اشتياقاً إليها الخبيثُ
وكاد يُمزّقُ سرِّواله (٢٥٦) فقلتُ : إليك يساقُ الحديثُ

فلما انسدل جنح الظلام، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام، وخاطت خيوط المنام عيون الأنام، تأتي دنو الجلسة، ومسارقة الخسة، ثم عض النهدي، وقبلت القم والخد، وإرسال اليد من النجد الى الوهد، ثم كانت الإمالة قليلا قبل المد، ثم الإفاضة فيما يغبط ويرغب، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب، ثم إعمال المسير الى السرير.

(طويل)

وسرّنا- إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورُضتُ فذُلّتُ صَغْبَةً أيْ إِذْلالٍ [47] (٢٥٧)

فاستقرت (٢٥٨) على موطن مالكاها، واصبها نسي مسالكها، ومقتضى فذالكها (٢٥٩)، هذا بعد منازعة الأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حل التكة، ونزع الشكة [48]، وتهب (٣٠٠) الأرض العزاز عمل السكة، ثم وقع (٣١١) الوحى والاستعجال، وحمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف، وتشاطر الطبع العقيف (٣١٢)، ثم تواتر النقبيل، ثم كان الأخذ الوبيل، وامتان الأنوك من النبيل، ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل، فيالها من نعم متداركة، ونفوس في سبيل القحة متهالكة، ونفس يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد عن الموضع المعتمد

المصانعة، وطال التراوغ، والتزاور، وشكى التجاور، واشتد القلق والتضارير،
 169 / فهناك تختلف الأحوال، / وتعظم الأهوال، وتخسر أو تربح الأموال، فمن عصا
 عسوطس [49] تنقلب شعبانا مبيتا، و[نونة] (٢٦٤) تصير تينا، وبطل لم يهله المعترك
 الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قرنه قرته الحائل، فتعدى فتكة السليك
 [50] الى فتكة البراض [51] وتقلد مذهب الأزارقة من الخوارج في الاعتراض
 (٢٦٥) [52]، واتصف بصفة الساخط وهو الراضي، ولوح في ميدان السرير،
 بالحسام الطير، ولعب في ملعب الأوطار، بالقنا الخطار (٢٦٦)، ثم شق الصف، وقد
 خضب السيف والكف، بعدما كاد يصيب البريء بطعنته، ويؤء بمقت الله ولعنته.
 (طويل)

طَعْنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفْذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاعَهَا [53]
 وهناك هدأ القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوقع فاستراح البال، وتشوق
 الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، وكثر السؤال عن المبال بما بال.
 (بسيط)

وإِنْ تَعَدَّدَتِ اللَّذَّاتُ وَاطْمَرَدَتْ فَلَيْسَ يَغْدُلُ شَيْئاً لَذَّةُ الظَّفَرِ (٢٦٧)
 (٢٦٨) ولم ير المجربون للحروب صريحا أشفق من صريع السرير على من
 صرعه، ونصب إليه الذابل وشرعه، حتى أضرعه، فكثيرا ما ينشد ونفسه قد ذلت،
 وقواه قد انحلت، ونظرة عينيه قد اختلت :
 (طويل)

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا خَلِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي (٢٦٩)
 ويقول الجريح وقد نظر الى دمه، يسيل على قدمه :
 (بسيط)

إِنِّي لَهُ عَنْ دَمِي الْمُسْفُوكِ مَعْتَذِرٌ (٢٧١) أَقُولُ حَمَلْتُهُ فِي سَفْكِهِ تَعْبًا [54]
 ومن سنان عاد عند الحاجة (٢٧٠) عنانا، وشجاع صار هادانا جيانا، كلما
 شابته شائبة ريبة، أدخل يده في جيبه فأنحجرت الحية، وماتت الفريزة الحية (٢٧١)،
 170 / فكأنه سلحفاة أغمدت، ورأسها جحدت (٢٧٢)، / فهناك يزيغ البصر، ويخدل
 المنتصر، ويسلم الأصر (٢٧٣)، ويقلب الحصر، ويجف اللعاب، ويظهر العياب (٢٧٤)،
 ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، ويجري في غير محله المرق (٢٧٥)،

ويعظم الكرب ويشتد الأرق، وينشأ في محل الأمن الفرق، ويدرك فرعون الفرق، ويقوى اللجاج وتعظم الحرق، فلا يزيد الحال إلا شدة، ولا تعرف تلك الجارحة المؤمنة إلا ردة.

(طويل)

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مَنْ أَلَّهِ الْفَتَى فَكَثُرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
فكم مغرى بطول اللبث، وهو من الكيد والخبث، يؤمل الكرة، ليزيل المعرة (٢٧٦)، ويستنجز الوعد، ليستأنف السعد (٢٧٧)، ويستنصر الخيال، ويحمل باليد الاحتيا. (٢٧٨).

(رجز)

«إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَنَّمَتٍ» [56] فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَقِيلِ أَوْمَتْ
ومكثر اللثم والضم، والعض والشم، يدعو في طلل هامد، «ويضرب في حديد بارد» [57].

(وافر)

لَقَدْ نَادَيْتَ لَوْ أَسْمَعْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُثَابِدِي (٢٧٩)
وكم معتذر بمرض أصابه وجرحه أوصابه، ووجع طرقه، جلب أرقه، ومغضب (٢٨٠) يقلد للمصانعة (٢٨١) الذنب، ويطوقها العتب (٢٨٢)، وخطيب ارتج عليه أحيانا، فقال : «سيجعل الله بعد عسر يسرا» [59]، وبعد عي بيانا، اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت أبقالها، ولم تتسم بالنجيب (٢٨٣) أغقالها، ولا نقلت أنقالها (٢٨٤)، ومن معرات الأقدار، والنكول عن الأبقار واتباع الأفكار (٢٨٥)، ومن النزول عن البطون والسرر، والجوارح الحسان الغرر قبل ثقب الدرر، ومن سواد الوجه إذا بكرت (٢٨٦) الوجوه، ونالت النفوس من إطراء الغادين والمهينين ما ترجوه، ولا تجعلنا ممن يستحيي من البكر بالغداة، وهذا / مجال فضح فيه رجال، وفراش شكيت فيه أوجال، وأعملت روية وارتجال، فمن قائل :

(سريع)

أَرْفَعُهُ طَوْرًا عَلَى أَصْبُعِي وَرَأْسُهُ مَخْطُوبٌ أَسْفَلَ
كَالْحَنْشْرِ الْمَفْتُولِ يُلْقَى عَلَى عَوْدٍ لَكِي يُطْرَحَ فِي مَزْبَلَةٍ

وقائل :

(سريع)

يا حسرة المرء على نفسه
كحائطٍ خرَّ على رأسه

عدمتُ من أيري قُوى حسبه
تراه قد [مال] (٢٨٧) على أصله

وقائل :

(طويل)

برجلي ورأسي دُملاً وزُكاماً
رخاوة أيرٍ لا يطيق قياماً

أحسُدُنِي إبليسُ داعينُ أصبحا
فليتَهما كانا بهِ وأزِيدُهُ

وقائل :

(طويل)

به خبتُ من أيرٍ وعالتك داهية
عليه وجوه النيكِ في كلِّ ناحية [(٢٨٨)]

[أقول لأيري وهو يرقبُ فتكهُ
إذا لم يكنْ للأيرِ بختٌ تعذرتُ

وقائل :

(طويل)

رشاءً إلى جنبِ الركبةِ [60] ملْتَفٌ
إلى أبويه ثم يذركهُ الضعْفُ

تَعْقِفُ فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كَأَنَّهُ
كَفَرِخِ ابْنِ ذِي يَوْمَيْنِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ

وقائل :

(طويل)

وكانَ غنياً من قواه فأفلساً
مضى الوصلُ إلا مُنيّةً تبعثُ الأسى

تَكَرَّشَ أَيْرَى بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَساً
وَصَارَ جَوَابِي لِمَهَا إِنْ مَرَدَّنْ بِي

وقائل :

/172

(طويل)

ولم يخطرِ الهجرانُ منه على بالي
حططتُ بهِ رحلي وجردتُ سربالي
عرضتُ له شيئاً من الحشفِ البالي

بِنَفْسِي مَنْ حَيِّثُ فَاسْتَخَفُّ بِي
وَقَابِلُنِي بِالْهَزِّ وَالنُّجْهِ بَعْدَمَا
وَمَا أَرْجَى مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةِ [61] (٢٨٩)

هموم لا تزال تُبكي، وعلل على الدهر مُشكّي وأحاديث تقص وتُحكّي (٢٩٠)، فإن ذلك العضو على شهرته، وعظم قدرته، يستمد من الميرة [62]، وحركته لا تقوم إلا بالمؤن الكثيرة، من حياء يرتفع، وبلادة بها في الغالب ينتفع، وفكر يفقد، وشبق على أصله يعقد، ورياح تنفخ، ورطوبة ترضخ، وعضل شديد، وعمر جديد، ومزاج (٢٩١) في عرض الحر طويل مديد، وهو غير مطاوع للإدارة، ولا معط للمقادة، خبيث وقاح، شامت فضاح، كم نغص من وقت، وجلب من مقت، لا يستصلح بالتعليم، ولا يرد عن مرتكبه الذميم بالعذاب، ولا يقلب إلا بمقام الرضى والتسليم.

(كامل)

حكموا فلا أحلى من التسليم فأدر حديث رحيقه (٢٩٣) المختوم
برذبه الأحشاء من نار الجوى وأنضج لهيب فؤادك المكلوم
ما قابل التسليم نار صباية إلا أنثنت في الحال (٢٩٤) برد نعيم

فإن كنت - أعزك الله - من النمط الأول (٢٩٥) (ولم تقل : «وهل عند رسم دارس من معول (٢٩٦) [63]، فقد جئيت الثمر (٢٩٧)، (واستطببت السم، وتلوت أول وردك اقتربت الساعة وانتشق القمر) (٢٩٨) [64]، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، وأخرج على قومك في لباس الزينة. واستعد كرسي القعود، والقباب المدهون من السهود (٢٩٩)، واستبشر بالوفود، وعرف (٣٠٠) المسمع عارف الجود، وتتبجح بصلابة / العمود (٣٠١)، وإنجاز الوعد، واستمتع بالسعود (٣٠٢)، واجن رمان النهود، من أغصان القنود (٣٠٣)، وأنشر من الشعور السود، عباسية [65] البنود (٣٠٤)، واقطف (٣٠٥) بيتان اللثم أقاح الثغور وورد الخدود.

وإن كانت الأخرى فاخف الكمد، وارض الثمد (٣٠٦)، وانتظر الأمد، وأكذب التوسم، واستعمل التيسم، واستكثم النسوة، وأفض فيهن الرشوة، أو تقلد المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك بدم كذب، واستنجد الرحمان، واستعن على أمرك بالكتمان.

(كامل)

لا تُظهرن لعاذر أو عاذل (٣٠٧) حاليك في السُراء والضُراء
فلرحمة المتفجعين حرارة (٣٠٨) في القلب مثل شماتة الأعداء [66]

وانتشق الأرج، وارتقب من (جانب الفرج الفرج) (٣٠٩)، فكم غمام (طابق وما همى) (٣١٠)، «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» [67]، وأملك بعدها عنان نفسك،

حتى تمكثك الفرصة، وترفع اليك القصة، (فتزول القصة، وتتقب القرصة) (٣١١) ولا
تشره الى عمل لا تفيء منه بتمام، وخذ عن إمام، والله در عروة بن حزام (٣١٢) :

(طويل)

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا مُهْرِي بِأَشَقِّرِ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ نُونَهُمْ أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَقَرَّرْتُ عَنْهُمْ (٣١٣) وَالْأَحَبُّ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعَقَابِ يَوْمِ مَفْسَدِ

والليانات تلين وتجمع، والمأرب تدنو وتترجح (٣١٤)، وتحسن (٣١٥) ثم تسمع،
وكم من شجاع خام [68]، ويقظ نام، ودليل أخطأ الطريق، وأضل الفريق، والله -
عز وجل - يجعلها خلة موصولة، وشملا أكنافه بالخير مشمولة، وبنية أركانها
لركائب اليمن مأمولة، حتى تكثر خدم سيدي / وجواريه، وأسرته وسراريه (٣١٦)،
وتصفو عليه نعمة باريه، ما طوردد قنيص، واقتحم غيص، وأدرك مرام عويص،
وأعطي زاهد وحرم حريص. والسلام.

وخاطبت القاضي الفقيه الأديب الشهير، أبا إسحاق ابن الحاج، على لسان
قاضي الحضرة صاحبنا الشيخ الفقيه الحبيب، أبي الحسن ابن الحسن وكانت
الأقلام قبل لنظر قاضي الحضرة، أُمليتها ببيت الكتاب بديهة لم تجف فيها مدة،
ولا أبُلدت منها لفظة، فاستظرفوا ذلك (٣١٨) :

سيدي جعل الله أكوar العمام تتضائل لكور عمامتك، والنفوس الطامحة
الهمم، على اختلاف الأمم، تعترف (في هذا النهج الأهم) (٣١٩) بوجوب إمامتك،
وسر الإسلام باتصال سلامتك، وتبرأ الملا من ملامتك. وصلنتي رسالتك التي أُخِبْتُ
في ميدان البلاغة وأوضعت، وأخلاف الفنون ارتضعت، وعلى ارتفاع القدر
اتضعت، ووضعت الحكمة المشرقية بنت ساعة، «والله أعلم» بما وضعت، لكنها
تنافست الجوارح (لما غصت بالنعيم المسارح) (٣٢٠) وتعارض السانح والبارح
[69]، والرامز والشارح، فحصلت الأذن على الغنى، وأتحفت من اللفظ البديع
بأعظم الجنى (٣٢١)، ومن المعنى الغريب ببلوغ المنى (٣٢٢)، واستولت العين من الخط،
على الحسن البعيد الشط، ونتيجة ما أودع الباري بين مقدمتي البري والقط،
وعظمت حسرة الخلق إذ بقي بابهُ مسدودا، وأصبح مسلكه من المسالك غير النافذة
معنودا، واشتد أسف الضرر إذ أصبحت أرحاء طواحينه عاطلة، وسحاب الدين
عليه غير هاطلة، ومذاهبها باطلة، ومواضعها بالمضفة (٣٢٣) باطلة، وما ضر سيدي
والله يقيه الضر، ويحفظ منصبه الحر/ ويحره الذي يقذف الدر أن لو ضاعف

الطول، وجمع الفعل والقول، فوجه الكتان، ما يثقل ظهر الأتان، ومن الزيت ما يملأ ركن البيت، ومن الدجاج والعسل المجاج، ما يتكفل بصلاح المزاج، ومن الأترج [70] والليم، ما يخل بحلم الطليم، فجانب الورع عن هدية سيدي لا يضيق، فهو الرفيق الشفيق، والعدل الذي وضح من فضله الطريق. وأما ألا يكون حظ وليه إلا فقر لا يدفع فقرا، وألفاظ لا تذهب وقرا، وجنة يجوع من يحل بها ويعرى، وبحر لا يجد الغائص له قعرا، فأمر ينكر على المجادة التيمية، والمثابة الحكيمة، مع [أن] الأقاليم (٣٢٤) لم تزل ترفد هذه الخطة كلما هت (٣٢٥)، وتصلح صلاتها إذا مهت، ولولا مرافقها ما أمرت ولا نهت، ولا أكلت ما اشتيت، فليراجع سيدي عادة الكرم، «ولا يحسب الشحم في الورم» [71]، والله يطلع من تلقائه على الأدقة، التي تضيق عن أحمالها الأزقة، والعسول المتكلفة بالسول، والزبيب الذي يسر قلب الحبيب، والأجبان التي تشجع قلب الجبان، والجديان التي تزري على الخبر بالعيان (٣٢٦) والبيض التي تشهد بالفيض، والزيت الذي يخلف حياة الميت، والله يبقّي سيدي للقضاة زينا، في العلماء عينا، ويقضي بجوده على الدهر الذي سمح بجوده ديننا، والسلام عليه، ما استمنح [جواد] (٣٢٧) وأطرف بالفكاهة فؤاد، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وخاطبته في المعنى إذ هو اليوم فارس الميدان، وصدر هذا الشأن (٣٢٨) :

(طويل)

يا قاضي العدل الذي لم تزل تمتار شهبُ الفضل من شمسك
قعدت للإنصاف بين السورى فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

ما للقاضي - أبقاه الله - ضاق ذرع عدله الرحب عن الصحب، وصم عن العتب، وضمن على / صديقه حتى بالكتب، أمن المدونة الكبرى ارتكب هذا التجريح، أم من المبسوطة ذهب الى هذا الأمر المريج [72]، أم من الواضحة امتنع عن الإلزام والتعريح، ومن أمثالهم : «إذا ولي أخوك فأقنع بعشر وده»، وقد قنعنا (٣٢٠) والحمد لله بحبة من مده وإشارة (٣٢١) من درجه وبره، وساعة معتدلة من زمان بلوغ أشده، فما باله يمتل مع الغنى، ويحوج الى العنا، مع قرب الجنى، المرحلة (٣٢٢) مرحلة ظالع [73] وخامع، ومطمح طامح ومرأى راء ومسمع سامع، والكف واسع، والمكان لا ناء ولا شاسع، والضرع حافل، والزرع كاف كافل، والقريحة وارية الزند، والإمامة خافقة البند، وهب البخل يقع بما في الخوان على الأخوان، فما باله يقع بالبيان، أعيد سيدي من ارتكاب رأي ذميم، يريد بيت القطا في تميم،

ويعضد معناه بتميم، وهلا تلا حاميم [74]، وعهدي بالسيادة القاضوية قد نامت لهذا العهد في مهاد الترف نوم أهل الكهف، ولم تبل بمردد الويل واللهف، أو شربت لحفظ الصحة بختعا، ودقت لاعادة (٣٢٤) الشبيبة عقصا ورو سختجا، وغطت على الصبح «بالليل اذا سجي» [75] ومدت على ضاحي البياض طلاء سجسجا، وردت سوسن العارض بنفسجا، ولبس بحرهما الزاخر ثوبا من طحلب البحر منتسجا، وأحكم العمامة وصديق المرأة ينصح ويرشد، ويطري (٣٢٥) المحاسن وينشد، حتى حسنت الدارة، وصحت الاستدارة، وأعجبه الوجه الجميل، والقدر الذي يمد في دكة الدار ويميل، وأغرى بالسواك التتميم والتكميل، وولج بين شفري سيدي الميل، وقيل لوضاح اليمن [76] : خاب فيك التمايل، وامتد جناح برنس السرق، واحتفل الفصن الرطيب في ناضر الورق، ورش الورد ماءه عند رشع العرق، وتهايا للمنطلق، وقرأت عليه نساء أعوانه وكتبته ديوانه سورة الفلق [77]، من بعدما ما أوقف الأملين الحجاب على أقدامهم، وكبحهم الجالون (٣٢٦) عن إقدامهم، فمثلوا واصطفوا، وتآلفوا والتفوا،/ وداروا وحفوا، وما تسلوا إلا خفوا (٣٢٧) كأنما أسمعتهن صيحة النشر، أو خرجوا لأول الحشر، فعيونهم بملتقى المصراع مفقودة، [وأذهانهم لمكان الهيبة مفقودة] (٣٢٨)، وجعالاتهم قبل الطلب بها منقودة، فعندما فرش الوساد، وارتفع بالنفاق الكساد، وذاع البكا (٣٢٩) وتأرج الحساد، [واستقام الكون وارتفع الفساد، وراجعت أرواحها الأجساد] (٣٤٠)، جاءت السيادة فجلست، وتنعمت الأحداق بالنظر الذي اختلست، وسمحت الأكف حتى أفلست، وزانت الشمس ذلك الفلك، وجلت الأنوار الحلك، فتحت الأبواب وقالت هيت لك، ووقفت الأعوان سماطين، ومثلوا خطين، وتشكلت مجرة تنتهي منك الى البطين، يعلنون بالتقديية ويجهرون، «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» [78]، من كل شهاب ثاقب، وطائف غاسق واقب، وملاحظ مراقب، كميض الإزار، ويعيد المزار، حامل للأوزار، خصيم مبین، ووارث سوفسطيقا عن زبين، مضطلع بفقہ البين وحريمها، فضلا عن تلقين الخصوم وتعليمها، يرأسهم العريف المغرب، والمقدم المدرب، والمشافه المباشر، والتابع الكاشر، والنهج العاشر، الذي يقتضي خلاص العقد، ويقطع في الكالي والنقد، ويزكي ويجرح، ويمسك الثبت أو يطرح، ويجمل ويشرح، والمسيطر (٣٤١) الذي بيده ميزان الورق، وجمع الأجر المقترق، وكفه قابلة رحم الدواة الفاغرة، ورشاء بلالة الصدور الواغرة، فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، وأنأى مجمع الرعاع، وأعلنا النداء، وطلبا الأعداء، وصاحا : جعل الله أنفسنا لك الفداء، ورفع الأمر الى مقطع الحق، والأولى بالثابة الأحق، وأخذتهما (٣٤٢) الأيدي دفعا في القفي، ورفعنا لستر اللطف الخفي،

/17

وإمساكا بالحجز والأكمام، ومنعا للمباشرة والإلمام، واستنطاقا عند الإذن بالكلام، وإسكاتا عند صريف الأتلام، فإذا أدلى بحجته من أدلى، ووسعهما دينه (٢٤٣) عدلا، وحق القول، واستقر الهول، ووجبت اليمين، أو الأداء الذي له الذخر الثمين، / أو الرهين أو الضمين، أو الاعتقال الذي هو على إحداهما (٢٤٤) الأمين، نهش الصل الذي سليمة لا يبيل (٢٤٥)، وأسببت العقارب التي لا يفلتها الهارب، ولا ينجي منها المسارب، وكم تحت الظلام من غرارة يجعلها غر؛ وصرة ربح فيها صر، وسهد في انتظار قلة شهد، وكبش يجر تارة بروقيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجدي، وقلاند وهدي، وسرب دجاج نوات لجاج، يفضحن الطارق، ويشعثن المفارق، فمتى يستفيق سيدي من هذا اللفظ (٢٤٦) العائد بالصلة، واللهم (٢٤٨) المتصلة، أو تفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، وخط سواد في بياض أو حنين لروح أو رياض، أو امتاع طرف باكتتاب حرف أو اعمال عدل لرسول في صرف، أو حشو ظرف بتحفة ظرف، شأنه أشد استغراقا، ومبواه أكثر طراقا، « من ذكر حبيب ومنزل » [79] وأم مغزل، وكيف يستخدم القلم الذي يصارف ماء البحر بذوب التبر في ترهات عدم جناها، وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها، اللهم الا أن تحصل النفس على كفاية تختم لها الصرر، وتشام من خلالها للجين الغرر أو تحن النفس الى الفكاهة والأنس، وينفق لديها ذمام الأبقاء على الجنس، فربما تقع المخاطبة المنزورة، وتبيح هذا المرتكب الصعب الضرورة، والمرغوب من سيدنا القاضي أن يذكر يؤسنا بالأغفال عند نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه، ويسهمنا حظا من فرائد حظه، لا من فوائد خطته، ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وحظته (٢٤٩) لا من فضل هرتة وقطته، فقد غنينا عن الحالات بحلاوة لفظه، وعن الطرف المجموعة بفنون حفظه، وعن قصب السكر بقصب أقلامه، وعن جبن الروم بروامه، وبهديه عن جديه، وبمجاجته عن دجاجته، وبدر لجه عن أترجه، وعن البر ببره، وعن الحب بحبه، ولا نأمل إلا طلوع بطاقته، وقد رضينا بجهد طاقة، والا لا بد أن نحشد جيش الكلام / الى عتبه، ونوالي عليه الكتاب حتى يتقى بضريبة كتبه . والسلام.

ومن المنظوم المقيد لهذا العهد قولي في طريق «سلا» وقد أنكرت سوء
معاملة بني عبس :

(طويل)

غضبَ الإلهُ على بني عبسِ وعلى ما اشتَمَلَتْ عليه من تيسِ
ما كَانَ رأيي في المبيتِ بها عن فطنةٍ مني ولا كَيْسِ

وقلت بتغلقلت [80] وهي من معادن البرغوث : (٣٠٠)

(وافر)

بتأفلألت (٣٠١) برغوثٌ كثيرٌ
إذا عجلت لنا بالولب قلنا
يضج لهولبه الفلك الأثيرُ
أثار جرادَ مزعةٍ مثيرُ

وقلت في الشيخ أبي سعيد عثمان بن يحيى شيخ العسكرية (٣٠٢) :

(كامل)

أسميُ ذي النُدينِ [81] وجهك إن بدا (٣٠٣)
إن تفتخرَ بِمَرينِ أرضِ المغربِ الـ
شمسُ الضحى حلتُ بليتِ عرينِ
أقصى (٣٠٤) فإنك أنتَ فخرُ مَرينِ

وقلت أخطب السلطان في بعض مبراته :

(كامل)

أخجلتني يا مُجَلَّ الشمسِ
حملتني ما لا أطيقُ بهِ
يا نورَ ناظري وسرِّ هوى
أنا غرسُ ملكٍ جدتني بندي
شكراً بجود يدٍ قد احترقتُ
رعمزتُ كرسيَ الخلافةِ مَعصو
بمكارمِ أعتِ <على> نفسي (٣٠٥)
فدهشتُ منك وغبتُ عن حسبي
قلبي، ويا عزِّي ويا أنسي
كفيتك، فاجنِ الحمدَ من غرسي
سُحِبُ الحيا بينانَه الخمسِ
ما بحقِ العرشِ والكرسي

وقلت عند عزمي على الرجوع عنه الى «سلا» :

/18

(بسيط)

ودعتُ منك فؤادي يومَ ترحالي
جارَ الزمانِ على ضغفي وأرخصَ ما
لا الماءَ بَعْدَكَ ماءً حينَ أشربُكهُ
ولا يلدُ حديثُ الناسِ في أذني (٣٠٦)
قد كُنتُ أهلي ومالي والشيبيةَ لي
ضرائرُ الدهرِ سارتُ عن دياركَ لو
قالوا : سلا حركتُ أنشواقهُ فسلا
إن كان لي بعدَ بُعدي عنكَ من أملٍ
فلا تسلِ (٣٠٧) بعدَ ذاكَ اليومِ عن حالي
قد صنتهُ قبلها من دُمعي الغالي
ولا الطعامَ طعامَ حينَ يُدنى لي
ولا يجولُ جمالُ الكونِ في بالي
فلا شبابي ولا أهلي ولا مالي
لا الضرورةُ لم يخطرَ على بالي
والله ما كُنتُ يوماً عنكَ (٣٠٨) بالسَّالي
إلا لِقائُكَ ، لا بِلُغَتِ أمالي

وقلت مما نقش في قبة المشور الجديد :

(بسيط)

واعجب لما حُزْتُ من شكل ومن زين
[82] أن لا يرى جامعاً ما بين أختين
تَلُو السعادة بي للدين من دين
إيوان كسرى وكم بين الإيوانين
شأن والله ما بين اليزيديين [83]
كم ألف الحسن مني بين لوتين
عين ومولاي كالإنسان في عيني
فحجة الحمد حق دون ما مین
للجود والبأس داباً بين ضديين
بكل باري الطبا ماضي الذبايين
قد أليس الدين ثوب العار والشين
وانزل الروح خفياً الجناحين
والنصر والفتح في مغناي القين
رب تنزه عن كيف وعن أين

شاهد بعينيك مني قرة العين
أنا الفريدة في دهر ديانته
قد كنت ديناً على الدين الحنيف فلم
أشبهت في شهرة اسم واشتهار علي
بيوت نار بنور الله قد طفيت
كم جمع الظرف مني بين مقتري
كأنني لمباني الملك أجمعهم
كأنني بن أبي الحجاج أنشأني
هو الذي جمعت يميناه بوركبا
هو الذي أسخّص السلطان مجتهداً
واستدرك الفتنة الشنعاء من زمن
ينصّره أرسل الله الصبا نشراً
لأزال شمل المعالي في مجتمعاً
وكيف الأمل لأقصى لمخترعي

/181 /

ومن المكتوبات في المباني السلطانية (٣٦٠) :

(طويل)

تروح هبات الله نحوي وتفتدي
سمي النبي الهاشمي محمد
وكم زان حسن الجيد حسن المقلد
فلا زال في سعد وعز مؤكّد (٣٦٣)

لي الله من عنوان ملك مجدد
بناني أمير المسلمين محمد
وقلد جيد الملك (٣٦١) مني قلادة
ونوه في ربيع (٣٦٢) الخلافة سعد

ومن ذلك أيضا :

(بسيط)

محمد بن أبي الحجاج بانيه
وحافظ الدين قاصيه ودانيه
وكان أول ثار في مغانيه
وطول عمر وسعد فهو ثانيه

يا حسنه منصبا راقن مغانيه
مجدد الملك سيف الحق ناصره
سميه خط هذا القصر مبتدئا
فإن يكن أولا في اسم وفي اسم أب

وقلت في غرض نصيحة في رابطة العقاب :
(بسيط)

مَوْلَايَ يَا ذَا الْجَلَالِ الْبَاهِرِ الْعَالِي
اسْمَعْ مَقَالَةً مِنْ لَا يَبْتَغِي عَوْضًا
وَلَا عَبِيدَ وَلَا خَيْلَ وَإِنْ لَبِسَ النُّسَا
يَرَى الْأُمُورَ قَدْ اخْتَلَتْ عَلَيْكَ وَمَا
حَتَّى إِذَا انْهَدَ رُكْنٌ قِيلَ هَاوَدَهُ
فَلَا لِدُنْيَا وَلَا أُخْرَى أَفُوزُ بِهَا
وَأَنْتَ مَوْلَايَ قَدْ أَعْرَضْتَ (٣٦٥) مُشْتَغِلًا
أَحْمَالُ جِصٍّ وَأَجْرٌ تُعَاقِبُهُهَا
فِي دَارٍ قُحْطٌ وَقَفَرٌ ثُمَّ بَيْنَ عِبْدِي
فَكَمْ يَنْخَسِدُ رِيحَانًا وَيَفْرُشُهُ
لَا تَحْسِبِ النَّاسَ فِي نَوْمٍ فَأَعْيَنَهُمْ
وَكُلَّ طَعَامِهِمْ وَالْبَسَ لِبَاسَهُمْ
وَلَتَجْتَنِبَ كُلَّ مَنْقُودٍ عَلَيْكَ لَهُمْ
وَحَذُّ مِنَ الْأَمْرِ بَعْضًا وَأَقْتَصِدْ وَأَفْقُ
وَكُنْ حَذُورًا وَلَا تَغْفُلْ مَكِيدَةً مَنْ
وَأَنْتَ جَرِيكَ الرَّحْمَانُ مَخْتَبِرًا
لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ إِلَّا سَلَامٌ مِنْ أَمَلٍ
ضَاعَتْ أُمُورُهُمْ هَدَّتْ ثَغُورُهُمْ
قَدَّرْتَ أَمْرَكَ سَهْلًا تَسْتَقِلُّ بِهِ
لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَالْإِسْلَامِ فِي مَهْلٍ
وَالْأَمْرِ جَدًّا فَشَمَّرْ وَاسْتَعِدْ لَكِهِ
بِذَاتِ جَهْدِي بِمَا أَلْقَاهُ فِي جِسْدِي
لَمْ يَبْقَ عَنِّي شَيْدٌ قَدْ أَتَيْتُ بِهِ

سُلَالَةَ الصُّخْبِ وَالْأَنْصَارِ وَاللَّ
مِنْ ضَيْعَةٍ لَا، وَلَا جَاهٍ وَلَا مَالٍ
سُ الْجَدِيدَ كَفَاهُ الْوَاهِنُ الْبَالِسِي
مِنْ نَاصِرِكَ فِيهَا [لَا] (٣٦٤) وَلَا وَالِي
وَأَهْمَلِ النَّصِيحَ فِيهِ أَيْ إِهْمَالِ
خَسِرْتُ فِي اللَّغْوِ أَقْوَالِي وَأَعْمَالِي
عَنْهَا بِثِقَلَةِ أَجْرَامٍ وَأَحْبَالِ
وَجَرُّ أَلْوَحٍ صَخَرٍ فَوْقَ أَعْجَالِ
نَوِي شَرِّهِ وَأَهْوَاءِ وَأَهْوَالِ
فِي مَسْقُطٍ خَرِبَ أَوْ مَنْزِلٍ خَالِي
تَرْنُو إِلَيْكَ فَعَامِلُهُمْ بِأَجْمَالِ
وَانْصَبْ لَصِيدِهِمْ أَشْرَاكَ (٣٦٧) مُحْتَالِ
يَسْلَمْ جَنَابُكَ مِنْ قِيلٍ وَمَنْ قَالِ
وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فِي جِيْشٍ وَفِي مَالِ
يَدْنُو إِلَيْكَ وَيَنْوِي فَتُكَ مَغْتَالِ
لَكِي يَرَى مِنْكَ فَعْلُ الْحَافِظِ الْكَالِي
فَحُطُّ جَمَاعَتِهِمْ فِي دَارٍ إِضْلَالِ
فَانْظُرْ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ (٣٦٨)
قَلَادَةَ اللَّهِ فاعْلَمْ (٣٦٩) ذَاتَ أَثْقَالِ
لَا يَتْرُكُ الْمَجْدَ فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ
وَعَامِلِ اللَّهِ مَكِيلًا بِمَكِيلِ
لَا تَغْتَرِدْ (٣٧٠) بِخَرَافَاتٍ وَأَمَالِ
وَفِي مَفَادِي وَفِي دِينِي وَأُطْفَالِي
نَصِيحَةُ الْوَدِّ وَالْإِخْلَاصِ أُولَى لِي

وكتبت له عقب رقعة تتضمن وسائل في سبيل رغبة اليه في الانصراف الى
بيت الله :

(طويل)

جَعَلْتُ إِلَيْكَ [الله] (٢٧١) وَالْمَلَأَ الْأَعْلَى
وَمَنْ يَقْتَضِي الْخَلْقَ الْحَقُّوقَ بِجَاهِهِ
وَلَمْ أَتَقِ أَمَّا لِلشَّفَاعَةِ أَوْ أَبِئَا
وَبِالْقَطْبِ وَالغَوْثِ الَّذِي بوجُودِهِ
فَلَا تُخْزِي فِي رَدِّ كِسْرَامٍ وَجُوهِهِمْ
حَشَاكَ بَأَن تَبْدُو لَهُمْ مِنْكَ وَحْشَكَ

ووسائل لا تلقى شفاعتها كلاً
أتيت به حتى النبيين والرسل
ولا ابناً ولا جدّاً له خبير يتلى
وجود نظام الكون إن عدم اختلا
ومهد لهم من برك الرخب والسهلا
ومن دونهم عرفته البر والفضلا

وكتبت أذاعب صاحب القلم الأعلى، جملة الفضل والتخلق، أبا عبد الله بن
زمرك [84]، ولها حكاية :

(كامل)

يا طالباً من جاره سكباجا (٢٧٢) [85]
ويدل أنك قد نبذت تداوياً
وكلفت بالملوك (٢٧٣) تؤثر أكله
خف من غداء غير معتدل القوى
هيهات تعتبر الهجاء طبيعة
والمرء من فمه يصاب وفرجه
فكأنني بك قد نبذت مهرقما [86]
وصحيت جزراً للحم (٢٧٥) طيب
وقتحت باب الزرد تذخله الألها
وبلغت الكبون فضل عصيدة
وغنوت كالحبلى جنيثك خريه

هذا يخبر أن جوعك فاجا
ويدل أنك قد تركت علاجاً
أبدأ ، وترفض صحة ومزاجاً
واحذر طعاماً يفسد الأمشاجا
في خيسها أسد الخساسة (٢٧٤) هاجا
فيعود مودة الشروب أجاجا
وقصبت لي أعقابيه سفاجا
وخدمت غير مقصر دجاجا
في دين كل نهامة أفواجا
وشربت من ماء العصير مجاجا
تأتي بها عند الصباح خداجا

184 /

وخطبت رئيس الكتاب بين يدي السلطان يوم عرضه جند الرجل بقولي،
ورجمته بها من العلوي :

(مقارب)

سألت عن الجند جند الرجال
فقال : وقد صفقوا يوم عرض
عميد الكتابة ما أظننه
بيادق في سفرة السلطنة

وافتحت كتابا لأبي جعفر بن خاتمة بقولي (٣٧٦) :

(مج الخفيف)

قسماً بالكواكب الزمر
إنما الفضل مئة
والزفر عاتمة
ختمت بابن خاتمة

وقلت في التورية : /

(طويل)

185 / شريف ثقيل للوصي [87] انتسابه
كان ابن حجر قد عناه بقوله
علي أتى المنوى قناء بكلكل
كجلمود صخر حط السيل من عل [88]

وقلت في غرض معروف مني (٣٧٧) :

(كامل)

قالوا لخدمته دعاك محمد
فاجبتهم أنا والمهين كاره
فكرهتها وزهدت في التنويه
في خدمة المولى محب فيه

وقلت في بعض الأسفار (٣٧٨) :

(مج الرجز)

قال جوادي عندما
إلى متى تهمر نسي
همزت همزاً أعجزة
ونيل لكل همزة [89]

وردت علي هدية من عنب من باب السلطان لأول فصله، وكان معي الشيخ
القاضي أبو البركات، فقال :

(مج الكامل)

لله من عنب نلو
ح طلاوة الدنيا عليه
فقلت :

قد كان يسكر شربه
فسكرت من نظري إليه
فقال :

وهديئة المولى تحط لفضلها رأسي لديه

فقلت :

وَالشُّكْرُ يَقْصُرُ بِي عَلَى مَنْ كُلُّ فَضْلٍ فِي يَدَيْهِ
وقلت من المعاني التي جازيت بعض الأصحاب فيها على عادة الكتاب
والأدباء :

(منسرح)

اُنْكُرْتُ لِمَا أَطْلَعَ عَارِضُهُ فَقَالَ لِي حِينَ رَأَيْتُهُ نَظَرِي
أَلَمْ تَقُلْ لِي بِأَنْتَ قَمَرٌ فَانْظُرْ إِلَى وَبَرِ أَرْتَبِ الْقَمَرِ [90]
وفي الغرض المذكور (٣٧٩) :

(بسيط)

جَاءَ الْعِذَارُ بِظُلٍّ غَيْرِ مَعْدُودٍ فَمُنْتَهَى الْحُسْنِ مِنْهُ غَيْرُ مُحْدُودٍ
نَادَيْتُ قَلْبِي إِذْ لَاحَتْ طَلَانُوعُهُ يَا صَبْرَ أَيُّوبَ هَذَا دَرْعُ دَاوُدَ [91]
وفي نقيضه (٣٨٠) :

(بسيط)

مَا غَضُ (٧٨١) مَنِّي أَنْ أَخْلَفْتُ مَوْعِدِي (٣٨٢) وَرَوْضُ خَدِّكَ مِنْهُ ذَاوِي الْعَمُودِ
وَقَالَ قَوْسُ (٣٨٣) عِذَارٍ فَوْقَ صَفْحَتِهِ سَفِينَةُ الْحُسْنِ قَدْ حَطَّتْ عَلَى الْجُودِي (٣٨٤)
وقلت في الغرض الأول :

(طويل)

مَرَرْتُ بِوَادِي النَّمْلِ مِنْ فَوْقِ خَدِّهِ وَقَدْ خَافَ سُلْطَانُ الْهَوَى وَتَكَلَّمَا
وَكَانَ سُلَيْمَانُ الْجَمَالِ يَتَّقِيهِ يَصِيخُ لِمَا جَاءَتْ بِهِ فِتْنَسُمَا [92]
وخاطبت سلطان المغرب عن الأمير أبي^(٧٨٥) الحجاج [93] في شأن جارية
اسمها زيتونة :

(سريع)

يَا دُرَّةَ الْمَجْدِ مَكْنُونَةً حَاجَةٌ مِثْلِي مِنْكَ مَضْمُونَةً
وَمَنْ يَجِدُ بِالْخَبَرِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤَدِمَ الْخُبْرَ بِرَيْثُونَةٍ

وقلت اخاطب السلطان وقد كتب الي بخطه يسأل عن حالي عقب دواء :

(مجث)

خليفة الله في أرض	ضيه، ونفيم الخليفة
ومن كفاء افتخاراً	نزاع يوم السقيفة [94]
شوقي اليك قسوي	لكن قسوي ضيعفة
فجمل اليوم عذري	تلك السجايا الشريفة
لأنت للسدين عزاً	مؤمناً كل خيفة

/187

وخاطبتة بديها وقد رحم الله بالمطر (٣٨٦) :

(مج الكامل)

مولاي يهنيك المطر	واقفي (٣٨٧) به الوطن الوطن
رحم العباد بخاطر	في جو نفسك قد خطر (٣٨٨)
متدارك الدفوعات يخ	سب من بنائك قد قطر
أقسمت لو طابت سعو	دك صلد صخر لا نطر
عدم العبات يستر عد	لك في البرية والبطر
أمن الوجود بجودك البؤ	سي وكان على خطر
ودت حديث غلاك حن	حي الترك كسلاً والتطر
والله ما يحكيك ما	كتب البيان وما سطر

وقلت بديها ببعض الطريق بحال عبرة (٣٨٨) :

(منسرح)

وانظر خضاب الشباب قد نصلا	وزائر الإنس بعده انفصلا
ومطليبي والذي كلفت به	أملت (٣٩٠) تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف ولا عمل	ونحن في ذا الموت قد وصلا

وقلت وقد بعثت بها الى مدينة «سلا» حيث أهلي وولدي الى هذا العهد :

(رمل)

خدع الشوق فؤادي فانخدع	أفلا أقصر شيناً وارثدع
ثم لما حل في فسخ الهوى	طيره بعد حذار ووقع
قيض الله لنا يوم النوى	شعل النار به حتى انصدع
يا غريب الشعب من وادي النقا	أخضل الغيث رباكم ونقع

/188

أَخْلَقَ الصَّبْرُ فَمَا فِي ثَوْبِهِ
 قُلْتُ فَارْقَسْتُ شَبَابِي وَجِدَّةً
 هَلْ لِهَذَا الْبَيْنِ مِنْ مُجْتَمَعٍ
 طَمَعْتُ نَفْسِي بِزُورِ غَرْفَا
 وَالَّذِي أَظْلَمْتُ لَوْ شَاءَ سَقَى
 يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِنْ جِئْتَ الْحِمَى
 وَتَلَوْتُ بِأَكْنَافِ سَلَا
 قُلْ لَوَادِي الْقَبْطِ [٣١٢] [95] هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ
 أَوْ عَلَى مَرْجٍ حِمَامٍ خَطْبُورَةٍ
 أَوْ بِأَسْمِيرٍ لَنَا مِنْ سَمِيرٍ
 وَسَقَى شَلَّةً عَهْدُ مُغْدِقٍ
 وَدِبَاطُ الْفَتْحِ [97] يَا حَيُّ الْحَيَا
 وَرِيَاضُ الشَّيْخِ [99] كَمْ مَرَأَى لَنَا
 دَبِجَ الْغَيْثِ بِهِ خَضِرَ الرَّبِى
 فَإِذَا جَاءَتْ تَحِيَّاتُ الصَّبَا
 سَمِعْتُ أَغْصَانَهُ دِينَ الصَّبَا
 تَنْشُرُ الزَّهَرَ عَلَيْنَا وَرَقَا
 سَكَّةُ اللَّهِ فَسَبَّحَانَ الَّذِي
 وَأَطَاعَتْ بَابِي الْعَاصِي [100] الْمُنَى
 وَعَلَى الْمُلْحَدِ مِنْ شَرْفَيْهِ
 فِيهِ أَوْدَعْتُ فَوَادِي فِيهِ الْكُرَى
 إِنْ سَلَا قَلْبِي مِنْ بَعْدِ "سَلَا"
 نَمُرُ الْقَلْبِ بِهَا خَلْفَتُهُ
 أَمْتَعِ الدَّهْرَ بِهَا لِمَا سَهَا
 وَإِذَا جِئْتُ رُبُوعاً بَعْدَهَا
 أَبْلَقَنْ صَحْبِي بِهَا مَمْحُوضَةً
 يُولِيَّ اللَّهُ فَايْئِدْ وَاقْتَصِدْ
 وَعَلَى عِيدِ الْعَزِيزِ [103] اعْطِفْ تَجِدْ
 وَإِلَى الزَّائِرَةِ الْعُلْيَا [104] التَّفَتِ
 أَبْلَغِ الْأَحْبَابِ عَنِّي أَتْنَسِي
 حَيَّ بِالرَّضْوَانِ عَنِّي ابْنَ رِضَى [105]

أَبْدَأُ وَاللَّهُ لِي مِنْ مُنْتَفِعٍ
 فَإِذَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا تَبِيعَ [٣١١]
 أَوْ لِهَذَا الْمَرْتَجَى مِنْ مَرْتَجِعٍ
 فَهِيَ تَجْنِي بَعْدَهُ عَقْبَى الطَّمَعِ
 وَالَّذِي فَرَّقَ لَوْ شَاءَ جَمَعَ
 بَعْدَمَا طَبَّقَ غَيْمٌ وَارْتَفَعَ
 تَرَفَعَ الدُّوْحُ قَلِيلًا وَتَضَاعَفَ
 يَصِلُ الْأَنْسُ لَدَيْهَا مَا قَطَعَ
 مَا سَرَتْ فِي خَاطِرِي إِلَّا أَنْجَمَعَ
 أَوْ عَلَى نَاطُورِهَا مِنْ مُجْتَمَعٍ [96]
 إِنْ هَمَى فِي الرَّبِيعِ مِنْهَا وَهَمَعَ
 مَا بَنَى الْمَنْصُورَ فِيهِ وَاخْتَرَعَ [98]
 فِيهِ يَزْدَى بِالْأَهْلِ أَوْ مُسْتَمِعٍ
 كَيْفَمَا شَاءَ وَوَشَى وَوَشَعَ
 سَجَدَ الرُّوحُ خَشُوعاً وَرَكَعَ
 فَهِيَ تَقْضِي دَفْعاً بَعْدَ دَفْعٍ
 نَقَشَ الْكَوْنُ عَلَيْهَا وَطَبَعَ
 قَدَرُ الصَّرْفِ وَأَعْطَى وَمَنَعَ
 فَلَكُمْ بَابَ أَلَى الْأَنْسِ شَرَعَ
 رَحْمَةُ اللَّهِ فَكَمْ فَضْلُ جَمْعِ [101]
 وَلَيْسَتْ الْحُزْنُ ثَوْباً لَوْ نَفَعَ
 فَبَالَى الْغَدْرُ، بِلَا شَكٍّ، نَزَعَ
 هَلْ لِقَلْبِي بَعْدَهَا مِنْ مُنْتَفِعٍ
 ثُمَّ لَمَّا اسْتَشْعَرَ السُّهُورَ رَفَعَ [٣١٢]
 فَعَلَ اللَّهُ بِقَلْبِي وَصَنَعَ
 نَاطَرَ الْمَسْكَ شَذَاهَا فَانْقَطَعَ
 وَاحِدَ الْأَحَادِ [102] فِي بَابِ الْوَرَعِ
 نَاسِكاً لِلَّهِ وَالنَّاسِ اتَّضَاعَ
 فَهِيَ مَكْوَى مِنْ عَنِ الْغَيِّ نَزَعَ
 فَجَأَ الْبَيْنُ فَوَادِي وَفَجَعَ
 فَرَعَ مَجْدٍ قُنَّةُ الْمَجْدِ فَرَعَ

سنة الفضل به قامت وقد
 حسب زاك ونفس حرة
 وابن حمدي فابتدر
 بيت علم وقضاء وملا
 وابن داود [106] بودي فابتدر
 ألف، مذكور كان ما لوف وإن
 حكيم البيت في مكنه
 وابن غياث [107] غياث وشفا
 ولعلهم أنو عنني وابن
 وأذكر الصباغ عبيد الله إن
 ولتصق شقرون بالسفود وإن
 يا لهم من سادة جر عنني
 زرعوا في جملا فجنحوا
 سلم الله على أهل سلا

أحدث من فضله فيها يدغ
 وطباغ لم يدنسها الطبع
 أي نذب راية السور (٣٩٥) رفغ
 وتر المعروف فيه وشفاغ
 فهو في الخلطة صبح قد سطغ
 فصل الخلطة أجلي (٣٩٦) وصدغ
 نام نو الحكمة منا واضطجع
 جملة الخلق به الله نفغ
 حسن عهدي ذرة الرغي رضغ
 رجع الشدو وبالذكر سجع
 قيل : أي السعد ؟ قل : سعد بلغ [108]
 بينهم من مضغ (٣٩٧) اللبن جرغ
 يحصد الإنسان إلا (٣٩٨) ما نزع [109]
 ما صباح لاح أو برق لمغ

وكتبت أراجع الفقيه الأديب المتقن أبا جعفر بن خاتمة (٣٩٦) [110] :

(سريع)

لم في الهوى العذري أو لا تلم
 شأنك تعنيتي وشاني الهوى

فالعذل لا يدخل أسماعي
 كل أمر في شأنه ساعمي

أهلا بتحفة القادِم، وريحانة المَنادِم، وذكرى الهوى المتقادِم، لا يصغر الله
 مسراك، فما أسراك، / لقد جبت لي (٤٠٠) من همومي ليلا وجست رجلا وخيلا،
 ووفيت في صاع الوفاء كيلا، وظننت بي الأسف على ما فات، فاعملت الالتفات
 لكيلا [111]، فاقسم لو أن أمري اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء من عدي،
 «ما أفلت أشراكي المنصوبة لأمثالك [112]»، حول المياه وبين المسالك، ولعلمت (٤٠١)
 ما هنالك، ولكنك تركت حمى كسحته (٤٠٢) الغارة الشعواء، وغيّرت ريعه الأنواء،
 فحمد بعد ارتجاجه، وسكن تاذين (٤٠٣) دجاجه، وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه،
 وطال عهده بالزمن الأول، «وهل عند رسم دارس من معل» [113] وحيا الله ندبا
 الى زيارتي ندبك، وبأدابه الحكمة أدبك،

(وافر)

فكان وقد أفاد بك الأمانى
 كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهي شيمة بوركت من شيمة، وهبة الله قبله من لدن المشيمة، ومن مثله في صفة رعي (٤.٤)، (وفضل سعي، وقول ووعي) (٤.٥).

(مج الخفيف)

قَسَمًا بِالْكَوَاكِبِ الزُّفَرِ وَالزُّهْرُ عَاتَمُهُ
إِنَّمَا الْفَضْلُ مَلَكُهُ خُتِمَتْ بِابْنِ خَاتَمُهُ

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجل، وحملتني باهض شكره (وكتدي واه عن التحمل) (٤.٦)، ونظرني «بالعين الكليّة عن العتب (٤.٧) [114]» فهلا أجاد التأمّل، واستطلع طلع بثي (٤.٨)، ووالى في مبرك الهجرة حثي، «وإنما أشكو بثي [115]»، «ولو ترك القطا ليلا لثاماً [116]».

وما حال شمل وتده مفروق، وقاعدته فروق، وصواع بني أبيه مسروق، وقلب قرحه من غصة الدهر دام، وجمرة حسرته ذات احتدام، هذا، وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيبي لم يدع أن هجم، كما (٤.٩) نجم، ثم تهلل عارضه وانسجم.

(كامل)

لَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلَيَّ وَغَرَبًا فَالْهَجْرُ فِي تَلَفٍ الْغَرِيبِ سَرِيعُ

نظرت فإذا الجنب ناب، والنفس فريسة ظفر وناب، والمال أكلة انتهاب، والعمر رهن ذهاب، واليد صفر من كل اكتساب، وسوق المعاد مترائية (٤.١٠) والله سريع الحساب.

(واغر)

وَلَوْ نُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَّا افْتَرَقْنَا وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ

وهب أن العمر جديد، وظل الأمن مديد، ورأيي الاغتياب بالوطن سديد، فما الحجة لنفسي إذا مرت بمطارح جفوتها، وملاعب هفوتها، ومثاقب قناتها، ومظاهر عزاها ومناياتها، والزمان ولود، وزناد الكون غير صلود.

(كامل)

وَإِذَا امْرُؤٌ لَذَعْتَهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكَتُهُ حِينَ يَجْرُ حَبْلٌ يَفْرُقُ [117]

ثم أن المرغّب قد ذهب، والدهر قد استرجع ما وهب، والعارض قد اشتبه، وأراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة وأسماؤه على الجوار مخفوضة، والنية مع الله

على الزهد (١١٢) فيما بأيدي خلقه معقودة، والتوبة بفضل الله - عز وجل - شروطها (١١٣) منقودة، غير معترضة ولا منقودة، والمعاملة سامرية ودروع الصبر سابرية، والاقتصاد قد قرت العين بصحبته، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته، فإذا راجعها مثلي من بعد الفراق، وقد رقى لدغتها ألف راق، وجمعتني بها الحجرة، ما الذي يكون (١١٤) الأجرة، جل شأني، وإن رضي الوامق وسخط الشاني، إني إلى الله، مهاجر، وللعرض الأدنى هاجر، ولأطعان السرى زاجر، لنجد وحاجر، (١١٥) [118] لكنني دعاني إلى الهوى، إلى المولى المنعم هوى، خلعت نعلي وما خلعت، وشوق أمرني (١١٦) فأطعته، وغالب والله صبري فما استطعته، والحال أغلب، وعسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسره رضاه، فأمل (١١٧) كمل، وراحل احتمل، وحاد أشجى الناقة والجمال، وإن كان خلاف ذلك فالزمان جم العوائق (١١٨) والتسليم بمقامي لائق.

(بسيط)

ما بينَ غَمُضَةٍ عَيْنٍ وانتِبَاهَتِهَا (١١٩) يُقَلَّبُ (١٢٠) الأمرُ منْ حالٍ إلى حالٍ

وأما تفضيل (١٢١) هذا الوطن على غيره، ليمن طيره، وعموم خيره، وبركة جهاده، وعمران رياه ووهاده، بأشلا زهاده، حتى لا يفضل إلا أحد الحرمين، فحق برىء من المين، لكنني للحرمين جنحت، وفي جو الشوق إليهما سرحت (١٢٢)، فقد أفضت إلى طريق قصدي محجته، ونصرتني والملة لله حجته، وقصد سيدي أسنى قصد توخاه الحمد والشكر، ومعروف عرف به النكر، والآمال من فضل الله من بعد تمتاز، «والله يخلق ما يشاء ويختار» [119]، ودعاؤه بظهر الغيب مدد، وعدة وعدد، وبهره حالي الظعن والإقامة معتمل معتمد، ومجال المعرفة بفضل لا يحصره أمد، (١٢٣)، والسلام الكريم يخصه من محبة المثني على كماله، فلان (١٢٤).

/193

والكتاب الوارد من أبي جعفر بن خاتمة، نصه بعد صدره (١٢٥) :

وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فإنه من الأمر الذي لم يرغب عن رأي العقول، ولا اختلفت (١٢٦) فيه أرباب المحسوس والمعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطارز ملكها، وقلادة نحرها، وفريدة (١٢٧) درها، وعقد جيدها المنصوص، وكمال زينتها على العموم والخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، [وطب مارستانها، والذي عليه عقد إدارتها] (١٢٨)، وبه قوام إمارتها، فليده يحل (١٢٩) المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل، فلا غرو [و] أن تنقيد بكم الاسماع

والأبصار، وتحقق نحوكم الأذهان، والأفكار، ويزجر عنكم السانح والبارح، ويستنبأ ما تطرق عنه العين، وتخلّج عنه الجوارح، استقراء لمرامكم، واستطلاعاً لصالح (٤٢٠) اعتزامكم، واستكشافاً عن مرامي سهامكم، لا سيما إقامتكم على جناح خفوق، وظهوركم في ملتصع بروق، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق / حتي تستقر بكم الدار، ويلقي عصاه التيسار (٤٢١)، ولها العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، وسرورها بلفائكم لم يكتمل، فلم يبرأ بعد جناحها المهيض، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من دأديها (٤٢٢) لياليها البيض، ولا استوى نهارها، ولا تألفت أنوارها (٤٢٣)، ولا اشتملت نعمائها، و[لا] نسيت غماؤها، بل هي كالناقة، والحديث العهد (٤٢٤) بالمكاره، تستشعر نفس العافية، وتتمسح (٤٢٥) منكم باليد الشافية، فبحنانكم (٤٢٦) عليها، وعظيم حرمتكم على من لديها، لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتفظموها عما عودت من طيب المزاج، فما لدائها وحياة قربكم غير طيبكم من علاج، وإنني ليخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعينكم، ما نال جانبكم في هذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر مالكم (٤٢٧) من حسن العهد، وكرم الوفاء، وإن الوطن إحدى الحواضن (٤٢٨) الاظار التي يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنج، وبحق نفسكم على حق أوليائكم أجنج، وللتّي هي أحسن (٤٢٩) قيمة من فضائلكم أوهب وأمنح (٤٣٠)، وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات، الى شهادة النحور واللبات (٤٣١)، والياقوت، غني في المكان عن مظاهر (٤٣٢) القلائد والتيجان، أليس أنه أعلى للعيان، وأبعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك أنو شروان، فالشمس وإن كانت أم الأنوار، وجلاء الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؟ وكما في علمكم ما فارق نوو الأحلام [وأولاً] (٤٣٤) الإرحام مواطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال (٤٣٥) خير من دارهم، ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يتعوض منها (٤٣٦) إلا بمكة أو يثرب، ما تحت أديمه (٤٣٧) أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط جهاد، ومعاهد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد، ثم يبيىء ولده مبرأ أجداده، ويجمع لهم (٤٣٧) من طارفه، وتلاده، أعيد أنظاركم المسددة، / من رأي فائل، وسعي طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعود الحميد، (٤٣٨)، رأيكم في أهل الحرية ومعاندهم، وستركم على غائبهم وشاهدهم.

وخطبت الفقيه الحكيم [أبا] القاسم بن داود [بن] الفخار من أهل «سلا»

[120]، بقولي (٤٣٩) :

(رجز)

يا مَنْ يَعِيدُ لِلطَّيِّبِينَ كُلِّ صُورَةَ
وَالْفَلَكُ الدُّوَارُ مِنْ نُورِهِ
عَنْ مِثْلِ فِي عِلْمِهِ مَخْصُورُهُ
وَالنَّارُ تَمْضِي حَكْمَهُ ضَرْوَرُهُ
فَهَذِهِ تَحْمِلُ طَبَاهُ رَأً
وَهَذِهِ تُلْقِي بِهَا قَانُورُهُ
أَوْصَافُ حَقٍّ فِي مَثَالٍ بَاطِلٍ
وَأَلِيَّةٌ مِنْهُيَّةٌ مَأْمُورُهُ

سيدي جعلك الله ممن تكيف بالحق وتجوهر، وعلم المشرق والمظهر، إذا غلب الفرق واشتقت الى لقاءك، وارتحت الى البرق من تلقائك، وإذا غلب الجمع وهو ثمرة المجاهدة، تمتعت بك عين المشاهدة، وإن تشوفت الى الحال (٤٠) واستشرفت فلم تنتقل عما عرفت خرقة القوم اللباس، ومن مشكاة الحق الاقتباس، وقد ذهب اللباس، ولي أمل في العودة الى ذلك الجوار، الحفي بالزوار، والجناح المظلل بالاعتاب (٤١)، والبيت المعمور، بالكليات من الأمور، والله يبلغ المآرب، ويسر المسارب، ويعذب المشارب، وقد نظمت كلمة تضمنت ذكر المعاهد التي نشأت بها العلاقة، وتعدت من سكر شكرها الإفاقة، لتنظرها «بعين الرضى الكلية عن العيوب»، وتاذن في انتساخها لمن ذهب الى ذلك من أرباب القلوب، لعل ذكركم بالجميل ينفع، وفي كثير من سيناتي يشفع، والله عز وجل يقول تائبسكم (٤٢) أيها الحكيم، الذي له النفس الزكية والقلب السليم، وبيلغك كمالك الأخير، «فهو على كل شيء قدير» [121]، [والسلام عليكم ورحمة الله] (٤٣).

وخاطبت الشيخ الخطيب الرئيس أبا عبد الله بن مرزوق / [122] وقد بلغ الخبر بسراحه من الاعتقال، وخلاصه من النكبة، بما نصه (٤٤) :

سيدي الذي يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافأة، ولم تختلف في مدحها الأفعال ولا تغايرت في حمدها الصفات، ولا تزال تعترف بها العظام الرفات، أطلقك الله من أسر [كل] الكون كما أطلقك من أسر بعضه، وزهدك في سمائه الفانية وفي أرضه، وحقر الحظ في عين بصيرتك، بما يحملك على رفضه، اتصل بي الخبر السار من تركك لشأنك، وإجاء الله إياك ثمرة احسانك، وانجياب لظلام الشدة الحالك، عن أفق حالك (٤٥)، وكبرت ارتياحا لانتشاق رضى (٤٦) الله الطيب العاطر (٤٧) الأرج، واستعبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج (٤٨)، لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر، إنما هو في (٤٩) ليس له من الأمر شيء ونسأله جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبينها، وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتدنيها، وكأنتني والله أحس بتقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها - ولا حول ولا قوة إلا بالله - لطبعك، وأنا أنافرك الى العقل

/19

الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول : «ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها الرتبة العيا، وأقرض (٤٦٠) المثال بحالة (٤٦١) إقبالها، ووصل حبالها، وخشوع جبالها، وضراعة سبالها (٤٦٢)، ألتوقع المكروه صباحا ومساء، وارتياب الحوالة التي [تدليل من النعيم (٤٦٣) الباساء، ولزوم المنافسة التي] (٤٦٤) تعادي الأشراف والرؤساء، ألترتب العتب (٤٦٥)، حتى على التقصير بالكتب (٤٦٦) وضغينة (٤٦٧) جار، وولوع الصديق بإحصاء الذنب، ألتسبب وقائع الدولة إليك وأنت بري (٤٦٨)، وتطويقك الموبيقات وأنت منها عري، ألتستهدفك للمضار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطربها ركبة السروج، وسرحة المروج، ونجوم السماء ذات البروج / ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضي قضاءها (٤٦٩) الوجود، ولا يكفيها الركوع (٤٧٠) والسجود، ألتقطع الزمان بين سلطان يعبد، وأفكار ستهام للغيوب تكبد، وعجاجة شر تلبد، وأقبوحة تخلد، وتؤبد، ألويزير يُصانَع ويُدارى، وذئ حجة صحيحة يجادل في مرضاة الله (٤٧١) ويمارى، [ومعرة لا توارى] (٤٧٢)، ألباكرة كل غائب (٤٧٣) حاسد، وعدو مستأسد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، ألتوفود (٤٧٤) تتزاحم بسدتك، متكلفة (٤٧٥) لك غير ما في طوقك، فإن لم يقع الإسعاف (٤٧٦) قلبت عليك السماء من فوقك، ألتجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وإيابك، إلا بقبيح اغتياك، فالتصرفات تمقت، والقواطع النجومية توقت، والألاقي (٤٧٧) تثبت، والسعايات تحث، والمساجد يشتكى فيها البث يعتقدون أن السلطان في يدك بمنزلة الحمار المدبور، واليتيم المحجور، والأسير المأمور، ليس له شهوة ولا غضب، ولا أمل في الملك ولا أرب، ولا مودة لأحد كامة، وللشر ضامنة، وليس في نفسه عن رأي نفرة، ولا بإزاء ما لا يقبله نزوة وطفرة (٤٧٨)، إنما هو جارية (٤٧٩) لصيدك، وعان [123] في قيدك، وآلة لتصرف كيدك، وأنت علة حيفه، ومسلط سيفه، الشرار يسلمون (٤٨٠) عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخلهم أخبث ما فيه، واختارهم السفية فالسفيه، إذ الخير يستره الله عن الدول ويخفيه، ويقنعه القليل ويكفيه (٤٨١)، فهم يمتاحون بك ويولونك الملامة، ويفتحون عليك أبواب القول، ويسدون طرق السلامة، وليس لك في أثناء هذه إلا ما لا يعوزك مع ارتفاعه، ولا يفوتك مع انقشاعه، وذهاب صداعه، من غذاء يشبع، وثوب يقنع، وفراش ينيم، وخديم يقعد ويقيم، وما الفائدة في فراش / تحته (٤٨٢) جمر الغضا، ومال من ورائه سوء القضا، وجاء يخلق عليه سيف منتضى، وإذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللجاج حول المسقط الذي تعلم أنها فيه تهلك، فكيف تنسب الى نبل، أو

تسير من السعادة في سبل، وإن وجدت في القعود بمجلس التحية، بعض الأريحية، فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها، إلا مباركة وجه الحاسد، وذئ القلب الفاسد، ومواجهة العدو المستأسد، أو (١٨٣) شعرت ببعض الإيناس، في الركوب بين الناس، هل التذت (١٨٤) إلا بحلم كاذب، أو جذبها غير الفور مجاذب (١٨٥) انما راكبك من يحدق الى الحلية والبزة، ويستطيل مدة العزة، ويرتاب اذا حدثت بخبرك، ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك، ويمنعك من مسايرة أنيسك ، ويحتال على فرغ كيسك، ويضممر الشر لك ولرئيسك، وأي راحة لمن لا يباشر قصده، ويسير متى شاء وحده (١٨٦)، ولو صح في هذه الحال حظ وهب زهيدا، أو عين الرشد عملا حميدا، لساغ الصاب، وخفت الأوصاب، وسهل المصاب، لكن الوقت أشغل، والفكر أوغل، والزمن قد غمرته (١٨٧) الحصص الوهمية، واستنفذت منه الكمية، أما ليله ففكر أو (١٨٨) نوم، وعتب بجراء الضرائر ولوم، وأما يومه فتدبير وقبيل ودبير، وأمور يعيا بها ثبير، ولفظ لا يدخل فيه حكيم كبير، وبلاء مبير (١٨٩)، وأنا بمثل ذلك خبير، والله يا سيدي ومن فلق الحب، وأخرج الأب، وذرا (١٩٠) من مشى وما (١٩١) دب، وهدي وأكب، وسمى نفسه الرب، لو تعلق المال الذي يجره هذا الكدح، ويوري سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البدر بدره بالمناكب (١٩٢)، ولا ورثه عاقب، ولا خلص به محتقب، ولا فاز به سافر ولا منتقب، والشاهد الدول، والمشاهم (١٩٣) الأول، فأين الرباع المقتناة، وأين الديار المبتناة، وأين الحوائط [124] المغترسات، وأين الذخائر المختلصات، وأين/الودائع المؤملة، وأين الأمانة (٣٩١) المحملة ، تاذن الله بتثيورها، وأدنى نارالتبار من دنائرها، فقلما تلقى أعقابهم الا عرى (١٩٥) الظهور، مترمقين بجرايات (١٩٦) الشهور، متعللين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التي حجب عنها اباؤهم، وعرف منها إباؤهم، وشم من مقاصيرهم عنبرهم وكباؤهم [125]، لم تسامحهم الأيام (١٩٧) في إرث محرر، أو حال مقرر، وربما محقه الحرام، وتعذر منه المرام، هذه - أعزك الله - حال قبولها المرغوب فيه، ومالكها مع الترفيه (١٩٨)، وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه، وأما ضده من عو يتحكم وينقم، وحوث بغى يبتلع ويلتقم، وطبق (١٩٩) يحجب الهوى، ويطيل في الترب الثواء، وثعبان قيد بعض الساق وشؤبوب عذاب يعزق الأبخار الرقاق، وغيلة يهديها الفاسق (٢٠٠)، ويجرعا العدو الفاسق، فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق، مع الأفول والشروق، فهل في شيء من هذا مقببط لنفس حرة، أو ما يساوي جرعة ماء (٢٠١) مرة، واحسرتا للأحلام ضللت، وللأقدام زلت، وبألها مصيبة جلّت، ولسيدي أن يقول : حكمت علي باستئقال الموعظة واستجفائها، ومرادة الدنيا بين خلائها وأكثافها، وتناسي عدم وفائها،

فأقول : الطيب بالعلل أدري، والشفيق بسوء الظن مغري، وكيف لا (٥.٢) وأنا أقف على السجلات (٥.٣) بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال، ومثاقب النوب الثقال، وخلوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد، ونوش (٥.٤) الأسنة الحداد، وحيث يجمل بمثله ألا يصرف في غير الخضوع لله بنانا، ولا يثني لمخلوق عنانا، وأتعرّف أنها قد ملأت الجو والدو، وقصدت الجماد واليو، تقتحم أكف أولي الشمات، وحفظة المذمات، وأعوان النوب الملمات، زيادة في الشقاء، وقصدا بريئا من الاختيار والانتقاء، مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء، [ومن النفاق على أشهر من البلقاء] (٥.٥) ، فهذا يوصف بالامامة وهذا / ينسب في الجود الى كعب بن مامة [126]، (وهذا يجعل من أهل الكرامة (٥.٦)) ، وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله، وهذا يطلب منه لقاء (٥.٧) الصالحين وليسوا من شكله، الى ما أحفظني والله من البحث عن السموم، وكتب النجوم، والمذموم من المعلوم، هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع (٥.٨) بتاتا، وأعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتا، وأنا لا نملك موتا ولا نشورا ولا حياة، وأن اللوح قد حصر الأشياء محوا وإثباتا، فكيف نرجو لما منع منا لا أو نستطيع مما قدر إفلاتا، وأقيدونا (٥.٩) ما يرجح العقيدة المقررة، نتحول (٥.١٠) اليه، وبينوا لنا الحق نعول عليه، الله الله يا سيدي في النفس المرشحة، والذات المحلاة بالفضائل الموشحة، والسلف الشهير الخير، والعمر المشرف على المرحلة (٥.١١) بعد حث السير، ودع الدنيا لأهلها فما أوكس حظوظهم، وأخس محوظهم، وأقل متاعهم، وأعجل إسرافهم، وأكثر عناءهم، وأقصر أناةهم.

(مج. الكامل)

ما ثم إلا ما رأيتم ————— ت وربما تُغيبي السلامَ
والناس إمّا ظالمٌ ————— أو جائرٌ يشكّو ظلامَ
وإذا أردت العزَّ لا ————— ترزأ بني الدنيا قلامَ
والله ما احتقَبَ الحرَّ ————— يصُ سوى الذنوب أو الملامَ
هبل ثم شك في الممّا ————— د الحق أو يوم القيامة
قولوا لنا ما عندكم ————— بالله يا أهل الإمامة (٥.١٢)

وان رميت بأجباري وأوجرت المر من أشجاري، فوالله ما تلبست منها اليوم بشيء قديم ولا حديث، ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما أنا إلا عابر سبيل، وهاجر مرعى وبيل، ومترقب وعدا بدر (٥.١٣) فيه الإنجاز، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد، وحاولت قطع المداخلة (٥.١٤) حتى بين روعي والجسد، وغسل الله قلبي - من الطمع والحسد، فلم أبق علامة (٥.١٥) الا قطعتها، ولا جنة للصبر الا ادرعتها، أما اللباس فالصوف - وأما الزهد

فيما بأيدي / الخلق فيمعروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف، وواله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعراها لا تنفصل، وترتيبي هذا يوم، ولا يحيرني (٥١٦) الرعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمت أسفا، وحسبي الله وكفى. ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم، ولا المحمود، ولقد اعملت نظري فيما يكافيء عني بعض يدك، أو ينتهي في الفضل الى أمك، فلم أر لك الدنيا كفاء لو كنت صاحب دنيا، ووجدت (٥١٧) بذل النفس قليلا [لك] (٥١٨) من غير شرط ولا ثنيا، فلما ألهمني - جل جلاله - الى مخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفاء، لمن لا يثبت عن الصفاء، ولا يشيم بارقة الوفاء، ولا يعرف قانون الدنيا معرفة مثلي من المدنسين (٥١٩) بها المنهمكين، وينظر عوارها الفادح (٥٢٠) بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حسننها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبين لي أنني قد كافيت صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك الملتزمة، وأمحضت [لك] (٥٢١) النصيح الذي يعز الله ذاتك، ويطيب حياتك، ويحيى مواتك، ويربح جوارحك من النصب، وقلبك من الوصب (٥٢٢)، ويحقر الدنيا وأهلها في عينيك اذا اعتبرت، ويلاشي عظامها لديك اذا اختبرت، كل من تقع عليه عينيك حقير (٥٢٣) قليل، وفقير دليل، لا يفضك بشي، الا باقتناء رشد أو ترك غي، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل، وعروة عزه يفصلها الفاصل، وماله (٥٢٤) الحاضر الحاصل، يبعث فيه الحسام الفاصل، والله ما تعين للخلف الا ما تعين للسلف، ولا مصير الجموع الا التلف (٥٢٥)، ولا صح من «الهياط والمياط» [127]، والصياح والعياط، وجمع القيراط الى القيراط [128]، والاستظهار بالوزعة والأشراف، والخطب والخطاب، والاستكثار / والاغتباط، والغلو والاشتطاط (٥٢٦)، وبناء الصرح وعمل الساباط [129]، ورفع العمد وإدارة الفسطاط، إلا ألم (٥٢٧) يذهب القوة، وينسي الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، وسكرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد، ولسان يتقل، وعين تبصر الحق (٥٢٨) وتمقل، «قل هو نبي عظيم، أنتم عنه معرضون» [130]»، ثم القبر وما بعده، والله منجز وعيده [ووعده] (٥٢٩)، فالأضراب الأضراب، التراب التراب، وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، ويبيده من التسبب ما يتكفل بإمساك أرقام، أين النسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كن حجرته، لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرفته، السؤال والله أقوم طريقا، وأكرم فريقا (٥٣٠)، من يد تمتد الى حرام، لا يقوم بمرام، ولا يؤمن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، وقلبت الأديان والمثل، وضربت الأبشار ونحرت العشار، ولم يصل منه على يد واسطة السوء المعشار، ثم طلب عند الشدة، ففضح، وبان شؤمه ووضح اللهم،

طهر منها أيدينا وقلوبنا، وبلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، وعرفنا بمن لا يعرف غيرك، ولا يسترقد الا خيرك، يا الله. وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها الى إشارة، أو أعمل في اجتلائها إضبارة (٥٣١) أو لبس منها شارة، أو تشوف لخدمة إماره، ألا يحسنوا ظنونهم بعدها بآبن ناس، ولا يفتروا بسمة ولا خلق ولا لباس، «فما عدا عما بدا». يتقضي العمر في سجن وقيد، وعمرو وزيد، وضر وكيد، وطراد صيد، وسعد وسعيد، ووعد ووعيد (٥٣٢)، فمتى تظهر الأفكار، ويقر القرار، وتلازم الأذكار، وتشام الأنوار، وتتجلى (٥٣٣) الأسرار، ثم يقع الشهود الذي تذهب معه الأخبار، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواء الفرار، وعليه المدار، وحق الحق الذي ما سواء فباطل، والفيض الرحماني، الذي - سبحانه - هاطل (٥٣٤)، ما شابت مخاطبتي هذه شائبة تريب، ولقد / محضت لك ما يحضه للحيب الحبيب، فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيره (٥٣٥)، ولا تظن بي غيره، وإن لم يكن قدرتي مكاشفة سيادتك بهذا البث (٥٣٦)، في الأسلوب الفث (٥٣٧)، فالحق أقدم، وبنائه لا يهدم، وشأني معروف في مواجهة الجبابرة، على حين يدي الى رفدهم ممدودة، ونفسي في النفوس المتهافته عليهم معدودة، وشبابي فاحم، وعلى الشهوات مزاحم، فكيف بي اليوم مع الشيب، ونصح الحبيب، واستكشاف العيب، إنما أنا اليوم على كل من عرفني ثقیل (٥٣٨)، وسيف العدل في كفي صقیل، أعذل أرباب (٥٣٩) الهوى وليست (٥٤٠) النفوس في القبول سواء، ولا لكل مرض دوا، وقد شفيت صدري، وإن جهلت قدرتي، فاحملني، حملك الله على الجادة الواضحة، وسحب عليك سر الأبوة الصالحة. والسلام.

/203 /

ازجال لابن الخطيب

وصدر عني لهذا العهد من المنظوم في فن الزجل، أزجال على طريقة
الصوفي المحقق أبي الحسن الششتري [131]، رحمه الله ونفع به فمن ذلك
قولي (٥٤١):

مَنْ عَوَّلَ عَلَى صَفَلٍ وَلَمْ يَلْتَفِتْ عَقْلٌ وَاتَّحَدَقَ (٥٤٢) إِذْ يَنْتَلِفُ فَصَلُّ يَتَحَقَّقُ

ومهما يبر النقطا
يتحرز من الفلطا
ويمشي على الفلطا (٥٤٥)

تريد (٥٤٤) أن تكون دارا
إن الحال غارار
ويجعل له سيارا

عَدَّ يَمْتَنِعُ (133) شَكْلٌ وَيَطْرُدُ فِي رَكْلٍ تَمَرُّقُ يَثْبُتُ كَثِيرُ رَجُلٌ أَوْ يَزْمَقُ (٥٤٦)

ويطلع مع التركيب
ويرجع على الترتيب
[ويرقق بالتدريج]

على السلوم (٥٤٧) العاليي
إلى المركز (٥٤٨) التالسي
يرد الجديد بالسي (٥٤٩)

وَحِينَ يَبْقَ مَعَ كُلِّ يَحْصُلُ الْوُجُودُ كُلُّ الْمَطْلُوقِ وَحِينَ يَفْنَى مَوْقِلًا (٥٥٠) حَقُّ الْحَقِّ

مَنْ رَجَعَ إِلَى ذَاتٍ
يَفْرَحُ بِلِذَاتٍ
وَتَقَلَّبُ (٥٥٢) أَوْقَاتُ

يصير لُ الفنا قبا
يُرد الخيوط كبا
ويد (٥٥٣) يفتق [134] الجبا

إِيكَ يَغْلِبُ جَهْلٌ وَيَهْتَفُ لَغَيْرِ أَهْلٍ أَوْ يَلِيقُ (٥٥٥) حِفْظُ السِّرِّ أَشْكَلُ (135) أَوْ أَلِيقُ (٥٥٦)

الشوق طريق قاصد
وكل سوى (٥٥٨) زائد
فمن يتصبر الواجد

والوجد يتقذ فيه (٥٥٧)
والوجه (٥٥٩) التوجه
وكل ما يطلب فيه (٥٦٠)

فَقَدْ أَنْجَمَ (٥٦١) شَمْلٌ وَجَنَحَ بَعْدَ نَمْلٍ وَاتَّعَلَقَ تَرَكَ قَوْلَ مَنْ قُلْ (137) وَاشْلُقْ

قَدَّمُ الزَّجْلَ حَقًّا
شَقَقْتُ الطَّلِي شَقًّا
عَرَّضْتُ مِنْ شَكَا الْفَرْقَا

وَالْوَقْتُ مَلِيحٌ مَجْمُوعٌ
وَالْيَوْمُ كُنْ مَرْفُوعٌ
وَعَنَى وَهُوَ مَفْجُوعٌ (٥٦٢)

أَحْرَمَنِ الْمَلْحَ وَصَلْتُ حِينَ قَطَعْتُ وَمَا وَصَلْتُ
وَقُلْتُ أَيْضًا : (٥٦٣)

وَاتَخَلَّقُ مِنْ تَيْهٍ وَمِنْ مَطْلُ صِرْتُ أَحْمَقُ

بَسَى طَلُوعٌ وَبَيَّ نُزُولُ (٥٦٤)
وَفَنَسَى مِنْ لَمْ يَكُنْ
أَنَا لَيْسَ نَشْكُرُ خَلِيعُ [138]
حَتَّى يَقْطِعَ فِي الْقَطِيعِ [139]
إِنْ كُنْتُ جَرَى (٥٦٦) سَرِيعُ
يَحْلُلُ لَكَ إِنْ تَجْزُولُ
وَلِنْ أَرَدْتُ كُنْ مَرَا [141]
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
كُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ لِي فِيهِ
يَحْتَجُّ أَنْ يَشْبَدَ يَدَيْهِ
فَهِيَ صَبِغُ (٥٧٢) قَدْ تَحُولُ
وَالْكُحْلُ مِنَ الْعِيُونِ
شَمْسٌ مَعَ ظِلٍّ اخْتَلَطُ
وَبَدَى نُورُ (٥٧٦) الْفَلْطُ
وَجَ يَلْعَبُ وَسَقَطُ
وَقَالَ أَشْءٌ ثُمَّ يَا طَالُوتُ
فَلَا تَخْرُبِ الْحَطَّانَ (٥٧٩)
مَنْ مَشَى وَلَمْ يَمِيلْ (٥٨٠)
فَإِذَا شَعَرَ وَصَلْتُ
مِنْ لَيْهِ (٥٨٢) يَتَصَلُّ
وَيَدْرُ لَوْ الْمَسْئُولُ [144]
يَسْتَوِي صَحْبُ الْخَطَابِ
وَيَرَى السَّنِينَ تَدُورُ (٥٨٤)

اخْتَلَطْتُ [لَكَ] (٥٦٥) الْفُزُولُ
وَبَقِيَ مِنْ لَمْ يَكُنْ
إِنْ كُنْتُ لَنْ صَحَا
وَيَدُورُ بِحَالٍ رَحَا
وَشَرِبَ حَتَّى اسْتَحَا (٥٦٧)
أَوْ مَرَّ [140] أَحْرَزُ الْعَجُولُ (٥٦٨)
وَلِنْ أَرَدْتُ كُنْ رَجُولُ
وَرَأَى ذَاتُ مَرَا (٥٧٠) [142]
وَلَا يَدْرُ كَيْفَ طَرَا
عَنْ يَرْجِعُ لَوَارَا
يَعْرِفُهَا (٥٧٣) الْفُحُولُ
قُلْ مَا تَحْتَجُّ (٥٧٤) كُحْلُ
وَاخْتَفَتْ عَنِ الْحَدُودِ (٥٧٥)
يُودُ تَجْرِيعُ الشُّهُودِ [143]
وَضَحَكَ مِنْ (٥٧٧) الْوُجُودِ
اتَّخَذَ (٥٧٨) وَلَا حُلُولُ
وَلَا تَخَلَطُ التَّلُولُ
قَالُوا : (٥٨١) يَقْطَعُ الطَّرِيقُ
وَنَ غَفَلُ فَهُوَ غَرِيقُ
فَإِذَا جَازَ الْمُضْبِقُ
وَتَلَدُ لَوْ الْعُسُولُ (٥٨٣)
وَالْمُخَاطَبُ وَالرُّسُولُ
وَالطَّلُوعُ مَعَ الْهَبُوطِ

وَيَرْكَبُ الْأُمُودَ وَيَحْتَـلُ الرِّبَـوِطَ
وَلَا يَتَّـرُكُ الْحَضُودَ وَلَا يَهْمِلُ الشُّرُوطَ
مَا بَقِيَ لِي مِمَّا نَقُولُ قَدْ طَبَخْتُ (٥٨٥) لَكَ الْبَقُولَ (٥٨٦)
غَيْرَ أَنَّ ذَا الْأُمُودِ لَسَ مِنْ طُودِ الْعُقُولِ

وقلت أيضا : (٥٨٨) /20٤

أَنَا لَسْ نَضْمُنْ أَبَدًا لِمَدُّكَ وَلَا يَلْطُمُ ظَهْرِي بِمَحْكَا (٥٨٩)

كُنْ (٥٩٠) مَعِيَ مَعْشُوقٌ (٥٩١) إِنْ مَلِيحٌ وَمَهَاوِدُ (145)
قُلْتُ زَيْنٌ أَخَذْتُ صَدِّكَ (٥٩٤) بِزَايِيدُ
إِنْ عَمَلُ قَل (٥٩٥) ذَا الْمَلِيحِ الْعَوَايِيدُ

دَكُّ طُودِي لَمَّا تَجَلَّى لِي دَكُّكَ (٥٩٦) وَشَبَّكَ فِي خَنَاقِ فِرْدَامِ شَبْكَا (٥٩٧)

خَلَعَ أَثْوَابَ حَتَّى تَغْلِي (٥٩٨) خَلَعَهَا
وَصَفَايِخَ حُمَارِي وَاللَّهَ قَلَعَهَا
ثُمَّ فَرَّقَهَا بَعْدَ ذَا (٥٩٩) وَجَمَعَهَا

وَدَلَّكُنِي وَمَزَّقَ أَشْلَاقِي دَلَّكَ (٦٠٠) وَفَنَيْتُ (٦٠١) بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَلَكُمِّي هَلَكَا

قَالَ تَفْتَشُ فِي الْجِبَالِ (٦٠٢) وَالْخَنَادِقِ
وَأَنْ مَا عَلَيْكَ تَبَصَّرِنِ لَوْ كُنْتُ صَادِقُ (٦٠٤)
أَنَا هُوَ الْجَزُودُ (146) وَأَرْضُ الْبِنَادِقِ

وَأَنَا هَلَبُ (٦٠٥) وَحِمَصٌ وَمَكَا وَأَنَا هُوَ أَبُو قُبَيْسٍ وَمَكَا

وَحَذَّ رُوحِي بَيْنَ (٦٠٦) لَحْمٍ وَدَمٍّ
وَتَلَفَّنِي بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْمُسْمَى
وَاخْتَبَرَنِي بِفِكَ قَفْلِي الْمَغْمَى (٦٠٧) (148)

ثُمَّ وَحَكْ (٦٠٨) اذْنِي حَكَا لَا غْنَى أَنْ تَفُكَ ذَا الْقُفْلِ فُكَا

سَخَّرَ اللَّهُ وَدَّرَتْ بِهِ (٦٠٩) رَفَكَ كَسَتْ
فَمَلَكْنِي مِنْ بَعْدِ ذَا وَمَلَكْ كَسَتْ
وَالْوَجُودُ كُلُّ جُكْتُ فِيهِ وَسَلَكْ كَسَتْ

فَأَنَا فِيهِ بِحَالٍ قَلْبُ (٦١٠) فَبِرْكَ (٦١١) لَا مَنُغْصَ وَلَا رَقِيبٌ وَلَا شَرْكَا

ثُمَّ لَمَّا رَجَعْتَ عَنْ لَحْسٍ (٦١٢)
قُلْتُ مَوْلِي أَيْنَ فَصْلٌ وَجُنُسٍ
قُلْ تَرَانٍ لَا تَحْتَجِبُ عَنْكَ شَمْسٍ

أَحْمَ قَلْبِكَ وَاسْنُبُوكَ بِالشُّوقِ سُبُكَا لَسَ يَقَعُ طَانِعِي عَلَى غَيْرِ سُبُكَا (٦١٤)

وَقُلْتُ أَيْضًا : (٦١٥)

(طبع الذيل)

أَكْبَرَ مَصَانِيْبِ
سَيِّئَتِ أَقَارِيْبِي (٦١٧)

الْبُعْدُ عَنْكَ يَا بَنِي
وَحِينَ حَمَلْتُ (٦١٦) قُرْبُكَ

مَنْ بَعْدَ غِيَبَتِي
مَنْكَ قَلْبِيَّتِي [150]
تَقْبُضُنِي (٦٢٠) هَيْبَتِي

يُوحِشُ (٦١٨) فِيكَ ظُهُودِي
وَنَذْكُورُكَ وَتَذْفُشُ
يَسْطُنْ مَعَكَ (٦١٩) أَنْسِي

وَخَرَجَ قِيَالِي
تَنْشَبُ مَخَالِي

لَوْ بَانَطِبَاعُكَ (٦٢١)
أَنْ (٦٢٢) صَبِيتُ مِنْكَ خَالُوا

مَنْ خَمَسَ رِكَ (٦٢٤) الْقَدِيمُ
وَكُنْتُ لِي النَّدِيمُ (٦٢٥)
وَلَمْ تَزَلْ عَدِيْمُ

سَقَيْتَنِي عَيْنِيْبِ (٦٢٣)
وَكُنْتُ لِي الْمَوَانِسُ
وَصَبِرْتُ بِكَ مَرْقُة

مَنْ قَرَضَ شِرَابِي (٦٢٦)
تَمَتَّ مَخَارِبِي

وَلَمْ يَكُنْ شَرَابِي
وَلَمْ يَكُنْ بَفْضِي

[[إِيَّاكَ لَا تَنْتَظِرُ اثْنَيْنِ
مَا لَمْ إِلَّا وَاحِدًا
وَأَفْهَمَ ذِيكَ الْمَعَانِي
وَانْجَمَعَ بِذَاتِكَ
غَيْرَكَ عَلَى صِفَاتِكَ
لَا تَسْمَعُ الْفَاسْطُ
أَنْتَ هُوتَ (١٢٧) فَقَطُ
وَاحْذَرُ ذِيكَ النُّقْطُ
لَسِنْ ثَمَّ طَالِبِي
مِنَ الْأَقْصَارِي] (١٢٨)

يَا مَنْ يَقُولُ كَثِيرًا (١٢٩)
حَقًّا تَرَى الْكَوَاكِبَ
مُطْلَقَ نَظَرَتُ فَانْكَسَعَ (١٣٢)
مَا تَمَّ غَيْرَ (١٣٣) وَاحِدًا
وَالْكَثْرُ مِثْلُ كَثْرَةٍ
فِي النَّاسِ (١٣٠) هُمُ الْمِصْلَاحُ
مَعَ طَلْعَةِ (١٣١) الصَّبَاحِ
وَارْجِعْ لِلْإِنْطِ بَاحِ
فَافْطِنْ (١٣٤) يَا صَاحِبِ
جَوْزِ الْعَجَائِبِ

تَمَّ الزَّجَلُ فِسْأَمًا
عَمَلٌ مُحَقَّقٌ (١٣٥) إِنْ جِيءَ
فِي قَدْ زَجَلٌ عَاشِقُ
وَجَّ كَمَا تَرَى
لَوْشِي وَشُشْتَرِي [151]
خُبَارُ قَدْ ذُرِّي (١٣٦)

نَبْكَسِي وَكَيْفَ لَا نَبْكَسِي
وَدَعْتُهُمْ وَسَمَّارَتِ
عَلَى حَبَائِبِ
عَنْهُمْ رَكَابِي

وقلت أيضا : (٥٣٧)

(عرق عرب ورملة مائة) [152]

دُرُّ بُحَالِ الرُّحَى حَتَّى لَسِنْ يَبْقَ عِنْدَكَ يَا بَنِي فِي الْحَيِّ حَيِّ

قُطِبُ مِنْ ذَاتِكَ اَعْمَلْ (١٣٨)
لَا يَهْلِكُ الْبُؤَى أَبْكَ
فَإِذَا رَأَيْتَ دَقِيقَكَ
وَعَلِيكَ الْمِصْدَارُ
لَا يَهْلِكُ الْغَبَارُ (١٣٩) [153]
قَدْ طَلَعَ ثَمَّ قَارُ (١٤٠) [154]

احْتَفِظْ يَا أَخِي بِرُسَيْمَلِكَ وَاحْذَرُ (١٤١) أَنْ تَكُونَ بِه سَخِي (١٤٢)

وَأَمْسَحْ لِلدَّيْنِ مَنْ ثَمَّ
مَنْ أَوْبَسِي (١٤٤) وَفِيهَا
وَمِمَّا صَاحِبُ الدَّيْنِ
وَتَدْرِي (١٤٣) فِيهِ قُنُونُ
مَا يَقْبِرُ الْعِيُونُ
فَهُوَ فَوْقَ الظُّنُونِ

/20

إِنْ دَعَاكَ (٦٤٧) بِالْثَمِي (٦٤٨) اجْزِ خُذْ لَ يعطيك ثُمَّ رُدَّ الْوَعْدِي

أَنَا حِينَ جِئْتُ قَاصِدُ
وَرَجَعْتُ ذُلَّ عَزَا
وَسَمِعْتُ الْغَنَاءَ
وَأَفْتَقَارِي غِنَا
قُلْتُ يَا حَبِيبِي
أَنْتَ وَاللَّهِ أَنَا

قَالَ بَيْنَهُ شُعْبِي (٦٤٩) إِذَا حَقَّقْتَ تَحَقَّقْ وَتَشَقُّ الطَّلُوبِي (٦٥٠)

أَمْشِ رَكْبُ وَجَلِيلُ
وَأَذِرْ كُلَّكَ وَبِدُكْ (٦٥١)
لَمْ أَكُنْ تَلْتَجِئِي
يَنْصَرِفُ (٦٥٢) لِلْمَجْئِي
فَإِذَا رَأَيْتَ دِيرِي (٦٥٣)

وَدَجَّ لَكَ مُرِّي ارْتَجَّ السَّكْنَى مَاع (٦٥٤) قَدْ تَرَكْتُ الْكُرِّي

تَمْ هَذَا الزَّجْجُ
سَقْتُ لَكَ فِيهِ ذَا الْأَسْرَارِ
وَجَّ وَاللَّهِ حَسَنُ
وَلَا تَطْلُبْ (٦٥٥) ثَمَنُ
وَالِى الْقَاضِي نَدْعِيكَ
الْفَقِي بِنُ الْحَسَنِ (٦٥٦) [155]

أَوْ إِلَى بِنِ جُرْنِي (156) إِنْ لَمْ أَشْ تَدْرِ قَدْرُ (٦٥٧) أَوْ تُسَمِّيكَ قَلْبِي (157)

وتذكرت من المغرب في هذا المعنى قولِي :

(مع الرمل)

10 /

أَنْتَ فِي حُسْنِكَ فَرْدُ
أَنْتَ بِدَرٍ أَنْتَ شَفَسُ
أَنْتَ خَمْرُ أَنْتَ لَمَرُ
أَنْتَ مَعْنَى الْعَشْقِ لَوْلَا
أَنْتَ مَعْنَى الْمَعْنَانِي
أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ بَيْنَ
وَإِذَا صَحَّ الْهَوَى فَاَلْهَوَى
وَأَنَا إِنْ صَحَّ قَوْلِي
نَبَذْتُ الْقَيْدَ مَوْلَى
حَصْحَصَ الْحَقُّ وَمَا بَعْدُ
كُلُّ حُسْنٍ مِنْكَ يَبْدُو
أَنْتَ أَسْ أَنْتَ وَرْدُ [158]
أَنْتَ لَحْطُ أَنْتَ خَدُ
كَ سَلَا بِشِيرٍ وَمَنْدُ
أَنْتَ كَلُّ أَنْتَ بُدُ
أَيْنَ قَبْلَ أَيْنَ بَعْدُ
وَجَرَى رَسْمُ وَجْدُ
أَوْ تَقِيْدْتُ فَعَبْدُ
حَصْحَصَ الْحَقُّ وَمَا بَعْدُ

وقلت من الهزل بطريق الرجوع :

شعر

أَفْرَحُوا وَطَيِّبُوا قَدْ مَضَى عَدُوُّ اللَّهِ وَانْجَبَزْ حَبِيبُ

كانت البلادُ وأهلُها نعمٌ فيه رغيها
لم ترَ نَهَارَ فيه ضوٌ ولا بَعْدَ طيبها
كيفَ لَ وقَدْ صارت أَرْمُلًا غريباً

يا لله وَيْ نصيبُ قَدْ رَفَعْتُ مِنْ شَوْقِي لَمْ غَابَ نَصِيبُ

والأُمَمُ مِنَ الحُسْنِ رَا دُونَ شَرَابِ سَكْرَا
والعِيُونَ عِيُونَ تَجْرِي والقُلُوبُ حَيَارَا
والذي ظَفَرَ مِنْهُمْ بحَرْفٍ أَوْ دَبَارَا

/21

يَجْعَلُوا فِجِيئُوا عسى يَنْطَفَا وَجْدُو وَيَسْكُنْ وَجِيئُوا

عَشَرَ كُنْ هَذَا الحَادِثُ فِي القَالِكِ وَغُلَطَا
سَقَطَتْ بِهِ الدُّنْيَا فِرْدَامِ [159] سَقَطَا
يَسْتَفِيثُ ذَاكَ المَوْلَى مِنْ سُهَيْلٍ لِبَسْطَا [160]

وَلَا مَنْ يَجِيئُوا اسْتَوَى الوطنُ كُلُّهُ خَلْفَ مَعْ نَجِيئُوا

ومَرْضُ دِينِ الإِسْلَامِ حَتَّى كَادَ يَفْقَضُ [162]
وَلَا مَنْ يَسْدُقُ النُّومَ وَلَا مَنْ يَفْقَضُ [163]
كُلُّ أَحَدٍ سَأَلَهُ فِيهِ لِلْقَضَا وَفَوْضُ

حَتَّى جَا طَيِّبُوا فزَالِ الأَلَمُ والبُوسُ أَلْ كُنْ يَصِيئُوا

بِمَحْمَدِ المَوْلَى عَزُ دِينِ مُحَمَّدٍ [164]
وَدَجَّعَ بِهِ الإِسْلَامُ كَمَا كَانَ مُمَهَّدُ
وَرَأَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَثَلَهَا تَعَوَّدُ

وَصَلَّ غَابَ رَقِيبُوا وسعادة انْ تَبْقَى فِي عَقَبِ عَقِيبُوا

يَنْزِلُ الفَرْجُ لَهَا تَنْتَهِي الشَّدَايِدُ
وَأَلَّهُ فَهَوَّلَ النَّاسُ بِالْجَمِيلِ عَوَايِدُ
أَيُّ وَطَنٍ رَأَى قَمْنَدُ وَمَنْهَاةً بِزَايِدُ

انجبر غريبٌ والتحف بسير الله بريته مع مربو

لولا شفقة السلطان
ما اجتمع شمل [165] إنسان
الإله يعين
فيهام مع يمين
ومن يعجبك دنياه
أو يعجبك دين

فقيه مع خطيبُ قال للفنش نومتار ياشنيور قطيبو (166)

قل للاندلس عنني
ومن بعد ذا نرجع
كن نزيذ بعدد
الوصف نجل نجل
كيف نسيتني بالحق
وقدرت ترفق

الاله حسيبو كل من يخون إلف أو يهجر حبيو

من لا يعرف النعم
وفلافس الكشفا
فزولها يرقب
بيض ولد تنقبا
ويندم لأمرا ان قات
وه رد يصعب

ويرب حليو ويرى ما بي ولد وما بي ربيو

قد رجع لفضل الله
الله يلهمو شكور
المفصوب الولاه
في الذي قذ ولاه
يا حبايب الله
أي هنني أي فرحا

أفرحو وطيبو قد مضى عدو الله وانجبر حبيو/

هوامش الفصل الثامن

- (١) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٣٤١٣، وفي المطبوع ١/٤٩٠-٥١. وفي النسخ ٣٢١/١ - ٣٢٦.
- (٢) م : تستد، تصويبه من ر ١٣٠، و ن ٣٢١/١.
- (٣) ر، ن : حالات صفاتها.
- (٤) ن : نوات.
- (٥) ر : كبد، ولعلها كتد السماء.
- (٦) ساقطة من ر، ن.
- (٧) ن ٣٢٢/١ : الجادة.
- (٨) ر. ١٣، و ن : الأسمى.
- (٩) ن : الجلة.
- (١٠) م : الأعلام، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
- (١١) من ر ن.
- (١٢) ر، ن : على.
- (١٣) ر : المعج والبيج والثج.
- (١٤ - ١٥) و (١٦ - ١٧) ساقط من ن.
- (١٨) ر ١٣١ ط، ن ٣٢٢ : رحمهم الله بالأمس.
- (١٩) من ن.
- (٢٠) م : خفت.
- (٢١) ن : يفاوح أرجه زهير، ويحاسن.
- (٢٢) ر، ن : أبوتكم.
- (٢٣) ر : النظر.
- (٢٤) م : محي الوار، تصويبه من ر، ن ٣٢٣/١.
- (٢٥) ر ١٣١ ط، ن ٣٢٣ : تربته.
- (٢٦) ر : في أغماد.
- (٢٧) ن : المعاني ما.
- (٢٨) ر : لمقام أبوتكم.
- (٢٩) ساقطة في ر، ن.
- (٣٠) من «ن».
- (٣١) ن : يعلم ما.
- (٣٢) من ر، ن.
- (٣٣) ر، ن : تلك.
- (٣٤) ساقطة من «ر»، «ن».
- (٣٥ - ٣٩) ساقط في ن ٣٢٤/١.

- (٣٦) م : توديهها . تصويبه من ر .
- (٣٧) م : يفخر، والصواب ما أثبتناه من ر .
- (٣٨) ر ١٣١ و : اعتدته .
- (٣٨ - ٤٢) ساقطة من «ن» ٣٢٤/١ .
- (٤٠) ر ١٣١ و : وداع البراع شوق .
- (٤١) ر : وليغ .
- (٤٣ - ٤٤) ساقطة من «ن» .
- (٤٥) ن : غياب
- (٤٦) من ر، ن .
- (٤٧) زيادة من ر، ن .
- (٤٨) ساقطة من «ن» .
- (٤٩) من ر، ن .
- (٥١) ن ٣٢٤ / ١ : واكله للشبال .
- (٥٢) ر ١٣١ و : تخيلهم .
- (٥٣) ن : الا ان يتفضل الله بحسن العاقبة .
- (٥٤) ر، ن : الهمز والنبز .
- (٥٥) ن : الادعية .
- (٥٦) ن ٣٢٥ / ١ : الخوذ .
- (٥٧) م : عن، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن .
- (٥٨) ر ١٣١ و، ن ٣٢٥ / ١ : وفازت .
- (٥٨) رن وطرقت خيل طارق .
- (٦٠) ن : باجنحة .
- (٦١) م : فلوخت، تصويبه من ن ١ / ٣٣٥ .
- (٦٢) غير واضحة في المتن، تصويبه من ر ١٣٢ ظ، ن ١٢٦ / ١ .
- (٦٣) ر : الحرب .
- (٦٤) ن : حين .
- (٦٥) ن : واشتد بالمداغة .
- (٦٦) م : الدر، تصحيحه من ر، ن .
- (٦٧) ن ٣٢٦ / ١ : الى ما .
- (٦٨) الى هنا ينتهي ما ورد في النسخ ٣٢١ / ١ - ٣٢٦ ، أما الجزء التالي فقد ورد في النسخ ٩٠ / ٥ - ٩٤ .
- (٦٩) ن ٩٠ / ٥ : الينا تراثهم .
- (٧٠) ن : العادي،
- (٧١) ن : فسح الدارة .
- (٧٢) ن : السيارة والعبارة .

- (٧٣) م : ونولي.
- (٧٤) ر ١٣٢ و : يكون.
- (٧٥) ن : بالمرأة.
- (٧٦) ر ١٣٢ و : برماده، وفي ن ٩١/٥ : برماد علا.
- (٧٧) ن : بمكان.
- (٧٨) ساقطة في «ن».
- (٧٩) ر : مبيتنا.
- (٨٠) م : حرسه العورة، وصرها وما أثبتناه من «ن»
- (٨١) ن : والدائرة بنا.
- (٨٢) ن ٩١/٥ : لحكم الاقدار.
- (٨٣) من «ن».
- (٨٤ - ٨٥) ساقط من «ن».
- (٨٥) ن : بموجب الإستقرار.
- (٨٧) ن : وتلقي.
- (٨٨) م : مخفق، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٩٢/٥.
- (٨٩) م. جانب، تصويبه من ر، ن.
- (٩٠) ن ٩٢/٥ : كرم.
- (٩١) ن : فاجزل.
- (٩٢) ن : وخير.
- (٩٣) ن : الخزى.
- (٩٤) م : الجزالة، تصويبه من ر ١٣٣ ظ، ن
- (٩٥) ن : انكشفت سريره.
- (٩٦) ن : اليه.
- (٩٧) م : الجماعة، تحريف صححناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٩٢/٥.
- (٩٨) م : تتقارب.
- (٩٩) ن : ويتقدمنا الدعاء.
- (١٠٠) عن البلاد : ساقطة من ر، ن.
- (١٠١) من ر، ن.
- (١٠٢) ن ٩٣/٥ : ويهرجه.
- (١٠٣) م : وظاهر.
- (١٠٤) ن ٩٣/٥ : بمسور.
- (١٠٥) ر ١٣٣ و، ن : البنية.
- (١٠٦) ن : رجع.
- (١٠٧) ن : لم ترومذ غبنا من.
- (١٠٨) م : طاشت، تصويبه من المرجعين.

- (١٠٩) م : وعاجبنا، تحريف صحنائه من ر، ن.
(١١٠) ن ٩٤/٥ : الشريفة.
(١١١) م : مدارها، تصحيحه من ر ١٣٤ ظ، ن.
(١١٢) ن : مركبات.
(١١٣ - ١١٤) ثبت في «ن» بالصورة الآتي : ما فيه مما ورد وایاه سبحانه نسال.
(١١٥) ن : دواعي.
(١١٦) ٩٤/٥ : لا يبتكم ما.
(١١٧) ن : وعزته وكرمه ومنته.
(١١٨) ساقطة من «ن».
(١١٩) وردت هذه الرسالة في ریحانة الاسكوريال لوحة ١٣٦، وفي ط. القاهرة ٥٠٧/١ - ٥٠٩.
وفي النسخ ٢٧١/٦ - ٢٧٣.
(١٢٠) م : من، لكن السياق يقتضي ما أثبت من ر ١٣٦ ظ، ن ٢٧١/٦.
(١٢١) ن : لمقامه.
(١٢٢) م : اشد، تصويبه من المراجع.
(١٢٣) ن : يبلغا.
(١٢٤) م : ويمثل الرسوم، الأنسب ما أثبتناه من ن.
(١٢٥) ن ٢٧٢/٦ : يعلمه.
(١٢٦) ر ١٣٦ ظ، ن : الصادق البيان.
(١٢٧) م : دارك تصويبه من ر، ن.
(١٢٨) م : قصدها تصحيحه، من ر ١٣٦ و، ن.
(١٢٩ - ١٣٠) ساقط من «ن» ٢٧٣/٦.
(١٣١) ن : عرفتم.
(١٣٢) ن : ونواصلها.
(١٣٣) ن : في نفسه ودينه وماله وعياله.
(١٣٤) ثبتت هذه الرسالة في ریحانة الاسكوريال لوحة ١١٩، ط. القاهرة ١٢٩/٢ - ١٧١.
(١٣٥) م : ديان، وهو تحريف واضح.
(١٣٦) م : الملوك، والسياق يقتضي ما أثبتنا من ر ١١٩ ظ.
(١٣٧) من «ر».
(١٣٨) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٣٩) ر ١١٩ ظ : التقديم.
(١٤٠) بياض بالأصل، تصويبه من ر.
(١٤١) ر : ولا وذان.
(١٤٢) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٤٣) م : غير مبال على سده، والزيادة من ر ١٩٩.
(١٤٤) ر : وقع.

- (١٤٥) ر ١١٩ و : والمسمى.
- (١٤٦) ر : وأريس.
- (١٤٧) ر : تازره.
- (١٤٨) م : يعديه، تصويبه من دره.
- (١٤٩) من ر ١١٩ و.
- (١٥٠) من ر.
- (١٥١) ثبتت في ربحانة الأسكوريال، لوحة ١٣٦ - ١٣٧، ظ - القاهرة ١/٥٠٩ - ٥١٢. وفي النفج ١٨٧/١ - ١٩٠.
- (١٥٢) ن ١٨٧/١ : منه وساقطة في دره.
- (١٥٣) ر ١٣٦ و : ونعده في الشدائد عدتنا.
- (١٥٤) م : في، والأنسب ما أثبتنا من ر، ن.
- (١٥٥) زيادة من ر ١٣٧ ظ، ن ١٨٧/١ يقتضيها السياق.
- (١٥٦) من دره.
- (١٥٧) ن ١٨٨/١ : هيا الله تعالى.
- (١٥٨) من دره.
- (١٥٩) ن ١٨٩/١ : بجناب.
- (١٦٠) ن : بجزيل.
- (١٦١) م : فلح، والسياق يقتضي ما أثبت من المراجع.
- (١٦٢) ن : على.
- (١٦٣) ن/١٨٩ : لاطنبنا.
- (١٦٤) من ر ١٣٧ و، ن.
- (١٦٥) ر : تكييفات، ن : تكييفات.
- (١٦٦) ن/١٨٩ : عنكم.
- (١٦٧) م : وجلة فكار. وهو تحريف تصويبه من ر ١٣٧ و، ن.
- (١٦٨) ر، ن الدار.
- (١٦٩) م : اتفق.
- (١٧٠) من ر، ن.
- (١٧١) م : يشكر.
- (١٧٢) من ر، ن.
- (١٧٣) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٧٨ وفي المطبوع ٩٩/٢ - ١٠١. وفي النفج ٣٤٤/١ - ٣٤٦.
- (١٧٤) م : رحماه، وما أثبتناه من ر ١٧٨ و، ن ٣٤٤/١.
- (١٧٥) ن : مواهبه هداية.
- (١٧٦) ن : أقدامكم.
- (١٧٧) م : الجود، تصويبه من ر، ن ٣٤٥/١.

- (١٧٨) ر، ن : خافقة.
- (١٧٩) ن : متوافقة.
- (١٨٠) ر، ن : حجة.
- (١٨١) باطنة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨، ن ٦ / ٣٤٥.
- (١٨٢) ن : الجليل.
- (١٨٣) ن : يرد.
- (١٨٤) ر : الابصار للهمة.
- (١٨٥) ن : ابوابكم الرفيعة.
- (١٨٦) ساقطة من ر، ن ٦ / ٣٤٦.
- (١٨٧) ن : السعد.
- (١٨٨) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٧٧، وفي المطبوع ٩٥ / ٢ - ٩٦. وفي النسخ ٢٨٥ / ٦ - ٣٨٦.
- (١٨٩) ر ١٧٧ ط : المقام.
- (١٩٠) ن ٦ / ٣٨٥ : انتشارها.
- (١٩١) ن : أبوزيان.
- (١٩٢) ر : ولا شفقة.
- (١٩٣) ر، ن : ابن الخطيب.
- (١٩٤ - ١٩٥) : ساقط من «ر».
- (١٩٦) ن : ٢٨٦ / ٦ : كفل.
- (١٩٧) من ر ١٧٧ ط.
- (١٩٨) ر، ن : حرمتكم.
- (١٩٩) ن : علي يديكم.
- (٢٠٠) م : ورعيت، تصويبه من ر ١٧٧، ن ٦ / ٣٨٦.
- (٢٠١) ن : مجده.
- (٢٠٢) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٩٦، وفي المطبوع ١٥٩ / ٢ - ١٦٠ مصدرا لها بقوله : «ومن ذلك مما خاطبت به أحد الأجلة بما نصه».
- (٢٠٣) من ر ١٣٦ ط.
- (٢٠٤) م : كانت.
- (٢٠٥) ر ١٩٦ : للاستسقاء بسحابها.
- (٢٠٦) اللفظتان غير واضحتين في المتن، التصويب من ر
- (٢٠٧) م : يلي، والأنسب ما أثبتناه من «ر».
- (٢٠٨) من ر ١٩٧ ط.
- (٢٠٩) م : فلذلك.
- (٢١٠) ر ١٩٦ و : ادعى.
- (٢١١) ر : ما منيت.

- (٢١٢) ر : تأمور.
- (٢١٣) م : احتلست.
- (٢١٤) م : مقبلا.
- (٢١٥) وردت هذه الرسالة في ريخانة الأسكوريال، ل ٢٠٣، وفي المطبوع ١٨٣/٢ - ١٨٤.
- (٢١٦) ر ٢٠٣ : سحاكتكم.
- (٢١٧) م : فحبذا طعام اشتركناه، تصحيحه من «ر» تجنباً للتكرار.
- (٢١٨) ر : ووفاء وفاء السمؤال.
- (٢١٩) م : وما لخدمه.
- (٢٢٠) م : مجيل، تصويبه من «ر».
- (٢٢١) ر : يذكر.
- (٢٢٢) ر : عيـد ما.
- (٢٢٣) ر : أشهر.
- (٢٢٤) ر ٢٠٣ و : بساط ترابه.
- (٢٢٥) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/ ٢٥٠. وفي ط. القاهرة ٤٤٩/٣ - ٤٥٠. ريخانة الأسكوريال لوحة ٢٠٣، والمطبوع ١٨٥/٢ - ١٨٦، وفي التعريف بابن خلدون، ص ٨٢ - ٨٤ - الفتح ١٧٣/٦ - ٧٤.
- (٢٢٦) ح س. ٢٥٠، ن ١٧٣/٢ : المهدا.
- (٢٢٧) المراجع : اقسمت.
- (٢٢٨) زيادة من المراجع المذكورة ما عدا «ر».
- (٢٢٩) زيادة من المراجع.
- (٢٣٠) ح س. ٢٥٠، ن ١٧٤/٦ : راقني.
- (٢٣١) م : نهى، تصويبه مما ذكر.
- (٢٣٢) م : متحملة.
- (٢٣٣) من المراجع.
- (٢٣٤) المراجع : ويسع.
- (٢٣٥) ثبتت هذه الرسالة في الإحاطة مخ - الأسكوريال رقم ١٦٧٤، السفر الثاني، لوحة ١٦٦.
- (٢٣٦) م : نخر، تصويبه من ح ١٦٦/٢.
- (٢٣٧) ح س : كرم.
- (٢٣٨) بياض بالأصل تصويبه من ح.
- (٢٣٩) : الافات.
- (٢٤٠) ح س : ولو المزجاة.
- (٢٤١) من ح س.
- (٢٤٢) م : الهدر، وهو تصحيف.
- (٢٤٣) ح س ١٦٦/٢ : وجلالتها.
- (٢٤٤) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/ ٢٥٠ - ٢٥٢، والمطبوع ٥٠١/٣ - ٥٠٧.

- ربحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٥ - ٢١٧، والمطبوع ٢٢٦/٢ - ٢٣٢. - النفع ١٧٤/٦ - ١٨٠. (٢٤٥) م : المهالج، وهو تحريف تصحيحه ما أثبت من المراجع.
- (٢٤٦) ن ١٧٥/٦ : ابدلت.
- (٢٤٧) م : وساد.
- (٢٤٨) م : وسلك، ما أثبت من المراجع المذكورة لتناسبه مع السياق.
- (٢٤٩) ن ١٧٥/٦ : يزلق.
- (٢٥٠) ح س، ن : لنجي ٢٥١.
- (٢٥١) ر ٢١٥ و : به، ن : بباله.
- (٢٥٢) المراجع : وصخب.
- (٢٥٣) ر : وتجوذ.
- (٢٥٤) ح س، ن : الأرض.
- (٢٥٥) م : فهاش، تصويبه من المراجع.
- (٢٥٦) ن : سرياله.
- (٢٥٧) زيادة من المراجع المذكورة.
- ما بين (٢٥٨ - ٢٥٩) ساقط من ح س، ن ١٧٦/٦.
- (٢٦٠) م : تهيب، وفي ح س، ن : تهينة، وفي ر ٢١٥ : تهيبت.
- (٢٦١) ر، ن ١٧٦ : كان.
- (٢٦٢) م : الخفيف، والأنسب ما أثبتناه من المراجع تجنباً للتكرار.
- (٢٦٣) م : التحاور، وهو تصحيف.
- (٢٦٤) غير واضح في المتن، تصويبه مما ذكر.
- ما بين (٢٦٥ - ٢٦٦) ساقط من ح س، ن ١٧٦/٦.
- (٢٦٧) ساقط من ح س، ن.
- ما بين (٢٦٨ - ٢٦٩) ساقط من ح س، ن ١٧٧/٦.
- (٢٧٠) عند الحاجة، ساقط من ح س، ن.
- (٢٧١ - ٢٧٢) ساقط من المراجع.
- (٢٧٣) ح س، ن : الأشر.
- (٢٧٤) عند العياب : ساقط من المراجع.
- (٢٧٥) هذه الجملة ساقطة من ح س، ن.
- (٢٧٦ - ٢٧٧) ساقط من ح س، ن ١٧٧/٦.
- (٢٧٨ - ٢٧٩) ساقط من ح س، ن.
- (٢٨٠ - ٢٨١) ساقط من ح س، ن.
- (٢٨٢) ر ٢١٦ ظ : للمعانة، وهي أنسب للمعنى.
- (٢٨٣) ر : النسيم.
- (٢٨٤) ساقطة من المراجع.
- (٢٨٥) ساقط من المراجع.

- (٢٨٦) م : ادريكت، تصويبه من ح س، ر ٢١٦ ظ.
- (٢٨٧) زيادة من المراجع لضرورة الوزن.
- (٢٨٨) زيادة من المراجع المذكورة.
- (٢٨٩) ن ١٧٩/٦ : تكة.
- (٢٩٠ - ٢٩١) ساقط من ح س، ن ١٧٩/٦.
- (٢٩٢) ر ٢١٦ و : الجى.
- (٢٩٣) ر : فادر رحيق فؤادي.
- (٢٩٤) ر : حال.
- (٢٩٥ - ٢٩٦) ساقط من ر.
- (٢٩٧ - ٢٩٨) ساقط من ح س، ن.
- (٢٩٩) ر ٢١٦ و : الشهود.
- (٣٠٠) المراجع : عارفة.
- (٣٠١) ح س، ن ١٧٩/٦ : العود.
- (٣٠٢) ساقطة في ح س، ن.
- (٣٠٣ - ٣٠٤) ساقطة من ح س، ن.
- (٣٠٥) ر ٢١٦ و : واقتطف.
- (٣٠٦) ر : بالتمد.
- (٣٠٧) المراجع : لعازل أو عاذر.
- (٣٠٨) ر : مرارة.
- (٣٠٩) ساقط من ح س، ن.
- (٣١٠) ساقط من ح، ن.
- (٣١١) ساقط من ح س، ن.
- (٣١٢) ح س، ن ١٨٠/٦ : الحارث بن هشام.
- (٣١٣) ح س، ن : منهم.
- (٣١٤) المراجع : وتنزح.
- (٣١٥) ر ٢١٧ ظ : وتخبر، ن : وتخرن.
- (٣١٦) م : سرائره، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٣١٨) ثبتت في ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٧، ظ. القاهرة ٢٣٢/٢ - ٢٣.
- (٣١٩) ساقطة من ر ٢١٧ ظ.
- (٣٢٠) ساقطة من «ر».
- (٣٢١) ر : ببلوغ المنى.
- (٣٢٢) ر : بأعظم الجنى.
- (٣٢٣) ر ٢١٧ ظ : بالمضغ.
- (٣٢٤) ر ٢١٧ و : الإقليم.
- (٣٢٥) ر : سمت.

- (٣٢٦) ر ٢١٧ ظ : تروى بالخبر عن العيان وفي م : الحفن بدل الخبر وهو تحريف.
(٣٢٧) من ر.
(٣٢٨) م : فوا، تصويبه من ر.
(٣٢٩) ثبتت الرسالة في ربحانة الأسكوريال لرحمة ٢١٧ - ٢١٨، ط. القاهرة ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٧
إحاطة الأسكوريال ٢١٧/١ - ٢١٩، ط. القاهرة ١/٣٥١ - ٣٥٥.
(٣٣٠) م : اقنعنا، وهو تحريف.
(٣٣١) ر ٢١٧ و : وإثارة.
(٣٣٢) م : المحلة.
(٣٣٣) م : السيادة، وهو تحريف تصويبه من ر، ح س.
(٣٣٤) م : الشكوى، والأنسب ما أثبتناه من ر، ح س.
(٣٣٥) ر ٢١٨ ظ : ينظر في.
(٣٣٦) ر : وكلهم الخذلان.
(٣٣٧) ر : ولا خلفوا.
(٣٣٨) من ر، ح س.
(٣٣٩) : الكياء.
(٣٤٠) من ر، ح س.
(٣٤١) م : المسطر، تصويبه من ر ٢١٨ و.
(٣٤٢) م : وأخذت، والسياق يقتضي ما أثبتنا من ر، ح س.
(٣٤٣) م : ووسعها دينها، تصويبه من المرجعين.
(٣٤٤) م : أحدهما، وهو تحريف.
(٣٤٥) ر : لا يبل.
(٣٤٦) ر، ح س : لبست، والأنسب ما روى في المتن لأن لسب معناها لذغ، وهذا يلائم سياق المعنى.
(٣٤٧) م : اللفظ، تصويبه من ر، ح س.
(٣٤٨) ر : اللمى، ح س : اللهو.
(٣٤٩) م : هرتة، والسياق يقتضي ما أثبتناه من المرجعين.
(٣٥٠) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهم» ص ١٤٩.
(٣٥١) م : تفلقت.
(٣٥٢) ورد البيتان في النسخ ٤٨٥/٦ وفي أزهار الرياض ٢٨٩/١.
(٣٥٣) ن : في الوغى.
(٣٥٤) ن، الأزهار : العنوة القصوى.
(٣٥٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٣٥٦) م : فلا تسال، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
(٣٥٧) م : في اذى،
(٣٥٨) م : عنك يوما، الوزن يفرض ما أثبتناه.

- (٢٥٩) م : مفتأي، وهو تصحيف.
- (٣٦٠) انظر الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٦٠.
- (٣٦٢) د : الأملك.
- (٣٦٢) د : بحر.
- (٣٦٣) د : مؤيد.
- (٣٦٤) زيادة لاستقامة الوزن.
- (٣٦٥) م : اعترضت، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٣٦٦) م : كم، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
- (٣٦٧) م : شرك، وهو تحريف صحته ما أثبتناه.
- (٣٦٨) هذا الشطر مكسور.
- (٣٦٩) كتب في الهامش.
- (٣٧٠) م : ولا تغتر، لكن الوزن يقتضي ما أثبتناه.
- (٣٧١) بياض بالأصل قدرناه بما أثبت.
- (٣٧٢) م : اسكريجا، انظر التعليق رقم ٨٥.
- (٣٧٣) م : الصعلوك، وهو تحريف. لأن المملوك نوع من الطبخ.
- (٣٧٤) م : الحساسة.
- (٣٧٥) م : اللحم.
- (٣٧٦) انظر البيتين في النفع ٢٠/٦، وأزهار الرياض ٢٦٧/١، وفي الإحاطة ٢٥٥/١.
- الأسكوريال لوحة ٤٥١.
- (٣٧٧) ورد البيتان في النفع ٧٨/٥، وأزهار الرياض ٢٠٧/١، والإحاطة ٤٤٣/٤.
- (٣٧٨) انظر البيتين في النفع ٤٧٤/٦، وفي الإحاطة. مخ الأسكوريال ٤٥٢/١.
- (٣٧٩) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٥٣، وفي النفع ٤٧٢/٦.
- (٣٨٠) ورد البيتان في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥٥٤، وفي النفع ٤٧٢/٦.
- (٣٨١) ن : ما ضر.
- (٣٨٢) د : وعدي، والمتن أصح.
- (٣٨٣) د : صوت.
- (٣٨٤) م : الجود.
- (٣٨٥) من المحتمل أنه : أبو عبد الله بن أبي الحجاج، انظر التعليق ٩٣.
- (٣٨٦) وردت هذه الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥١٠، الإحاطة مخ الأسكوريال ٨٤/١، وفي النفع ٤٨٣/٦.
- (٣٨٧) د : أوفى.
- (٣٨٨) د : حق.
- (٣٨٩) ثبتت في الإحاطة ٥٩٣/٤، وفي النفع ٤٧٣/٦.
- (٣٩٠) ح، ن : حاولت.
- (٣٩١) أشار الناسخ في الهامش الى أنه مأخوذ في قول الشاعر :

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

- (٣٩٢) م : وادي النبط.
(٣٩٣) م : ورفع، لكن الوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٣٩٤) م : وابلغ، الوزن يقتضي اسقاط الواو.
(٣٩٥) م : السرور، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٣٩٦) م : جلى،
(٣٩٧) يمكن قراءتها مضى.
(٣٩٨) م : الى، والأنسب ما أثبتنا.
(٣٩٩) ثبتت في الإحاطة مخ. الأسكوريال ٢٦٣/١، ط. القاهرة ٢٥٥/١ - ٢٥٩، وفي ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٨ - ٢٠٩، ط. القاهرة ٢٠٢/٢ - ٢٠٥، وفي النفع ٣٠/٢ - ٣٣، وفي أزهار الرياض ٢٦٧/١ - ٢٧٠.
(٤٠٠) المراجع : الى.
(٤٠١) ن، الأزهار : ولا علق.
(٤٠٢) ح س، ن الأزهار : كسعت.
(٤٠٣) ن، الأزهار : سكت اذنين.
(٤٠٤) ح س ٢٦٣/١، ن ٣١/٦، الأزهار ٢٦٨/١ : صلة. (٤٠٥) ساقطة من ر ٢٠٨ و.
(٤٠٦) ساقطة من ر.
(٤٠٧) ن، الأزهار : العيب.
(٤٠٨) ن، الأزهار : نثي.
(٤٠٩) الأزهار : المعجزة.
(٤١٠) الأزهار : لما.
(٤١١) ح س، ن ٣٢/٦، الأزهار ٢٦٩/١ : مترامية.
(٤١٢) م : الدهر، تصويبه من المراجع المذكورة.
(٤١٣) ر : ٢٠٩ ظ : شروطها غير معترضة ولا منقودة، ح س، ن ٣٢/٦ : والتوبة بفضل الله مفقودة.
(٤١٤) المراجع : تكون.
(٤١٥) ساقطة من ر.
(٤١٦) ح، ن، الأزهار : وشوقي.
(٤١٧) ن : فامر.
(٤١٨) ن : العلائق.
(٤١٩) م : وانتباهها، والوزن يقتضي ما اثبتنا من المراجع.
(٤٢٠) ن، الأزهار : يصرف.
(٤٢١) المراجع : تفضيله.
(٤٢٢) ن ٣٣/٦، الأزهار ٢٧٠/١ : سنحت.
(٤٢٣ - ٣٢٤) ساقط من المراجع المذكورة ما عدا «ر».

- (٤٢٥) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١٢٦/١ - ١٢٩، ط. القاهرة ٢٥٣/١ - ٢٥٥. النفج ٢٨/٦ - ٣٠. أزهار الرياض ٢٦٥/١ - ٢٧٧.
- (٤٢٦) المراجع : ولا يختلف.
- (٤٢٧) م : فريد، تصويبه من المراجع.
- (٤٢٨) زيادة مما ذكر.
- (٤٢٩) المراجع : يحل.
- (٤٣٠) م : لطلع، وهو تحريف.
- (٤٣١) م : استيار، وهو تحريف.
- (٤٣٢) المراجع : داجيها.
- (٤٣٣) ن ٢٩/٢ : ولا تألفت انهارها.
- (٤٣٤) م : بل هي كالناقة والحديث عنه بالمكارة، تصويبه مما ذكر.
- (٤٣٥) ن : يستشعر نفس العافية ويتمسح.
- (٤٣٦) م : فبجانكم، تصويبه من المراجع.
- (٤٣٧) ن، الأزهار ٢٦٧/١ : ما نالك.
- (٤٣٨) ن : المواطن.
- (٤٣٩) المراجع : أعظم.
- (٤٤٠) المراجع : واسج.
- (٤٤١) م : الليات، وهو تصحيف.
- (٤٤٢) م : عن، والسياق يقتضي ما أثبتنا من المراجع.
- (٤٤٣) م : مظاهره، تصويبه مما ذكر.
- (٤٤٤) بياض بالأصل، تصويبه من المراجع .
- (٤٤٥) ن ٢٩/٦، الأزهار ٢٦٧/١ : دار خير.
- (٤٤٦) المراجع : يعوض عنها.
- (٤٤٧) المراجع : اديمها.
- (٤٤٨) المراجع : ويجمع له بين.
- (٤٤٨) الى هنا ينتهي ما ورد في المراجع.
- (٤٤٩) ثبتت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢٠٨، ط القاهرة ٢٠١/٢ - ٢٠٢.
- (٤٥٠) ر ٢٠٨ و : الأحوال.
- (٤٥١) م : الأعتاب، وكذلك في ط. القاهرة، أما في مخطوطة الأسكوريال فغير منقطة، والأرجح ما اثبتنا.
- (٤٥٢) ر ٢٠٨ و : شانكم.
- (٤٥٣) زيادة من «ر».
- (٤٥٤) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١٢٦/١ - ١٢٩، ط. القاهرة ١١٨/٣ - ١٢٦. - ريحانة الاسكوريال ورقة ٢٧٥ - ٢٧٦، ط. القاهرة ٤٣٠/٢ - ٤٣٧. - النفج ١٤٤/٥ - ١٥٢.
- (٤٥٥ - ٤٥٨) ساقط من نرم ١٤٥/٥.

- (٤٥٦) ح س : عفو.
(٤٥٧) من ح س.
(٤٥٩) ر، ن : فيء وظل.
(٤٦٠) ن ١٧٦/٥ ك ونفرض.
(٤٦١) ر ٢٧٥ و : بحال.
(٤٦٢) م : بالها، تصويبه مما ذكر.
(٤٦٣) ر : النعم.
(٤٦٤) من ح س، ر.
(٤٦٥) ر : العذل.
(٤٦٦) ن : في الكتب.
(٤٦٧) م : وظعينة، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
(٤٦٨) ر : وأنت منها عرى.
(٤٦٩) م : قضاوها.
(٤٧٠) ح س، ر : الركوع للملك.
(٤٧١) ح س، ن ٢٤٦/٥ : السلطان.
(٤٧٢) من ح س، ن.
(٤٧٣) ن : قرن.
(٤٧٤) ن : الوفود.
(٤٧٥) ح س، ن : مكلفة.
(٤٧٦) ح س : فان لم تتل أغراضها.
(٤٧٧) ح س : الأراقي.
(٤٧٨) ن ٤٧/٥ : ولا طفرة.
(٤٧٩) م : جارية، وهو تحريف.
(٤٨٠) ن : يسلمون.
(٤٨١) ح س، ر ن : بالقليل فيكفيه.
(٤٨٢) ن ١٤٧/٥ : فرش تحتها.
(٤٨٣) م : و، الأنسب ما أثبتناه من ح س، ن.
(٤٨٤) ن : ما التذت.
(٤٨٥) ن : جاذب.
(٤٨٦) ن : ويمشي اذا شاء.
(٤٨٧) ن ١٤٧/٥ : عمرته.
(٤٨٨) م : و، والأنسب (أو).
(٤٨٩) م : مبين تصويبه مما ذكر.
(٤٩٠) م : ودار، وفي ح س : ودري والأصح ما اثبتنا من ن ١٤٨/٥.
(٤٩١) ن : من.

- (٤٩٢) ن : لا .
- (٤٩٣) ح س، ر، ن : والمشائيم.
- (٤٩٤) ن : الأمانات.
- (٤٩٥) ح س : اعربا، ن : اعراء.
- (٤٩٦) ن : لجرايات.
- (٤٩٧) ن ١٤٨/٥ : الا في ارث.
- (٤٩٨) ن : حال قبولها مع الترفيه وما لها المرغوب فيه.
- (٤٩٩) ح س، ن : ومطيق.
- (٥٠٠) ن : الواقب الفاسق.
- (٥٠١) ح س، ن : حال.
- (٥٠٢) م : وكيف.
- (٥٠٣) ح س، ن : السحائم.
- (٥٠٤) ن : ونوشى.
- (٥٠٥) زيادة من المرجعين المذكورين.
- (٥٠٦) ساقطة من ن ١٤٩/٥.
- (٥٠٧) م : لقضاء، تصويبه من المرجعين.
- (٥٠٨) م : قطع، تصحيحه مما ذكر.
- (٥٠٩) م : افيدنا، وهو تحريف.
- (٥١٠) ن ١٤٩/٥ : فنتحول.
- (٥١١) ن ١٤٩/٥ : الرحلة.
- (٥١٢) ح س، ن : أهل الخطابة والامانة.
- (٥١٣) ح س، ن ١٥٠/٥ : قدر.
- (٥١٤) ح س، ن : وحاولت المقاطعة.
- (٥١٥) ح س، ن : عادة.
- (٥١٦) م : ولا يجيرني، تصويبه من المرجعين.
- (٥١٧) ن ١٥٠/٥ : والفيت.
- (٥١٨) من المرجعين.
- (٥١٩) ر، ح، س : المتدسسين.
- (٥٢٠) ن : القادح.
- (٥٢١) من المرجعين.
- (٥٢٢) ر ٢٧٦ ظ، من الوصب وقلبك من النصب.
- (٥٢٣ - ٥٢٤) ن ١٥٠/٥ : عينك فهو حقير.
- (٥٢٥) ح س، ن المجموع الا الى التلف.
- (٥٢٦) م : والاستشطاء، صوابه من ح س، ن .
- (٥٢٧) ن : أمل.

- (٥٢٨) ح س، ن : الفراق.
- (٥٢٩) من المرجعين.
- (٥٣٠) ن ١٥١/٥ : رفيقا.
- (٥٣١) م : ادياره، صوابه من المرجعين.
- (٥٣٢) ح س، : وعبد وعبيد.
- (٥٣٣) ن ١٥٢/٥ : وتستجلى.
- (٥٣٤) ح س، ن ١٥٢/٥ : الذي رياه لابد هاطل.
- (٥٣٥) م : الغبرة، صوابه من المرجعين.
- (٥٣٦) ن : النث.
- (٥٣٧) ح س، ن : الرث.
- (٥٣٨) ح س، م : عرفني كل تقيل.
- (٥٣٩) ن : أهل.
- (٥٤٠) م : وليس، صوابه من المرجعين.
- (٥٤١) انظر القصيدة ٦٣ في ديوان الششتري، تح النشر، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.
- (٥٤٢) ش : يتحنق.
- (٥٤٣) بعض نسخ ش : اصله.
- (٥٤٤) ش : تريد، والأنسب ما ثبت في المتن.
- (٥٤٥) ش : الخطه.
- (٥٤٦) ورد هذا القفل في ش : على الصورة التالية :
- غدا يمتحق شكلوا ويطوروا في وحلوا
يتمزق يثبت كثيرا رجليا أو يزهر
- (٥٤٧) ش : اسلم.
- (٥٤٨) م : المكن، السياق يقتضي ما أثبتا من ش.
- (٥٤٩) زيادة من ش يقتضيها تركيب القصيدة.
- (٥٥٠) ش : يظهر لو.
- (٥٥١) ش : ان
- (٥٥٢) ش : ولا تغلبوا، والأنسب ما ورد في المتن.
- (٥٥٣) ش : وان.
- (٥٥٤) ش : ويطلب.
- (٥٥٥) ش : أو يقلق.
- (٥٥٦) ش : أشكل لو أليق.
- (٥٥٧) ش : بيه، ولعلها أنسب.
- (٥٥٨) ش : السوى.
- (٥٥٩) بعض نسخ ش : وللوجد.
- (٥٦٠) ش : وكل المعاني فيه.

- (٥٦١) بعض نسخ ش : يجمع.
- (٥٦٢) ش : وفناؤه موجود.
- (٥٦٣) انظر القصيدج ٥٩ في ديوان الششتري ص ٢١٦ - ٢١٨. كما أورد ابن خلدون مطلعها في المقدمة، تح. علي عبد الواحد وفي ج ٤ ١٤٦٤، وكذلك في النفع ١٧/٧.
- (٥٦٤) في معظم نسخ ش، وفي «ن» والمقدمة : بين طلوع وبين نزول.
- (٥٦٥) من ش ٢١٦ والأنسب للوزن اختلط لك، (حسب نظرية د. كورينطي في عروض الزجل، انظر مقدمة ابن قزمان).
- (٥٦٦) ش ٢١٧ : سيرو.
- (٥٦٧) جميع نسخ ش : استحا، ولعله أصوب، اذا الامتحاء في كلامهم يطلق على غاية السكر.
- (٥٦٨) ش : فلتجول ان كان تجول أو تمود ترعى العجول
- (٥٦٩) ش ٢١٧ : أرت.
- (٥٧٠) قراءات مختلفة في نسخ ش، والتي أثبت د. النشار ويروي ذاتو بلا مرا.
- (٥٧١) ساقطة من «ش».
- (٥٧٢) ش : أحوال.
- (٥٧٣) في بعض نسخ «ش» : يعرفونها، وفي أخرى : يعرفوا بها.
- (٥٧٤) ش : يحتاج.
- (٥٧٥) م : الخلود، والأنسب للمعنى ما أثبتناه من «ش».
- (٥٧٦) ش : بدر، وهو أنسب.
- (٥٧٧) ش : منه.
- (٥٧٨) ش : لا اتحاد.
- (٥٧٩) ش ٢١٧ : الحصون.
- (٥٨٠) ش : ولم يصل.
- (٥٨١) كذا في المتن وفي جميع نسخ «ش» : فقالوا، والوزن مضطرب في كلتا الحالتين، لهما : قالو.
- (٥٨٢) كذا في المتن، والوزن يقتضي اليه.
- (٥٨٣) ورد في «ش» ك هكذا :
- وتدر عليه سيول وتلد لو عسول
- (٥٨٤) ش : الفلك يدور.
- (٥٨٥) م : طخت، تصويبه من «ش».
- (٥٨٦) ش : بقول، وهو أنسب.
- (٥٨٧) ش : ذي.
- (٥٨٨) انظر القصيدة ٤٢، ديوان الششتري ص ٤٠١ - ٤٠٢.
- (٥٨٩) شرا : ٤٠١ : أنا ليس نظامان ابدا المديكا ولا يلطم ظهره بعد نهكه.
- (٥٩٠) ش : لس.
- (٥٩١) ساقطة من «ش».

- (٥٩٤) حقل.
- (٥٩٥) ش : قالي،
- (٥٩٦) ش : لدكة.
- (٥٩٧) ش : «وشبكني وحظ في عنقي شبكة».
- (٥٩٨) ش : نقل .
- (٥٩٩) ش ٤.٢ : وبعد هذا.
- (٦٠٠) ش : وسلكني ومزق أشيائي دلکه.
- (٦٠١) ش : ولغيت، والأنسب ما ورد في المتن.
- (٦٠٢) اختلاف في ترتيب الأبيات، راجع القصيدة في المرجع المذكور.
- (٦٠٣) ش : بالجبال.
- (٦٠٤) «وأنا ما عك ونبصر ان كنت صادق».
- (٦٠٥) م : جلب، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا.
- (٦٠٦) ش : واخذني من بين.
- (٦٠٧) وسلبنني وفك قلبي المعنى.
- (٦٠٨) ش : ثم قلبي وحك.
- (٦٠٩) ش : ودنوت.
- (٦١٠) م : فلبق.
- (٦١١) ش : وأنا فيه بحال قلبق في سكه.
- (٦١٢) ش : ولا معاند.
- (٦١٣ - ٦١٤) ساقط من «ش».
- (٦١٥) انظر القصيدة ٨ في ديوان الششتري ص ٩٩ - ١٠٠.
- (٦١٦) ش ٩٩ : حصل لي.
- (٦١٧) ش قاربي.
- (٦١٨) كذا في الأصل، وهو ناقص، وفي ش : يوحشني.
- (٦١٩) ش : فيك.
- (٦٢٠) ش : يقبضني.
- (٦٢١) ش : بانطباعي.
- (٦٢٢) في بعض نسخ ش : وان.
- (٦٢٣) بعض النسخ : عبيبة، وفي أخرى : عبيبة وفي أخرى : عيبيا.
- (٦٢٤) ش : خيرك.
- (٦٢٥) ورد في ش هكذا :
- وكننت لي موانس في السكر والنديم
- (٦٢٦) ش : شاربي، وهو أنسب للوزن.
- (٦٢٧) بعض نسخ ش : هو ذاك، هو.
- (٦٢٨) زيادة من ش.

- (٦٢٩) ش : ١٠٠ : يامن يقل لي كثره.
 (٦٣٠) ش : فالتاس.
 (٦٣١) ش : مع بهجة.
 (٦٣٢) ش : فاسمع.
 (٦٣٣) ش : ماثم الا.
 (٦٣٤) ش : فافهم.
 (٦٣٥) اغلب نسخ ش : محق.
 (٦٣٦) في ش هكذا :
- عارض لزوجل عاشق خبرو لـ قد دري
 (٦٣٧) انظر القصيدة ٩١ في ديوان الششتري ص ٢٩١ - ٢٩٣.
 (٦٣٨) ش : اجعل.
 (٦٣٩ - ٦٤٠) وردا في «ش» هكذا :
- واذا رايت فتحك وقد اضا واستنار
 ويدت لك خفايا كنز ذاك الجدار
- (٦٤١) ش : ورسيما لك.
 (٦٤٢) ش : بوسخي.
 (٦٤٣) ش : وترى.
 (٦٤٤) في بعض نسخ «ش» : واني وفي، وفي أخرى : معاني.
 (٦٤٥) ش : انما.
 (٦٤٦) ش : ان أعطاك.
 (٦٤٨) بعض نسخ «ش» : بالتمني.
 (٦٤٩) ش : قال لي اهنا شوى.
 (٦٥٠) ش : القبي، وهو أنسب.
 (٦٥١) ش : وانف.
 (٦٥٢) ش : واد كلك وبعضك.
 (٦٥٣) م : ولن، وكذا في بعض نسخ «ش»، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
 (٦٥٤) ش : ديرك.
 (٦٥٥) ش : بنطرب.
 (٦٥٦) ش : عندي.
 (٦٥٧) ش : ذي.
 (٦٥٨) م : ولا تطلب، والأنسب ما أثبتناه من «ش».
 (٦٥٩) ش : الفقيه أبو الحسن، وكلاهما صحيح، لأنه يقصد أبا الحسن بن الحسن.
 (٦٦٠) ش : ان لم ايش تدري قدرك.
 (٦٦١) م : وتسميك، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتناه من «ش».

تعليقات الفصل الثامن

[1] سلطان مصر : المنصور القلاووني (٧٣٨ - ٨٠١ هـ = ١٣٢٨ - ١٣٩٨ م وهو محمد المنصور بن حاجي المظفر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع بالسلطنة بالقاهرة سنة ٧٦٢ هـ = ١٣٦٠ م، وقام بتدبير ملكه اتابك عساكره بيلغا فدامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر، بعدها خلفه بيلغا وأدخله في نور الحرم بقلعة القاهرة سنة ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م. انظر (الأعلام ٧٥/٦)

لأخبار الدولة القلاوونية انظر (الخطط ٢ / ٢٣٦ - ٢٤٢).

- D. Ayalon, The Mamluk military society, Londres, 1979.

[2] الإشارة الى الحديث النبوي : «قال ومال الحج، قال العج والشج». (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٢٠/٨).

[3] اشارة الى قوله تعالى : «وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة»، سورة ٨٠ (عبس)، آية ٣٨.

[4] اشارة الى قول الشاعر : «كيف الحياة مع الحيات في سفط».

[5] صهب : ج. اصهب، وهو الأبيض المشوب بحمرة.

- السبال : ج سلبة، وهي اللحية أو شعر الشارب، وصهب السبال، من أمثالهم في نعت العدو. انظر (فصل المقال ص ٤٤٩).

[6] «ما عدا مما بدا»، من الأمثال ويقصد به ما منكم مما ظهر لك وقد قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام يوم الجمل، واخذه الشاعر ابن عني في قوله :

يا دهر ويحك ما عدا مما بدا أرسلت سهم الحادثات فاقصدا
(مجمع الأمثال ٢/٢٩٦ رقم ٢٩٩٨).

[7] يقصد مائدة سليمان التي تروى بعض كتب التاريخ ان المسلمين غنموها يوم فتح الأندلس.

[8] اقتباس من قول بشار بن برد :

يسقط الطير حيث ينتثر الحصب وتغشى منازل الكرماء

[9] بلج بن بشر (... - ١٢٤ هـ = ... - ٧٤٢ م) وهو بلج بن بشر بن عياض القشيري، قائد شجاع، من دمشق، بعث به هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش الى افريقية، نزل بالقيروان، ثم رحل الى الأندلس حيث هزم البربر واستولى عليها أحد عشر شهرا، وتوفي بعدها. انظر (الأعلام ٧٣/٢).

[10] اشارة الى قول ابي تمام :

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
[11] اشارة الى البيت :

ما أقدر أن يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول

نسبه يا قوت الى حندج بن المري بينما نسبه احسان عباس الى الحماسي.

- معجم الأدياء ٢/٣٧٠ - النفح، تح احسان عباس ١/٣٢٦ حاشية ٤).

- حزن : حزن بني يربوع وهو قرب قيد في جهة الكوفة. انظر (معجم البلدان ٢/٢٥٤).

- صول : مدينة في بلاد الخز في نواحي باب الأبواب وهو الدريند. انظر (معجم البلدان ٢/٢٣٥).

- [12] اشارة الى قوله تعالى : «كذلك نقص عليك ما سبق وقد آتيناك من لدنك ذكرا، سورة ٢. (طه)، آية ٩٩.
- [13] يقصد رضوان الحاجب.
- [14] من المثل : «شالت نعماتهم»، سبقت الإشارة اليه. انظر (١٨٨ / ١١).
- [15] من المثل : «جاؤوا قضهم بقضيضهم»، أي كبيرهم وصغيرهم . انظر (فصل المقال ص ١٩٨. - زهر الاكم ٦٣/٢).
- [16] سورة ٨ (الأنفال) آية ٧. والآية هكذا : «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين».
- [17] بغا الخاصكي، كان مدبر الدولة في عهد محمد منصور القلاووني والأشرف، وقد انتهت اليه الرئاسة ونظام الملك، قبلت مماليكه ثلاثة آلاف. انظر (- النفع ٢٧١/٦ - الدرر الكامنة ٤٣٤/٤. - التعريف ص ٤٧).
- [18] سورة ٢٨ (الصافات) آية ١٦٤. سورة ٢ (البقرة)، آية ٦٠.
- [19] « لا تجود يد الايماتجد»، من الأمثال. انظر (المحاضرات ص ٢٧٢)
- [20] اقتباس من الحديث النبوي : «المسلت الذي سقط على الحميم» (لع، سل).
- [21] من قول المعري :
- أرى العنقاء تكبر ان تصادا فعائد من تطبيق له عنادا.
- [22] اقتباس من قوله تعالى : « فلم تجنوا ماء فتيموا صعيدا» سورة ٤ (النساء) آية ٤٣.
- [23] الحطيم : مكان شمال الكعبة بمكة، وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة، وخلفه يقع الطاف الذي يحيط بجدر أربعة، وقد اختلفت في سبب تسميته بالحطيم. انظر (معجم البلدان ٢٧٣/٣. الروض المعطار، تج. احسان عباس ص ١٩٥. - صبح الأعشى، ٢٥٤/٤).
- [24] من المثل : «شب عمرو عن الطوق»، انظر (زهر الاكم ٢١٣/٣).
- [25] سورة ٤ (النساء)، آية ٦٩؛ سورة ٢ (آل عمران) آية ١٧٠.
- [26] سورة ٤٠ (غافر)، آية ٣٩.
- [27] السلطان : محمد الغني بالله، وابنه هو يوسف، الذي تولى ملك غرناطة بعد وفاة أبيه سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩١م. انظر . العبادي : دراسات في تاريخ المغرب، والأندلس ص ٤٥٤.
- A. Arie, España nusulmana, p. 41).
- [28] يقصد السلطان أبا زيان.
- [29] اشارة الى قوله تعالى : «وما تدري نفس ما تكسب غدا»، سورة ٣١ (لقمان)، آية ٣٤.
- [30] سورة ٢٤ (النور)، آية ٣٦.
- [31] دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند. انظر (معجم البلدان ٤٣٢/٢).
- [32] اقتباس من بيت طرفة :
- من المرء لا تسال وبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وأورده ابن قتيبة بالصيغة الاتية ناسبه الى عدى بن زيد :
- من المرء لا تسال وبصر قرينه فان القرين بالقرين مقتدى
ومنه المثل : «عن المرء لا تسال وبصر قرينه». (مجمع الأمثال ٤٢٩/٢ - عيون الأخبار ١٧٩/٣).
- [33] اشارة الى قوله تعالى : ومن شر غاسق اذا وقب» سورة ١١٣ (الفرقان)، آية ٢.

- [34] سورة ٩ (التوبة)، آية ١٢١.
- [35] السموال بن حيان بن عادي اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، فيقال : «او في من السموال». (مجمع الأمثال ٣٧٤/٢ رقم ٤٤٣٢).
- [36] القطب : مصطلح صوفي يعني الولي الذي بلغ أعلى المقامات.
- [37] أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، المؤرخ الشهير (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م)، انظر حياته مفصلة في كتابه . التعريف).
- [38] اشارة الى قوله تعالى : «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»، سورة ٢٤ (الفور)، آية ٣٥.
- [39] الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، امام الصوفية، توفي سنة ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م انظر (السبكي : طبقات الشافعية ٢/٢٨).
- [40] الحسن : الحسن بن هانئ بن الجراح المكنى أبا نواس، الشاعر العباسي المشهور.
- [41] الهماليج : ج هملاج، وهو البرنون الحسن السير.
- [42] اشارة الى هند بنت خارجة الفزازي (١٠٠ - ١٠٠ هـ / ٧١٩ - ٠٠٠) من أهل الكوفة، وقد كانت مشهورة بجمالها فتزوجها بشر أمير العراقين. انظر (الأعلام ٨/٩٦ - ٩٨).
- [43] الديماس : أخذها العرب من اللفظة اليونانية "Thermos" التي تعني مع الكلمة التي تطورت منها : داموس، ثم تطورت اللفظة وأصبحت تعني القبات والأروقة والأبنية المقوسة. انظر (ورقات عن الحضارة التونسية ٣/٣٥٢).
- [44] الابرية : القشرة التي تكون في الراس وتزال بالمشط.
- [45] اللوى : ما التوى من الرمل ومسترقه.
- المنعرج : المنعطف.
- [46] البيتان لبشار بن برد، وضمنهما المثل : اليك يساق الحديث»، وهو يضرب في سوء المسالة اذا عجل بها قبل أوانها. انظر (مجمع الأمثال ٨/٤٨ رقم ١٨٥ - فصل المقل ص ٥٠. زهر الاكم ٨/٨١).
- [47] هذا البيت لامرئ القيس .
- [48] النكة : بكسر التاء، رباط السروال، ولازالت اللفظة مستعملة في المغرب الى الآن. - الشكة : السلاح.
- [49] عسطلوس : الخيزان. (المخصص ١/١٠٤).
- [50] سليك بن سلكة وهو تميمي من بني سعد، يضرب به المثل في العذر. (مجمع الأمثال ٢/٤٧ رقم ٢٦١٤).
- [51] البراض : (... - نحو ٣٥ ق هـ / ... - نحو ٥٩٠ م) هو البراض بن قيس رافع الضمري الكتاني، فاتهك جاهلي بسببه هاجت حرب الفجار بين خندق وقيس، ويضرب به المثل، فيقال : «افتك من البراض»، واليه أبو تمام بقوله :
- كل يوم له بصرف الليالي فتكة مثل فتكة البراض
- انظر (الأعلام ٢/٤٧ - مجمع الأمثال ٨٧/٢ رقم ٢٨١٨).
- [52] الاعتراض : عدم المبالاة بالقتل في حال الخروج.
- [53] البيت لقيس بن الخطيم. (ديوانه ص ٧).

- [54] البيت لابراهيم بن سهل. انظر (-. اللحة ص ٩١ . - الإحاطة ٥٣٣/١)
- [55] البيت لأبي فراس الحمداني، وله رواية أخرى :
إذا لم عين من الله تلفتي انت الزايا من وجوه الفوائد
انظر (ديوانه ص ٨٣)
- [56] هذا البيت يجري مجرى الأمثال، ومنه أنك تشكو الى غير مصمت، أي لا يهتم بأمرك.
(مجمع الأمثال ١٢٦/١ رقم ٦٤٢).
- [57] «يضرب في حديد بارد»، مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. (مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٦ رقم ٤٨٨٣).
- [58] يتضمن المثل : «قد أسمعت لو ناديت حيا»، ويضرب لمن يوعظ ولا يفهم (مجمع الأمثال ١٠٦/٢ رقم ٢٨٩١).
- [59] سورة ٦٥ (الطلاق)، آية ٧.
- [60] رشاء : حبل الدلو.
- الركية : البئر الذي به ماء.
- [61] الدكة : بفتح الدال : ما استوى من الرمل، أو بناء مسطح أعلاه للجلوس أو لجعل كرسي عليه، والجمع دكك، ويبدو أن المعنى الثاني هو المقصود.
- [62] الميرة : م مير، الطعام الذي يذخره الإنسان.
- [63] عجز بيت من معلقة امرئ القيس صدره «وان شفاثي عبرة مهراقة».
- [64] سورة ٥٤ (القمر)، آية ١.
- [65] اشارة الى العلم العباسي، الأسود اللون مكنيا به عن سواد شعرها.
- [66] البيتان لأبي علي بن الشبل. انظر (القفطي : المحموني من الشعراء ص ٢٧٢).
- [67] سورة ٨ (الأنفال)، آية ١٧.
- [68] خام : جين.
- [69] السانح من الصيد : ما جاء عن يمينك فولاك مياسره والعرب تتفاعل بالسانح وتتشام بالبارح ومنه المثل من لي بالسانح بعد البارح. (مجمع الأمثال ٣٠١/٢ رقم ٤٠٢٦).
- [70] الاترج : ثمر تسميه العامة الكباد، وهو من جنس الليمون.
- [71] اقتباس من حكمة المتنبي الشهيرة :
أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن لحمه ورم
- [72] المريج : الملتبس.
- [73] ظالع : ظلع البعير، اذا غمز في مشييه.
- [74] اشارة الى بيت قاله محمد بن طلحة بن عبيد الله يوم الجمل :
يذكرني حاميوم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التندم
وتبتدئ عدة سور بحاميم، ولعل المقصود هنا - سورة ٤٤ (الخان).
- [75] سورة ٩٣ (الضحى)، آية ٢.
- [76] وضاح اليمن : (٩٠ هـ - ٧٠٨ م) هو عبد الرحمان ابن اسماعيل بن عبد كلال، شاعر رقيق الغزل، جميل الطلعة قدم مكة حاجا في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين

بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد، تغزل بها فقتله الوليد، ويسميه بعض المؤرخين عبد الله بن اسماعيل. انظر (الأعلام ٣/٣٩٩)

[77] سورة ١١٣ (القلق).

[78] سورة ٦٦ (التحريم)، آية ٦.

[79] اقتباس من بيت معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحول

[80] تافلت : مدينة صغيرة مبنية في سهل رملي على بعد خمسة عشر ميلا شرقي معمورة

واثنى عشر ميلا من الرباط. انظر (- الروض المعطار ج١. احسان عباس ص ٧٥ - وصف افريقيا ١/٢٦٨).

[81] يقصد بذي النورين عثمان بن عفان.

[82] اشارة الى قوله تعالى : «وان تجمعوا بين الأختين الاماقد سلف»، سورة ٤ (النساء)، آية ٢٢.

[83] اقتباس من بيت ربيعة بن ثابت الرقي :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سالم والأغر بن حاتم

[84] ابن زمرك : (٧٢٣ - ٧٩٣هـ = ١٣٣٣ - ١٣٩٠) محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله، من أشهر شعراء الأندلس. انظر (الأعلام ٧/١٥٤).

(El, 2 III 997 [F. de la Granja]).

[85] سكباچ : بفتح السين وكسرهما، لحم فتى يوضع في صلصة خيل. انظر (كتاب الطبخ

في الأندلس والمغرب لمؤلف مجهول ص ٩٤).

[86] مهرقم : بائع بقايا الحيوانات كالقلب والكبد ولازال في المغرب يسمى ببائع الهرقة الخ... (لوزي ٢/٧٥٥).

[87] يقصد بالوصي عليا بن أبي طالب.

[88] ابن حجر : امرئ القيس الشاعر الجاهلي المشهور، والشطر مأخوذ من بيت من معلقته، صدره : «مكر مقر مقبل مدبر معا».

[89] سورة ١٠٤ (الهمزة)، آية ١.

[90] ارنب القمر : احدى منازل

[91] أيوب : يقصد به النبي أيوب ويضرب به المثل في الصبر. - درع داود : تنسب اليه لانه أول من صنعها.

[92] اشارة الى سورة ٢٧ (النمل)، آية ١٧، ١٨.

[93] أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل السلطان النصري توفي سنة ٧٥٥هـ = ١٣٥٤م وهذا التاريخ قديم جدا عن تاريخ تأليف النفاضة، ثم حسب القرائن فالأرجح أن المقصود هو أبو عبد الله بن الحجاج، وأنه مجرد سهو من الناسخ.

[94] سقيفة بني ساعدة : توجد في المدينة المنورة وفيها اجتمع المسلمون لمبايعة سعد بن عباد الخزرجي.

[95] وادي القبط : (وادي القبط)، وهو وادي أبي رقرق الذي يفصل الرباط عن سلا ويصب في المحيط، وقد سماه ابن الخطيب في النفاضة وادي القبط. انظر (النفاضة ٢/١٢٥).

[96] اسمير : وادي أبي رقرق. انظر (الاتحاد الوجيز ص ٥٠).

- ناظور : برج، مركز الحراسة حاليا.

v. (- J. Caillé de Rabat jusqu'au portectorat francais, 3 V. Paris 1949).

[98] يشير الى بانيتها يعقوب المنصور الموحد سنة ٥٩٤هـ = ١١٨٧م انظر (الاعلام ٢٦٧/٩).

[99] رياض الشيخ : لعل المقصود بها زاوية الشيخ أبي زكريا وهي مجاورة للجامع الأعظم من طالعة سلا، وقد كانت من الأمكنة التي يجتمع فيها الأولياء وينزلون بها قصد التبرك والزيارة والرباط وبها نزل الشيخ أحمد بن عاشر بعد وفاة شيخه اليايوري. انظر (الاتحاد الوجيز، ص ٥١).

[100] أبو العاصي : يقصد به وادي أبي رقرق (حسب رأي د. المنوني).

[101] يقصد زوجته التي توفيت بسلا ودفنت هناك. انظر (التفاضة ٢٠٥/٢).

[102] واحد الأحد : أحمد بن عاشر المتصوف الشهير.

[103] عبد العزيز الصنهاجي، من مشاهير الأولياء بسلا، كان علي قيد الحياة سنة ٧٧٠هـ. ١٣٦٨م. انظر (- الاتحاد الوجيز، لوحة ٩١. - اتحاد اشراف الملا، لوحة ٤١، درة الحجال ١٢١/٣).

[104] الزاوية العليا : زاوية النساك أو الزاوية العنانية، من أقدم الزوايا بسلا، بناها أبو عنان خارج مدينة سلا قصد تزويد الواردين عليها من الغرباء والمنقطعين ونوي الحاجة، وأعيان الدولة، وقد فرغ من بنائها في ٢٨ شعبان ٧٥٧هـ = ٢٥ اغسطس ١٣٥٦، ولها بابان أحدهما مواجه لسلا والآخر لشالة، (الاتحاد الوجيز، ص ٥٨).

- Jaques Meunié, " La Zaouiat En Noussak, une fondation merenite aux bords de Salé", Mélanges d'histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, t. II, Hommage a G. Marcais, Alger 1957, PP. 129-145).

[105] ابن رضى : لعله أبو يحيى مسعود بن أبي بكر بن مسعود الرضى، ينتمي الى غرناطة، وقد خلف أباه في منصب القضاء بسلا (اتحاد اشراف الملا، لوحة ٦٢. - الإحاطة ٥٣٨/١).

[106] ابن داود : أبو القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد بن داود الفخار، توفي في حدود ٨٠٠هـ = ١٣٩٧م. انظر (المنوني : ملامح وداوين في السيرة والمديح النبوي، مجلة دعوة الحق، ٩، ١٠، ١١ (١٩٦٦)، ص ١٠٥-١٠٦).

[107] ابن غياث عمر، كان طبيبا وناظر المارستان العناني بسلا، وهو من أساتذة محمد القوري في الطب، ويقال أن ضريحه يعرف بسيدي مغيث بطلمة سلا على مقربة من الجامع الأعظم، كانت وفاته في آخر المائة الثامنة. (الاتحاد الوجيز، ص ١٤٦).

[108] سعد بلع : نجمان مستويان في المجرة أحدهما خفي، وسمي الأكبر بالعا كئنه بلع الآخر، وتقول العرب اذا طلع سعد بلع صار في الأرض لمع، وفي نوته يكثر المطر. انظر (عجائب المخلوقات ص ٨٣).

[109] يحصد الإنسان مازرع، مثل مشهور، ويوجد في أمثال العوام بالصيغة التالية : ازرع ما تحصد. انظر (أمثال العوام ١٧٨/١ رقم ١١٧).

[110] أبو جعفر بن خاتمة (٧٠٠ - ٧٧٠هـ / ١٢٩٩ - ١٣٦٩) هو أحمد بن علي بن محمد ابن خاتمة أبو جعفر الأنصاري الأندلسي من المرية، طبيب مؤرخ، أديب. انظر (الاعلام ١٨٦/٢).

- [111] الكتيبة الكامنة ص ٢٣٩ (- نشر الجمان ص ١٧٥).
 [111] اشارة الى قوله تعالى : «كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»، سورة ٥٧ (الحديد)، آية ٢٣.
- [112] اقتباس من بيت الشريف الرضي :
 لو كانت اللمة السوداء من عددي يوم الغيم لما أفلتت اشراكي
- [113] عجز بيت من معلقة امرئ القيس صدرم : «وإن شفائي عبدة مهراقة».
- [114] اشارة الى بيت عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :
 وعين الرضي عن كل عين كليله ولكن عين السخط تبدى المساوي
- انظر (ابن قتيبة : عيون الأخبار ١١/٣).
- [115] سورة ١٢ (يوسف)، آية ٨٦.
- [116] عجز البيت التي :
 الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا - ولو ترك القطا ليلا لنا
- وهو يضرب مثالا عن اجبر عن مكروه. انظر (- فضل المقال ص ٢٨٤ - مجمع الأمثال ١٧٤/١ رقم ٣٢٣).
- [117] البيت لصالح بن عبد القدوس، وهو يتضمن معنى المثل من نهشته الحية حذر الرسن الأليل، ويوجد أيضا في أمثال العوام بصيغة : «من لذغة الحية من الحبل ينفر». انظر (- تاريخ بغداد ٣٠٤/٩ - مجمع الأمثال ١٩/٢ رقم ٤١٣٢ - أمثال العوام ١٤٣/١).
- [118] حاجر : موضع من ديار بني تميم. انظر (معجم ما استعجم ٢٢٩/١ - معجم البلدان ٢٠٤/٢).
- [119] اشارة الى قوله تعالى : وريك يخلق ما يشاء ويختاره، سورة ٢٨ (القصص)، آية ٢٨.
- [120] أبو القاسم بن داود ابن الفخار الصديقي السلوي، فقيه ومحدث وشاعر كان أحد المدرسين بمدرسة الطالعة بسلا توفي سنة ٨٠٠ هـ، انظر (درة البحال ٢٨١/٣، الاتحاف الوجيز ص ١٤٠).
- [121] سورة ٥٧ (الحديد)، آية ٢.
- [122] أبو عبد الله بن مرزوق (٧١٠ - ١٣١١ هـ / ١٣١١ - ١٣٨٠ م)، هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، يكنى أبا عبد الله ويلقب بشمس الدين، من أهل تلمسان، وهو مؤلف المسند الصحيح. انظر (نيل الإبتهاج ص ٢٦٧ الديباج المذهب ص ٣٠٥ - التعريف ص ٤٩ - الأعلام ٣٢٨/٥).
- [124] الحوائط : ج. حائط، وهو البستان المحاط بجدران.
- [125] كباء : ما يتخبر به كالمندل، وهو عود، والجمع كبي.
- [126] كعب بن مامة : من بني إيا، ويضرب به المثل في الجود فيقال أجود من كعب بن يمامة. (مجمع الأمثال ١٨٣/١ رقم ٩٧٨).
- [127] الهياط والمياط وهو مثل يقصد به شدة واذي والهياط معناه الصباح، والمياط : الدفع، منهم من يجمله من الصباح والجلبة. (مجمع الأمثال ١٢٠/١ رقم ٥٠٦).
- [128] القيراط : نصف الدنق، وقيل ربع سدس الدينار.

- [129] الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق، والجمع سوابيط وسابطات.
- [130] سورة ٣٨ (ص)، اية ٦٧.
- [131] الششتري : (٦١٠ - ٦٦٨ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٩ م) هو علي بن عبد الله النميري أبو الحسن، من ششتري، وهو متصوف مشهور. انظر (الأعلام ٣٠٥/٤). - علي سامي النشار : «أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي وأثره في العالم الإسلامي»، صحيفة المعهد المصري، السنة ١، ٨، (٩٥٣) ص ١٢٩ - ١٦٨، - ديوان الششتري ط ١، الإسكندرية ١٩٦٠، ص ١ - ٢٠).
- [132] الغلطا : نطق عامي للفظ الغلطا التي تعني الأرض الصلبة، ويقصد بها هنا النفس الأمار، ويتفق هذا مع تعريفه لها في روضة التعريف حيث قال : «وهذه النفس لا يقع عليها الاختيار، فهي حجر صلد، غير قابلة للفتح..» انظر (ابن الخطيب : روضة التعريف ١/٣٦٨).
- [133] يمتخ : يقتلع الشيء من موضعه.
- [134] يفتق : يمزق.
- [135] اشكل : احسن.
- [136] جنح : خرجت له أجنحة.
- [137] أشلق : تعلق ولازم.
- [138] خليع : سكران.
- [139] يقطع في القطيع : يشرب حتى الثمالة، ويقصد الخمرة الإلهية.
- [140] مر : اذهب.
- [141] مرا : امرأة.
- [142] مرا : مرأة.
- [143] وبدي نوره الغلط : لعل المقصود به بدر الغلط، وذلك بأن يشهد اثنان برؤية هلال رمضان، فيظهر نوره فيما بعد ويكشف الغلط.
- [144] المسول : الحليب.
- [145] مهاود : مطيع.
- [146] الجزور : الجزر، ج. جزيرة.
- [147] حلب وحمص : بلدتان شهيرتان بسوريا. معجم البلدان ٢/٢٨٢ - ٢/٢٠٢.
- أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة : (معجم البلدان ٤/٣٠٨).
- عكة : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن. (معجم البلدان ٤/٤٢٠).
- [148] المنغمى : المقل.
- [149] : قلبق : تعريب للكلمة الإسبانية (Galapago) وتعني السلحفاة. - فبركا : في بركة.
- [150] قلييتي : تصغير قلبي.
- [151] لوشني : يقصد نفسه لأنه من لوشة.
- ششتري : أي الششتري الذي سار على نهجه في الزجل.
- [152] عرق عرب ورمل مائة : من أنسام الموسيقى الأندلسية. انظر (الجراري : معجم مصطلحات الملحن الفنية، الرباط ١٩٧٨، ص ٨٩).
- [153] ابك : الأب، بفتح الألف وتشديد الباء، الحبوب.
- الغبار : السباد.

- [154] طلع ثم فار : طزج.
- [155] الفقي ابن الحسن : أبو الحسن بن الحسن النباهي . سبق تعريفه.
- [156] ابن جزني : (٧١٥ - ٧٨٥ هـ - ١٣١٥ - ١٣٨٣ م) هو أحمد بن محمد من أحمد بن عبد الله بن جزني، من غرناطة كان فقيها وأديبا، وقاضيا. انظر ترجمته ومصادرها في (معجم المؤلفين ٧٢/٢).
- [157] فلي : تصغير فلان
- [158] اقتباس من بيتي الششتري. انظر (ديوانه ص ٤٤٠).
- مثل حسنك ما رأينا قط يا وجه السرور
أنت شمس أنت بدر أنت نور فوق نور
كما نجد هذه المعاني عند الحلاج في قوله :
وكيف يثبت ثنان وأنت فرد فرد
يجوز قلبي المعاني وليس من ذاك بد
المد في الناس مولى كأنني فيك بد
انظر (سبك المقال، مخ. الخزانة الحسنية رقم ٢٠٥، لوحة ٥).
- [159] فردام : لعلها من اللفظة الفصيحة في ردام، أي لا خير فيه.
- [160] سهيل : (Fuengeroia) مدينة صغيرة ساحلية تقع شرقي مربلة بمسافة ٢٨ كلم.
- بسطة : (Baza) مدينة قريبة من وادي آش، وهي مشهورة.
- [161] خلف : من اللفظة الفصيحة بفتح الخاء وكسر اللام بمعنى احمق.
- نجيبو : نجيبه. والإنسان التجيب : الفاضل النفس والعمل. الذكي.
- [162] يغمض : يطبق عينيه، كناية عن الموت.
- [163] لا من يغمض : يعني لا من ينام.
- [164] محمد الأولى : الغني بالله، ومحمد الثانية : محمد الرسول.
- [165] شمل : يسار.
- [166] الفنش : يقصد بها Pedro el Cruel.
- نومتار : لفظة اسبانية (No matar) بمعنى لا تقتل.
- ياشنير : السيد بالاسبانية (Señor). قطيبو : تعريب اللفظة الاسبانية (Cautivo) التي تعني الاسير، ويقصد أبا سعيد البرميخو الذي قتله بدرؤ الأول. (المتن، ل ٧٧).

رجع التاريخ «احتفال الغني بالله بالمولد النبوي» لعام ٤٦٧هـ / ١٣٦٣م

وفي شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة استدعى السلطان الناس إلى بنيته الضخمة، سمر الركاب، وحديث الرفاق، وحجة الهمة، وفذلقة الحسن، التي ابتدعها لحين ولايته الثانية، هذه المنقذة من البأساء، الفاتحة بالقبول أبواب السماء، واتخذها مجلسا عاما، وإيوانا للمشورة جامعا، فأغرى بها نفس الملك، وخطر التهمم، وأطاع داعي التوسع، وتجاوز الغايات، إذ عمد إلى المشور [1] القديم أثر سلفه، فصيره دكا، واستضاف إليه ما جاوره تجرا، فأقام بشرفه مجلس القعود ومنتصب سرير الإمارة، ومفترش أريكة الملك والتحية على سرير الإمارة، أعباء الأحوال التي تطمح إليها قدر الخلفاء جفاء ورحبا وزليجا وعمدا ونقشا وزخرفا، ورفع مكانها عن أرض الإيوان فوق القامة، تطل عليه منها القسي المزخرفة، قائمة فوق عمد المرمر المخروط طولا يعيي الخطو، ويتعب الذرع، تحته أدراج ثلاثة، قد غطي كل ذلك اللين [2] المغشي بالزجاج الملون بين قائم وقعيد، ومشارك ومفصول وأقلت سقف القبة العليا عمد أربع كائنا فردن من أديم الصباح، أخذها على بدانتها الخراط، فترك بها من الأسورة والتحازيز ما يبهت العين ويذهل الفكر، قامت على أربعها قبة سامية على سائر المسقف، قد منطقتها بحر الزجاج، عديم الفياصل، "عميرة لأولي الأيصار" [3]، ودارت به المسقفات أخذة نهاية الاحتفال خشبها، بالفة أقصى المبالغ سموكها، تناظر منها مسقفان ضخمان قبله وجوفا، قد برزا في الشكل الخمس وتفننت فيهما الصنائع، وتعددت الأشكال والفصوص، ولطفت النقوش، وتناسبت الأصباغ، وماج بحر الزليج في جميع حيطانها، يعلو محصور خواتمه طرّة نقش بها منظوم يجمع فصول / السياسة [4]، قد علت حروفه ورق الذهب الإبريز، وتراكم خلالها سحق

اللازورد^(١)، وغشيت الأبواب المفضية إلى دهليز القصر والدورة المنسوبة لخزانة الطبيب ومدخل القبة المعينة للجمهور وقبة خزانة العطاء على ضخامة الألواح وعراضة المصاريح بالصفح المصقول المخطوط، صنائع يفصل بين حدودها قضيب الشبه المموه بالنضار ومسماره، وامتد بين يدي هذه القبة منخفضاً تلتقي القامة الدار القوراء المخصوصة بإسم المشور الخاص، إيوان فخم تسير فيه العين، حيث البساطة والسذاجة، والانفساح والضياء، يقابل مدخلها القبة الموصوفة مفضياً إلى المشور الثاني، وقد حفّ بهذا الإيوان المسقف الطويل المذکور بلاط الوليد، القائم على عمد المرمر المخروط، مائلة كأعناق الغيد، تقل من تيجان القسي كل بديع، وفي المسقف عن يسار الداخل البهو المطل على البلد، المحدث إلى ما وراء من مراصد البيات وحدود الثغور، المصنفي سمع محتله إلى أهزاج المياه المنحدرة عن فيوض برك القلعة، ولغط الخلق كبوي الدبر في بيوتهم دويها، وبهذا البهو كان مثل السلطان يوم الكائنة [5]، فاخص هذا المكان بمزية الظهور، وخصوصية الطائلة، وأفرغ عليه لقب النصر، ومثل بوسط هذا القصر الفسيح الأقطار الصهرج الغريب الشكل، المقدرة أضلاعه، وقطع^(٢) من دوائر، تصب فيه ميازيب الخصص [6] الرحيبة، المربية أقطارها على القامة الإنسانية، وأسود النحاس من الموهمة الموهمة إحكاماً وأجراما أشبال الحيوان تنساب عن العباب المتدارك، ويفضي المدخل إلى المشور الثاني المنحط عن شكل الأول وذرع، المشتمل على السقائف والميضات، [7] ومقاعد الكتبة وقبة العرض، واستجلاء الرقاع، ومباشرة المتظلمين، والمثول لتحية^(٣) العامة، المفضي بابه إلى الطريق / المجاور إلى المسجد العتيق، خلف^(٤) الزخرف أثر السلطان أبي الوليد [8] رحمة الله عليه.

/215

فأقام ليلتئذ بهذا المصنع، المنقطع القرين في معمور الأرض على حياله من توسط الإحكام إياه بنيته^(٥)، المولد الكريم ولما يكمل أوله فضلاً عن تاليه، فرفع وسطه بالهندام الهائل، المسخر في مهرة الملاحين ورؤساء البحريين، متاء^(٦) الأصل عن النؤابة، بعيد مهوى الورقة الساقطة، ممتازاً بحسن الشكل، سامياً في الجو كالصعدة [9] إملاساً واستقامة، ولم يرض بعده في الهواء^(٧) حتى أضيف إليه مثله لاعم بينهما الإحكام شدا وديسراً، ورفع بأعلاه السقف المرفوع والظل الممدود [10]، الخباء الشهير المنسوب اتخاذه لهم السلف من هذا البيت، يسع كنه، وتعم طنبه الجمع المشهود، واللفيف المحشود، والبيض والسود، المحملة أجزاءه الظهور الغزيرة^(٨) من دواب البحر، المؤلف بعضها إلى النبعض بعري الحديد التي لا تنتهي القدر البشرية إلى ماوراءه، الجامع من الرقوم والأوراق

والأصباغ ما لا تتعاطاه البطاح إذا حلت أوكيتها (٨) السحاب الدكن، وحنّت عليها الغمام الوطف، ولا الرياض حالاهما الحزن (٩) [11]، ودبجها المزن، ومن الجدل الفارة ثعابينها إلى أقاصي المطارح وغايات المراسي والمساحب كل قوي متين، وثعبان مبين، ومن الجلود المخروزة (١٠) بخيوط الحرير واللجين على الأشكال المتعددة، الطامن في نحر الجو بالجامور الهائل والتاج الفخم، المتعدد القسي والتفافيح والتفاريح، المرسل الهيدب، الفلكي النطاق، الأفقي الذيل، المتناسب الأكبر، المغير نوائب المآذن الشهيرة، وصواري المراكب مدن البحار الزاخرة، فعمت أنياله سماء الإيوان على تباعد أقطاره، فجاء عبدة الأبصار، وخيرا باقيا على الأعصار، وعم أرض القبة العليا بالفرش الرفيعة، قد علتها أريكة الملك، لابسة زي التجلة، موثرة شعار الوقار بياضا وخصوصية، وجلت أرض المشور جمعاء /
الحصر النظيفة، والأنطاع العجيبة، ولزقت بحيطانه منها الأستار البديعة اللطيفة، ودارت بالبركة الصخرية (١١) من حسك البلور والشبه ما تقصر عنه ديار الملك وخزائن الخلائف، وتخللت الساحة العريضة أجرام المنار الرحيبة الأقطار السامية العمد، القليلة الأرجل، المتعددة الأقراط، أشجار عادية، وأجرام نحاسية عكف الصناعات على إيلاف أعضائها أياما، فجاءت موثرة للبهت، مبلدة للفكر، وأجرام من الحسك بين الشكل الأقور والمخروط، مقاعد للشمع ومنابر لجنوع الموم، إلى ما لا يحصى من الأنوار والمشاكى وأوعية (١٢) المشاعل وجلال الشمع وخشاشه، بحسب الأماكن والشوكات والتفاريح، وانطلقت على تلك العمد الشمعية وجذوع بناء النخل (١٣) أيدي سدنة بيوت الله عند غروب القرص، فأشعلت نوائبها بالنار، فازهر اللوح الأشب، وراق المرأى المعجب.

ولما اجتمع الناس، وماج من دون الأبواب البحر، وكاد يرديهم على انفساح المدى الضغط، برز السلطان في خاصته فاقتعد أريكة الملك مغريا بتلك الأوضاع حسن نظره، ومتخير ترتبيه، ثم أذن للناس على طبقاتهم، فاستقروا عن تزاحم وتدافع وعلاج أنسابهم مضضه التعجب من هول ما أفضوا إليه، يغشون كرسي الملك مطرين ومحيين (١٤)، فيسمعهم بشره، ويشملهم بالجميل وحسن المقارضة رده، ويبهت أبصارهم شكله، ويبههم رواؤه لكان تاج العمة التي أصار إليها زي الملك بالاندلس، وكان غفلا منها قبله [12]، ونباهة الجلسة التي عينتها همته ثم أقيمت الصلاة جامعة، وعند الفراغ أحكم الخدمة والعرفاء ونباه الممالك ترتيب الناس، فكان بمحل الغرفة من مجلس السلطان شيوخ القبائل، والأشراف بنو القواطم، ونسباء الملوك، وأهل العلم، وبين يديه الصوفية والفقراء فيما انخفض بين يدي جلسته من المشور الخاص وهم لهذا العهد كثير عددهم / من المتسببة والمتجردين،

وأرباب الخرق المسافرين، والأعجام الواردين، ويتلوهم التجار وقد جمع هذا العهد منهم المنين فيهم العدد من المشاركة والتوسيعين، وغص المشهد الرحب بسائر الطبقات، وعيون الرعية قد ألبسوا أثواب الزينة، واختالوا في فاخر الكسوة، ثم كان الرسم من الشروع في ذكر الله، والإنصات أعشار القرآن وبالف الوعظ، ثم اندفاع الأغاني وزفير اليراع الأجوف، وطاف على الناس النبهاء من وجوه الخدام والممالك الروقة [13] قد تمنطقوا فوق الأقبية الديباجية، وبرزوا في زي الانشمار، على رؤوسهم أفلاك الموائد الخشبية الفسيحة الأقطار، المتلعبة بالأفكار، في مجال الاعتبار، بما تنتهي إليه أجرام الأشجار، ماثلة في حلل الرقوم البديعة، والنقوش الغربية، بعد تعميم الناس بالوضوء في الأواني الكريمة السنع [14]، المهابة الصقل، المهمة سحانها (١٦) مرأى الذهب البحث، قد أقلت جواربها المنشآت وأجواها الخرقه من أصناف الطعام ما شكت جوده مسارح البهم وبيادر الدواجن ودنان الدهن وقناني المرى [15] وأوعية الخل ومخازن (١٧) العبير والتابل وكبر النحل، قد تفتن فيها العلاج شيا وقلوا وتكبيبا وحشوا في مصران الحوايا وتحميصا وتربيبا باللبوب والبزرد (١٨)، وحلوى [16] وجوارشات [17]، ودارت فوقها من قرص خبز الحواري [18] بدور لم يشنها المحاق، وطرف تتهاداها الرفاق، تعد ذلك حتى إذا أعيأ العد وحير الفكر، وأوجب البهت بذى العلية المستاثرة بالدنو من الأريكة فثملوا من نخب ذلك المطعوم، ثم تلاهم التجار والغرباء تحفيا وسروا وإيثارا وإعراقا في نسب المروة، ثم استتبع جميع الأصناف، ثم نقر (١٩) عن الزوايا والليات والمنعرجات والدهاليز والمراسد والأبواب، فعم البر، وشمل الرزق، ولم يكد المدى يبعد حتى أطل ركاب تال يحمل من موائد اللطف والفواكه الييسة (٢٠) المزاج عجمها ونواها وأعالي / قشورها والكعك [19] البديع والتفاح الحلو في أوعية وأطباق خشبية رومية، مما يطرف بها تجار "جنوة" وما يصاقبها من الجزائر الروميات، ملبسة بالورق الذهبية، مرصعة بالزجاج المرسوم فيه صور الحيوان والأشجار، عبرة للأبصار، قد تراكم بها الفائد الرفيع الذي قصر عنه قريع الطبرزدين [20]، محشواً باللباب، وموحى إليه بقوى الأفاويه الهندية، والهاضومات الطبية. وعند انصرام الظلام والفراغ من الصلاة طلعت (٢١) مع الصباح هودج الجفان الجوف أخذان التذهيب والتمويه، مشتملة على البحر من طعام الثرد [21] وغذاء الرقيق، فكان الحال في طعام هذا المدعى وأواني منقطعة عن المثل، مغربة في بعد الشاؤ.

/218

وتقدم السلطان بثقوب فهمه، ولطف حسه، وأصيل إدراكه، وصحة خياله، إلى اتخاذ آلة تخبر بمضي ساعات [22] الليل، فأنشئ ليلتئذ بإشارته مكان

غريب خشبي أجوف، في مثل القامة، صير منه شكل الاستدارة إلى ذي جهات اثنتي عشر، في أعلى كل جهة منها محراب، قد شمل الجميع الصبغ والتزيين، واستقل برأس الشكل شمعة موقدة، قسم جرماً أجزاء بانقسام ساعات الليل، وأخرج من عند كل خط يقسم جسدها، ويعين الساعة فيها سبب من الكتان يتصل برأس غلق المحراب الظاهر فيمنعه من الهوى والنزول، وفوق محذب المحراب خرت محكم يفضي إلى شكل سدى يعترض مجراه قائم من الحديد مثبت في رأس الفلق (٢٢) الذي يسد المحراب، وخلفه كرة من النحاس بندقية (٢٣) الشكل، يمنعها ذلك القائم المعترض للمجرى من الإنحدار، وخلف الفلق شكل يهدي رقعة منظومة تعرف بمضي الجزء من الليل، فإذا استولت النار على الشمعة، وبلغت إلى حد الساعة، أحرقت السبب المتصل بما ذكر فأنحدر الفلق، وزال المانع عن سقوط الكرة فهوت واستقرت في بعض الصحن /النحاسية المصونة، المغراة بالشهرة، وبرزت الرقعة فلوصلها القيم على ذاك المسمع فأنشدها.

219 /

أغرى التجريب بهذه الآلة، على ما تقتضيه طبيعة نارها وفتيلها (٢٤) والهواء المحصور في تجويفها، فصح عملها، واطرد صرقها، وخفي قصدها، وخف نقلها، فكانت أخرى حصياتها موقعة على نظم النداء بأذان الصبح، من غير إخلاف وعد، ولا إخلال بوقت، فجاءت طرازا على حلة الصنيع الفخم. ويأتي ذكر ما أنشد بجرائنها من المنظوم عند ذكر الإنشاد - بحول الله - .

وعند انقضاء ذلك عظم لجب الذكر، وتجاوبت به الجهات، وأداه صدى (٢٥) البناء الحديثة، وساق في المهرة اللفيف، وحصل في النفوس الانفعال، فابتذرت حياها الخشوع والتصدع من خشية الله إلى أن غلبت المواجد، ثم كانت الإفاقة، وأغمامت عند ذلك السماء بدخان (٢٦) العنبر الشحري، فظللهم غمامة، ثم سكب ماء الورد شأب غصون الأنس، حتى قطرت السبال، واستنقعت الأذيال، واندفع المزمزم كما تم الترتيب، وهو المخصوص بالمداعي الملكية، المتميز عهدئذ بمزية الإعراب وقراءة القريض (٢٧) المعروف بالحميني (٢٨)، موصلي أهل جلدته بكل مطرب من الغناء، وكلما مر بمعنى مثير للوجد لبته الصوفية والفقراء، بين واجد ومتواجد، يحدوهم مشيختهم فيحمي الوطيس، ويتدارك الرقص، ويغلب الوجد، ويعلو الصراخ، والمسمع يواصل القصائد المنظومة في مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والإشادة بميلاده، وذكر معجزاته، ثم التخلص إلى مدح السلطان وذكر خلاله، وإطراء تحفيه بهذه الدعوة، جمع العد ليلتئذ ما يناهز ربع المئة مما يدل على عراقة هذا الصنع في العروبة، ومحلّه من اللسان، ويكمن البلاغة بين أطلاله، منهم المجيد، والمتصف بما دون ذلك شأن أولي الصنائع ومعاطي/المدركات.

)/

وكلما مرت ساعة سقطت الحصاة في طنجير شهرتها، وتفتحت الطاق، وتنوالت الرقعة، إلى انقضاء الليل، كان هذا رسم الليلة الأولى ثم ليلة الأسبوع، فانشد ليلتئذ في الإخبار بالساعة مما نظمته لذلك من الشعر الراشح عليه مضمري تحزنا وتحسرا وبعدا عن التنزل للغرض الشعري، قولي :

في الساعة الأولى :

(رمل)

ساعةً أُولَى مِنَ اللَّيْلِ انْقَضَتْ
نَقَضَتْ مِنْ سُبْحَةِ اللَّيْلِ [حَبَّةً] (٢٩)
وَمَضَتْ مِنْ بَعْدِ أَنْسٍ وَكَذَا
فَاجِلُ (٣٠) عَنْ نَفْسِكَ لَا تَحْفَلُ بِهَا
وَيَرُوقُ الْحَقُّ فَاصْرِفْ نَحْوَهَا
يَابْنَ نَصْرِيَا سَمِي الْمِصْطَفَى
فَإِذَا اسْتَنْهَضْتَ فِي مُعْتَرِكَ
وَهِيَ النَّفْسُ إِذَا الْحَقُّ اجْتَلَتْ
وَإِذَا تَقَرَّرُ قَرَضًا حَسَنًا
وَالرُّضَى لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ

شَرَعْتُ شَرَعَ الرُّضَى وَافْتَرَضْتُ
نَظَمْتُ مِنْ سُبْحٍ مَا نَقَضْتُ
سَاعَةُ الْأَنْسِ إِذَا سَرْتُ مَضَتْ
حُجُبُ الْوَهْمِ إِذَا مَا اعْتَرَضْتُ
خَاطِرُ الْهَمَّةِ مَهْمَا أَوْمَضْتُ
حُكْمَةُ اللَّهِ لَكَ الْعَزَّ اقْتَضَتْ
نُصْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى نَهَضْتُ
جَرَدْتُ كُلَّ حِجَابٍ وَنَضْتُ
ضَاعَفَ اللَّهُ لَهَا مَا أَقْرَضْتُ [23]
يَسُطُّ الْأَمَالَ مَهْمَا نَقَبْتُ

وفي الساعة الثانية :

(بسيط)

مَوْلَايَ ثَانِيَةً مِنْ لَيْلِكَ انْصَرَمَتْ
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي الْكَفِّ قَدْ سَقَطَتْ
شَأْنُ الزَّمَانِ افْتِرَاقٌ بَعْدَ مُجْتَمَعٍ
فَمَنْ يَكُنْ قَامَ بِالْبَاقِي وَحْدَهُ لَهُ
إِنْ تَنْصَرِفْ نَحْوَ عَيْنِ الْجَمْعِ مَا انْفَرَقَتْ
فَلِلشَّرِيعَةِ مِنْهَا الْعِلْمُ إِنْ سَأَلْتَ
وَالْحَقِيقَةَ مِنْهَا السِّرُّ إِنْ نَظَرْتَ
هَذَا الْكَمَالُ فَإِنْ تَلَمَّعَ بِسَاحَتِهِ
يَا مَنْ اتَّصَلَ (٣١) الْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
إِنْ لَمْ تَجِدْكَ وَلَمْ تَحْرَمْكَ فِي نَفْسٍ

وَجَمْرَةُ الشُّوقِ مِنْ بَعْدِ الْوَقُوفِ رَمَتْ
مِنْ سَلَكِهَا وَهَوَتْ مِنْ بَعْدِهَا انْتَهَمَتْ
وَأَحْرَفَ مُحِيطٌ مِنْ بَعْدِهَا رَمَتْ
قَيْدُ الزَّمَانِ تَرَقَّتْ نَفْسُهُ وَسَمَتْ
أَوْ تَتَّصِفُ بِوُجُودِ الْحَقِّ مَا انْعَدَمَتْ
عَمَّا بِهِ عَمِلَتْ فِيمَا بِهِ عَلِمَتْ
بَدَأَ لَهَا الشَّفَعُ وَتَرَأَ عِنْدَهَا حُكْمَتْ
وَسَلَّمَ اللَّهُ مِنْ غَوْلِ السُّرَى سَلِمَتْ
رُحْمَاكَ فِي أَنْفُسٍ عَنْ جَمْعِهَا قُسِمَتْ
وَاللَّهُ مَا وَجَدَتْ شَيْئًا وَلَا حَرِمَتْ

/221

وفي الساعة الثالثة :

(خفيف)

حلفَ اللَّيْلُ بِالثَّلاثِ بِمِينَا
إِنَّكَ الْمُعْتَنِي بِمِيلَادِ مَنْ قَسَا
رَحْمَةُ اللَّهِ حُجَّةَ اللَّهِ نَوْرُ اللَّهِ
ظَهَرَتْ مِنْكَ فِيهِ أَسْرَارُ حُسْبٍ
زِدْتَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الدَّهْرِ عَيْدًا
لَيْلَةَ ضَمِّ ثَوْبِ أَمْنَةٍ فِي
لَمْ يَنْوْهُ بِهَا سِوَاكَ وَقَدْ مَرَّ
هَكَذَا يَذْخِرُ إِلَهُ الْمَزَايَا
فَارْتَقِبْ يَا مُحَمَّدُ الْحَمْدَ نَصْرًا
وَإِذَا مَا أَسْتَفْثْتُ بِاللَّهِ كَانَ اللَّهُ فِي مِثْلِهَا الْقَوِيُّ الْمُعِينَا [24]
مَ لَدَيْنَ إِلَهِهِ وَالْحَقُّ فِينَا
لَهُ بِرَهَائِهِ الْحَقِيقُ الْمُبِينَا
جَمَعْتَ فِي الْكَمَالِ دُنْيَا وَدِينَا
ثَانِيًا يَا مُؤَمِّلَ الْمُسْلِمِينَا
جَنَحَهَا الطَّاهِرِ الرِّسُولِ الْأَمِينَا
زَمَانَ وَعَاقِبَ الْحَيْنِ حِينَا [25]
هَكَذَا يَغْبِطُ الْجُدُودَ الْبَنِينَا
بَعْدَهَا ظَاهِرًا وَقَفَّحًا مُبِينَا
لَهُ فِي مِثْلِهَا الْقَوِيُّ الْمُعِينَا

222 /

وفي الساعة الرابعة : (٣٢)

(طويل)

بِرَابِعَةِ السَّاعَاتِ (٣٢) جِئْتُ أُخْبِرُ
وَلَمْ لَا؟ وَقَدْ أَحْيَا بِهِ (٣١) اللَّهُ سُنَّةً
كَأَنَّ رَّبِيعًا كَانَ لِلنَّاسِ شَهْرُهُ
فَارْجَاهُ مِنْ نَوْرِ وَجْهِكَ تَزْهِدِي
مُحَمَّدٌ قَدْ عَظُمْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ شَدَّ أَرْزَ الْمَلِكِ مِنْكَ خَلِيفَةً
تَبَشِّرُ مِنْهُ الْعَارِفُونَ بِوَارِدِ
فَكُنْ وَاقِفًا بِاللَّهِ مُسْتَنْصِرًا بِهِ
يَقُلُّ جُمُوعَ الشُّرَكَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ

وفي الساعة الخامسة :

(مجث)

وَيَا مُنْزِي قَدْ تَجَلَّيْتَ
مِنْ الْفِرَاقِ اسْتَهِلَّيْتَ
فِي الْجِرَانِجِ خَلَّيْتَ
عَوَانِدَ الْجِدِّ مَلَّيْتَ
مَوْلَايَ خَمْسٌ تَوَلَّيْتَ
وَأَنْمَعُ الشَّمْعِ حَرَبًا
سَارَتْ وَكَمْ مِنْ وَلُوعِ
وَالْهَزْلِ مَسْرُوحِ نَفْسِ

تَعَشَّقَتْ بِظِلَالِ
حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ
بَدَأَ لَهَا الْحَقُّ حَقًّا
وَهَا لَهَا مِنْ نَفْسٍ
إِذَا الْقِيُودُ اعْتَرَتْهَا
أُزْفِعُ الْقَيْدُ عَنْهَا

حَارَتْ لَدَيْهَا وَضَلَّتْ (٣٥)
أَنْوَارُهَا وَتَجَلَّسَتْ
فَزَايَلَتْهُ وَزَلَّسَتْ
قَدْ أَقْبَلَتْ ثُمَّ وَلَّسَتْ
هَانَتْ وَخَسَّسَتْ وَذَلَّسَتْ
عَلَتْ وَغُرَّتْ وَجَلَّسَتْ

وفي الساعة السادسة :

(مخلع البسيط)

مَوْلَايَ لَا زِلْتُ فِي أَمَانٍ
كَأَنَّهَا الْعَقْدُ رَابِ مِنْهُ
مُنْتَهَبُ الدَّهْرِ كُلِّ وَقْتٍ
وَيَقْتَضِي حَقُّهُ غِلَابًا
فَافْطِنْ لَهُ إِنَّهُ غَيْبُودُ
وَاسْمُ عَنِ الْكَوْنِ تَبْقَى مِنْهُ
بِلَا اشْتِيَاقٍ وَلَا فِرَاقٍ
فَأَيُّ دَيْرٍ بَغِيرَ غَيْرٍ
وَأَيْنَ مَنْ يَكْشِفُ الْخَبَايَا (٣٦)
فَيُبَصِّرُ السَّيْرَ دُونَ شَفِيرٍ

سَتْ تَقْضُتْ مِنَ الزَّمَانِ
سَقُوطُ سَتْ مِنَ الْجُمَانِ
قَطَافُهُ عَذْبَةُ الْمَجَانِي
بِلَا تَوَارٍ وَلَا تَوَانِي
وَارْمِ إِلَيْهِ بِكُلِّ فَنَانٍ
وَمِنْ أَدَى الْكَوْنِ فِي أَمَانٍ
وَلَا زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ
وَأَيُّ خَمِيرٍ بِلَا دِنَانٍ
وَأَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ الْمَعَانِي
وَيُبَصِّرُ الْفَرْدَ دُونَ ثَانِي

وفي الساعة السابعة :

(بسيط)

سَبَّعَ مَضَتْ مِنْ زَمَانِ اللَّيْلِ وَأَسْفَى
كَمْ صُنْتُ جَوْهَرَهُ بِالْجَهْدِ فَاثْتَهَبْتُ
تَغَالِبُ الْحَقِّ مَنِي (.....)
ضِدَّانٍ مَا شُنْتُ مِنْ دَاعٍ إِلَى سَرَفٍ
حَالٍ مَشْتَعَّةٍ فَالْعَقْلُ فِي طَرَفٍ
وَالْعَيْنُ فِي سِرٍّ مِنْ لَيْسَ تَسْرَحُ بِي
إِنَّا إِلَى اللَّهِ مِنْهَا أَنْفُسًا عَرَفْتُ
خَانَتْ مَوَاشِيقَ أَعْطَتْهَا مَوْكِدَةً

هَلْ لِي مِنَ الْعُمْرِ الْمَسْرُوقِ مِنْ خَلْفِ
وَكَيْفَ وَالْأَمْرُ حَقٌّ إِنْ نَظَرْتُ وَفِي
..... (٣٧) وَخَسَارِي، أَيْنَ مُنْصَرَفِي
فِي الْغَنَى هَذَا وَذَا دَاعٍ إِلَى شَرَفِ
وَالْجِسْمُ فِي طَرَفٍ، وَالنَّفْسُ فِي طَرَفٍ
وَالْقَلْبُ فِي ذِكْرٍ مَا فَاتَ فِي أَسْفِ
مَالَهَا ثُمَّ لَجَّتْ بَعْدَ مُعْتَرَفِ
أَخْصَرُ (٣٨) قَرِيبَ الْعَهْدِ غَيْرِ وَفِي

وَاللَّهِ إِنْ لَمْ يُدَارِكْهَا وَقَدْ وَحَلَّتْ
وَلَمْ يَجِدْ بَتْلَافِيهَا عَلَى عَجَلٍ

وفي الساعة الثامنة : (٢٩)

(سريع)

هذي ثمان قد قطعن الدجى
مرت وقَدْ نال بها أميل (٤٠)
فجرّد العزم الذي ما نبا
يردّه الخوف ويدعو به
قد قطع البر فقال : الوحي (٤١)
والتذ بالباقي فحث الخطى
مولاي هذا نهج أهل الهوى
واسلك من السير به منهجاً
ولتقرأ النسخة وأترك إلى
وكيف لا يحزّ إرث العلى

وفي الساعة التاسعة :

(طويل)

أمولاي دمت الدهر منصور أعلام
لتعلم ركب الليل أين ركابه
خصصتك يا مولى الملوك بخدمتي
لقد طاب من مثواك في البر مشهد
متى [ما] (٤٥) ترق العين فيه تسهلت [27]
أمولاي دم للحق تغل مناره
وكن واثقاً بالله في كل وجهة
فمهما سللت السيف أمضاه حكمه
ولا تغترب يوماً بخادع زخرف
وكن نحو نود الحق تغشو فكل ما

بلمحة أو يلفظ من لدنه خفي
ما أمرها صائر إلا إلى تلف

في سيرها معتبر الحجاً
ما شاء من أوطاره وأرتجى
والتحف الليل الذي قد سجي [26]
إذا أطاع الخوف داعي الرجا
واقترح البحر فصاح : الوجي (٤٢)
ومر بالفاني فما عرجاً
فاستمع لمن قارب أو لججاً
عن ماذر جل وعمن هجاً
سر المعاني خطها المذمجا (٤٣)
من ورت الأنصار والخزرجا (٤٤)

/ 225 /

بتاسعة الساعات عجلت إعلامي
فقد دخلت للغرب ملتف أجام
وإن كانت الأفلاك من بعض خدامي
غدا الحسن فيه ذا فنون وأقسام
فمن أسد حار ومن عمد سام
ولملك تبد منه في الأفق السامي
يتم عليك الفضل أحسن إتمام
ومهما رميت السهم كان هو الرامي
فإن وجود النور أضعاف أعلام
سواه فحجب من ضلال وأهام

(كامل)

وإِلَيْهِ إِن ذُكِرَ الْكَمَالُ يُشَارُ
لِلَّهِ يُمَضِّي حُكْمَهَا الْمَقْدَارُ
شَمْسًا، وَمَا غَيْرُ الْعِلَاءِ مَسَارُ
لَيْثًا وَمَا غَيْرُ الظُّبَا أَظْفَارُ
حَزْبِ الدَّجَى فَكَأَنَّهُ أَعْشَارُ
تَرْجَى قِلَاصٍ أَوْ تَزَمُ عِشَارُ
فَجَرُّ يَكُرُّ عَلَى الدَّجَى وَنَهَارُ
أَرْجَتْ بِحَضْرَتِهِ لَهَا أَرْهَارُ
خَفِيتُ، وَأَمْرٌ تَحِيتَ أَسْرَارُ
لِلَّهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [28]

يَا مَنْ بِهِ لِلْمَلِئَةِ اسْتِشَارُ
أُمُحَمَّدُ الْحَمُودُ دَمٌ فِي عَصْمَةِ
بَدْرًا وَمَا غَيْرُ الْخَلَافَةِ هَالِكَةُ
غِيثًا، وَمَا غَيْرُ النُّوَالِ سَحَابَةُ
مَرَّتْ مِنَ السَّاعَاتِ عَشْرٌ فَصَلَّتْ
طَابَتْ بِمَوْلِدِ خَيْرٍ مَنْ لَضَرِيجِهِ
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى وَحِثٌ وَرَاءَهُ
ذَبَلَتْ بِهِ زَهْرُ النُّجُومِ وَطَالَمَا
فَلَقَى عَلَى شَفَقٍ يَكُرُّ بِحُكْمَةِ
وَالْكُلُّ مُؤْتَمِرٌ وَمَا فِي ضَمْنِهِ

وفي الساعة الحادية عشر :

(خفيف)

لُدَغْتُ مُهَجَّتِي فَهَلْ مِنْ رَاقِي
كُنْتُ نَسِيئَتُهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
خَلَقْتُ جُورًا عَلَى النُّفُوسِ الرِّقَاقِ
وَتَوَلَّتْ رِكَابَهَا فِي اسْتِيقَاقِ
سَاقٍ شَمَلِ السَّرُورِ أَيْ مَسَاقِ
وَجْهَهُ وَالْحَدِيثُ عَذَبُ الْمَسَاقِ
حَضْرَةُ الْجَمْعِ وَالْحَبِيبِ السَّاقِي
فَاحِمِ الْجَنَنِحِ مُسْتَطَرُّ الرِّوَاقِ
عَلَى هَذَا وَذَا نَذِيرُ افْتِرَاقِ
قَدْ سَرَى الطَّيِّبُ مِنْهُ فِي الْآفَاقِ
سَطَّ وَشَكَرَ، مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِ
وَيُزَمُّ السَّرُورُ بَعْدَ اسْتِيقَاقِ
فِي (...) (٤٨) بِالتَّعْيِيمِ الْبَاقِي
فَهُوَ فِي الْخَلْقِ مَالُهُ مِنْ خَلَّاقِ

يَانَسِيمُ الصُّبَا عَلَى الْأَوْدَاقِ
فِرْقَةُ اللَّيْلِ جَدَّدَتْ لِي (٤٦) عَهْدًا
أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ لَكُنْ سَطَا (٤٧) الـ
قَدْ تَقَضَّتْ عَشْرٌ إِلَى عَشْرٍ عَشْرٍ
أَيُّ عَيْشٍ فِيهِ قَطَعْنَا وَأَنْسَى
شَاهِدُ الْحَقِّ حَاضِرٌ لَيْسَ يَخْفَى
قَدْ خَلَعْنَا نَعَالَنَا وَافْتَرَشْنَا
سَرَّتْ يَا لَيْلُ كَيْفَ سَارَ شَبَابِي
ثُمَّ جَاءَ الْمَشِيبُ كَالصَّبِيحِ إِذْ جَا
صَحَبَ اللَّهُ حَيْثُ سَرَّتْ رِكَابًا
وَتَرَى يَا مُودِّعَ الصُّحُبِ عَنْ غَبِّ
وَيَسْعِدُ الْإِمَامَ تَذَنُّو الْأَمَانِي
جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بَعْدَ طَوْلِ الْعُمُرِ
مَنْ رَأَى أَنَّ لِلْوُجُودِ دَوَامًا

وعند هذه المقطوعة وقع الفضح، واهتزت النفوس وقد أطفها السهد، وأهمها الفراق، وتمثلت لها بانقضاء النعيم العبرة، فتجاوب التأوه، ثم وقع الإجهاش، ثم علا النحيب (٤١)، ثم نودي بالصلاة، فصلّى السلطان - أعزه الله - بوضوء عشائه، ثم أفيض الذكر، ثم كان الأكل، ثم الطيب، ثم الإذن في الإنصراف، وأجمع الإخباريون وشيوخ الرحلة، وأهل الجولة، وأرباب الدول و «من» شارك من ذكر الأعمار في أن هذا الصنيع ما بين محله وطعامه، ومسموعه وألته، بكر الزمان لم ينسج له على منوال، ولا سبقه إلى غاية، والبقاء لله الذي لا تتعاقب عليه الحوادث، ولا يناله الاضمحلال، سبحانه تعالى وحده (٥٠).

هوامش الفصل التاسع

- (١) م : الأزبد، صحته ما أثبتنا.
- (٢) م : وقطعا.
- (٣) م : التحية، وهو تحريف.
- (٤) م : حلف، وهو تصحيف.
- (٥) م : بيته.
- (٦) م : شناء، وهو تحريف.
- (٧) م : الهوى، تصويبه ما أثبتنا.
- (٨) م : العزيرة، وهو تصحيف.
- (٩) م : أكتها، وهو تحريف لأن الوكية ج وكاء : وهو رباط القرية ونحوها.
- (١٠) م : الخزن، وهو تصحيف.
- (١١) م : المخورة، وهو تصحيف صوبناه بما أثبتنا.
- (١٢) م : الصخرية.
- (١٣) م : وواعية، تحريف صوابه ما أثبتنا.
- (١٤) م : النحل.
- (١٥) م : ومحبين، وهو تصحيف.
- (١٦) كذا في الأصل ولعلها سحناءها.
- (١٧) م : مخارن.
- (١٨) م : البروز، صوابه ما أثبتنا.
- (١٩) م : تقر، وهو تصحيف.
- (٢٠) م : اليبسية، وهو تحريف.
- (٢١) م : ما طلعت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٢٢) م : العلق.
- (٢٣) م : بذقية.
- (٢٤) م : قتلها، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٢٥) م : صدا.
- (٢٦) م : بدخنان.
- (٢٧) م : القريض، محيت نقط القاف والضاد.
- (٢٨) م : الحمي، صوابه ما أثبتنا، لأن الحميني نوع من الملحون بلغة أهل اليمن.
- (٢٩) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
- (٣٠) م : فاجعل، وهو تحريف مغل بالمعنى والوزن.
- (٣١) م : التصل.
- (٣٢) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجهم، ص ٥١١.
- (٣٣) م : الساعة، تصويبه من د.

- (٣٤) د : بك.
(٣٥) م : وصلت، محيت نقطة الضاد.
(٣٦) م : الجبايا، وهو تصحيف.
(٣٧) بياض بالأصل.
(٣٨) بياض بالأصل.
(٣٩) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجها، ص ٣٥٢.
(٤٠) د ٣٥٢ : آمن.
(٤١) د : الوجى.
(٤٢) د : فقال النجا.
(٤٣ - ٤٤) ساقطان من د ٣٥٢، وقد أثبتهما المحقق من مخطوطتنا هذه.
(٤٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٤٦) م : جدت بي، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
(٤٧) م : اسطى، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
(٤٨) بياض بالأصل.
(٤٩) م : النجيب، صوابه ما أثبتنا.
(٥٠) م : جده.

تعاليق الفصل التاسع

- [1] المشور : في الإصطلاح الأندلسي والمغربي يطلق على المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم، ولا تزال مستعملة في المغرب.
- [2] اللين : ج لينة، بفتح اللام وكسر الباء، وكذلك بكسر اللام وتسكين الباء، تعني المضروب من الطين الذي يبنى به، وهي مربعة. أنظر (المخصص ١/٣٠).
- [3] إشارة إلى قوله تعالى : "يقلب الليل والنهار أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"، سورة ٢٤ (النور)، آية ٤٤.
- [4] لعله يقصد أرجوزته في فن السياسة التي نظمها بسلا، وعنوانها : "تخصيص الرئاسة بتلخيص السياسة"، وقد تحدث فيها عن السياسة المدنية والأخلاقية، وهي من الآثار التي لم تصلنا. أنظر (عنان : لسان الدين ص ٢٧٤).
- [5] إشارة إلى الثورة التي قامت ضد الغني بالله في ذي الحجة ٧٦٣هـ أكتوبر ١٣٦٢م. أنظر (المتن لوحة ١٢٣).
- [6] ميازيب : ج ميزاب، وهي قناة يجري فيها الماء.
- الخصص : ج خصه : وهي باصطلاح الأندلسيين والمغاربة تعني نافورة. ولا زالت مستعملة إلى الآن في المغرب بنفس المفهوم.
- [7] الميضات : ج ميضاة، وهي مكان للوضوء، وهي لفظة عامية لازالت مستعملة إلى الآن في المغرب. (ابن عبد الله : نحو تفصيح العامية في الوطن العربي ص ١٧٩).
- [8] السلطان أبو الوليد : إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر (١٧ شوال ٦٧٧ - ٢٦ رجب ٧٢٥هـ / ٣ مارس ١٢٧٩ - ٨ يوليو ١٣٢٥م)، أنظر ترجمته مفصلة في (اللمحة البدرية ص ٨٧ - ٩٠).
- [9] الصعدة : قناة طويلة مستقيمة.
- [10] سورة ٥٦ (الواقعة)، آية ٣٠.
- [11] حالي : طايب. - الحزن : الأرض الصلبة الخشنة، ومنه قول السكري :
وما روضه بالحزن قفر مجودة . يمج الندى ريحانها وصبيها
(معجم البلدان ٢/٢٥٤).
- [12] العمامة : من تأثر الأندلسيين بالمغاربة في الأزياء، وقد أشار ابن الخطيب إلى أنها كانت غير مستعملة من قبل، كما أشار المقرئ إلى أن هذا التقليد شاع في الأندلس وعلى الأخص في غرنا. أنظر (النفع ١/١٠٥).
- [13] الروقة : ج رائق، من الفلمان، الملاح الحسان، ومن الناس، خيارهم.
- [14] السنج : ج سانج وسنج، وهو اندر أو الحلي.
- [15] المرى : ما يؤتم به.
- [16] تحميمص : فعله حمص، أي قلى قليلا خفيفا.
- تريبب : فعله رب أو رب، أي طيب.

.. البزود : التوابل.

[17] جوارشات : ج جوارش، تهيأ بالدقيق وماء الزهر والسكر. أنظر (بوزي ٨/٨٥).

V. (- A. Huici Miranda, "La cocina hispano-magrebí durante la época almohade", R.I.E.E.I., V (1957), pp. 252-254).

[18] الحواري : لفظة مشرقية تقابلها اللفظة الأندلسية : "درمك"، وهو خبز مصنوع من أجود أنواع الدقيق.

V. (- E. Carcia Sanchez, "La Alimentación en la Andalucía islámica", Andalucía islámica, II - III, (1983), p. 146).

[19] الكمك : يعتبر من الحلويات، وهو عجينة رقيقة محشو بالوز، ومسحوق السكر... أو بتمر وعسل.. أنظر (ورقات المنوني ص ٢٦٨).

[20] طبرزدن : لعلها طبرزد أو طبرزن، وهي لفظة فارسية تعني السكر عندما يذاب ويجمد لتصنع به بعض أنواع الحلوى.

V. (- F. Steingass, A Comprehensive Persian - English Dictionary).

[21] الثرد : عجينة رقيقة يسقى بعد طزجه بمرق الدجاج أو الحمام...

[22] اخترعت الساعة الميكانيكية في فترة قريبة من عهد أبي عنان، فكان أول من زين بها قاعة الإحتفال بعيد المولد النبوي، وقد أشار الشاعر عبد المنان إليها في قصيدته المولدية التي أنشدها لأبي عنان سنة ١٣٥٦/٧٥٧م، ثم جرى التقليد بذلك في تلمسان والأندلس.. أنظر (بغية الرواد ٢/٤٠ - ٤١ - الجنوة ص ٦١ - ورقات المنوني ص ٢٦٩).

[23] إشارة إلى قوله تعالى : "وان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم". سورة ٦٤ (التقارب)، آية ١٧.

[24] يمين : يكتب.

[25] لم يكن الفني بالله أول من احتفل بعيد المولد النبوي، فقد سبقه المشارقة والعزفيون بسببة، وكذلك ملوك المغرب، انظر تفضيل ذلك في (- ورقات المنوني ص ٢٦٥ - ٢٨٦).

- Salmi Ahmed, "Le genre des poèmes de nativité (Maulūdiyya-s) dans le Royaume de Grenada et au Maroc du XIIIe au XVIIe siècle", Hespéris XLIII, (1956), pp. 335-435).

[26] إشارة إلى قوله تعالى : "والليل إذا سجي". سورة ٩٣ (الضحى)، آية ٢.

[27] تضمين لعجز بيت امرئ القيس :

ورحنا يكاد يقصر الطرف دوننا "متى ما ترق العين فيه تسفل"

وفي رواية أخرى تسفل بدل تسفل. أنظر (الانباري : شرح القصائد السبع ص ٩٨).

[28] سورة ١٣ (الرعد)، آية ١٦.

الفصل العاشر

فصل يشتمل على ذكر ما أنشد في هاتين الوليمتين من المنظوم بين يدي
السلطان - أعزه الله - بغرناطة، على أن تكون خاتمة هذا الغرض من وسائلتي.

فمن ذلك قصيدة من نظمي، أتيت بها سدادا من عوز، وشارطت السلطان /
لمحل الصد (١) والصدوف على تصارييف الخدمة، وهي (٢) :

(خفيف)

ما عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ يَرَى طَائِراً بِغَيْرِ جَنَاحٍ
وعلى الشُّوقِ أَنْ يَشُبَّ إِذَا هَبَّ بِبَاطِنِ أَنْفَاسِكُمْ نَسِيمُ الصَّبَاحِ
جيرةُ الْحَيِّ وَالْحَدِيثِ شَجْوَنُ [1] وَاللَّيَالِي ثَلَاثِينَ بَعْدَ جَمَاحِ (٣)
أَتَرَوْنَ السَّلَاحَ خَامَرَ قَلْبِي بَعْدَكُمْ ؟ لَا، وَفَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ اقْتِرَاحِي عَلَى الْإِيْصَامِ مَا كَانَ بَعْدَكُمْ بِاقْتِرَاحِ
ضَايِقَتْنِي فَيَكُمُ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَاسْتِدَارَتِ عَلَيَّ دَوْرُ الْوَشَاحِ (٤)
وَسَقَتْنِي كَأْسُ الْفِرَاقِ دِهَاقاً فِي اغْتِبَاقِ مَوَاصِلِ بَاصْطِبَاحِ
وَاسْتَبَاحَتِ مِنْ جِدَّتِي وَفَتَانِي حَرَمًا لَمْ أَخْلُصْهُ بِالْمُسْتَبَاحِ
قَصِفْتُ صَفْدَةَ انْتِصَارِي وَفَلَّتْ غَرْبَ عَزْمِي الْمُعَدَّ يَوْمَ كِفَاحِي
لَمْ تَدْعُ لِي مِنَ السَّلَاحِ سِوَى مَغْفَرَةٍ فَرَشِيئِي، أَهْوَنَ بِهِ مِنْ سِلَاحِ
عَاجَلْتَنِي (٥) بِهِ فِي الْوَقْتِ فَضْلُ لَاهُتِزَانِي إِلَى الْهَوَى وَارْتِيَا حِي
فَكَأَنَّ الشَّبَابَ طَيْفَ خِيَالٍ أَوْ وَمِضْ خَبَا عَقِيْبَ التَّمَا حِ
لَيْلُ أَنْسٍ دَجَاءٍ، وَأَقْصَرُ بَلِيلٍ جَاذِبَتْ بِسُرْدَةِ يَمِينِ صَبَاحِ
صَاحَ وَالْوَجْدُ مَشْرَبٌ وَالْوَدَى صَنْفَرَةٌ مِنْ مُنْتَشِشٍ وَأَخْرَ صَاحِي
يَا تُرَى وَالنَّفْسُ أُسْرَى الْأَمَانِي مَا لَهَا عَنْ وَثَاقِهَا مِنْ سَرَا حِ
هَلْ يَبَاحُ الْوَرْدُ بَعْدَ ذِيَادِ [2] أَوْ يُتَاحُ اللَّقَاءُ بَعْدَ انْتِزَا حِ
وَإِذَا أَعْوَزَ الْجُسُومُ التَّالِقِي نَابَ عَنْهَا تَعَارُفُ الْأَرْوَاحِ (٦) [3]
جَادَ عَهْدُ الْهَوَى مِنَ السُّخْبِ هَامٍ مُسْتَهْلُ الْوَمِضِ ضَافِي الْجَنَاحِ
كَلَّمَا أَخْضَلَ الرِّيَوعُ بَكَاءً ضَحَكْتُ فَوْقَهَا ثَغُورُ الْأَقَا حِي
عَادَنِي مَنْ تَذَكَّرَ الْعَهْدَ عَيْدُ كَانَ مِنِّي لِلْعَيْنِ عَيْدُ الْأَضَا حِي
سَفِحتُ فِيهِ لِلدَّمْعِ دَمَاءً فَهِيَ فَوْقَ الْخُدُودِ ذَاتُ انْفِصَا حِ (٧)

وَرِكَابَ سَرَوًا وَقَدْ شَمَلَ اللَّيْلُ — وَكَأَنَّ الظَّلَامَ عَسْكَرُ زَنْجٍ
 لُبْمَسِجِ الدُّجَى جَمِيعَ النَّوَاحِي — وَنَجُومِ الدُّجَى نَصُولُ الرِّمَاحِ
 حَمَلَتْ مِنْهُمْ ظُهُورَ الْمُطَايَا — أَيُّ جِدِّ بَحْتٍ، وَعِزِّ صِرَاحِ
 سَتَرُوا الْوَجْدَ وَهُوَ نَارٌ وَكَانَ السُّ — تَرُ (٨) يُجْدِي لَوْلَا هُبُوبُ الرِّيحِ
 خَلْفُونِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَاكِسَ (٩) الطَّرِ — فِ ثَقِيلِ الْخَطِيءِ مَهِيضِ الْجَنَاحِ
 وَحَدَوَّهَا مِثْلَ الْقَسِيِّ ضُمُورًا — قَدْ بَرَتْ مِنْهُمْ سَهَامُ قِدَاحِ
 وَطَوَّوْا طَوْرَ بَاعِثِ (١٠) الشَّوْقِ وَالْوَجْدِ إِلَى الْأَنْطَحِيِّ غَيْرِ الْبَطَاحِ
 مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ ظُهُورِ النَّبِيِّينَ — هُدَاةَ الْأَنْبَاءِ سَبِيلَ الْفَلَاحِ
 حُجَّةُ اللَّهِ، حَكْمَةُ اللَّهِ، سِرُّ (١١) اللَّهِ فِي كُلِّ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ
 حَاشِرِ الْخَلْقِ عَاقِبُ الرُّسُلِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ بِاللَّهِ بَعْدَهُمْ وَالْمَاحِي [4]
 صَاحِبُ الْمَعْجَزَاتِ [5] لَا يَتَمَارَى السُّ — عَقْلُ فِي أَيَّهَا [الْحَسَانِ] (١٢) الصُّحَا
 مِنْ جَمَادٍ يُقَرُّ أَوْ قَمَرٍ يُنْشَقُّ — شَقُّ الْمَاءِ مِنْ بَنَانِ الرِّيحِ
 دَعْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ مُنْتَظَرُ الْكُفَّانِ — دَعْوَى الْبَشِيرِ بِاسْتِفْتِاحِ [6]
 مَظْهَرِ الْوَحْيِ مَطْلَعُ الْحَقِّ مَعْنَى السُّ — خَلْقِ فَتَحِ الْمُهَيَّمِينَ الْفَتْحِ
 أَيُّ غَيْثٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هَامٍ — وَسِرَاجٍ يَهْدِيهِ وَضَاحِ
 مَا الَّذِي يُشْرَحُ أَمْرُؤُ فِي رَسُولٍ — عَاجِلَ اللَّهِ صَدْرُهُ بِأَنْشُرَاحِ [7]
 شَقَهُ الرُّوحُ ثُمَّ طَهَّرَ مِنْهُ السُّ — قَلْبٍ مِنْ بَعْدِ بِالْبُرُودِ الْقِرَاحِ
 مَدَحَتِكَ الْآيَاتِ يَا خَيْرَ (١٤) الرُّسُلِ — قَمْنِ لِي مِنْ بَعْدِهَا بِامْتِدَاحِ
 وَلَعَجَزَ النَّفُوسِ عَنْ دَرْكِ الْحَقِّ — إِيْقَافِهَا وَقُوفِ افْتِضَاحِ
 مِثْلُ اللَّهِ نُورُهُ فِي الْمَثَانِي — بِمِثَالِ (١٥) الْمَشْكَاةِ وَالْمُصْبَاحِ [8]
 فَازِلُ خَلَّتِي بِإِغْضَائِكَ الْمُبْ — ذُولِ (١٦)، وَاسْتَرْبِهَ عَوَارِ افْتِضَاحِ
 صَلَوَاتِ إِلَهِ يَا نَكْتَةَ الْكُو — نِ عَلَى مَجْدِكَ اللَّبَابِ الصُّرَاحِ
 عَدَدَ الْقَطَرِ وَالرُّمَالِ وَمَاعَا — قَبِ دَهْرٍ غُدُوهُ بِرَوَاحِ
 وَجَزَاكَ الْإِلَهَ أَفْضَلَ مَا يُجْ — زِي هُدَاةَ (١٧) الْأُئِمَّةِ النَّصَاحِ
 أَسْفَى كَمْ أَرَى طَرِيدَ ذُنُوبٍ — أَوْ بَقْتَنِي فَلَيْسَ لِي مِنْ بَرَّاحِ (١٨)
 قَدْ غَزَّتَنِي الْخُطُوبُ غَزَوُ الْأَعْيَادِي — وَبَرَّتَنِي الْهَمُومُ بِزِي قِدَاحِ
 سَبَقَ الْحَكْمُ وَاسْتَقْلَ وَهَلْ يُفْ — نِي قَضَاءُ قَدْ خُطُّ فِي الْأَلْوَا
 لَا لَدُنْيَا جَنَحْتُ أَوْ (٩) لَغَ فِيهَا [9]
 قَاطِعًا فِي الْغُرُورِ بَرْهَةً عَمْرِي — خَسِرْتُ صَفَقَتِي وَخَابَتْ قِدَاحِي
 طَمِعَ الشَّيْبُ بِاللَّجَامِ الْمُحَلِّي — حِينَ أُجْرِيَتْ (١٩) أَنْ يَرُدَّ جِمَاحِي
 فَاثَبْتُ نَفْسِي الْجُجُوجَ وَجَدْتُ — فِي سَمَوِ إِلَى الْهَوَى وَطَمَاحِ

/230

/2:

يا طبيبَ الذنوبِ تديبرُكُ النّاسِ
يا مجلّي العَمَى، وكافي الدّواهي
سُدُّ بابِ القَبولِ دُوني ومالي
خَصَّكَ اللهُ بِالْكَمالِ وَزَنَّدُ السَّـ
قَبْلَ أَنْ يَوجِدَ الوجودَ وَأَنْ يَتَّـ
وَأَضَاعَتْ مِنْ نورِ مِيلادِكَ الأَرْ
فَسَرَى الخَصْبُ فِي الجِسمِ الهِزالي
وَلَقَدْ رُعِيتَ لَدَيْهِ حَقوقُ
بِمَعالي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّـ
ناصِرِ الحقِّ، مُرسلِ النِّقَمِ سُخْباً
وَمُزِيرِ الجِيادِ أَرْضِ الأَعادي
يَتَلَاعَبُنَ بِالظُّلالِ عِراباً
يا سراجَ النّادي وَحَتَفَ الأَعادي
جَمَعَ اللهُ مِنْ حُلَى آلِ عِبابِ
بَيِّنَ رَأْيٍ مُوقِّقٍ وَأَعْتِزَّامِ
وَحَفَّضَتْ الجِناحِ فِي الأَرْضِ حَتَّى
أَنْتَ مُصْبَاحُها وَنورُ دُجَاهِها
مَحْصَنُ اللهِ مِنْكَ يا قوتَةَ المُلُـ
بِخطوبِ أَرْتِ حَدِيثَ سُلَيْمِ
بِيدي فاقِدِ الحِجاءِ هَلْهَلِ الدِيسِ
نَالَ مِنْها عَقْبِي مُسْتَلَمَةَ الكِذِّ
ثُمَّ رَدَّ الأَمُورَ رَدّاً جَمِيراً
فاجَزِهِ (٢٠) فِي الوَرَى الجَميلِ وعامِلِ
واشْتَرِ الحَمْدَ بِالمَواهِبِ واعْقِدْ
بِرِكاتِ السَّماءِ تَبَتَدِرُ الأَرْ
وَتَهْنَأُ بِهِ بِناءَ سَعِيداً [14]
وَتَمْتَنِعُ مِنْهُ بِهالَةِ مَلِكِ
مَشْهُورِ الرَأْيِ، مَجْمَعِ الحَفْلِ، مَثْوَى
وَمَقامِ السَّلامِ فِي مُدَّةِ السَّـ
مُلْتَقَى حِكْمَةٍ وَمُلْعَبُ إلهِها
أَيْنَ كِبَرِي وَأَيْنَ إِيوانِ كِبَرِي

جَمْعُ فِي عُلْتِي ضَمِينُ النِّجاحِ
وَمُدَاوِي المَرَضَى وَأَسِي الجِراحِ
يا غِيائِي سِوَاكَ مِنْ مَفْتاحِ
كَوْنٍ لَمْ يَقْتَرِنْ بِكَفٍّ اقْتِداحِ
حَفَّ بِالنَّورِ ظَلَمَةُ الأَشْباحِ
ضُ وَهَزَّتْ لَهُ اهْتِزازَ ارْتِياحِ
وَجَرَى الرُّسُلُ فِي الضَّرِوعِ الشَّحاحِ
أَقطَعْتُها العَدَى جِناحِ أَطْراحِ
جَاج، لَيْثَ العَدَى وَغِيثَ السَّماحِ
بَيِّنَ سُمْرِ القَناءِ، وَبِيضِ الصَّفاحِ
وَهِيَ مُخْتالَةٌ لِفِرطِ المِراحِ
غَدَّيْتُ فِي الفِلا لِبَاسَ اللِّقاحِ
وَعِمادِ المُلِكِ الكَرِيمِ المَناحِ
سَ لِعَلِيَّكَ فِي سَبيلِ امْتِداحِ
مُسْتَعِينِ وَصارِمِ سَفْاحِ [10]
لَمْ تَدَعْ فَوْقَ ظَهْرِها مِنْ جِناحِ [11]
دافِعِ اللهُ عَنْكَ مِنْ مُصْبَاحِ
كَ وَيَنْبُوعِ العَدْلِ والإِصلاحِ
نَ، وَجاءَتْ بِالحادِثِ المُجْتَاحِ
أُخِي جِراءُ وَدِبِّ اجْتِراحِ [12]
ابِ، إِذْ عانَدَ الهَدَى وَسِجاحِ [13]
لَكَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ وَاِنتِزاحِ
مَنْهُ كَنْزُ الفَنى وَمَثْوَى الرِّباجِ
عَقْبُها فِي مَظَنَّةِ الأَرِياحِ
ضَ إِذا اسْتَوْدَعْتَ بُذُورَ السَّماحِ
جاءَ لِلْمَعْلُواتِ وَفَنقَ اقْتِراحِ
أَطلَعْتَ مِنْكَ أَيَّ بَدْرٍ لِيّاحِ [15]
كُلُّ ذَمْرٍ وَسَيِّدُ (٢١) جَحْجَاحِ [16]
مَ وَمَثْوَى (٢٢) الأَسودِ يَوْمَ الكِفاحِ
مَ وَمَثْوَى السَّرِودِ والأَفْراحِ
لا يَقياسُ الخِصْمُ بِالضَّخْضاحِ [17]

أَيْنَ نُورُ الْإِلَهِ مِنْ عُنْصُرِ النَّارِ
بَنِيَّةٌ كَانَ فَخْرُهَا لَكَ مَذْخُورٌ
رَأَى كَزْفِيرِ الرِّيَاضِ فِي الْأَنْوَاجِ
حِينَ طَابَ الزَّمَانُ وَاعْتَدَلَ الْفَضْلُ [اِسْتَجَدَّتْ وَيَادَرَتْ بِاِفْتِسَاحِ (٢٣)]
هَآكُنْهَا قَدْ تَتَوَجَّعُ بِالْمَعَانِي
حِينَ غَاضَ الشَّبَابُ وَارْتَجَعَ الْفَكَسْرُ وَضَاقَ الْخَطُّ الْعَرِيضُ السَّاحِ
جَهْدُ قَلْبٍ لَفَقْتُ بَعْدَ جِهَادٍ
وَمَعَانِي الْبَيَانِ هُنَّ عَذَارَى
مَا لِشَيْخٍ سِوَى الرَّجْوِ إِلَى اللَّهِ وَنَجْوَى أَهْلِ التَّقَى وَالصَّلَاحِ
وَلُزُومِ الْبَابِ الَّذِي يَجْبُرُ الْكَسْرَ وَوَصَلَ السُّؤَالَ وَالْإِلْحَاحِ
وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ سَاحِرَةٌ الْأَخْصَادُ ثُرَزِي بِكُلِّ خَوْدٍ رِدَاحِ [18]
تَنْفُثُ (٢٥) السَّحَرُ فِي الْعَيْنِ (٢٦) وَتَبْدِي
دُمْتُ فِي عِزَّةٍ وَرَفْعَةٍ مَلِكِ (٢٧)
مَا تَوَلَّتْ دُهُمُ الدَّجُنَّةِ عَذْوًا
وَجَرَتْ خَلْفَهُنَّ شُهْبُ الصُّبْحِ
طُرِدَ الْحُسْنَ لِلْوُجُوهِ الْمَلَاحِ
بَيْنَ مَفِيدٍ مُوَفِّقٍ وَمِرَاحِ

ومن ذلك قصيدة (٢٨) ورد بها من "المرية" قاضيها شيخنا أبو البركات بن
الحاج [19]، اعتذر عنها فأطال الاعتذار بما دل على تمييزه، والله يصرفنا وإياه
إليه، وهي :

(كامل)

اللَّهُ أَكْبَرُ لَاحَتْ الْأَنْوَارُ
وَقَرْنَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ بِلَيْلَةٍ
لَمْ لَا وَهَذَا : لَيْلَةُ الْيَوْمِ الَّذِي
يَوْمٌ بِهِ وَلِدَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى
وَاسْتَبْشَرَ الْأَبْرَارُ مِنْهَا بِالنَّهْيِ
قَصِدُوا (٢٩) بَرُّ الْمُجْتَبَى الْهَادِي الَّذِي
الْمُنْتَقَى مِنْ مَحْتَدٍ مَقْدَارِهِ
جَآءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تُحْفَةً قَادِمٍ
وَصَفَتْ نَفْسُوسٌ وَانْجَلَتْ أَفْكَارُ
فِيهَا كَوْسٌ لِلْسُّرُورِ تُدَارُ
ظَهَرَتْ بِهِ فِي الْعَالَمِ الْأَسْرَارُ
الْحَاشِرُ الْمَآحِي الرُّضَى الْمُخْتَارُ
بِالْقَصْدِ مِنْهَا اسْتَبْشَرَ الْأَبْرَارُ
طَابَتْ بِذِكْرِ حَدِيثِهِ الْأَخْبَارُ
قَبْلَ النَّبِوَةِ دُونَهُ الْأَقْدَارُ
شَهِدَتْ لَهُ الرَّهْبَانُ وَالْأَخْبَارُ

ومنها بعد كثير يرجى عفو الله فيه :

فَبَحَارُ أَحْوَالِ النَّبِيِّ زَوَاخِرُ
فَبِرُوزِهَا عِلْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْ
فَلْذَلِكَ قَامَ بَبْرُهَا (٣٠) الْمَلِكِ الَّذِي
مَلِكُ الزَّمَانِ الْمُرْتَضَى مِنْ فِتْيَانَةِ
فَاسْتَسْقِ مِنْهَا فَالْبَحَارُ بِحَارُ
إِيمَانُ بَادٍ مَا عَلَيْهِ غَبَارُ
بِسَمُودِهِ قَدْ أَلْجَمَ الْكُفَّارُ
مَلَأَتْ بِذِكْرِ عِلَاقَتِهِمُ الْأَسْفَارُ

أَكْرَمَ بِهِمْ قَوْمًا بِصِدْقِهِمْ الَّذِي
الصَّحْبَةُ الْأَخْيَارُ أَعْلَامُ الْهَدْيِ
قَوْمٌ مَفَاخِرُهُمْ جَدِيدٌ ذَكَرُهَا
مَلِكٌ أَقَامَ مِنَ الْهَدَايَةِ مَعْلَمًا
وَأَنَالَ كُلَّ الْخَلْقِ أَقْصَى مَا أَبْتَغَوْا
مَلِكٌ قَدْ انْفَرَدَتْ مَأْثِرُهُ بِمَا
وَلَهُ بِعَوْدَةِ مُلْكِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
آيٌ تَدُلُّكَ أَنَهَا أُخْتِيرَتْ لَهُ
فَمَقَامُهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ مَقْدَمٌ
أُبَشِّرُ (٢١) أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
بِسَعَادَةِ مَوْصُولَةٍ تَقْتَضِي (٢٢) بِهَا
قَالَهُ جُلُّ جَلَالِهِ جَارٌ لِمَنْ

بِهَرِ الْوَرَى، فَتَحَتْ لَنَا الْأَمْصَارُ
الصَّالِحُونَ السَّادَةُ الْأَنْصَارُ
فَالْدَهْرُ يُبْلِي وَالْفَخَارُ فَخَارُ
طَمَحَتْ لَعْنُ مَقَامِهِ الْأَبْصَارُ
مَنْ بَعْضُهَا الْأَوْطَانُ وَالْأَوْطَارُ
عَظُمَتْ بِهِ فِئْسِي الْمَغْرِبِ الْأَثَارُ
شَطَطَتْ بِهِ عَنْ مُنْتَدَاهُ الدَّارُ
وَاللَّهُ جَلُّ جَلَالِهِ يُخْتَارُ
وَتَنَاوُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَغْطَارُ
لَا زَالٌ مِمَّنْ شَأْنُهُ اسْتِبْشَارُ
وَاللَّهُ يَحْرُسُ مَجْدَهُ الْأَقْدَارُ
يُرْضَى بِرِيتِهِ، وَنِعَمَ الْجَارُ

235 /

ومن ذلك قصيدة الفقيه قاضي الحضرة كان، صاحبنا المغرب في البحور
(٢٣)، أبي جعفر بن جزى [20] :

(كامل)

لَوْلَا ادِّكَارِي مَفْهَدُ الْأَحْبَابِ مَا
بَعْدَ الْمَزَارِ فَهَلْ يَعُودُ لِقُرْبِكُمْ
قَدْ كَانَ فِي طَيْفِ الْخِيَالِ تَعَلُّلُ
زَادَ الضَّنَى مَذْ بَانَ مَنْ أَحْبَبَيْتُهُ
أَخْبِرْ بِمُحَرَّرِ الْمَدَامِ مَالِكِي
لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الْوَصَالِ رَجَعَتْ لِي
مِنْ بَعْدِ وَخْطِ الشَّيْبِ مَالِي وَالْهَوَى
أَمَّا الشُّبَابُ فَكَانَ أَذَقَ سَابِقًا
لَمْ أَذْرِ حُكْمَ الْغَبْنِ حَتَّى أُثْبِتَ
خَطُّ اللَّيَالِي أَيْضَ فِي أَسْوَدِ
قَالُوا : الْخَضَابُ يُحِيلُهُ، كَلَّا، وَهَلْ
الشَّيْبُ أَوْعَظُ وَأَعْظُ لَكُنْهُ
وَأَنْسَتْ نَارًا مِنْهُ أَسْتَهْدِي بِهَا
هَلَا أَنْثَيْتِ عَنِ الْهَوَى وَحْدَيْهِ

كَانَ دَمْعِي دَائِمَ التَّسْكَابِ
مَنْ بَ يَغْنُ مِنَ الْبِعَادِ بِصَابِ
لَكِنْ نَوْمِي عَنْ جَفُونِي نَابِي (٢٤)
(و) تَرَاهُ أَوْصَافِي إِلَى أَوْصَابِ
تَرِ مَالِكًا يَرُوي عَنْ ابْنِ شَهَابٍ [21]
لَارَحَتْ دَهْرِي مِنْ طَوِيلِ عِتَابِ
أَسْفَا تُكْنَى (٢٥) بِي أَوْبَةَ الْمُتَابِ
وَالآنَ هَذَا الشَّيْبُ أَشْهَبُ كَابِي
مَنْ الزَّمَانِ حَمَامَةً بِفَرَابِ
مَكْسًا بِهِ نَسَخَتْ عَهْدَ شَبَابِي (٢٦)
تَخْفَى النُّجُومُ عَنِ الْوَرَى بِخَضَابِ
مَا يَرْعَوِي إِلَّا أَوْلَا الْأَبْصَابِ
وَرَأَيْتُهُ يَسْمُو سَمُو حَبَابِ
كَمْ ذَا التَّصَابِي (٢٧)، لَاتَ حِينَ تَصَابِ

ما إن أراك مزايلًا زلًا ولا
يا زائري أرجاء "طيبة" [23] فزتم
دار النبي ومهبط الوحي الذي
مغنى الأحبة فالتئموا ما شئتم
متوقدات قلوبنا في ركبكم
فدموعنا (٢٩) من بعدكم ذاك الذي
قد أشرقت بكم الفلا (٤١) وتعطرت
يا شاغل الأيام هل من مسعد
ألمي على طول الزمان جلولها
سعدني إذا عرست في عرصاتنا
إن قيل ما يثني العنان عن السرى
فقصيت في الترحال حباً صادقاً
هلاً سرى بي للسعادة همّة
(و) عسى اللقاء بتوبة مقبولة
إن ضيقت ذرعاً بالذنوب فإنني
هو صفوة الله الأمين لوحيه
من معدن الشرف الذي تر بانه [26] (٤٢)
من عهد آدام لم يزل متنقلاً
إيوان كسرى ارتج عتد ظهوره

/237

ومنها بعد استكثاره من المعجزات :

حللاً بحلة (٢٨) زينب [22] ودباب
بيلوغ آمال ونيل طلاب
يهدي بنود سنة وكتاب
من در حصباء ومسك تراب
لمع الأسنان في رؤوس حراب
يفشاكم من كل ما (٤٠) وسحاب
من كل قفر موحش ويباب [24]
يهدي "لطيفة" عزمي وركابي
فحلولها زلفى وحسن مآب
وإذا ثوى بي بينهن ثوابي
لم ألف عذرا وأفيا بجواب
وقعدت صحبة صبري الكذاب
غرث من الدنيا بلمح سراب
يُمحى بها ذنبي العظيم وعابي [25]
أرجو الشفاعة منه يوم حسابي
والمصطفى من أظهر الأنساب
قد قدست فسمت عن الأتراب
في أظهر الأرحام والأصلاب
أي ارتجاج مؤذن بتبباب

وأقول ما إن تنقضي بحساب
فعل الكريم المخبت (٤٣) [27] الأبواب
أغربت فيها أيما إغراب
رحبت طولك أيما إرحاب
أوصافه فاتت مدى الإطناب
وكذا المحاسن جمّة الأسلاب
أي منازل وقباب (٤٤)
وهو البديع وكل قلب صاب
والشمس تخفي نور كل شهاب
بالفن في الإعجاز والإعجاب
وما أثر تبقى على الأحقاب

ويقال ألف عذ في آياته
وأفاك مولده فقامت بحقه
ولقيت وافده بكل كرامة
فيه وما زلت الكريم المرتجى
وأقمت ليلته بأبهى مصنع
سليت محاسنه القلوب بأسرها
فيه القباب الشامخات وإنها
وهو الرفيع وكل طرف شاخص
وهو الذي عنه القصور تقاصرت
شيدتهن مصانعا وصنائعا
لحمّد خير الملوك مفاخر

تحكي أنامله الغمام إذا همى
تصل^(٤٥) الخطوب إلى ذكاء ذكائه
شيم جرى فيها على أعراقه
من آل نصر ناصر دين الهدى
من مثلهم للجود يهمي جوده
ما بعد حق الله عندهم سوى
كم أصلحوا من فاسدكم أصلحوا
أنا غرس نعمتك الذي أثبتته
لي خدمة ومحبة وتشيع
وعقائل في مدح والدك الرضى
بك نامل النصر العزيز وترتجي
أولاك ربك كل ما أملتته

ومن ذلك قصيدة الفقيه الرئيس الحسيب، جامع أشتات الفضائل، أبي زيد
عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، القادم على الباب النصري [28]، نازعا عن
خطة الإنشاء بباب السلطان ملك المغرب، حيننا إلى بلد سلفه أفريقية، متلقى
بالترحب الذي تذخره الملوك والفضلاء لمثله (٤٧):

(بسيط)

حي المعاهد كانت قبل تحييني
إن الألى^(٤٨) نزحت داري ودارهم
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم
أمثل الربع من شوق فائثمه
ينهب الوجد مني كل لؤلؤة
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل
أحبابنا هل لعهد الوصل مذكر
مالي وللطيف لا يعتاد زائره
يا أهل نجد وما نجد وساكنها
أعندكم أنني ما مر ذكركم
أصبو إلى البرق من تلقاء^(٥٢) أرضكم
يا نازحا والمنى تذهيه من خلدي

بواكف الدمع يرويها ويظميني
تحملوا القلب في آثارهم دوني
فيهم وأسأل ربعا^(٤٩) لا يناجينني
وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
ما زال جفني^(٥٠) عليها غير مأمون
فالدمع وقف على أطلاله الجون^(٥١)
لو أن قلبي إلى السلوان يدعوني
منكم وهل نسمة عنكم تحيينني
والنسيم عيلا لا يداويني
حسنا سوى جنة الفردوس والعين [29]
إلا اثنتيت كان الراح يثني^(٥٢)
شوقا ولولاكم ما كان يصبينني
حتى لأخسبه قربا يناجينني

أَسْلَى هَوَاكَ عَنْ سَوَاكَ وَمَا
تَرَى اللَّيَالِي أَنْسَتَكَ ادُّكَارِي يَا
يَا حَادِي الظُّلَمِ تَهْوِي فِي أَعْنَتِهَا
دَعُهَا وَظَلَّتْهَا لَا تَهْدِ ضَلَّتْهَا
لَهْفِي لِنَفْسِي وَمَا لَهْفِي بِمَغْنِيَةٍ
تَسْعَى إِلَى زُخْرَفِ الدُّنْيَا عَلَى عَجَلٍ
أَبْعَدَ مَرُّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ
أَضَعَتْ مِنْهَا نَفِيساً وَمَا وَدَّتْ بِهِ
وَاحْشَرْتِي (٥٩) مِنْ أَمَانٍ كُلِّهَا خُدْعُ
شَكْوِي إِلَى اللَّهِ مِنْ نَفْسٍ تُحْمَلُنِي
حَسْبِي اعْتَصَامِي بِحَبِّي فِي النَّبِيِّ فَمَنْ
نُورِ الْهُدَى مُصْطَفَى الْأَكْوَانِ غَايَتِهَا
نُشْدَةُ الْكَوْنِ سِرَّ الْحَقِّ مُظْهِرِهِ
الْمُجْتَبَى لِهْدَى الْأَنَامِ بِهِ قَدْ مَا (٦٠)
خَرْتُ لِمَوْلَدِهِ الْأَوْثَانِ خَاشِعَةً
وَضَاءَ بِالشَّامِ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهِ
هَذَا وَكَمْ آيَةٌ جَاءَتْ بِبِعْثَتِهِ
يَا سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ
مَنْ لِي بِهَا عَزْمَةٌ تَسْطُو عَلَى كَسَلِي
أَرْجُو أَنْ نَصْرَ لِنَصْرِي كُلَّمَا امْتَنَعْتَ

/240

مُحَمَّدَ بْنَ الْحُجَّاجِ ثَامِنَ أُمِّ
سَمَحَ الْخَلِيفَةِ (٦٠) مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ قَدْ
الْجُودُ دُونَ نَدَاهُ غَيْرُ مَطْرِدٍ
وَأَفْتِ خِلَافَتُكَ الْغُرَاءَ - لَا عُدْمَتُ -
دَجْتُ سَعُودَكَ لَيْلَ الْخُطْبِ حِينَ دَجَا
أَقَمْتُ لِلْمَلِكِ مَا يَعْتَادُ مِنْ شَرَفٍ
فَأَلَمْتُكَ مِنْبَسَطُ الْوَدِينِ مُغْتَبِطُ
لِلَّهِ لَيْلَتُكَ الْغُرَاءَ إِنَّ لَهَا
أَحْيَيْتُ مُجْتَهِدًا دِينَ النَّبِيِّ بِهَا
كَفَاكَ فَخْرًا وَمَجْدًا أَنْ حُبُّهُمْ
يَا مُصْنَعًا [30] شَيْدَتْ مِنْهُ السَّعُودُ حَمَى

/241

سَوَاكَ يَوْمًا بِحَالٍ عَنْكَ يُنْسِينِي (٥٤)
مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَهُ الْأَيَّامُ تُنْسِينِي (٥٥)
مَقْتُونَةٌ بَيْنَ تَرْجِيمٍ وَتَرْنِيمٍ (٥٦)
فَنَفْحَةُ الدَّارِ تَهْدِيهَا وَتَهْدِينِي
أُطِيعُهَا فِي أَمَانِيهَا وَتَعْصِينِي
وَتَرْجِيءُ السَّعْيِ فِي الْآخِرَى إِلَى حِينٍ (٥٧)
أُولَى (٥٨) لِلشُّبَابِ بِإِحْسَانِي وَتَحْسِينِي
إِلَّا سَرَابٌ غَرُورٌ لَا يَرْوِينِي
تَرِيشُ عَنِّي (٦٠) وَمِنْ الدَّهْرِ يَبْرِينِي
مَتْنِي الْغُرُورِ وَإِنْ أَقْصَرْتُ تُغْرِينِي
يَذْخَرُهُ (٦١) يَظْفَرُ بِأَجْرِ غَيْرِ مَمْنُونٍ
حُكْمُ الرِّسَالَةِ فِي بَعْثِ وَتَكْوِينِ
بُشْرَى النَّبِيِّينَ فِي رَمَزٍ وَتَغْيِينِ
وَأَدَامَ بَيْنَ هَذَا (٦٢) الْمَاءِ وَالطِّينِ
وَانْقَضَتْ عَلَى الشُّبِّ رَجْمًا لِلشَّيَاطِينِ (٦٤)
قَصُورٌ بَصْرِي بِإِيضَاحٍ وَتَبْيِينِ
وَمُعْجَزَاتِ جَلِيلَاتِ الْبَرَاهِينِ
وَشَافِعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحِشْرِ وَالْدِينِ
وَمَنْ حَمَاهُ وَإِنْ أَقْصَيْتُ تُدْنِينِي
مَوْلَى الْمُلُوكِ وَسُلْطَانِ السُّلَاطِينِ

لَاكِ الْهُدَى وَالنَّدَى الشَّمُّ الْعَرَانِينَ
أُولَى الْوَدَى كُلُّ تَأْمِينٍ وَتَهْدِينٍ
وَالنَّجْحُ عِنْدَ سِوَاهُ غَيْرُ مَضْمُونٍ
بِكُلِّ عَدْلٍ وَإِحْسَانٍ وَتَسْكِينٍ
وَبَيْنَ الصَّبْحِ مِنْهَا أَيْ تَبْيِينٍ (٦٦)
ضَخْمٌ وَقَمْتُ بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ (٦٧)
حَازَ الْكَفِيلَيْنِ مِنْ عَزٍّ وَتَحْصِينِ
فَخْرًا يَطْرُقُ أَوْرَاقُ الدَّوَاوِينِ
وَمَجْدُ آبَائِكَ الْغُرِّ الْمِيَامِينِ
شَهِيدٌ صَدَقَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْدِينِ
لَا يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بَتَهْوِينِ

صرحَ يحارُ لديهِ الطرفُ مفتتناً
بعداً لإيوانِ كِسرى إنْ مشوَّك السَّـمِ
ودعَ دمشقَ ومغناها فقصرَكَ ذا
يا بولَةَ النصرِ والتأييدِ الحَفها
أعدتْ أيامها الأولى بأنْدلسِ
مَنْ مبلغُ جيرةِ بالغورِ [33] قدْ جهلوا
أنِّي أويتُ من العليّا إلى حرمِ
وأُنِّي ظاعناً لم ألقَ بعدُهم
لا كالتّي أخفرتُ عهدِي ليالي إذْ
سَقياً ورغياً لياامي التي ظفرتُ
أرتادُ منها ملياً لا يماطلُنِي
وهاكُ غُرُ قوافِ طيها حكمِ
تلوُّجُ إنْ جليتُ درأً، وإنْ تليتُ
عانيتُ منها بجَهدي كلَّ شاردةٍ
يمانسُ الفكرُ عنها ما تقسّمهُ
لكنْ بسعدك ذلتُ لي شواردها
بقيتُ أمرُك (٧٦) في أمنٍ وفي دعةٍ

فيما يروقك من شكل وتلوين
أشهى إلى القلبِ من أبوابِ جيونِ [32] (٧٠)
رأيُ ابنِ نصرٍ بتأييدِ وتمكينِ (٧١)
تزري جمالاً على أيامِ هارونِ (٧٢)
ودّي وضاعَ جماعُهم إذْ أضاعوني
كانتُ مغانيه بالشرى تحييني
دهراً أشاكي ولا خصماً يشاكيني
قلبي يقلبُ بينَ الخوفِ والهونِ (٧٤)
يداي منها بحظٍّ غيرِ مغبونِ
وعداً وأرجو كريماً لا يعنّيني
مثلُ الأزاهرِ في طيِّ الرياحينِ
تثنّي عليك بأنفاسِ البساتينِ
لولا سعادك ما كانتُ تواتيني
من كُلى حُزنِ بطيِّ الصدرِ مكنونِ
فرضتُ منها بتحبيرِ وتزيينِ
ودامَ ملككُ في نصرٍ وتمكينِ

42 /

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه، قاضي الحضرة الحبيب، الحسن السميت
(٧٧) أبي الحسن بن الحسن [34] بعد اعتذار ومطالبة شهدا بصحة تمييزه :

(طويل)

دعاني وإجراءَ الدموعِ السواكبِ
وهجاً على [الشرقي من] (٧٨) رامة [35]
ورائي لأهوى وأهيم على النوى
فلله عيننا من رأها معاهداً
كان شذاها عندما هبت الصبا
ثناء أمير المسلمين محمد
فما شئتُ من علمٍ وحلمٍ وحكمةٍ
جرى في رضى الرحمان ملءَ عنانه
وقام بميلاد الرسول سميّهُ
توارث حبّ المصطفى عن رجاله

ولا تعدلاني إنني غيرُ أيّـبِ (٧٨)
لنقضي في أطلالها بعضَ واجبِ
بتلك المساعي أو بتلك المذاهبِ
هواها وإن طال المدى غيرُ ذاهبِ
على إثر منهلٍ من الغيث ساكبِ
إذا رفقتُ قصّاده في المواهبِ
ورأي إلى فهمٍ من الفكرِ صائبِ
وأبدي لداعي الفوز وجهَ مراقبِ
قيامَ إمامٍ للرشادِ مُصاحبِ
وأكرمَ بهم من أسرةٍ وأقاربِ

حُماة النبي الهاشمي الذي لهم
محمّد المبعوث للخلق رحمة
فلولاه كان الناس بجهلهم
فأرشد حيرانا وأمن خائفنا
وبين دين الله حتى علا اسمه
وأمسى حمى الإسلام كهفاً لوارد
هو المنتقى المختار من صلب آدم
فإن عدّ فضل أفحموا (٨١) كل قائل
والله من ميلاده أي ليلة
أضاعت قصور الشأم وأخمدت
تعالت فما يستطيعها وصف وأصف
ولو لا عوادي الدهر سرنا لقبره
وخضنا عباب البحر شوقاً وأصبحت

ومنها

بَنَظَرْتَهُ المجد الرفيع المناصب
تعم الوري منها كرام الرغائب
حيارى جميعاً نهب أيدي النواصب
وأندّر إنذار المثيب المعاقب
علي كل دين واقتضى كل واجب
وأمناً لمرتاع ومأوى لهارب
وأصحابه الأعلون خير الأصحاب (٨٢)
وإن عدّ فخر أعجزوا كل حاسب
مدى الدهر قد فازت بأسنى المراتب
بفارس نار للظنون الكواذب
ولا نظم ذي نظم ولا كتب كاتب
وبدل بالقرطاس وخد الركائب
مكان الجواري سابقات النجائب

أموالي ما أعلى مقاصدك التي
عفوت عن الجاني وأحسنّت للذي
وطهرت (٨٣) دار الملك من دنس العدى
وأظهرت مغناه بذاتك للورى
فمن مصنع أحكمته عن وراثته (٨٤)
عليه من الحسن الذي جل قدره
تدفق بحر الجود فيه فكله
توحيّت للشورى به أي مصنع
ومن فتية للمفلوات جلبتها
لها من حلاك الغر فيض مناقب
أثار عليها حسن نيتك التي
وغير نكير أن يعود لأصله
فانت الإمام العادل الملك الرضي (٨٥)
هم كسروا كسرى وفضوا جموعه
فهم عزوا (٨٦) دين الحق أول أمره
سينصرك الرحمان نصراً مؤزراً

مذاهبها في الجود خير مذاهب
أساء ولم تقطع رجاء لراغب
بماء (٨٣) تقى ما شابه شوب شائب
فأحلتته أغنى مراقبي المراتب
من الملوك لم تعلق به يد غاصب
عن الشرح أنهى مغريات الغرائب
يراجع بالسراء كل مخاطب
يفيد عباد الله حفظ الجوانب
وأنت رعاك الله أشرف جالب
وفاء وإغضاء وطيب مناسب
بها نلت ما قد نلت من مطالب
بسعيتك فضل أو يرى غير ذاهب
سليل الملوك الأكرمين الأطايب
وهم حاربوا في الله كل محارب
فكنت له من بعدهم خير عاصب
وتبلغ في الأعداء كل المارب

وَتَفْتَحُ مِنْ أَقْطَارِ رُومَةٍ عَنُودُ
تَجُوسٍ خِلَالِ الدَّوْرِ مِنْهَا بَعْسُكِرِ
لَهُ مِنْ صَلِيلِ الْهَيْئَةِ رَعْدٌ وَبَارِقُ
هَنِيئاً لَهَا الْبُشْرَى بِأَسْعَدِكَ الَّتِي
فَجَيْشُكَ مَنْصُورٌ وَأَمْرُكَ غَالِبٌ
وَهَاكَ مِنَ الْمَمْلُوكِ عَبْدُكَ خَالِصاً
بَقِيَتْ لَدَيْنِ اللَّهِ تَحْمِي دِمَائِهِ

مَعَاقِلَ قَدْ حَازَتْ عِظَامَ الْمَكَاسِبِ
يَمُرُّ إِلَى الْهَيْجَاءِ مَرُّ السَّحَابِ
كَشَائِمَةٍ (٨٧) مِنْ لَمَعٍ بِيضِ الْقَوَاضِبِ
جَلَا نَوْرُهَا الْوَضَاحَ لَيْلُ النُّوَابِ
وَرَأَيْكَ مَعْضُودٌ بِحُسْنِ الْعَوَاقِبِ
حَدِيقَةً فَكَّرَ صَوْبُهَا غَيْرُ نَاضِبِ (٨٨)
وَحَفَّتْ بِكَ السَّرَّاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه الكاتب (٨٩) البليغ القاضي، الشاعر المفلح،
أبي إسحاق بن الحاج [36]، وحكم الأصحاب ليلتذ بتراجيع طبعه، وأنا أقول : هو
الحميم وإن صدع مدعاه.

(مقارب)

رَعَى اللَّهُ نَجْدًا، وَحَيَا الْخِيَامَا
وَرَوَى بَعَيْنَيْنِ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي
وَقَدَسَ دُونَ الْحَمِي أَرْبَعًا
وَبِالْأَجْرِ الْفَرْدِ مِنْ حَاجِرِ [37]
وَقَفْتُ عَلَيْهَا أَنَا وَالنَّسِيمُ
كَأَنَّ اللَّوَّاحِظَ أَعْدَاؤُنَا (٩٠)
وَدُونَ الْغَضَا جِيرَةً خَلَّتْهُمْ
وَعِيدٌ لَدَى الْحَيِّ عَارِضُنَا
وَرَأَى الْكَلَامُ فَيَا لَيْتَ لَوْ
أَزَاهَرُ حُسْنُ بَرُوضِ الصَّبَا
وَفَاتِنَةُ إِنْ تَشَأْ يَوْمَ طُغْنِ (٩١)
مَنْ السَّالِبَاتِ عَقُولُ الرِّجَالِ
إِذَا مَا أَرَادَتْ بَنَّا نَشْنُوءُ
وَقَالُوا حَكَى الْخَضِرُ مِنْهَا فَوَادِي
وَمِمَّا أَثَارَ لِي الرُّجْدُ بِرَقِ
وَنَفْحَةُ رِيحٍ أَتَتْ مِنْ زُرُودِ [38]
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو وَإِنَّ الْعَذَابَ

وَأَنْ هِيَ هَاجَتْ لِقَلْبِي غَرَامَا
وَصَوَّبَ السَّحَابَ دَارِي أَمَامَا
حَمَتَ مَقْلَتِي أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا
مَنَازِلُ هَامَتَ بِمَنْ فِيهِ هَامَا
سَقِيمِينَ هَذَا وَذَا قَدْ تَرَامِي
فَكُلُّ الثَّلَاثَةِ تُبْدِي سَقَامَا
يُشْبِهُونَهُ بِفَوَادِي (٩١) ضَرَامَا
وَمَا عَرَفَ اللَّثْمُ إِلَّا اللَّثَامَا
جَعَلْنَ مَكَانَ الْعُقُودِ الْكَلَامَا
فَتَقَنَّ الْهُوَادِجَ عَنْهَا كَمَامَا
رَمَتْ كُلُّ رَمَحٍ وَهَزَّتْ قَوَامَا
عَلَى سُرْعَةِ الْحَبِّ مَاتُوا كَرَامَا
سَقَتْنَا شَمَائِلَهَا لَا الْمَدَامَا
صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْعَدَامَا
ظَنَّنَاهُ بَيْنَ الثَّنَايَا ابْتِسَامَا
بَهَبَّتْهَا الرُّكْبُ مَاتُوا هِيَامَا
عَذَابُ التَّفَرُّقِ مَاتُوا كِرَامَا

وكالقلب مني بذني (١٧) البان طارت
وقد هيّجتني وهيّجتها
وقد تعب الغصن ما بيننا
وعرس بالجفن ركب السهاد
وما الدمع عذب ولكنّه
وحدّ الهوى والزمان الذي
لقد بلّل الدمع إلا غليلي
وقد عيل صبري ويارب صبر
بنفسي حبيب أطل انتزاحي
هو الحب جرينا هـازلاً
ويا عاذل الصبح كن راحماً
عجبت لبرق من الشوق ما إن
وسحب من الدمع قد أنبتت
لحي (١٧) الله مثلي أيرضى الهوى
وقد حال حال الحبيب الذي
وأبصر ليل الشبّاب الذي
وقد بين الصبح صبح المشيب
وكم حبة لي قد أصبحت
فأها علي الخيف أها وأها
وما في مني من منى أينقت (١٨)
وكم لي في مكة من عهد
ألهي وقد بان عني الحطيم
كأنني لم أصحب الركب وفنا
بعوج ضامر مثل القسي
وفتيان صدق إذا ما سروا
تراهم سكارى كأن الصبا
ودائمة السير أرمي بها
ومن أجل قصدي لبنت حرام
ومن هاجت الشوق بالمنحني
وشامت على بارق [40] بارقاً
وحيث العقيق [41] وقد صغته

/24

/2

مطوّقة قد رعت لي ذماماً (١٣)
فأبكي حميماً وتبكي حميماً
فيهفو وراء وتهفو أماماً
فما سار لكن أطل المقام
على مويّد الدمع وإلى ازدحام
هو القصّد للصّب لو كان دأماً (١٤)
وأننى التفرّق إلا الهيام
جعلت له مسك ليلى ختاماً
وأسهرني طول ليلى وناماً
بي الدهر قل لي : هواني على ما ؟
والأ فأبدل (١٥) لي الميم لأما
يغب وميضاً إذا القلب شاماً
بجنبي قتاداً ورأسي ثغاماً [39] (١٦)
وما صنع الوجد عاماً فعاماً
محبته الدهر كانت لزاماً
عهدت به للتصابي اكتتاما
لغير امرئ عن هواه تعامى
تحج خصيماً بها ما استقاماً
وطيب النعيم بعرف النعام
عيون الزمان وكانت نياماً
نشدت بها زمزماً والمقام
فلا كان جمعي لدنيا حطاماً
مطيلاً لطيب النسيم انتساماً
تسرّد للبيد مناً سهاماً
أثاروا أدكاراً (١٧) وخلوا زماماً
أدارت عليهم مداً مداً
أمام الحداة عراقاً وشاماً
خلعت المنام عليها حراماً
ففي مثله من ضلوعي أقاماً
سل الخد مني وحلى (١٨) الحزام
من الدمع وإلى عليه انسجاماً

وَلَا حَتَّ قُبَا [42] وَالنَّخِيلُ الَّتِي
كَمَثَلُ الْعِرَائِسِ حَلِيَّتُهَا
وَيَا نَ الْبَقِيْعُ [43] الَّذِي كَانَ وَارَى
وَلَا حَتَّ بُدُورُ تُسَمَّى وَجُوهَا
وَجِئْتُ لِأَدْخُلَ بَابَ السَّلَامِ
وَوَزَّتُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ الَّذِي
أَجَلَ النَّبِيِّينَ وَالرَّسُلَ طَرَأَ
<فَلَمَّتْهُ مِنْ بَهَائِلِ هَاشِمٍ
لِمَوْلِدِهِ قَدْ أَضَاءَ الدُّجَى
وَفِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَذْرِي اللَّيْبُ
كَانَ الشَّرَارِيْفَ هَامُ الْعِدَى
وَمَاءَ الْبَحِيرَةِ لِلْفُرْسِ غَاضُ
كَانَ الَّذِي غَاضُ مِنْ مَائِهِمْ
وَالْأَفْنَارُ هُمْ أَنْتَقَلَبْتُ
وَقَدْ عَوْضُوا الْمَاءَ بِالدَّمْعِ كِي
وَرَامُوا انْطِفَاءً لِنَارِ الشَّجُونِ
لَطِيفُهُ سُرُّ الْجَمَالِ الَّذِي
وَلَوْلَا مَا كَانَ هَذَا الْوُجُودِ
وَلَا ارْتَسَمَتْ فِي طُرُوسِ الْعُقُولِ
لَهُ الْقَمَرُ انْشَقَّ فِي مَكَّةَ
وَلَكِنْ هَذَا عَرَاهُ نَضِيمًا
وَمَا دَعَا اللَّهَ جَادَتْ سَحَابُ
وَالْحَفَافَا فِي مُلَاءِ النَّسِيمِ
وَقَدْ قَتَلَ الْمُحَلَّ سَيْفُ الْبَرْدِ
كَتَبَعَ أَنْامِلُهُ قَدُمْتُ
وَفِي الشَّامِ قَدْ ظَلَلَتْهُ الْغَمَامُ
سَرَتْ بَيْنَ شَمْسَيْنِ كَلْتَاهُمَا
وَلَكِنْ ذَاتُ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ
وَقُلْتُ فِي النَّاسِ عِدُّ الطَّعَامِ
وَحَنُّ لِي الْجَذْعُ مِنْ فُرْقَةٍ
وَلَوْ أَوْدَقَ الْجَذْعُ مِنْ فَرْحَةٍ

يَطِيلُ النَّسِيمُ لَهْنُ انْتِشَامًا (١.٧)
بِدَمْعِي نَثَارًا وَشُعْرِي نِظَامًا
مَنْ الطَّيِّبِينَ عِظَامًا عِظَامًا
بِأَفْقِ سَمَاءٍ تُسَمَّى خِيَامًا
فَأَسْمَعْتُ قِيلًا : سَلَامًا سَلَامًا
بِرُوحَتِهِ قَدْ جَمَدْتُ (١.٨) احْتِشَامًا
وَخَيْرُهُمْ أُمَةٌ وَانْتِشَامًا
وَزَفَرَةٌ أَزْهَرَ قَدَمًا هُمَامًا
وَأَيَّوَانُ كَسَرَى أَرَاهُ انْتِزَامًا
بِقَاءَ لِدَوْلَتِهِ وَأَنْصَرَامًا
بِرَتِّهَا السُّيُوفُ فَلَمْ تُبْقِ هَامًا
وَأُطْفِئَتْ النَّارُ دَامَتْ دَوَامًا
بِنَابِغِهِ هَيْكَلُ النَّارِ عَامًا
لَأَضْلَعَهُمْ حَسْرَةً وَاغْتِمَامًا
يَزِيلُ الْأَوَامُ فَزَادَ الْأَوَامُ [44]
فَمَا زَادَهَا الدَّمْعُ إِلَّا احْتِدَامًا
بِيَهْجَتِهِ الْكَوْنُ رَاقٍ ابْتِسَامًا
وَلَا انْقَسَمَ الْحَسَنُ فِيهِ انْقِسَامًا
حُرُوفُ الْحَقَائِقِ مِنْهُ ارْتِسَامًا
كَقَلْبِ الْعَدُوِّ الَّذِي فِيهِ لَأَمًا
وَمَا انْضَمَّ قَلْبُ الْعَدُوِّ انْضِمَامًا
بَوَدَّقِي تَخَلَّلَ (١.٩) مِنْهَا رُكَامًا
جَوَارِي مَزْنٍ تَبَارَتْ سَجَامًا
وَوَالَتْ عَلَيْهِ الْغَوَادِي اقْتِحَامًا
إِلَى الْعِدَدِ الْجَمُّ مِنْهَا جَمَامًا
فِيَا شَرْفُ اللَّهِ تِلْكَ الشُّمَامَا (١.١٠)
بِنُورٍ وَهْدِي يَسُرُّ الْأَنَامَا
مَنْ الشَّمْسِ أَجْلَى وَأَعْلَى مَقَامًا
وَكَثُرَ بِاللُّمْسِ مِنْهُ الطَّعَامَا
(.....) (١.١١) أَمَا
لَأَوْدَقَ لِمَا رَأَى التَّزَامَا

ولكنه في جنان الخلود
وبالك من عاقب حاشري
لأنصاره الفخر جد التحاقاً
هم ما هم والقنا شرع
هم ما هم والشرى ظامي
والله سعد [45] ومن عاده
وقد قال : قوموا لسيديكم
والله قيس [46] الكرام ابنه
هم المنتجون لخير الملوك
باندلس (١١٠) أنلوا دولة
بنو نصر الناصرون الألى
ووالوا ببيض الطبا والعوالي
هم القوم أفضلهم يوسف
ومن بعده خير أملاكهم
أجل السلاطين شرقاً وغرباً
إذا ما شكت خيلته غلته
نوال كما باكرت ديمته
وبأس كما لفحت جمرة
وحلم لو الخمر شيبته
همام كريم أنال النهى
وخاصم بالسيف في حقه
ولم تر عيني كمثل السيوف
وقد غاب في الغرب مثل النجوم
وصير غرناطة الملك نوراً
هو النجم لكن له الدر من
هو البدر لكن له الأفق من
بساط شريف تود النجوم
يلام على الجود لكنه
عجبت لكف له وهو نار
إمام حمى الدين من بعد أن
وعاد به مؤيد المصطفى

/251

سيدي حتى يعود إلى ما
يطيل (١٠٧) بحبل الإله اعتصاماً
بزهر النجوم وجل التحاماً
بحيث الحمام يدع (١٠٨) الحمام
إذا الأرض بالحل عادت قتاماً
رسول الإله وأبدى اختراماً
فلا شخص في القوم إلا وقاماً
أمير سماً (١٠٩) همه واهتماماً
ضخاماً تفوق الملوك الضخاماً
لأنكانها السعد والى استلاماً
من الكافرين أطالوا انتقاماً
ضرباً فرادى وطعنا تواماً
إمام صعيد السعيد استداماً
محمد الصعب فيهم مرماً
وأصدقهم في الحروب التزاماً
أراق المياه وسل الحساماً
فوشئت أباطحها (١١١) والأكاماً
من القاضيات تزيد (١١٢) اضطراماً
كما أنكرت بالكؤوس (١١٣) الندامى
وجهز الحرب جيشاً لها
فيا فوزة عند ذاك احتكاماً
مخاصمة إن أردت خصاماً
ولكنه عاد بذراً تماماً
وكانت بجور وظلم ظلاماً
كلام يفوق العقود انتظاماً
بساط (١١٤) يسامى وما إن يسامى
حلولاً به ماثلاث قياماً
مُلام يفيدك أن لا يلاماً
لدى حربه كيف أبقت ضراماً
رأى من عداه الطغاة اهتضاماً
يقام وحق له أن يُقاماً

سَمَاءٍ مَنِ احْتَلَاهَا لَنِ يُضَامَا
 بِهِ وَالْوَجْوهُ تَبَدَّتْ وَسَامَا
 عَنِ الْقَمَرِ النَّجْمُ هَابَ الْإِمَامَا
 مَعَ الشُّبُلِ لَيْثٌ عَنِ الشُّبُلِ حَامَا
 وَمَا اللَّيْثُ إِلَّا إِمَامٌ تَسَامَى
 لَشَمْلُهَا الْمُلْكُ أَبْدَى التَّنَامَا
 بِدُخْنَةٍ (١١٥) عَنَبَرَهُ قَدْ أَغَامَا
 وَتِلْكَ الَّتِي قُرْبُهَا لَنِ يُرَامَا
 أَقَامَ الْحُرُوبُ لَمَنْ كَانَ قَامَا
 جِيوشاً كَمَوْجِ الْبِحَارِ التَّطَامَا
 وَسَامَتْهُمْ بِالسَّيْفِ أَنْهَزَامَا
 وَمَنْ يَخْفِرُ الْعَهْدَ يَلْقَ أَثَامَا
 لَمَنْ أَنْجَبَا السُّعْدَ وَالنُّصْرَا
 بِمَدْحِ الرُّسُولِ وَتَزْهَى اخْتِثَامَا
 خَمِيلَةٌ زَهَرَ أَطْلَلَتْ نَدَامَا
 فَإِنِّي اغْتَنَمْتُ الْأَجُورَ اغْتِنَامَا
 تُنِيلُكَ فِي الرُّومِ مَا السُّيْفُ رَامَا
 صَلَاةٌ تَدُومُ وَوَالِي السَّلَامَا

أَعْدَلُهُ مَشُوراً خَلَّتُهُ
 تَنْوِبُ الشَّمُوعُ مَنَابَ النُّجُومِ
 كَمَا نَابَ وَجْهَ الْإِمَامِ بْنِ نَصْرِ
 وَقُلْتُ هُوَ الْغَابُ قَدْ حَلَّتُهُ
 وَمَا الشُّبُلُ إِلَّا أَمِيرٌ نَجِيبُ
 وَفَرْعٌ كَرِيمٌ وَأَصْلٌ زَكِي
 وَيَا لَكَ مِنْ مَشُورٍ أَفْقُهُ
 بِهِ قِبَةُ النُّصْرِ مَشْهُودَةٌ
 تَطْلُعُ إِمَامٌ شَجَاعُ
 وَأَنْهَدَ مِنْهَا لِأَهْلِ الْخِلَافِ
 فَسُرْعَانَ مَا فَرَقْتَ شَمْلَهُمْ
 وَقَدْ أَخْفَرُوا عَهْدَ خَيْرِ الْمُلُوكِ
 وَمَنْ عَهْدَ سَعْدٍ وَنَصْرٍ مَعَا
 أَمْوَالِي خَذَهَا تَرَوْقُ افْتِتَاحَا
 مِنَ الْعَاطِرَاتِ الشُّذَا خَلَّتْهَا
 وَمَنْ يَفْتَنَنْمُ بِالْمَدِيحِ الْعَطَايَا
 بَقِيَتْ مَدَى الدَّهْرِ فِي دَوْلَةٍ
 وَصَلَّى إِلَهَهُ عَلَى الْمُصْطَفَى

ومن ذلك قصيدة لكاتب الدولة المتوسل بملازمة ركاها / في الكرة، الفقيه،
 المثل في الإدراك والمشاركة أبي عبد الله بن زمرك [47] فاقطع إجادته جانب
 النسيب، ولم يقنع منه باليسير والإجادة في الأغراض شأنه :

(طويل)

وَنَسِيْمَا الْجَوَى وَالسَّقَمُ مِنْهَا تَعْلَمَا (١١٦)
 فَأَنْجَدَ فِي شَعْبِ الْغَرَامِ وَأَثَمَا
 وَقَفْتُ عَلَى أَثَارِهَا مَتَوَسِّمَا
 وَلَمْ أَعْرِفِ الْأَطْلَالَ إِلَّا تَوْهَمَا
 صَرَفْتُ لَهُ وَجْهَ الْوَفَاءِ تَكْرُمَا
 إِذَا الْبَارِقُ النَّجْدِي وَهْنًا تَبَسُّمًا
 أَشَارَ بِتَذْكَارِ الْعَهْدِ فَأَفْهَمَا
 فَمَا خَيْرُ سُحْبٍ قَلَمًا تَنْقَعُ الظُّلَمَا

تَأْمَلْ أَطْلَالَ الْهَوَى قَتَاَلَمَا
 أَخُو زَفَرَةٍ هَاجَتْ لَهُ الْوَجْدُ ذِكْرُهُ (١١٧)
 وَلَمَّا عَطَفْتُ الصَّحْبَ وَالرَّكْبَ وَالْهَوَى
 فَلَمْ أَشْهَدْ السَّكَّانَ إِلَّا تَذَكُّرَا
 وَمَالِي وَلِلرَّسْمِ الْجَمِيلِ وَإِنَّمَا
 لِي اللَّهُ لَا أَنْفَكَ أَبْكِي مُسَهِّدَا
 وَيَا لَكَ مِنْ بَرَقِ خَفُوقِ كَأَضْلَعِي
 وَيَرْجَى سَحَابَ الدُّمَعِ لَا دُرُ صَوِيْهَا

وَتُبْدِي إِذَا تَبْكِي السَّحَابُ تَبَسُّمًا
 أَذَا اعْتَرَضَتْ شَكْوَى تَثْنِي بَعْبَرَةً (١١٨)
 وَأَنْ مَالٌ بِي نَحْوَ السُّلُوكِ تَعْلَلُ
 لَوَدَّعْتُ قَلْبِي يَوْمَ وَدَّعْتُ الْفَهْ
 وَأَبْلَى شَبَابِي طَوْلَ عَهْدِي وَإِنِّي
 سَقَى الْعَهْدَ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ وَجَادَهُ
 لِيَالٍ بِهَا لَيْلُ الشَّيْبَةِ لَمْ يُنَرِ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّيْبِ نَوْرًا وَأَنَّهُ
 تَبَسُّمٌ مِنْهُ فِي الْمَفَارِقِ بَارِقُ
 فَيَا شَعْرَاتٍ قَدْ نَصَفَنْ بِمُفَرَّقِي
 مَضَى مَا مَضَى مِنْ رَيْقِ الْعَيْشِ فِي الصَّبَا
 وَلَمْ أَصِلْ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ بِطَائِلِ
 أَلَا فِي ضِمَانِ اللَّهِ سَعْيِي وَكَمْ أَرَى
 وَيْلَهُمْنِي فَرَطُ اسْتِيَاقِي إِلَى الْحَمَى
 وَمَا كَلَفِي بِالْحَيِّ حَيْثُ تَحَمَّلُوا
 وَلَكِنِّي أَهْوَى الْحِجَارَ وَمَا بِهِ
 سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَعَاهِدِ
 بِطَيْبِ رَسُولِ اللَّهِ طَابَتْ رُبُوعُهَا
 نَبِيُّ الْهُدَى كَافِي الرَّدَى سَابِقُ الْمَدَى
 أَبُو الْقَائِمِ الْمَاحِي الَّذِي بِحَيَاتِهِ
 وَحُجَّتُهُ الْكِبَرَى وَبِرَهَائِهِ الَّذِي
 تَنْقَلُ نَوْرًا فِي الْحَيَاةِ مَشَاهِدًا
 إِلَى أَنْ بَدَأَ سِرًّا مِنَ اللَّهِ ظَاهِرًا
 قَدْ اعْتَرَفَتْ تَوْرَةُ مُوسَى بِفَضْلِهِ
 فَيَا مُظْهِرَ الْأَسْرَارِ يَا نُكْتَةَ الْهُدَى
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَمَرُ بَدَا
 وَيَا لِيَتَنِي فَازَتْ يَدَايَ بِزُورَةٍ
 وَمَا زِلْتُ أَغْرِي بِاللِّقَاءِ مَطَالِبِي
 وَكَيْفَ وَأَنْتَى لِي وَذَنْبِي مُبْعَدِي
 وَرَكِبَ سِرْوًا وَاللَّيْلُ فِي لَجَّةِ الدَّجَى
 وَقَدْ رَعَشْتُ فِي سَحْبِهَا فَتَخَالَهَا

/254

/255

وَإِنِّي لَا أَذْرِي مِنْ أَعَارَكَ مَبْسَمًا
 فَيَا مَنْ رَأَى رَبَّ الْبَلَاغَةِ مُعْجَمًا
 أَبَتْ سُورَةُ الْأَشْوَاقِ إِلَّا تَحْكُمًا
 وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مِنَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا
 أَجْدُ هَوًى مَا كَانَ عَهْدِي أَقْدَمًا
 مِنَ الدَّمْعِ مَا يَزُولُ صَدَاهُ وَمَا (١١٩)
 وَيَالَيْتَ ذَاكَ اللَّيْلَ لَوْ قَامَ مَظْلَمًا
 يَسُومُ مُحِبًّا الْعَيْشَ أَوْ يَتَجَهَّمًا
 فَقَطَّبَ وَجْهَهُ الْإِنْسَ لَمَا تَبَسُّمًا
 نَصَلْتُ خَصَابًا أَمْ تَتَصَلَّتْ أَسْنَهُمَا
 وَيَالَيْتَ مَا أَبْقَى أَسَى وَتَنَدَّمَا
 وَلَمْ أَحْتَقِبْ إِلَّا مَشِيبًا وَمَائِمًا
 أَقْضَى زَمَانِي فِي عَسَى وَلَعَلَّ مَا
 وَلَوْ سَاعِدَ الْمَقْدَارُ لَمْ أَبْرَحَ الْحَمَى
 وَلَا شَغَفَنِي بِالرُّبُعِ وَالْدَّارِ أَيْنَمَا
 وَمَنْ حَلَّ أَكْنَافَ الْحِجَارِ وَخَيْمًا
 فَلِلَّهِ مَا أَذْكَى وَأَزْكَى وَأَكْرَمًا
 فَسَلِّ إِنَّ أَرَدْتَ الرُّكْبَ عَمَّا تَنْسُمَا
 إِذَا أَسْبَقَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ تَقْدَمَا
 إِلَهُ الْوَرَى فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ أَقْسَمَا
 بِهِ كَمُلِ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَثُمَّمَا
 يَفُوقُ بِهِاءَ أَوْ يَرُوقُ تَرْسُمَا
 تَجَسَّدَ مِنْ نَوْرِ الْهُدَى وَتَجَسَّمَا
 وَصَدَّقَهُ إِنْجِيلُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَا
 وَيَا حُجَّةَ اللَّهِ الْأَخْيَرَةَ الْمَقْدَمَا
 وَمَا شَمَّالُ هَبَّتْ وَمَا مَطَرُ هَمَّما
 أَحْطُ بِهَا رَحْلِي لَدَيْكَ مُخَيَّمَا
 وَالْهَيَّ حَثِيثَ الْعِزْمِ أَنْ يَتَلَوَّمَا
 يُقْلُ شَبَا عِزْمِي إِذَا الْعِزْمُ صُمَّمَا
 وَقَدْ خُلِصْتُ مِنْهُ الْكَوَاكِبُ عَوَّمَا
 حَمَامًا عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ حَوَّمَا

يُؤْمِنُونَ قَبِيرًا ضَمُّ أَكْرَمَ مُرْسِلٍ
فَمَا يَرْدُوا (١٢٠) شَرَبَ الْقَبُولِ مَصْرُوداً
لِئِنْ بَلَغُوا دُونِي وَخُلِقْتُ إِنْسَةً
فَرَحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنْتَنِي
وَأَنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنَا أَمَلُ
بِحَقِّكَ لَا تَقْطَعْ رَجَائِي فَإِنْتَنِي
وَلَمْ أَذْخَرْ فِي الْعَمْرِ زَاداً مِنَ التَّقَى
رَجَعْتُ إِلَى الشُّكْوَى عَنِ الْفَوْزِ بِالْمُنَى
فِيَا كَاشِفَ الْبَلْوَى وَيَا مُوَضِّعَ الْهُدَى
دَعَوْتُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ مُبَلِّغاً
لَكَ الْمَعْجَزَاتِ الْمَعْجَزَاتِ حَقِيقَةً
وَمِثْلَ اعْتِرَافِ الْجَذْعِ وَالضُّبِّ وَالْحَصَى
وَأَنْ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خُلِقَ الْحَيَا
وَأَنْتَ لِهَذَا الْكَوْنِ عَلَّةٌ كَوْنُهُ
وَلَوْلَاكَ لِلْأَفْلَاكِ لَمْ تَجَلُ نَيْراً
وَكَمْ حَيَوَانَ نَاطِقٍ لَكَ شَاهِدُ
وَكَمْ دَعْوَةٍ إِلَيْهِ أَخْلَصَتْ وَجْهَهَا
وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدُ
وِغَاظٍ لَهَا الْوَادِي وَسَبَّحَتْ الْحَصَى
فِيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ أَطْلَعَ الْهُدَى
أَشَادَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدُ
وَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا وَلَمْ يَدْعُ
وَفَاتَحَ مَبْنَاهُ السَّعِيدَ تَيْمُمُناً بِهَا
أَجَلَ بَنِي نَصْرِ سَنَاءٍ وَهَمَّةً
وَأَنْدَاهُمْ كَفَا وَأَشْمَخَهُمْ عَلَى
رِسَالَتِهِ طَوْداً وَجَادَ غَمَامَةً
وَأَحْيَا رَسُومَ الْحَقِّ بَعْدَ عَفَائِهَا
وَجَدَّدَ عَهْدَهُ قَدْ مَحَتْ رَسْمَهُ الْعَدَى
وَكَمْ كَفَرَتْ نَعْمَاهُ لِأَزَالِ رَفْدِهَا
حَرِيصٌ عَلَى التَّقْوَى خَفِيفٌ إِلَى الْهُدَى
فِيَا ابْنَ الْعُلَى وَالْحَلَمِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى

بِهِ شَرَّفَ اللَّهُ الْوَجُودَ وَكَرَّمَا
وَلَا زَجَرُوا طَيْرَ السَّعَادَةِ أَشْأَمَا
طَبِيبٌ مِنَ الْأَقْدَارِ دَاوَى وَأَسْقَمَا
مَدَدْتُ يَدِي فَاْمُنَّنْ عَلَيَّ تَكْرُمَا
فَأَنْتَ أَهْلٌ أَنْ تَجُودَ وَتَرْحَمَا
جَعَلْتُ إِلَى الْمَأْمُولِ حُبَّكَ سَلَامَا
وَحُسْبِي بِحُبِّي فَيْكَ زَاداً وَمَغْنَمَا
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا صَعِيداً تَيْمُمُماً
وَمَوْلَى الرَّحْمَى وَيَا مَذْهَبَ الْعَمَى
فَصَلِّ عَلَىكَ اللَّهُ دَابَّاً وَسَلَامَا
كَمِثْلِ انْشِقَاقِ الْبَدْرِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
وَيَقَعِ بَنَانٍ مِنْكَ قَدْ نَقَعَ الظُّلُمَا
خَلِيقٌ بَأَنْ تَنْدَى يَدَاهُ وَتَسْجُمَا
فَلَا غَرَّ أَنْ تَلْقَى مَطِيعاً مُسَلِّمَا
وَلَا قُلُدْتُ نَحْرَ الْمَجْرَةِ أَنْجُمَا
وَكَمْ مِنْ جَمَادٍ فِي يَدَيْكَ تَكَلَّمَا
فَمَا عَرَفْتُ غَيْرَ الْقَبُولِ مُيَمُّماً
مَنْ الْحَقُّ لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ تَوَسَّمَا
قَصُورٌ بِيَصْرِي أَفْقَهَا كَانَ أَظْلَمَا
بِإِفَاقِهَا الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْمُتَمِّمَا
بِهَا فَاسْتَعَانَ الْجُودُ فِيهَا وَحُكَّمَا
بِهَا هَضْبَةٌ لِلْبَرِّ إِلَّا تَسَنُّمَمَا
وَنَحَا الْقَصْدَ السَّيِّدَ وَيَمُّمَمَا
وَأَعْلَاهُمْ فِي هَضْبَةِ الْمَلِكِ مَعْلَمَا
وَأَمْنَحُهُمْ وَقْدَا وَأَمْنَعُهُمْ حِمَى
وَلَا حَ لَنَا بِدَرّاً وَأَقْدَمَ ضَيْغَمَا
وَأَسْرَجَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَالْأَجْمَا
وَأَلْهَفَ سَلَاماً أَنْفُسَ الْخَلْقِ مُسْلِمَا (١٢٢)
فَاتَنَعَّمْ بِالْغَفْرِانِ لِأَزَالِ مُنْعَمَا
أَبْرُ مِنْ اسْتَرْحَمْتَهُ فَتَرْحَمَمَا
وَمَنْ فَاقَ أَفَاقَ النُّجُومِ إِذَا انْتَمَى

طلعت بأفوق الملك أية رحمة
وتنصر مظلوما وتقهر ظالما
فأمنت حتى الغصن من نفحة الصبا
فإن رعشت زهر النجوم فخيفة
لك الخير لا تغد الذي أنت أهله
ولله عينا من رأى أي مصنع
يذكر دار الخلد منه أولي النهى
به يعمر الانداء كل مفوه
قد اعتمرت منه المحاسن روضة
أمولاي خذها في امتداحك عادة
تجيش بصدري للبلاغة أبجر
وما أنا إلا صارم قد صقلت
وما أنا إلا طائر حل جنة
مطوق طوق من نذاك تهدلت
فهئت مبنك السعيد ممتعا
وكافأ برا قد أقمت شعاره
ودمت تحلي عاطلا بحلى العظمى

/251

لتجلو ما قد كان بالظلم أظلما
وتؤوي (١٢٣) مذعورا وترحم مجرما
وأزهدت حتى النجم في كبد السما
وإن مال غصن البان شكرك يثما
فمثلك من والى وأولى وتمما
أعد لهذا القصر برا وأحكما
سنى أدهش الأفكار إلا توهمما
ويشدو (١٢٥) به حادي الركاب مزمما
يطيب بها عرف المديح تنسما
تجرر ذيل الفخر وشيا منمما
فتقدف در الحمد رطباً منظما
بنعماك يمضي حيث شئت مصمما
بيابك أذكت أنفقه فتنعما
غصون المني من فوقه فترنما (١٢٦)
عزيزاً به أخرى الليالي منعمما
وعظمت تروجو النبي المعظما
وتنصر مظلوما وتكسب مقدمما

ومن ذلك قصيدة الفقيه القاضي، الخير الأوبة والمنشاة، القديم الشهرة
بالإجادة، أبي بكر بن أبي علي القرشي [48]، قصيدة حسنة، كفة الإجادة فيها
راجحة :

(بسيط)

يحيي الودى برسول الله مولده
تعود فيها لنا البشرى بمقدمه
لله في كل عام منه مرتقب
أهلاً بشهر ربيع ما استدار لنا
وارتج إيوان كسرى فيه وانكسرت
ونار فارس لم توقد وكان لها
والنهر لم ينسكب والشهب قد رصدت
دلائل الصدق قبل البعث قد ظهرت
أنت على نحو ما جاع به كتب

ولزمان مواقيت تجدد
كما يعود عقيب الليل فرقده (١٢٧)
نظل في أفق الخيرات نرصد
ففيه أنجز للإسلام موعده
أرجاؤه وهوى وانهد مضعده
مذ ألف عام يشب الجزل موقده
مقاعد السمع للشيطان تطرده
تهدي بأنوارها الأعمى وترشده
فارتاب في المصطفى من كان يحسده

وَأَنْكَرَ الْحَقَّ إِنْطِلَالاً لَهُ وَغَدَا
وَحَسْبُنَا قَمَرٌ فِي الْأَفْقِ شَقٌّ لَهُ
وَأَنْ تَفْجُرَ مَاءٌ مِنْ أَنْامِلِهِ
وَأَنْ كَفَى الصَّاعُ أَلْفًا بَعْدَمَا غَرَّقُوا [49]
وَأَنْ تَبَادِرَ مِنْ بَرِّهِ حَجَرٌ
وَحِنْ شَوْقاً إِلَيْهِ الْجَدْعُ حِينَ نَأَى
وَالْيَنْ فِي الْخَدِّ سَالَتْ وَهُوَ تُبَّتْهَا
وَلَمْ يَدْعُ لِعَيْي تَفْلُكُهُ أَلْمَا
مَاذَا أَعَدُّ (١٢٨) مِنْ آيَاتِهِ وَمَتَّى
كَمْ مُعْجَزَاتٍ لَهُ بِالْصِّدْقِ قَدْ شَهِدَتْ
وَالذِّكْرَ آيَاتُهُ الْعَظْمَى الَّتِي بَقِيَتْ
آيَاتُهُ نَزَلَتْ بِالْمَدْحِ فِيهِ فَمَا
لَوْ نَظَّمُ اللَّفْظُ فِي أَمْدَاحِهِ دُرّاً
مُحَمَّدٌ هُوَ حَقٌّ مِنْ خَصَائِصِهِ
بُشْرَى الْمَسِيحِ سَرَى مِنْ آدَامَ غُسْرّاً
مَعْنَى الْوُجُودِ إِمَامُ الرِّسَالِ خَاتِمُهَا
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ أَوْرَاجُ بِهِ شَفِغَتْ
وَصَفْوَةٌ حُبُّهُمْ فِيهِ شَعَارُهُمْ
نَعْمَ الْإِمَامُ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
يَرْضَى الرَّسُولُ بِأَفْعَالٍ لَهُ كَرُمَتْ
أَقَامَ فِي اللَّيْلَةِ (١٢٩) الْفَرَاءَ مَوْلِدَهُ
يُهْدِي الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَالسَّلَامَ إِلَى
وَيَمْلَأُ الصُّحُفَ مِنْ نُورٍ تَأَلَّقَ فِي
وَمَصْنُوعٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِ هِمَّتِهِ
تَبَايَ بِهِ فِي بَقَاعِ الْمُلْكِ أَنْدَلَسَ
صَاغَتْ بِدَائِعِهِ أَيْدٍ وَأَفْنِيدَةٍ
فَصَحَّ لِلْأَذْنِ مِنْهُ مَا يَقْرَظُهَا
وَزَادَهُ شَرْقاً أَنْ حُلَّهِ مَلِكُ
كَأَنَّمَا الْقَدْرُ الْمُحْتَوَمُ وَأَفْقَهُ
تَوَارَثَ الْمُلْكُ عَنْ أَبَائِهِ وَحَمَى
جَاطَ الرُّعِيَّةُ مِنْهُ مَشْفِقٌ حَذَبَ

يُخْفِيهِ لَوْ أَنَّهُ يَخْفَى وَيَجْحَدُهُ
شَقّاً تَبَيَّنَ لِلْأَبْصَارِ مَشْهَدُهُ
سَقَى بِهِ الْجَيْشَ حَتَّى عَمَّ مَوْرِدُهُ
وَذَاكَ فَضْلُ عَمِيمٍ جَلَّ مَعْدُهُ
صَلَدٌ فَأَقْصَحَ بِالتَّسْلِيمِ جَلْمَدُهُ
وَضِيحٌ مِنْهُ عَمِيدُ الْقَلْبِ مَكْمَدُهُ
بَكْفُهُ حَيْثُ كَانَتْ بِوَرَكَتِ يَدِهِ
إِذْ جَاءَ وَهُوَ عَلِيلُ الطَّرْفِ أَرْمَدُهُ
يَتِمُّ حَصْرُ الْحَصَى أَوْ مِنْ يُعَدِّدُهُ
رَوَى عَجَائِبُهَا مِنْ صَحٍّ مُسْنَدُهُ
تَتَلَوُّهُ أُمَّتُهُ غَضّاً وَتَسْرُدُهُ
يَقُولُ بَعْدُ حَسِيرُ الْأَذْنِ أُولَدُهُ
فَالْوَحْيُ أَعْلَالُهَا بِمَا يُنْضُدُهُ
مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ يَحْمَدُهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ يَمْتَنُّ أَمْجَدُهُ
خَيْرُ الْأَنَامِ شَفِيعُ الْكُلِّ سَيِّدُهُ
فَصَارَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مَلْحَدُهُ
مِنْهُمْ خَلِيفَةُ هَذَا الْعَصْرِ أَوْحَدُهُ
سَبَقَ بِخَصْلِ مَدَى الْعِلْيَاءِ يُفْرِدُهُ
فِيهَا الْمَقَاصِدُ أَدْنَاهَا تُهْجِدُهُ
يَقْطِعُ اللَّيْلَ فِي ذِكْرِ يَرْدُدُهُ
أَنْ فَرَّ عَنْ نَاطِرِ الظُّلْمَاءِ إِنْمَدُهُ
نَادِي (١٣٠) مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ تَشْهَدُهُ
إِلَّا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَشِيدُهُ
فَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا الْأَبْصَارُ تَعْبَدُهُ
تَأْتَقَّتْ فِيهِ حَتَّى تَمَّ مَقْصِدُهُ
وَلَاخَ لِلطَّرْفِ مِنْهُ مَا يُقْيِدُهُ
يُرَبِّي عَلَى يَوْمِهِ فِي سَعْدِهِ غَدُهُ
فِيمَا يَجَلُّ مِنَ الدُّنْيَا وَيَعْقِدُهُ
حِمَاهُمْ وَقَضَتْ بِالشَّرِّ أَسْفَدُهُ
شَهْمٌ هَمَامٌ كَرِيمٌ طَابَ مَحْتَدُهُ

غَيْثٌ لِبَذْلِ النُّدَى مَبْسُوطَةٌ يَدُهُ
عَدْلٌ تَخِيرُهُ (١٣١) فِي الْمَلْتَيْنِ لَنَا
مَنْ أَسْرَعَ حُبُّهُمُ دِينَ وَبَعْضُهُمْ
أَنْصَارُ دِينَ الْهَدَى مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ
مَنْ كَابَنٍ نَصَرَ تَوَلَّى اللَّهَ نُصْرَتَهُ
نَجَلَ الشَّهِيدَ الَّذِي أَذْنَاهُ يَوْمَ قَضَى
لَهُ مَنَاقِبٌ أَعْيَتْ كُلُّ ذِي لِسَنٍ [52]
تَأَلَّفَتْ فِيهِ مِنْ أَسْلَافِهِ فَعَدَا
فَمِنْ صِلَاحٍ وَمِنْ عِلْمٍ وَمِنْ وَدَعٍ
وَمِنْ خِلَالِ زَكَايَاتٍ يَنَالُ بِهَا
دَامَتْ لَهُ بِهَجَّةِ الْأَيَّامِ فِي نَعَمٍ

/261

لَيْثٌ لِيَوْمِ الْوَعَى رَحْبٌ مَقْلَدُهُ
بَحْسُنُ سِيرَتِهِ مَنْ نَحْنُ نَعْبُدُهُ
يَكْبُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ تَوَقَّدُهُ
إِلَّا سَمَا فَوْقَ أَفْقِ النُّجْمِ سَوَّدَدُهُ
وَمُرَّقَتْ بِسَيُوفِ الْقَهْرِ حُسَدُهُ
إِلَى الْإِلَهِ مُصَلَّاهُ وَمَسْجِدُهُ
فَيَنْتَنِي عَنْ مَدَاها وَفِي تَجْهِدُهُ
يُحْيِي بِهَا مَنْ، مَضَى مِنْهُمْ وَيُوجِدُهُ
وَمَنْ سَمَاحٍ وَمَنْ بَأْسٍ يَزِيدُهُ
مَنْ رَبُّهُ كُلُّ مَا يَرْجُو وَيَقْصِدُهُ
لَا يَقْطَعُ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَعُودُهُ

ومن ذلك قصيدة الفقيه العدل الخير، معلم ولد السلطان، أبي عبد الله
الشريشي [53]، تورط منها في شعب التاء المنصوبة، طوع افتراء دعا به فلا
تسل عن منجاته (١٣٢) [54] :

(وافر)

أَلَا بُتِّي الْهَوَى يَا نَفْسُ بَتْنَا
وَجِدِّي وَيُنْكَ إِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ
وَحُلِّي عَنْكَ نَهَجٌ أُولِي التُّصَابِي
وَحَسْبِي مَا أَتَانِي مِنْ نَذِيرٍ (١٣٣)
أَبْعَدَ الشَّيْبِ يَا مَغْرُورُ تَلْهُو
أَتْلُوهو وَالْمَنِيَّةُ لَسْتَ تَذَرِي
أَمَا وَاللَّهِ مَا عَقِلُ سَلِيمٌ
فَهَلَّا كُنْتَ ذَا عَمَلٍ وَعِلْمٍ
وَهَلَّا كَانَ هَمُّكَ جَمْعَ نَفْسٍ
نَقَضْتَ عَهْدَهَا وَنَسِيتَ جَهْلًا
حُجِبَتْ عَنْ أَوْجْهَها بِخَضِيضِ أَرْضٍ
هَبِطَتْ لَهَا لَتَعْبُرَهَا فَلَمَّا
وَأَثَرَتْ الدُّنْيَا وَتَرَكْتَ الْآخِرَى
أَلَا رَاجِعْتُ مَوْلَى ذَا قَبُولٍ

/262

وَأَنْ فَتُ الْحِشَا وَالْقَلْبَ فَتْنَا
فَهَزْلُكَ بَعْدُ بِالْأَعْضَاءِ فَتْنَا [55]
وَخَافِي أَنْ أَرَى شَيْخًا تَفْتَنِي [56]
يَخُوفُنِي الْمُنُونُ وَلَيْسَ تَفْتَنَا
أَمَا إِنْ وَالْمُهَيْمِنِ مَا عَقَلْتَا
مَتَى تَأْتِي وَمَا إِنْ بَعْدُ فَتْنَا
لِيَرْكَبَ مَا مِنَ الْبُلُوَى رَكْبَتَا
تَفُوزُ إِذَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَا
قَدْ افْتَرَقْتَ لِأَيَّامِ جَمْعَتَا
مَعَاهِدَهَا وَكُنْتَ بِهَا أَنْسَتَا
نَصَبْتَ هَوَى بِهَا نَصْبًا وَجَبَّتَا
فَتَنَتْ بِزُخْرَفٍ فِيهَا عَمُوتَا
فَسُحْقًا إِذْ جَمَعْتَ بِهِنِ سُحْتَا [57]
وَأَقْبَالَ عَلَيْكَ مَتَى قَدِمْتَا

على ما قدّمتُ يَمْنَاكَ قَدْ مَآ
وَلَمْ تَرْغَبْ مَا تَرْجُوهُ مِنْ ذِي
هُوَ الْهَادِي الرَّسُولُ الْمُرْتَجَى فِي
وَكَمْ لِعَلَانِيَةٍ مِنْ مُعْجَزَاتِ
سُئِلَ فِيهَا (١٧٤) إِذَا عُدْتُ أَلْفًا

ومنها وهي طويلة :

وَلَوْ لَا مَعْشَرٌ مِنْ آلِ نَصْرِي
هُمْ نَصَرُوا الرَّسُولَ وَآثَرُوهُ
فَقَدْ كُتِبَتْ مَفَاخِرُهُمْ قَدِيمًا
وَهَلْ كَسِيلٌ مَجْدُهُمْ الْمَقْدِي
هُوَ الْمَلِكُ الْأَعَزُّ قَبْلًا مَلِيكُ
هُوَ الْبَحْرُ الْخَضَمُ الْمُعْتَفِي
إِذَا بَخَلَ الْحَيَا فَنَدَاهُ يُغْنِي
هُوَ الْوَسَّابُ لِلآلَافِ حَمْدًا
إِذَا مَا زِلْتَ الْأَقْدَامُ يَوْمًا
وَأَنْ رَقَعَ الْبَغَاةُ لَوَاءَ غَدَرٍ
فَأَنْ جَمَعُوا فَلِلتَّكْسِيرِ لَا لِلْسَّ
لَقَدْ أَحْيَا الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا

ومنها ولا حول ولا قوة إلا بالله :

جَلَالٌ لَيْسَ مَقْصُودًا بِإِلَّا
فَمَاذَا أَنْ يَقَالَ الْقَوْلُ فِيهِ
بَقِيَتْ مَبْلَغًا مَا تَشْتَهَى
وَلَا زَالَتْ مَلُوكُ الْأَرْضِ تَحْدُو
وَمِنْ عَادَاكَ أَوْ نَاوَاكَ يَوْمًا

مِنْ الْأَوْزَارِ وَاسْتَوْحَيْتَ مَقْتًا
كَمَالٍ مُطْلَقٍ مَهْمَا اعْتَبَرْتَا
بِلَوْغِ سِوَالِ وَالْأَمَالِ شَتَّى
إِذَا مَا رَمَيْتَ تَحْصُرَهَا عَجَزْتَا
وَلَا مِثْلَ الْقُرْآنِ إِذَا عُدَدْتَا

تَدَارَكَهُ الْإِلَهُ بِهِمْ لَفْتًا
وَأَوَّهَ فَسَلَّ أُمَّا جَهْلَتَا
كَمَا كَبَّتُوا الْعَدَى فِي الدَّهْرِ كَبَّتَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ إِنْ خَبَرْتَا
يَضَاهِيهِ حَيًّا وَنَدَى وَنَعْتَا
فَرَاتُ مَاؤُهُ مَهْمَا وَرَدْتَا
وَيُغْنِي الْقَرْنَ بِالصَّمْصَامِ صَلَاتَا [58]
وَالْفَرُّ الْجِيَادُ الْجُرْدُ كُفَّتَا
بِمَازِنِ مَعْرَكِ فَيَرِيكَ تُبَّتَا
فَتَخَفُّضُهُ عَلَاهُ كَمَا شَهِدْتَا
لَامَةً جَمَعُهُمْ تَلْفِيهِ بَقَا
بِهِ وَأَعَادَ لِلْعُلَيَاءِ دُسْتَا [59]

كَمَالٌ لَيْسَ مَقْصُودًا بِحَثَى
وَلَوْ أَمْلَيْتَهُ أَحَدًا وَسَبَّيْتَا
عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ أَمَلٍ وَدُمْتَا
إِلَيْكَ رِكَابَهَا فَتَنَالِ بَخْتَا
تَفْتُ فَوَازِدَهُ الْأَيَّامُ فَتُتَا

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه الفاضل، صاحب أشغال الطعام بيباه، أبي القاسم بن قطبة [60]، وقد كان طال بالشعر عهده في هذه الأغراض، فبان عذره:

(كامل)

يا لَيْتَ لي نَفْساً تَعَارُ سِوَاهَا
وَالشَّيْبُ أَقْبَلَ نَاصِحاً يَنْهَاهَا
عَمِيَاءُ لَا تَهْدِي سَبِيلَ هُدَاهَا
بِالسَّوْءِ لَا يُعْدِي عَلَى عُدَاهَا
وَالْقَلْبُ أَجْهَدُ فِي طِلَابِ رِضَاهَا
وَالنُّوْمُ أَلْفِي فِي لِحَاقِ مُنَاهَا
إِنِّي أَطِيقُ لَشَقَوَتِي بِلَوْاهَا
كَيْمَا أُوَافِقُ رَأْيَهَا وَهَوَاهَا
وَأُبْثُ فِي عَرَصَاتِهَا شَكْوَاهَا
تَجْلُو عَنِ النَّفْسِ الْغِدَاةَ صِدَاهَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كَيْ أَقِيمَ صِفَاهَا
لَتُمَتَّ شِفَاهُ الْمَذْنُبِينَ ثَوَاهَا
إِلَّا رِضَاكَ إِذَا لَقِيتُ اللَّهَ
وَيُرِيدُ عَفْوَاً مَنْ لَدُنْكَ وَجَاهَا
وَالْقَلْبُ مِنْهُ طَائِرٌ قَدْ تَاهَا
تُحْيِي الْقُلُوبَ قَبُولُهَا وَصَبَاهَا
مَازَلْتُ صَبَاً وَالْهَى بِهَوَاهَا
وَيَاضُلُّعِي نَارٌ تَشْبُ لُظَاهَا
فَلْيَهْنِهَا فَازَتْ وَخَابَ سِوَاهَا
فَاللَّهُ يَشْكُرُ سَعِيَهَا وَخَطَاهَا
قَبْلُ - فَدَيْتُكَ - وَهَدَاهَا وَدِيَاهَا
خَذْ مُهْجَتِي وَعَسَاكَ أَنْ تَرْضَاهَا
كَلَا وَلَا دَعْدُ وَلَا لُبْنَاهَا
مَنْ فِتْنَةً عَمَّ الْأَنَامُ أَذَاهَا
أَهَا لَهَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَأَهَا
وَانْتَجَلَتْ بَيْضُ الْآلِفِ قَنَاهَا (١٢٧)
رَهْبَانُ فَارِسَ قَبْلَهُ كَسَرَاهَا

نَفْسٌ تُطِيعُ مَدَى الزَّمَانِ هَوَاهَا
كَمْ ذَا التَّشَاغُلِ وَالزَّمَانُ قَدْ انْقَضَى
تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي الضَّلَالِ كَانُهَا
تَعَسَّأَ لَهَا خَدَاعَةُ (١٢٥) أُمَارَةُ
الْجِسْمِ أَتْعَبَ فِي مَنَالِ مُرَادِهَا
وَالْفَكْرُ أَعْمَلَ فِي اجْتِلَابِ رِضَاهَا
مَا بِأَلْهَا رَضِيَتْ سَفَاهَةً رَأْيَهَا
دَعْنِي أَعْلَلُ بِالتَّصْبُرِ مُهْجَتِي
حَتَّى أَحْتُ إِلَى الْبَقِيْعِ رِكَائِبِي
وَأَجِيلُ فِي تِلْكَ الْمَعَالِمِ نَظْرَةً
وَأَحْطُ رَحْطِي عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ
قَبْرِ إِذَا لَتَمَّ الْعَصَاةُ تُرَابَهُ
مَالِي إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَسَيْطَةِ
عَبْدِ يَرُومَ نَجَاتِهِ مَنْ ذَنْبِهِ
بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى تَوْتُ أَوْطَانُهُ
شَوْقاً إِلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ إِنَّهَا
مَنْ كَانَ يَهْوَى الْفَانِيَّاتِ فَإِنَّنِي
تَحْكِي الْبِحَارُ الطُّمُ فَيُضْ مَدَامِعِي
سَبَقَتْ رَجَالُ الزِّيَارَةِ قَبْرَهُ
وَتَحْمَلَتْ لَا تَنْتَنِي عَزَمَاتُهَا
يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ يَبْغِي طَيْبَةً
وَاقْرَأَ السَّلَامَ وَإِنْ أَرَدْتُ مَثْوِيَةً
تِلْكَ الْمَعَاهِدُ لَا مَعَاهِدُ زَيْنَبُ
لَكِنْ مَعَاهِدُ تَوْبَةٍ تَتَخَلَّصُ (١٢٦)
مَنْ فِتْنَةُ الدُّنْيَا وَمَنْ تَبِعَاتِهَا
عَرَفَتْ بِمَوْلَدِهِ السَّيُوفُ مَضَاهَا
وَتِيَامَنُ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَخُبِرَتْ

/264

/265

وَارْتَجَّ مِنْ دُغْرِ بِهِ إِيوَانُهَا
وَحَبَّتْ بِهِ نِيرَانُ فَارِسَ وَانْقَضَتْ
سُبُكَتْ بِيَاسِينَ عَنَايَةُ رَبِّهِ
سَبْحَانَ مَنْ رَحِمَ الْعِبَادَ بِأَحْمَدٍ
وَتَدَارَكَ الدُّنْيَا بِمَلِكٍ (١٢٧)
مَلِكٌ إِذَا هَزَّ الْقِنَاءَ بِكُفِّهِ
وَجَهَّ يَرِيكَ الْبَدْرُ لَيْلَةً تَمُّهُ
وَسَخَاءُ كَفَّ لَوْ تَجُودُ كَجُودِهِ
مَنْ أَلْ نَصْرُ خَيْرُ أَمْلَاكِ الْوَرَى
قَوْمٌ إِذَا نَادَى الصَّرِيخُ بَارِضَهُمْ
خَيْلٌ عَلَيْهَا كُلُّ أَرُوعٍ بِاسْلٍ
تُعْزَى لِأَوْلَادِ الْوَجِيهِ وَلَا حَقَّ
مَنْ أَجْرَدَ وَمُشْدَبٌ عَيْلِ الشُّوَى
تَرْنُو بِطَرْفٍ فِي السَّمَاءِ مُجَالَّةً (١٢٨)
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدْ عَاوَدَتْ
إِنِّي جَلَوْتُ لَدَى بَسَاطِكَ غَادَةً
فَامْنَنْ عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ فَإِنَّهَا

وَوَهَتْ مَعَالِمُ عَزُّهَا وَعُمْلَاهَا
دُنْيَاهُمْ حَقًّا وَحَانَ رَدَاهَا
شَهَدَتْ فَوَاتِحَهَا وَأَخَّرَ طَاهَا [61]
وَشَفَى النُّفُوسَ بِهَذِيهِ وَهَدَاهَا
مَنْ بَعْدَهَا عَبَّثَتْ أَكْفُ عَدَاهَا
كَبَانَتْ صُدُورُ عِدَاتِهِ مَأْوَاهَا
وَتَعَارُ مِنْهُ الشَّمْسُ نُورَ سَنَاهَا
غُرَّ السَّحَابُ لِفُجْرَتِ أَمْوَاهَا
سَادُوا الْبَرِّيَّةَ كَهْلَهَا وَفَتَاهَا
طَارَتْ خِيُولُهُمْ وَخَفَّ وَنَاهَا [62]
يَلْقَى الْمَنِيَّةَ كُلُّ مَنْ يَلْقَاهَا
لَا تَشْتَكِي طَوْلَ السَّبَاقِ وَجَاهَا [63]
وَمَطَّهْمُ سَلَبُ الطَّيُورِ قَوَاهَا [64]
وَتَصِيخُ (١٢٩) أَذْنَا حَيْثُمَا وَلَاهَا
بِزَمَانِهِ الدُّنْيَا زَمَانَ صَبَاهَا
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيِّبُ شَذَاهَا (١٤٠)
بَكَرَ تَغَارٌ إِذَا تَغَارَ سَوَاهَا

6 /

ومن ذلك قصيدة للشيخ الأديب الشهير، أبي عبد الله محمد بن حسان
[65]، قصيدة معشوية، شأن من أخلقت ولادة النظم رحم إجادته :

(طويل)

دَعُوهَا تَسْلُ فَوْقَ الْخُدُودِ دُمُوعُهَا
وَلَا تَمْنَعُوهَا مِنْ نَوَاسِمِ حَاجِرٍ
وَفَاحَ لَهَا مِنْ مُنْبِتِ الشَّيْخِ مَنَدَلٍ
تَرَاثَ لَهَا أَعْلَامَ مَكَّةَ فَاغْتَدَتْ
لِمَطْلَعِ نُورِ الْوَحْيِ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي
لَوْتَ نَحْوَهَا الْأَعْنَاقُ تَعْتَقُ فِي السَّرَى
وَأَلْقَى بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ سَفَارَةً
تَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحَجَازِ صِبَابَةً

إِذَا الْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ أَثَارَ نَزْوَعُهَا
فَإِنْ نَسِيمَ الرِّيحِ يَبْرِي وَلُوعُهَا
فَهَامَتْ بِهِ نَشْوَى تَجْرُ نَسْوَعُهَا [66]
وَقَدْ أُنْسَتْ أَطْلَالُهَا وَرُبُوعُهَا
تَحْتُ خَطَى شَوْقٍ أَجْرُ ضُلُوعُهَا
إِذَا سُدْفُ بِالزَّهْرِ جَبَّتْ هَزِيعُهَا
وُخْصُ مِنَ الْإِرْسَالِ (١٤١) طَرًّا رَفِيعُهَا
وَإِنْ سَلُوةً رَامَتْ فَلَنْ تَسْتَطِيعُهَا

267 /

فكيف بمُنْخُضِهَا (١٤٢) وقد ظلّ نازحاً
إذا أطربَ الحادي بِذِكْرِ حَبِيبِهَا
ترنّحَ فوقَ الكورِ وَالرَّحْلُ يَنْتَنِي
ونو الحبّ لا تخفي سريرةَ حبّه
عليه عدولٌ لم يُجرحْ شهيدُها
فيا سابقَ الوجناء واجه بها الصبّا
وجدتُ بها وهنا نسيمٌ أحبّتي
وكنْتُ جريئاً (١٤٦) النفس قبل هبوبها
فيا ليتني أنضى المطي ليثرب
أعقرُ شيبى بالثرى (١٤٧) وهو مسكّة
لقد شرفَ الله الشهرورَ كرامةً
فيا ليلةَ أربى على الصبيح نورها
ومن أجلها الكرسي والعرش أبدعا
بها أطلعَ الرحمان نور هداية
وملة من أنجى الخلائق من ردى
له معجزاتٌ دونها الشهبُ كثرةً

أخا مقلّة أنأى الفراقُ هجوعها
وشاقتُ أغانيه القلوبُ وروعها
وكادَ الهوى أسرارَه أن يُذيعها
له كبدٌ فث (١٤٤) الغرامُ صدوعها
ضنى وأسى والعينُ تجرى نجيعها
لتتشقّ (١٤٥) مكن أزهارها
بسُهدي أغرّتنى فبتُ مطيعها
فلما أنبرت بالخيف بت جزوعها
أشاهدُ من شمسٍ أنارت طلوعها
والثم لثم المستهام بقيعها
وخص بميلاد الرسول ربيعها
محاسنها يجلو الجمال بديعها
وواصلت الأرواح طراً خشوعها
شريعة دين ما ألدّ شروعا
وفي الحشر من نارٍ فكان شفيعها
يضيف نطاق القول عن أن يشيعها

ومنها بعد المعجزات :

باندلس أحيا الخليفة رستمها
محمد الزكي الخلال ابن يوسف
فقد سجت (١٤٨) منه البلاد بمازن
وعاد إلى الدنيا الشهاب بملكه
تقول ملوك الأرض طراً بفضله
وأفد من أمصاره كل ماجد
وجاء بها غراء باهرة السنأ
وأوضح نهج الدين منها فطابقت
وشيد للعزم المقيم مبانيها
فقبّتها تحكي المحيط استدارة
بدائع رقم كالمجرة جمعت
وقد أشبهت السواري معاصماً (١٥١)
وفتح نور الروض في جنباتها

كما لآلات زهر النجوم لموعها
يحوط تغورا بالقنأ لن يضيعها
فما تستطيع الحادثات (١٤٩) منيعها
وكان بها خبل (١٥٠) فداوى صريعها
وتلقي له الإقليد تبدي خضوعها
حيث الخطا للمكرمات سريعها
جلا الحسن منها خودها وسموعها
أصول المساعي الصالحات فروعها
وأطلع فيها كالشمس شموعها
علي عمد التقوى أقام ربيعها
كواكبها بالوشي زان جميعها
ليبيض إذا استذنت إليها ضجيعها
إذا ما سقته الواكفات دموعها

وقد نَشَرَ الطاووسُ فيها جناحه
فَهَيَّيتُ يا تاجَ الملوك ذخيرَةً
فَوَافَتَكَ بِالْفَتْحِ القريبَ عَجائبُ
وزخرفتِ الاصْباغُ منها صنيعها
بِنافَسٍ بالدنيا أَنْ يبيعها
يُجِيبُ إذا تَدَعَوْ إِلَيْكَ سميعها

ومن ذلك قصيدة للفقيه المثبت لهذا العهد ببيت الكتاب، أبي جعفر بن عبد الملك [67]، طارد فيها المعاني طردا أقصرت عنه خيل الألفاظ الدالة على معظم خلل الدال، ولم يحصل الغرض من المدلول، وأولها حسن :

(كامل)

نارُ الصبابة إنْ رَضِيتَ سَلاماً
لا أَشْتَكِي سَقَمًا بِهِ جَرَكِ إِنَّمَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَجْرِي وَيَعْدِي عَنْ قَلْبِي
وإِطْلُمَا صَالَ الزَّمَانُ وَإِنَّمَا
أَبْلَى الجَدِيدَانِ [68] الشَّبَابُ كَانَمَا
وَمَحَا دَجَاهُ صَبَحَ شَيْبٌ قَدْ بَدَتْ
يَا لَيْتَ لَيْلُ (١٠٢) شَبِيبَتِي لَمَّا انْقَضَى
شِعْرَاتُ فَوْدٍ قَدْ نَصَعْنَ وَإِنَّمَا
وَلَّى الشَّبَابُ كَانَتْهُ طَيْفُ الكَرَى
وَاهَا لِعَصْرِ شَبِيبَةٍ فِي القَلْبِ مِنْ
أَسْفَى عَلَى نَقْصَانِ عُمْرٍ ذَاهِبٍ
مَنْ مَنَقَذَى إِلَّا شَفَاعَةً مِنْ لَهْ
العَاقِبِ المَاجِي الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ
لَوْلَاهُ مَا فَتَقَتْ بَرْهَرِ الزَهْرِ فِي
لَوْلَاهُ مَا غَطَّى عَلَى مَسْكَ الدُّجَى
لَوْلَاهُ مَا رَفَعَتْ بَجَنَاتُ العَلَى
بَحْرُ لَهُ مِنْ كُلِّ لَفْظٍ جَوْهَرٍ
قُطْبُ لِفَرْ فَعَالِهِ وَمَقَالِهِ
بَذَرُ لَهُ المَجْدُ المَوْكَلُ مَطْلَعُ
شَمْسِ الوجودِ وَمَنْ أَتَى والأَرْضُ قَدْ
فَمَحَا ظِلَامَ الغَيِّ نَوْرَ هُدَاهُ إِذْ
مَنْ آيُهُ كَالشَّهْبِ أَقْسَمَ حَصْرُهَا
نَطَقَتْ ذِرَاعُ وَاشْتَكَى جَمَلُ وَكِي
وَالجِذْعُ حَنْ حَنِينٍ ضَبُّ قَدْ كَوَى

وشقاء قلبي من هَوَاكَ سَقَامُ
أَشْكُو إِذَا هَجَرْتَنِي (١٠٢) الأَسْقَامُ
فَهَوَانُ نَفْسِي فِي الهَوَى إِكْرَامُ
للصَّبِّ بَعْدَ جِرَاحِهِ إِقْدَامُ
لذاته في ليلته أَحْلَامُ
لضِيائِهِ فِي مَفْرَقِي أَعْلَامُ
لَمْ يَنْتَقِلْ للقلبِ مِنْهُ ظِلَامُ
هي في الفؤادِ المَسْتَهَامُ سَهَامُ
وكذاك أيامُ الشَّبَابِ مِنْهَامُ
إِتْلَافُ جَوْهَرِهِ أَسَى وَغَرَامُ
فَيَنْقُصُهُ قَدْ زَادَتْ الأَثَامُ
بَيْنَ الجَوَانِحِ مَذْعَلَتُ مَقَامُ
يَكُ فِي الوردِ نَقْضٌ وَلَا إِبرَامُ
غَسَقُ بِنَهْرِ مَجْبَرَةٍ أَكْمَامُ
كَافُورٍ صَبَحَ فُضٌّ عَنْهُ خَتَامُ
سُرُرُ [69] وَلَا كَانَ السُّرُورُ يَدَامُ
وَلَهُ مِنَ الجودِ العميمِ غَمَامُ
حَكَمُ تَدَوُّرٍ عَلَيْهِ والأَحْكَامُ
وَلَهُ مِنَ الخُلُقِ العَظِيمِ تَمَامُ
غَطَّى عَلَى أَفَاقِهَا الإِظْلَامُ
ضَلَّتْ (١٠٤) سَبِيلَ نَجَاتِهَا الأَحْلَامُ
أَنْ لَا يُرَى أَبْدَأُ لَهُ إِثْمَامُ
يُخْفِي عَنِ الأَعْدَاءِ حَامُ حَمَامُ
أَكْبَادُهُ عِنْدَ الفِرَاقِ هِيَامُ

لتذلل الأمل الشُرود زمام
ومن العزائم صارم صمصام
حكّم لها بذكائه أحكام
يبري ضننى من داؤه (١٥٥) الإعدام
مُزني الجدا ما دامت الأيام
فقد استعار الباسل الضرغام
من خوف أنكال [70] العقاب ضرام
شمس وروض عاطر وحسام
شيم تحار بوصفها الأوهام
لم يلف مثلك في الملوك همام
في جيدها لولاك منه نظام
لهنّيد النصر العزيز قوام
نعم على كل الأنام تدام

ملك براحة عزّه ومضائيه
وله من الآراء جُنْد غالب
يجري به للنصر من تجريبه
يذني المنى يقصي العنا يسدي الغنى
مُحيي الهدى منقى العدى مولى الندى
فإن استعار الروض منه شمائله
يحيي ببرد العفوف من في قلبه
فبهاؤه وثناؤه ومضاؤه
يا أيها المولى الذي لكماله
هذا صنيعك ماله مثل كما
يا فخر أندلس يحلي لم يكن
العدل والإحسان ينشأ منهما
دامت سعودك في الصعود فإنها

/27

ومن ذلك قصيدة للفقير النابغ في فن الشعر لهذا العهد المكثّر منه، أبي بكر بن أبي القاسم بن قطبة [71]، ولم يقصر عن الإجادة :

(كامل)

وتُسيل في العرصات فيض الأدمع
وأفاض مدمعها لذكر الأجرع
قد بان من يهواه غير مودع
أضلاعهنّ فلا تسل عن أضلعي (١٥٧)
شوق المتيم غير شوق المدعي
فتنقّست شوقاً لتلك الأربيع
ضوء الصباح هدى الورى للمهيع [73]
لكن مؤاكله قريب المصريع
مما يراد به بقلب موجع
عجب لمستمع هناك ومن يعي
خرس البليغ وحار الألمعي (١٥٨) [74]
أضحى عليه الحزن غير مضيع

دعها تحن إلى إبارق [72] لعلع
فالشوق أنضاه لاطلال الحمى (١٥٦)
بالله قل لي كيف حال متيم
هن المطايا مذ طوين على الأسى
نزعّت على شحط المزار لطيفة
وحدا بها الحادي لذكر محمد
ذي المعجزات الباهرات كأنها
السّم أطعمته فما أن ضره
وشكا البعير إليه ما قد ناله
ولرده في الحرب عين قتادة
وكفاك بالقرآن أعظم آية
أنهفي على تضيق عمر قد مضى

/27٤

ركبتُ به نفسي ذنوباً ضَعُفَتْ
يا سيدَ الثَّقَلَيْنِ مالي مَطْمَعٌ
واسألُ إِلَهَكَ (١٥٩) لي بحَقِّكَ رَحْمَةً
حاشا (١٦٠) وكلاً أَنْ تَضِيعَ وسائلي
أكرمَ بمولده ومبعثه الذي
صَدَعَتْ به ظَلَمَ الخطوبِ فَأَشْرَقَتْ
فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ حَيَّةٌ
وجزى الإمامَ مُحَمَّدًا عَنْ دينه
ملكٌ إِذَا ثَلِيَتْ مائِرُ مَجْدِهِ
متَفَضَّلَ سَهْلُ الخلائقِ ماجدٌ
غيثُ العفاةِ إِذَا السنونُ تَتَابَعَتْ
ليثُ اللقاءِ إِذَا الرماحُ تَشَاجَرَتْ
قَسَمًا لَقَدْ أَعْطَاهُ كُلُّ فَضِيلَةٍ
فإِذَا يَفَاخِرُ فِي العُلَى ملكٌ فَقَدْ
وَإِذَا يَلَاقِي فِي الوَفَى أَسَدَ الشَّرَى
أما سعودك يا أَجَلَ خَلِيفَةِ
أما المكارمُ فَهِيَ أَصْعَبُ مَطْلِبًا
يا رَاكِبًا يَصِلُ السَّرَى فِي لَيْلَةٍ
إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي الْغَنَى أَوْ فِي الْعُلَى
وَانْزِلْ بِبَابِ مُحَمَّدٍ فَمُحَمَّدٌ
مَوْلَايَ دُونَكَ مَا أَقُولُ وَإِنْ لِي
أَمْنَتُهَا مِنْ حَكْمِ دَهْرٍ ظَالِمٍ
وَأَعْدَتُهَا لِلْأَمَلِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
عَهْدِي بِهِ مِنْ بَعْدِ بَيْنِكَ مَظْلَمًا
وَالْبَرْقِ خَفَاقٌ عَلَيْكَ فِرَاقُهُ
أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَانَ جَلُّ جَلَالُهُ
وَكَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ - سُبْحَانَهُ -
أُمُحَمَّدٌ وَنَدَى يَدَيْكَ لِسَائِلِ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ كُلَّ مَا أَمَلْتَهُ

جبالاً لَحْمِي كَانَ غَيْرُ مُضْغَضَمٍ
فِي غَيْرِ فَضْلِكَ فَلْتَصَدَّقْ فِي مَطْمَعِي
وَاشْفَعْ تُشْفَعُ يَا أَجَلَ مُشْفَعٍ
وَيُخَيَّبُ فِي آلِ الرِّسُولِ تَشْيُعِي
أَوَى بِهِ لِلْأَمْنِ كُلِّ مَزْدُوعٍ
هِيَهَاتَ لَوْلَا نَوْرُهُ لَمْ تَصْنُدِعْ
يَحْيَا النَّسِيمُ بِعَرَفِهَا الْمُتَضَوِّعِ (١٦١)
عَزَا يَنْيِفُ عَلَى النُّجُومِ الطُّلَعِ
أَزْدَى بِكُسْرَى فِي الْمُلُوكِ وَتُبْعِ
حَبْلُ الرَّجَاءِ بِبَابِهِ لَمْ يَقْطَعْ
وَرَبُّوهُ بِهِ لِلْعَيْشِ أَعَذِبَ مَشْرِعِ
شُقَّتْ بِهِ الْأَجْسَامُ تَحْتَ الْأَذْرَعِ
مَا لِلرُّبَى عَنْ جَوْهَا مِنْ مَدْفَعِ
سَبَقَ الْمُلُوكُ بِقَدْرِهِ الْمَتَرَفِعِ
مَا إِنْ لَهَا فِي عَوْدِهِ مِنْ مَطْمَعِ
فَنُجُومُهَا طَلَعَتْ بِأَسْعَدِ مَطْلَعِ
لَوْلَا يَمِينُكَ بِأَبْهَا لَمْ يَقْطَعْ
لَيْلًا وَتَرْقُلُ فِي رَدَاءِ أَسْفَعِ [75]
يَمُّ حَمِي هَذَا الْإِمَامِ الْأَزُوعِ
مَلِكٌ إِذَا مَنَعَ الْحَيَا لَمْ يَمْنَعِ
نَفْسًا بِذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ تَقْنَعِ
وَأَجَرَتْهَا مِنْ جَوْرِهِ الْمُتَوَقِّعِ
جَدَّدَتْ [فِيهِ] (١٦٢) كُلَّ رُبْعٍ بَلَقَعِ
مُسْتَوْحِشَ الْعُرْصَاتِ قَفَرُ الْأَرْبَعِ
وَالسُّحْبُ تَبْكِي بِالْدمُوعِ الْهَمْعِ
كَمْ خَلَتْ ذَلِكَ شَقَّةٌ لَمْ تَقْطَعْ
مَا غَيْرَ سَاحَةِ بَابِهِ مِنْ مَفْزَعِ
بَحْرٍ لَذِيذُ الْوَرْدِ عَذَبُ الْمَشْرِعِ
وَحَبَاكَ مِنْ رُتَبِ الْعُلَا بِالْأَرْفَعِ

ومن ذلك قصيدة للطالب النبيل من كتاب بيت / الانشاء، أبي القاسم بن حميد [76]، قصيدة، لم تفارق السداد، وهي : (١٦٣) :

يحكي اشكاب الدمع من أجفاني
نار الصبابة والهوى بجنابي
فسرى الجوى بجوانح الهيمان
وفصمت عن قلبي غرى السلوان
ما شئت من ماء ومن نيران
وثويت في (١٦٦) ذاك الحمى بمكان
وجررت في واديه فضل عنان
واقضض هناك خواتم الكتمان
على صدق المحبة واضح البرهان
عن ذي اغتراب نازح الاوطان
شمس النهار وخص بالقرآن
منها عساكر جيشه الظمان
أودى بهم صرف الزمان الجاني
في كفه العظمى بغير لسان
والبدر شق ولاح رأي عيان
أبدي دليل الحق والإيمان
ومحت رسوم الغي والبهتان
تعنوا لوجوه بجاهه الرباني
ونفوزمنه بجنت الرضوان
وبفضله يستشفع الثقلان
ظفر الورى (١٧١) فيها بنيل أمان
عنا ظلام الشرك والعدوان
اثارها بسوايغ الإحسان
يجني بها أبدا رضى الرحمان
فقدنا محلي ذلك الميدان
لو كان جود الويل كل (١٧٤) زمان
والبحر في فيض الندى سيان
بدر بدأ ما عيب بالنقصان

جاد الغمام بصوبه الهتان
وحكت بروق أبرقت بجلاله
وسرت على البطحاء أنفاس الصبا
مه يا نسيم قد أذبت حشاشتي
وأرقت من جفني ومجت (١٦٥) بأضلعي
يا صاح إن جئت الخيام بيئرب
وسريت في تلك الأجارع والربى
فانشر لواء محبتي بفنائيه
واشرح قضيات الهوى وأقم
وافتح بأربعه التحية مسكة (١٦٧)
والثم بطيبة من حبست له
وجرت بأمله مياه (١٦٨) فارتوت
وأعاد عين قتادة وشفى الألى
والجذع حن له وسبحت الحصى
والضب كلمه كلاماً بيناً
لله منه نبي صدق مرسل
رفعت منار الرشيد آية هديه
ذاك النبى محمد ذاك الذى
ذاك الذى نرجو شفاعته غدا
من أجله حق السجود لأدم
أكرم بمولده وليلتيه التسي
طلعت بها شمس النبوة وأنجلي (١٧٢)
أحيا أمير المسلمين محمد
وأقام فيها للعباد مراسما (١٧٣)
وجرى بميدان السماح مع الصبا
والويل جاد فكاد يحكي جوده
سله تنل مل شئت إن يمينه (١٧٥)
هو للعدى كاس الردى ولذى والهدى

يَهْمِي بِسُخْبِ كَتَائِبٍ، يَقْنَى (١٧٦) يَبْرُ
فَاحَ النَّدَى بِمَدِيحِهِ (١٧٨) فَكَائِسُهُ
فِي حُسْنِ طَلْعَتِهِ وَقَصَلِ خَطَابِيهِ
وَالْيَكُ مَنْ رَوْحِي الْكَلَامِ حَدِيقَةُ
جَاعَتِ تَرْيِكَ الدَّرُ فِي الْأَسْلَاكِ أَوْ
فَاصْعُدْ وَسُدْ وَاسْعُدْ وَجُدْ وَاهْنُ وَدُمُ
لَا زِلْتُ تَرْقَى فِي مَرَاقِي الْعَرْ مَا

قِي صَوَارِمٍ، يُرْدِي (١٧٧) بِنَجْمِ سَنَانٍ
مُتَقَنَّسٍ عَنِ نَفْحَةِ الْبُسْتَانِ
مُسْتَمْتَعٍ (١٧٩) الْأَبْصَارِ وَالْأَذَانِ
فَتَحَّتْ (١٨٠) كَمَاثِمُهَا بِغَرِّ مَعَانٍ
تَهْدِيكَ أَنْوَاراً عَلَى أَفْنَانٍ
وَأَنْعَمَ بِمَلِكٍ ثَابِتِ الْأَرْكَانِ
عَطَفَ النَّسِيمُ مَعَاطِفَ الْأَغْصَانِ

6 /

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه، القديم الطلب، الكبير الشهرة بالأدب، أبي
جعفر بن خاتمة [77]، قصيدة متقاصرة عن النمط المعهود منه، يستريب منها
نسب إجادته، صدرت عنه وهو بحال مرض ماعي [78]، فبان عذره، وهي :

(كامل)

مَبْنَى أَغْرَ وَلَيْلَةُ غُرَاءُ
مَا إِنْ يَكَادُ يَحْسُ مِنْ نَوْرِهَا
وَخَلِيفَةُ قَدْ تَوَجَّهَتْ مَهَابَةُ
دَارَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِدَرْ طَالِعُ
فَكَانَتْ فِي أَفْقِهَا شَمْسُ الضُّحَى
شَهِدَتْ ذُكَاءً بَانَتْهُ مَصْبَاحُهَا
يَا لَيْلَةُ مَا (١٨٢) مَثَلُهَا مِنْ لَيْلَةٍ
حَيًّا مَحْيَا صَبَحَهَا عَنْ وَجْهِ مَنْ
عَنْ وَجْهِ أَفْضَلِ مُرْسَلٍ يُرْجَى إِذَا
أَحْظَى الْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامَ مَكَانَةً
أَسْعَدَ بَلِيلَةَ مَوْلِدِ عَمِ الْوَرَى
أَحْيَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ تَبَرُّكَا
فَعَلَى الرَّسُولِ بِهَا صَلَاةُ ضَوْعَفَتْ
سَيِّسْرُهُ مَبْنَى بِنَاءٍ عَلَى ثَقَى
يَا خَيْرَ مَبْعُوثٍ لَخِيرِ أُمَمَةٍ
وَعَنْ أَرْتَقَى مَثْنُ الْبُرَاقِ إِلَى الْعَلَى
وَمَنْ أَسْتَجَارَ الْعَجْمُ مِنْهُ بِذِمَّةٍ
وَتَفَجَّرَتْ بِالْعَذْبِ أَنْمَلُهُ كَمَا

عَمَّتْهُمَا الْأَفْرَاحُ وَالسَّرَاءُ
أَرْضُ تَلْقَاكَ أَمْ تَقُولُ سَمَاءُ
تَعْنُو لِفَرْقَةٍ مُلْكِهِ الْخَلْفَاءُ
مَنْ شَهِبَهُ الْوُزَرَاءُ وَالْعَلَمَاءُ
وَالْكَلُّ إِشْرَاقٌ لَهُ وَضِيَاءُ
وَالْحُسْنُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَكْفَاءُ
دَارَتْ بِهَا الْأَوْقَافُ وَالْأَنْوَاءُ
رُهِيتَ بِهِ الْخَضِرَاءُ وَالْغُبَرَاءُ
ضَاقَتْ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ الْأَرْجَاءُ
وَأَجَلُ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ ذُكَاءُ
لِلْمُصْطَفَى عَنْهَا سَنَى وَسَنَاءُ
مَلِكٍ لَسُنَّتْ بِهِ إَحْيَاءُ
وَلَهُمْ ثَنَاءٌ (١٨٣) عِنْدَنَا وَدَعَاءُ
وَيَسُرُّ مِنْهُ الْمُسْلِمِينَ ثَنَاءُ
بِتَلَاوَةٍ فِيهَا هُدًى وَشَفَاءُ
تَطْنُو سَمَاءً دُونَهُ فِسْمَاءُ
وَتَدْفُقَتْ بِدَعَائِهِ الْأَنْوَاءُ
قَدْ سَبَّحَتْ فِي كَفِّهِ الْحَصْبَاءُ

وَمِنْ الْمَلَاذِ (١٨٤) بَجَاهِهِ وَجَنَابِهِ
 قَوْمٌ مِنْ أَمْتِكَ انْتَلَوْا دَاراً فَهُمْ
 مِنْ يُونَيْهِمْ بَحْرٌ تَأْجُجُ مَائُهُ
 يَتَوَسَّلُونَ بِجَاهِكَ الْأَسْنَى عَسَى
 فِي أَمْنِ رَوْعِهِمْ وَكِبَرِ عُدُوِّهِمْ
 وَعَلَا يَنْصُرُ مَلَكُهُمْ فَمَنْ اعْتَلَى (١٨٥)
 حَتَّى تَذُلَّ لَهُ الْمُلُوكُ ضِرَاعُهُ
 وَيُطِيعَهُ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا
 هَذَا، ضِرَاعَتُنَا إِلَيْكَ وَمَنْكَ يَا
 وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنْبَاءِ تَحِيَّةً

مَهْمَا عَرَا أَرْزَمَ وَأَعْضَلَ دَاءُ
 بَجَزِيرَةٍ بَيْنَ الْعَدَى غُرَبَاءُ
 نَاراً وَخَلْفَ ظُهُورِهِمْ أَعْدَاءُ
 أَلَّا يَخِيبَ لَهُمْ لَدَيْكَ رَجَاءُ
 فَقَدْ اسْتَطَالَ وَطَالَ مِنْهُ عِدَاءُ
 بِكَ (١٨٥) نَصْرُهُ قَدْ شَيْدَ مِنْهُ عِلَاءُ
 وَيُعَزِّزُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ لِسَاءُ
 وَتَمِيلُ نَحْوَ مَقَامِهِ الْأَهْوَاءُ
 مَوْلَى الْمُوَالِي الْفَضْلُ وَالْآلَاءُ
 كَالرُّوْحِ وَشَتَّ صَفْحُهُ الْأَنْدَاءُ

ومن ذلك قصيدة للفقير الطيب أبي عبد الله بن سودة [79]، فيها السمين

/278

وغيره : /

(كامل)

شَطُّ الْمَزَارُ فَمَا عَسَاهُ يَقُولُ
 تَنْتَا (١٥٧) عَنْ مَاءِ الْعَقِيقِ جَفُونُهُ
 وَإِذَا تَذَكَّرَ بِاللُّوَا [80] أَحْبَابُهُ
 يَهْوَى التَّوَاصِلَ وَالزَّمَانَ يَصُدُّهُ
 سُرْعَانِ جَفْنِ مَا تَالَّقَ بَارِقُ
 أَوْ كُلَّمَا خَفِقَ النَّسِيمُ تَخَالَهُ
 وَإِذَا جَرَى ذُكْرُ الْحِجَازِ أَعَادَهُ
 هُنَّ الْمَعَاهِدُ مَا فَوَّادِي ذَاهِلُ
 أَشْدُو بِذِكْرَاهَا إِذَا نَفَحَتْ مَبَا
 وَيَهْزُنِي طَيْبُ الْحَدِيثِ فَاثْنَتْنِي
 إِلَيْهِ وَبَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ شَوْقِهَا
 مَالِي إِذَا ذُكِرَ الْحَمَى سَقَى الْحَمَى
 قَصْرَتْ لَدَيْهِ مَوَاقِفِي وَلَطَامَا
 وَإِذَا تَرْنَمَ بِالسُّرَى حَادِي السُّرَى
 أَنَايَ بِجِسْمِي وَالْخَلِيطُ يُضَيِّنُنِي
 وَلَقَدْ أَقَمْتُ عَلَى الرَّسُومِ كَأَنَّنِي
 اسْتَفْهَمُ الْأَطْعَانَ عَنْ رَكَبَاتِهَا

صَبٌّ يَهْيِجُ شَوْقَهُ التَّعْلِيلُ
 وَتَكَادُ عَنْ نَوْبِ (١٥٨) الْقُلُوبِ تَسِيلُ
 عَنِ اللَّقَاءِ وَأَعْوَزَ التَّأْمِيلُ
 وَكَذَا الزَّمَانُ مَبْعُدٌ وَمَطْوِلُ
 إِلَّا وَأَتُهُمْ دَمْعُهُ الْمَطْوِلُ
 دَارَتْ عَلَيْهِ مِنْ صَبَاءِ شَمُولُ
 طَرَبٌ يَرَا جِعَ شَجْوَهُ فَيَمِيلُ
 عَنْهَا وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلُ
 وَأُسْلَسِلَ الْعِبَرَاتِ وَهِيَ هُمُولُ
 طَرِباً وَمَا عَصَفَتْ هُنَاكَ قَبُولُ
 خَيْرٌ يَعَادُ حَدِيثُهُ فَيَطْوِلُ
 مِنْ أَدْمَعِي وَغَرَامِي التَّخْيِيلُ
 طَابَتْ عَلَيْهِ صَبَابَةُ وَغَلِيلُ
 أَلْوَى صَبْرِي لِلرَّحِيلِ رَحِيلُ
 أَنَايَ وَقَلْبِي فِي السُّرَى مَحْمُولُ
 طَلَلُ تَقَادُمِ رَسْمِهِ الْمَسْمُولُ
 وَأَسَائِلُ الْعَرَصَاتِ وَهِيَ طَلُولُ

هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الَّذِينَ سَرَتْ بِهِمْ
يَسْرُونَ فِي جَوْفِ الظُّلَامِ كَأَنَّهُمْ
تَهْوِي بِهِمْ شَعَثُ الْمَطْيِ كَأَنَّهُمْ
أَنْضَاهُمْ طَوْلُ السُّرَى فَكَأَنَّمَا
وَصَلُوا الذَّمِيلَ [٨١] وَيَعْمُوا مِنْ طَيِّبَةٍ
طَابَتْ بِهِ لِلْقَاصِدِينَ مَوَارِدُ (١٨٠)
مَنْ لِي بِذَاكَ الْقَبْرِ أَرْسَلُ نَظْرَةً
كَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْحَقِّ وَدَوْنَهُ
أَهَا لَعْمَرٍ مَا سَلَكْتُ رَشَادَهُ
وَجَمَاحُ نَفْسٍ مَا حَصَرْتُ عَنَانَهَا
مَا زِلْتُ أَنَاهَا وَأَعْلَمُ أَنَّهَا
أَوْدَى الشَّبَابُ وَخَصَمْتُ عَقْلِي يَدْعِي
تَرَعَى نَوَاصِلَهُ الْبِيَاضُ (١٨١) وَإِنَّمَا
مَا ضَرَّنِي وَقَدْ اسْتَمَلْتُ وَقَارَهُ
كَيْفَ الْخَلَاصُ وَقَدْ أَضْعَفْتُ أَمَانَةً
حَمْدُ السُّرَى هُنْدُ الصَّبَاحِ [٨٣] عَصَابَةٌ
يَا رَاكِبًا يَصِلُ الذَّمِيلُ وَقَصْدُهُ
بَلَّغَ تَحِيَّةٍ مَنْ عَرَّتَهُ ذُنُوبُهُ
يَهْوِي عَلَى حِطِّ الْمَزَارِ وَقَرِيبُهُ
الْعَاقِبُ الْمَاحِي الشَّفِيعُ وَمَنْ بِهِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ
لَوْلَاهُ مَا هَدَى الْأَنَامُ وَمَادَرْتُ (١٨٢)
لَوْلَا هُدَاهُ وَفَضْلُ أَمْتِهِ لَمَّا
لَوْلَا حَقِيقَتُهُ وَمَعْنَى ذَاتِهِ
فِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْهُ مُرْشِدٌ
شَهِدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَالْأَرْسَالُ
كَمْ آيَةٌ قَطَعَتْ لَهُ بِالْحَقِّ مَا
كَالشَّمْسِ أَطْلَعَهَا فَعَادَتْ بَعْدَمَا
وَالْبِدْرُ شَقَّ لَهُ وَلَاخَ شَهَادَةً
وَالْجَذْعُ حَنْ لَهُ وَسَبَّحَتْ الْحَصَى
وَالصَّاعُ يَطْعِمُهُ الْمُنْيَنُ فَيَفْتَنُوا

9 /

نَحَوَ الْحِجَازِ رَكَائِبٌ وَحُمُولُ
أَسْرَارُ حَقٍّ فِي الْقُلُوبِ تَجُولُ
مَنْ رَقَبَهُ لِحُرُوفِهَا تَشْكِيْلُ
فِي الْحَسِّ مِنْ أَجْسَامِهِمْ تَخْيِيلُ
قُبْرًا (بِه) (١٨١) لِلْمَذْنُبِينَ قَبُولُ
وَعِلَابُهُ فِي جَانِبِيهِ نَزُولُ
فِيهِ وَأَشْرَحَ لَوْعَةً وَأَقُولُ
عَرَضُ الْفَلَاةِ وَمَقْصَدُ مَطْطُولُ
إِلَّا وَأَسْرَعَ لِلْهَوَى تَخْلِيلُ
إِلَّا وَتَرَقَّبُ غَفْلَةً فَتَجُولُ
عَنْ عَادَةِ التَّسْوِيفِ لَيْسَ تَنْزُولُ
أَنْ الْمَشِيبَ عَلَى الْفَنَاءِ دَلِيلُ
فِي الْقَلْبِ مِنْ تِلْكَ النَّصُولِ نَصُولُ
أَنْ شَيْئًا لِلنَّشَاطِ يَأُولُ (١٨٢)
وَالْقَلْبُ عَنْ خَطَرَاتِهِ مَسْئُولُ
ظَلَعْنَا فَكَانَ لَهُمْ بَيُّوْبُ رَسُولُ
ذَاكَ الضَّرِيحِ وَسَعِيَّةُ الْمُقْبُولُ
عَنْ أَنْ يَتَّحَاحَ لَهُ هُنَاكَ حُلُولُ
قَرَبُ الرَّسُولِ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
يُرْجَى الْأَمَانُ وَيَبْلُغُ الْمَأْمُولُ
مَعْنَى الْإِلَهِ وَسُتْرُهُ الْمَعْقُولُ
سَبِيلُ الرِّشَادِ الْأَنْثَلُ وَعَقُولُ
رَفَعَ الْخُلَّالُ وَنَزَلَ التَّنْزِيلُ
مَا لَاخَ حَقٌّ وَأَنْجَلَى مَدْلُولُ
فِي الْأَرْضِ مِنْهُ وَفِي السَّمَاءِ رَسُولُ
وَالْفَرْقَانُ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
خَفِيَ الدَّلِيلُ وَأَخْوَجَ التَّأْوِيلُ
قَدْ حَانَ مِنْهَا لِلْمَغِيْبِ أَقُولُ
وَالْمَاءُ أَضْحَى مِنْ يَدَيْهِ يَسِيلُ
فِي كَفِّهِ وَحَنَا عَلَيْهِ نَخِيلُ
كُلًّا وَقَدْ أَضْحَى لَهُمْ مَأْكُولُ

0 /

يا خيرَ مَنْ علقَ المُسيءُ بحبلِهِ
مالي سواكَ وإنْ أسأتُ جَنائِيَّةً
إنْ لَمْ تَكُنْ لي في مَعادي شافعِعاً
أَسْرَى بِكَ الرِّحْمَانُ فِي مَلَكُوتِهِ
فِي حَيْثُ لَا قَلْبَكَ وَلَا مَلَكَ وَلَا
وَرَعِيَّتَ مِنْ مَكْنُونٍ سِرِّ اللَّهِ مَا
آيَاتُ حَقٍّ لَا يَقُومُ بِبَعْضِهَا
الْجَيْشُ جَيْشُ يَرْبِي (١٩٤) وَجْهَهُ
وَالْتَمَرُ يُجْعَلُ فِي بَنَانِكَ قَبْضَةً
مَاذَا عَسَى أُخْصِي وَقَدْ عَجَزَ اللِّسَانُ
لَمْ يَدِّ يَوْمٌ مِثْلُ مَوْلِدِهِ الَّذِي
شَهْرُ أَعَزَّ اللَّهُ مِنْهُ لَيْلَةٌ
وَاهْتَزَّ مِنْ إِيوَانٍ كَسَرَى شَامِخُ
يَا لَيْلَةُ حَمْدِ السَّرَى بِصَاحِبِهَا
أَحْيَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ لَشَأْنِهَا
وَأَقَامَ فِيهَا لِلْعِبَادِ مَرَامُهَا
بَنَاتُهَا وَبِالْمَقْصُورَةِ الْعُلْيَا لَنَا
لِلسُّعْدِ فِيهَا وَالسَّمَاحَةِ مَنْزِلُ
إِيهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَنِيَّتُ (١٩٥) مِنْ
الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِكَفِّكَ جُمُعَا
النَّجْمُ أَنْتَ فَهَلْ لِفَضْلِكَ دَافِعُ
فَحْمَاكَ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ مِلَادَةً
تُحْدِي بِمَدْحِكَ فِي الْفَلَاةِ رِكَائِبُ
أَحْرَزْتَ لِلْعُلْيَاءِ سِبَاقَهَا
وَسَمَا بِعِزِّكَ فِي السَّمَاءِ مَرَاتِبَا
شَرَفَ بِيَاهِي الشَّمْسِ فِي أَفَاقِهَا
مَنْ آلَ نَصْرٍ سَادَةً شَرَعُوا النُّدَى
بَدَدَتْ (١٩٦) شَمَلًا لِلْعَدَى مَزَقَّتَهُ
فَاخْتَدَ لِأَحْيَاءِ الْمَعَالِي وَارَقَ فِي
وَأَنْعَمَ بِلَيْلَتِكَ الَّتِي لَنَبِيَّهَا (١٩٧)
لَا زِلَّ تَرَعَاهَا وَتَحْفَظُ الْعُلَى

/281

/282

وَضَفَا عَلَيْهِ مِنْ رِضَاهُ قَبُولُ
الْحَلْمِ أَوْسَعُ وَالْعَطَاءُ جَزِيلُ
مَنْ عَثُرْتَنِي مِنْ ذَا سِوَاكَ يُقِيلُ
وَاللَّيْلُ سِتْرٌ ظَلَمَهُ مَسْدُولُ
بَشَرٌ يَبَاحُ لَهُ هُنَاكَ وَصُولُ
لَمْ يَفُتْ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ
شَرَحَ الْمَقَالَ فَمَا عَسَى التَّطْوِيلُ
فَيَعُودُ عَنْكَ وَحْزِيَّةً مَفْلُولُ
مَنْهُ فَيَكْفِي الْجَيْشَ وَهُوَ قَلِيلُ
نُ وَأَعْجَمُ الْإِجْمَالُ وَالتَّفْضِيلُ
يَزْهِي الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَيَصُولُ
وَعْدَا لَهَا بِالْمُصْطَفَى تَفْضِيلُ
وَهَفَا - لَهُ مِنْ رَأْسِهِ الْإِكْلِيلُ
قَوْمٌ هَدُوا وَشَقَى بِهَِا مَخْذُولُ
قَدْرًا يَطُولُ بِهِ الْوَدَى وَيَصُولُ
تُرْضَى إِلَهُهُ وَقَعْلُهُ مَقْبُولُ
شَرَفُ يَنْالُ وَنَائِلُ مَبْذُولُ
وَالْعَدْلُ رُبُّهُ وَالنَّجَاحُ كَفِيلُ
خَيْرُهَا مَا الْكُلُّ مِنْكَ يَنْبِيلُ
وَالْعَدْلُ ظِلُّهُ فِي دِرَاكِ ظَلِيلُ
وَالْفَيْثُ أَنْتَ فَمَا سِوَاكَ بَدِيلُ
وَيَدَاكَ مَنْ فَيُضِي النُّوَالِ سَيُولُ
وَيَفُوزُ بِالنُّعْمَى لَدَيْكَ نَزِيلُ
وَأَسَلَّتْ مَاءَ الْقَطْرِ وَهُوَ مُحِيلُ
نَسَبَ تَفَوُّتُ بِهِ الْمُلُوكُ أَصِيلُ
وَمُنَاسَبَ رَسَخَتْ عَلَى وَأَصُولُ
وَعَلَا بِهِمُ لِلْعُلُواتِ قَبِيلُ
وَجَمَعَتْ شَمَلًا بِالْهَدَى مَشْمُولُ
عَزَّ لَهُ فَوْقَ النُّجُومِ حُلُولُ
فِي الْأَرْضِ شَأْنٌ لَا يَزَالُ جَلِيلُ
مَا انْشَقَّ صَبْحٌ وَاسْتَمَرَّ أَصِيلُ

ومن ذلك قصيدة للأديب أبي جعفر أحمد بن زرقولة [84] من أهل "المرية" لا بأس بكثير منها :

(كامل)

283 /

نَفْسُ الصَّبَا حَيَا الرِّيَاضِ بَلِيلًا
وَسَرَى عَلَى بَانَاتِ أَدْوَاكِ الْحَمَى
أَهْدَى شَذَا مِنْ طَيِّبِ طَيِّبَةٍ عَاطِرًا
نَفَحَتْ لِقَلْبِي مِنْهُ أَيْسَةً نَفْحَةً
هَاجَتْ بِقَلْبِي لِلْغَرَامِ بِلَابِلًا
يَا صَاحِبِي وَالصَّبَابَةِ لَوَعَةً
رَفَقًا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ فَإِنَّهَا
قَدْ شَفَّهَهَا وَجَدَّ بِهَا حَمَلَتْ بِهِ
وَتَحَكَّمَتْ فِي رَوْعِهَا أَيْدِي النَّوَى
هَلْ تُسْنَدَانِ حَدِيثَ وَجْدِي عَنْ جَوَى
لِي فِي رَسُولِ اللَّهِ حَبٌّ صَادِقٌ
لَمْ لَا ؟ وَقَدْ عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ
وَجَلًّا مُحِبًّا الْحَقُّ أَكْبَحُ وَاضِحًا
هُوَ صِفَةُ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمُجْتَبَى
هُوَ سَيِّدُ الْأَرْسَالِ أَكْرَمُ مَرْسَلِ
أَعْلَى الْوَرَى قَدْرًا وَأَطْوَاهُمْ يَدًا
مَا شَبَّتَ مِنْ شَرَفٍ أَصِيلَ لَمْ يَزَلْ
فَرَعُ زَكَا فِي بُوْحَةِ الْحَسَبِ الَّتِي
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَرْسَلٍ لَمْ يَنْتَعِشْ
نَطَقَ الْكِتَابُ بِحَمْدِهِ نَاهِيكَ مَنْ
وَسَرَى إِلَى السَّبْعِ أَلْسِمَاتِ الْعُلَى
وَكَمْ (١١١) لَهُ مِنْ آيَةِ كَالشَّمْسِ لَا
فَالْبَذَرُ شَقٌّ وَسَبَّحْتَ الْحَمْدَ
وَالضَّبَّ سَلَّمَ مَقْرِبًا بِلِسَانِهِ
وَكَذَا الْبَعِيرُ شَكَا إِلَيْهِ بِحَالِهِ
وَدَعَا وَقَدْ بَخَلَ الْغَمَامُ بُوَيْلِهِ
فَانْهَلُ مُسْتَجِمٌ الْحَيَا حَتَّى دَعَا

184 /

وكفى بيوم الغار معجزة بدت
 لما دعا الأشجار فابتدرت لطبا
 وامتد ظل حمام مكة فوقه
 والعنكبوت عليه حاك بنسجه
 فيه بدا شرف الوجود وأمله
 هذا ربيع في الشهور مقامه
 شهر عظيم القدر جل مكانه
 شهر تطلع فيه نور المصطفى
 لما ألم بنا أعاد زماننا
 يا سيد الأرسال يا من قد هدى
 بك أستجير من العذاب فلم أكن
 أنت المشفع في الودي فلعلني
 صلى الله عليك ما حيا الحيا
 ثم الرضى عن صاحبك الغر الذي
 بذلوا الندى فمتى أتاهم سائل
 وحموا حمى التقوى فكانوا ثونه
 وعن الذين (٢٠٢) تبادروا للنصر في
 نصروا الرسول وأزوه (....) (٢٠٣)
 ونموا ملوكاً من بني نصر بهم
 ونهجو سبيل المكرمات وخلفوا
 وأتى سليل فخرهم من بعدهم
 ملك كبير عادل في ملكه
 نيطت به الأمال لما لم يكن
 بشري لأندلس به فحياته
 قسماً به وما بما حوى من سؤدد
 ما إن سمعت ولا رأيت بمثاله
 ملك الخلافة مستحقاً ملكها
 بحر الندى فالبخر (٢٠٤) مد بسنيه
 لئث الشرى ما اللئث شد مغاضباً
 متكفلاً بدم الكماة بسالة
 بث الإله بخاطري حباً له

/28/

/2/

لنوي النهى لا تقبل التأويل
 عة أمره من حينه تبجيراً
 ظلاً حكى ظل (٢٠٠) الغمام ظليلاً
 برداً وأضفى ستره المسدولاً
 وبه غدا ربيع الهدى مأهولاً
 أعلى مقام قد حوى التفضيلاً
 أضفى به وجه الزمان جميلاً
 قمرأ منيراً لا يخاف أفلوا
 عيداً أنال منى وبلغ سولا
 نهج الرشاد وبلغ التنزيلاً
 أخشى بحبك في الحساب ذهولاً
 أن ألقى بحبي فيك منك قبولاً
 روضاً فأصبح يانغاً مطلولاً
 من تشكوا وتبتلوا تبتيلاً
 ألفاه قبل سؤالهم مبينولاً
 أبد الزمان مهتداً مسلولاً
 بدر فجازوا الأجر فيه جزيلاً
 مجداً عظيماً لا يزال أثيلاً
 أضفى نجاد المكرمات طويلاً
 صيتاً كريماً لم يزل مكفولاً
 يحيي رسوماً للعلی وطلولاً
 حاز المكارم والعلی تفضيلاً
 ليخيب للراجي له تأميراً
 ستر عليها دائماً مسدولاً
 أضفى على شرف النجار دليلاً
 ملكاً كبيراً في الملوك مثيلاً
 وغدا به سيف العدى مقلولاً
 يتسبك بجلّة عذبه والنيل
 يلج العرين على العدى والغيل
 سيان يلقى لئثها والفيل
 متوارثاً ساوت فيه جيلاً

وَإِذَا قَطَعْتَ مَهَا مَهَا وَمَفَاوِزًا
فَإِذَا بَلَغْتَ مَنَآئِ مِنْ تَغْيِيلِهِ
وَسَأَلْتَ مِنْهُ أَنْ يَمَنَّ بِمَطْلَبِ
اللَّهِ يَا مَوْلَايَ يَبْقِي سَعْدُكُمْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ وَالْه

أَرْجُو الْوَصُولَ لِكُفِّهِ تَغْيِيلًا
قَبْلَتُهُ تَكْبِيرًا أَوْ تَهْلِيلًا
أَحْظِي بِهِ وَأَسْأَلُ مِنْهُ السُّؤْلَا
وَيُنِيلُكُمْ مَا عَشْتُمْ الْمَأْمُولَا
مَنْ أَوْضَحَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
أَهْدَى الْوَدَى لِمَعْلَوَاتِ سَبِيلَا

ومن ذلك قصيدة للفقير الأديب عزيز بن يشث [85] عين قصدها إبراره (٢٠٩):

(كامل)

الْقَلْبُ يَعْشَقُ وَالْمَدَامُ تَنْطَلِقُ
إِنْ كُنْتُ أَكْثَمَ مَا أَكُنْ (٢٠٧) مِنَ الْجَوَى
وَتَذَلِّي عِنْدَ الْقَاءِ وَتَمْلُقِي
فَلِكُمْ سَتَرْتُ عَنِ الْوُجُودِ مَحَبَّتِي
وَلِكُمْ أَمَوْهُ بِالطَّلُولِ وَبِالْكُنْهِ
ظَهَرَ الْحَبِيبُ فَلَسْتُ أَبْصُرُ غَيْرَهُ
مَا فِي الْوُجُودِ تَكْثُرُ لِكُثْرِ
فَمَتَى نَظَرْتُ فَأَنْتَ مُوضِعُ نَظَرَتِي
يَا سَائِلِي عَنْ كُنْهِ بَعْضِ صِفَاتِهِ (٢٠٩)
فَأَسْأَلُكَ مَقَامَاتِ أَرْجَالِ مُحَقِّقًا (٢١١)
مَزَقَ حِجَابَ الْوَقْمِ لَا تَحْفَلُ بِهِ
وَإِخْلَصَ إِذَا شِئْتَ الْوُصُولَ وَلَا تَنْسَلُ
إِنَّ التَّجَلِّيَ فِي التَّخْلِيِ فَاقْتَصِدْ (٢١٢)
وَلْتَقْتَبِسْ نَارَ الْكَلِيمِ وَلَا تُخَفِ
وَمَتَى تَجَلَّى فِيكَ سِرُّ جَمَالِهِ
دَعْ رَتْبَةَ التَّقْلِيدِ عَنْكَ وَلَا تَتَبْ (٢١٥)
وَأَقْطَعْ حِبَالَ عَوَانِقِ وَعِلَاقِ (٢١٧)
جَرِّدْ حَسَامَ النَّفْسِ عَنْ جَفَنِ الْهَوَى
فَإِذَا فَهِمْتَ السِّرَّ مِنْكَ فَلَا تَبْخُ
بِالنُّوقِ (٢١٨) لَا بِالْعِلْمِ يُدْرِكُ عِلْمَنَا (٢١٩)
وَبِمَا أَتَى عَنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثُّرَى
خَيْرُ الْوَدَى وَابْنُ (٢٢٠) الذَّبِيحَيْنِ الَّذِي
مَنْ أَخْبَرَ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ يَبْقَاهِ

بِرَحِّ الْخَفَاءِ [86] فِكُلُّ غُضْبٍ مَنطِقُ (٢٠٦)
فَشُحُوبُ لَوْثِي فِي الْفَرَامِ مُصَدِّقُ
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَتَمَلَّقُ
وَالدَّمْعُ يَفْضَحُ مَا يَسِرُّ الْمَنطِقُ
وَأَخْوَضَ بَخْرَ الْكُثْمِ وَهُوَ الْأَلْيَقُ
فَبِكُلِّ مَنْزِي أَرَى يَتَحَقَّقُ
إِنَّ الْمُكْثَرَ بِالْأَبَاطِلِ (٢٠٨) يَعْلَقُ
وَمَتَى نَطَقْتُ فَمَا بِغَيْرِكَ أَنْطَقُ
كُلُّ الْبَيَانِ (٢١٠) وَكُلُّ عَنْهُ الْمَنطِقُ
إِنَّ الْمُحَقِّقَ شَأْوُهُ لَا يَلْحَقُ
فَالْوَقْمُ يَسْتَرُّ مَا الْعَقُولُ تَحْقُقُ
فَالْعَجْزُ عَنْ طَلِبِ الْمَعَارِفِ مُوَبِّقُ
ذَاكَ الْجَنَابِ قِبَابُهُ لَا يُفْلَقُ
وَالْغُ السُّوَى (٢١٢) إِنْ كُنْتُ مِنْهَا (٢١٤) تَفَرِّقُ
وَصَعَقْتُ خَوْفًا فَالْمَكْلَمُ يَصْعَقُ
تَلَفُ (٢١٦) الَّذِي قِيدَتْ وَهُوَ الْمَطْلَقُ
إِنَّ الْعَوَانِقَ بِالْمَكَارِهِ تَطْطَرِّقُ
إِنَّ الْعَوَانِدَ بِالتَّجَرُّدِ تُخْرِقُ
فَالسَّيْفُ مِنْ بَثِّ الْحَقَائِقِ أَصْنَدُ
سِرِّ بِمَكْنُونِ الْكِتَابِ مُصَدِّقُ
سِرُّ الْوُجُودِ وَغَيْبُهَا الْمَتَدَفِّقُ
أَنْوَارُهُ فِي هَدْيِنَا (٢٢١) تَتَأَلَّقُ
وَلِسَرِّهِ نَصْ (٢٢٢) الْكِتَابِ يُصَدِّقُ

رَفَعْتَ لَهُ الْحَبْ بُ السَّيِّئَةِ لَمْ تَرْفَعِ
وَدَقَى مَقَاماً قَصَرَتْ عَنْ كُنْهِهِ
وَطِيءَ الْبَسَاطَ تَذَلُّلاً وَجَرَى إِلَيَّ
إِنْسَانُ عَيْنِ الْكُونِ مُنْبِغٌ (٢٢٤) سِرُّهُ
سِرُّ الْوُجُودِ وَنُكْتَةُ الدُّفْرِ الَّذِي
مَنْ جَاءَ بِالْآيَاتِ يَسْتَطِيعُ نَوْدَهَا
يَا سَيِّدَ الْأَرْسَالِ غَيْرَ مَدَافِعِ
بِالْفَقْرِ جُنَّتْكَ مَوْتَلِي لَا بِالْفَنَى
فَاجْبِرْ كَسِيرَ جَرَائِرِ وَجَرَائِمِ
أَرْجُوكَ يَا غَوْثَ الْأَنَامِ فَلَا تَدْعُ
حَاشَاكَ تَطَرُّدُ مَنْ أَتَاكَ مَوْمِلًا
وَمَحَبَّتِي تَقْضِي بِأَنْتَكَ مُنْقَبِدِي
إِنْ كَانَ تَبْطِينِي (٢٢٥) الْقَضَاءُ بِمَغْرِبِ (٢٢٦)
وَلَنْ تُكْوِي شَخْصِي بِأَقْصَى مَغْرِبِ
فَعَلَيْكَ يَا أَسْنَى الْوُجُودِ تَحِيَّةُ
وَعَلَى صَحَابَتِكَ الَّذِينَ تَأْتَقُوا
وَعَلَى الْأَكْسَى أَوْوَكُ فِي أَوْطَانِهِمْ
أَعْظَمُ بِأَنْصَارِ النَّبِيِّ وَحَزْبِهِ
مَنْ مِثْلُ سَعْدِ أَوْ كَقَيْسِ نَجْلُهُ (٢٢٧)
أَكْرَمَ بِهِمْ وَبِمَنْ أَتَى مِنْ سِرِّهِمْ
مَنْ مِثْلُ نَصْرِ أَوْ بَنِيهِ مَلُوكَنَا
بِمُحَمَّدٍ نَجَلِ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفَ
مَوْلَى الْمُلُوكِ وَتَاجِ مَفْرِقِ عَزْمِهِمْ
مَلِكٍ يَرَى أَنَّ التَّقْدِمَ مَغْنَمُ (٢٢٨)
تَرَوِي أَحَادِيثَ الْوُغَى عَنِ بَاسِهِ
مَلِكِ السِّيَاسَةِ (٢٢٩) وَالْمَكَارِمِ وَالنُّهَى
نَوَ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ وَالْبَاسِ الَّذِي
مَلَأَتْ قُلُوبُ عِدَاةٍ مِنْهُ مَهَابَةً
مَوْلَايَ يَا أَسْمَى الْمُلُوكِ وَمَنْ غَدَتْ
لَا تَقْطَعُوا عَنِّي الَّذِي عَوَّدْتُمْ
لَا تَحْرَمُونِي مَطْلَبِي (٢٣٠) فَمَحَبَّتِي
فَانْعَمْ بَرْدِي فِي بَسَاطِكَ كَاتِبًا

/289

إِلَّا إِلَيْهِ فَكُلُّ سُنْوَ يَخْرُقُ
رَتَّبَ الْوُجُودِ وَكَيْ عَنْهُ السَّبْقُ
أَمَدُ تَنَاهَى مَا إِلَيْهِ يُسَبِّقُ (٢٣١)
قُطْبُ الْكَمَالِ (٢٣٢) وَغِيْثُهُ الْمُتَدَفِّقُ
كُلُّ الْوُجُودِ بِجُودِهِ يَتَعَلَّقُ
وَالذِّكْرُ قَهْمِي عَنِ الْهَوَى لَا تَنْطَلِقُ: [87]
وَأَجْلُهُمْ سَبْقًا وَإِنْ هُمْ أَعْنَقُ
فَالْبِذْلُ وَالْإِنْفَاقُ (٢٣٣) عُنْدَكَ يَنْفَقُ
فَالْقَلْبُ مِنْ عَظَمِ الْخَطَايَا يَقْلَقُ
بَابُ الرِّضَى يُؤْنِي يَسُدُّ وَيُفْلَقُ
فَلَأَنْتَ (٢٣٤) مِنِّْي أَحْسَنُ وَأَرْفَقُ
مَعَا أَخَافُ فَمَا بِغَيْرِكَ أَعْلَقُ (٢٣٥)
فَعِنَانُ عَزْمِي نَحْوُ مَجْدِكَ مُطْلَقُ
فَتَشْوِقُ (٢٣٦) مِنِّْي إِلَيْكَ يَشْرُقُ
مَنْ طِيبَ نَفَحَتِهَا الْبَسِيطَةُ تَعْبِقُ
رَتَّبَ الْكَمَالِ وَمِثْلُهُمْ يَتَأَثَّقُ
نَالُوا بِذَلِكَ رَتْبَةً لَا تُلْحَقُ
وَبِمَنْ أَتَى بِعِبَادَةِ (٢٣٧) يَتَعَلَّقُ
عَزْفُ السِّيَادَةِ مِنْ حَمَاهُمْ يُنْشَقُ
عَنِ النَّظِيرِ فَمَجْدُهُمْ لَا يُلْحَقُ
كُلُّ الْمُلُوكِ (٢٣٨) لِعَزْمِهِمْ يَتَمَلَّقُ
عَنِ الْهُدَى فَحَمَاهُ مَا إِنْ يَطْلُرُقُ
وَأَجَلُ مَنْ تُحْدِي إِلَيْهِ الْإِيْثَقُ
مَهْمَا تَعَرَّضَ مُوَكَّبٌ أَوْ فِيلَقُ
فَالسَّيْفُ يُسَنِّدُ وَالْعَوَالِي تَطْلُقُ
فَعِدَاتُهُ مِنْهُ تَفْصُرُ وَتَشْرُقُ
مَنْ حَوْلَ صَارِمِهِ الْأَعَادِي تُفْرُقُ (٢٣٩)
فَمَقْرِبُ مِنْ خَوْفِهِ وَمَشْرِقُ
عَيْنُ الزَّمَانِ إِلَى سَنَاءِهِ تُحْدَقُ
فَالْعَبْدُ مِنْ قَطْعِ الْعَوَائِدِ مُشْفِقُ (٢٤٠)
تَقْضِي لِسَعْفِي أَتْلُهُ لَا يُخْفِقُ
وَأَعْدَا لَمَّا قَدْ كُنْتُ فَهُوَ الْإِيْقُ

واسلم (٢٤٤) أمير المسلمين لأمة
 واهناً بها ليلة نبوذة
 صلى عليه الله ما هبت صبا
 أفواهم ما إن بغيرك تنطق
 جاءت بأكرم من به يتعلّق
 واهتز غصن في الحديقة مودق

والى ذلك كثير، كالأديب أبي عبد الله بن الجنان [88]، مجيد ولم تحضرني
 الآن قصيدته، والفقيه الأديب أبي الحسن السكاك [89]، من أهل الإكثار فيه، وابنه،
 والفقيه الكاتب أبي يحيى القطان [90]، والفقيه الأديب أبي عبد الله بن بهجونة.

هذا ما أنشد من الشعر ليلتئذ، قد أتينا بما حضر منه من غير انتقاء ولا
 اختيار، ولعل الحسنة تشفع السيئة، والإجادة تبين بضدها، وللإكثار حظ في
 تفخيم الدعوة والإشادة بتوسع الوليمة، ونحن نستغفر الله من زلل القول والعمل،
 ونتوب إليه، إنه هو التواب الرحيم.

وقد أن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه إلى أن يسني الله الوجهة
 الحجازية فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار، ونتلقاه
 من الأخبار، إن شاء الله.

تم السفر الثالث وبتمامه تم جميع الديوان، والحمد لله الذي هدانا للإيمان
 وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين
 أجمعين وسلم تسليما إلى يوم الدين.

هوامش الفصل العاشر

- (١) م : السد، تحريف صَوْنَاهُ بما أثبت.
- (٢) ثبتت القصيدة في ديوان "الصيب والجهم" من ٣٨٩ - ٣٩٥، الاحاطة، مخ. الاسكوريال ٤٣٨/١ - ٤٤٠، ط. القاهرة ٤/٦٩٩ - ٤٧٢. وفي النسخ ٥٠٩/٦ - ٥١٠. وازهار الرياض ٢٣٧/١ - ٢٣٨.
- (٣) المراجع : الجماج.
- (٤) م : الوساح، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٥) م : حاجلتني وهو تحريف صحنائه من المراجع المذكورة، وفي د ٣٨ : عاجلتني.
- (٦) إلى هنا ينتهي ما ورد في ن، الأزماء.
- (٧) د. ٣٩٠ : انسياح.
- (٨) م ك ناكص، تصويبه مما ذكر.
- (٩) م : الوجد، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتنا من المراجع.
- (١٠) د. ٣٩٠ : لاجع.
- (١١) د ح س : الكون.
- (١٢) المراجع : نور.
- (١٣) من المراجع المذكورة.
- (١٤) المراجع : يا خاتم.
- (١٥) م بمثل، والوزن يقتضي ما أثبتناه مما ذكر.
- (١٦) د ٢٩١ : المامول.
- (١٧) د : كرام.
- (١٨) د، ح س : سراح.
- (١٩) ح س : ابديت.
- (٢٠) د ٣٩٤، ح : فاجره.
- (٢١) م : وسيدي، تصويبه من المرجعين.
- (٢٢) المرجعان : وغاب.
- (٢٣) د ٤٩٥ : وأين.
- (٢٤) م : وضاق الخطر العريض الساح، والسياق يقتضي ما أثبت من د، ح س. ما بين المعقوفتين زيادة من د، ح س.
- (٢٥) م : تنفت.
- (٢٦) د، ح س : الجفون.
- (٢٧) د، ح س : قدر.
- (٢٨) م : قصيد.
- (٢٩) م : قصد، والانسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
- (٣٠) م : فلذلك قام برها، وهو تحريف مخل بالوزن.

- (٣١) م : بشر، وهو تحريف.
- (٣٢) كذا في الأصل، والأنسب للوزن قراحتها تقضي.
- (٣٣) م : التيقور : ولا معنى لها، تصحيحه من نسخة الملكية.
- (٣٤) م : جفون ناب، صوابه ما أثبتنا.
- (٣٥) م : تنى، وهو تصحيف.
- (٣٦) م : شاب، وهو تحريف.
- (٣٥) م : التصاب.
- (٣٨) م : خلا بخلة، سياق المعنى يقتضي ما أثبتناه، أنظر التعليق.
- (٣٩) م : دموعنا، وقد زدنا الفاء ليستقيم الوزن.
- (٤٠) م : اللاء، والصواب ما أثبتنا.
- (٤١) ما = ماء، اسقط الشاعر الهمزة للضرورة الشعرية.
- (٤٢) م : ترتبته، ولعلها ما أثبتناه.
- (٤٣) م : المحبه، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٤٤) هذا الشطر مكسور.
- (٤٥) غير واضحة في الأصل ولعلها ما أثبتنا.
- (٤٦) م : موصلة، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٤٧) وردت جل أبيات القصيدة في الإحاطة مخ الاسكوريال ٢٥٣/١ - ٢٥٤، وفي ط. القاهرة ٥١٤/٣ - ٥١٦، وفي التعريف لابن خلدون ص ٨٥ - ٨٨، وفي جنوة الاقتباس ٤١٠/٢، والنفع ١٨٩/٦ - ١٩١.
- (٤٨) م : درت، تصويبه من المراجع.
- (٤٩) المراجع : رسما.
- (٥٠) التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : قلبي.
- (٥١) البيت زيادة مما ذكر.
- (٥٢) ح س، التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : تثني.
- (٥٣) المراجع : أنحاء.
- (٥٤) المراجع ك يسليني.
- (٥٥) التعريف : تكن، والبيت ساقط في الأصل ووارد في المراجع المذكورة. ما بين (٥٦ - ٥٧) ساقط من المراجع.
- (٥٨) م : أوالي، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٥٩) ح س : واحسرتا.
- (٦٠) ح س : غني، وما بين (٥٨ - ٦٠) ساقط في التعريف ومثبت في المراجع الباقية.
- (٦١) م : يدخره.
- (٦٢) هذا الشطر مكسور، وليستقيم الوزن يمكن قراحة قدما به.
- (٦٣) كتبت في الطرة.
- (٦٤) هذا الشطر مكسور.

- (٦٥) م : الخليفة، صوابه ما أثبتنا.
- ما بين (٦٦ - ٦٦) الأبيات ساقطة من المراجع.
- ما بين (٦٧ - ٦٨) ساقط من المراجع المذكورة.
- (٦٩) م : لتهوين، تصويبه من المراجع.
- (٧٠) م : بيرون، صحته ما أثبتنا، أنظر التعليق.
- البيتان (٧١ - ٧٢) ساقطان من المراجع.
- (٧٣) المراجع : "من مبلغ عني الصحب الآلي تركوا".
- (٧٤) المراجع : أقلب الطرف.
- (٧٥) المراجع : منها.
- (٧٦) المراجع : دهر، وهو أنسب.
- (٧٧) م : أقسمت، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
- (٧٨) ورد هذا المطلع في الإحاطة مخ. الاسكوريال السفر ٨، لوحة ٥٨٤ على الصورة التالية :
- خليلي سيرا على أرض مارب ولا تعذلاني أنني غير آيب
- (٧٩) كتب على الهامش.
- (٨٠) م : الأعاجيب، والأنسب ما أثبتنا.
- (٨١) م : فإن حد فضل فحموا، وهو تحريف واضح.
- (٨٢) م : وصهرت، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
- (٨٣) م : بما، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٨٤) م : وارثة، تحريف صوابه ما أثبتناه.
- (٨٥) م : للرضى.
- (٨٦) م : عن دين، وهو تحريف صوابه ما أثبت.
- (٨٧) م : لشائمه.
- (٨٨) م : ناصب، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
- (٨٩) كتب في أعلى السطر.
- (٩٠) م : أعدائنا.
- (٩١) م : فؤادي، زدنا الباء ليستقيم الوزن.
- (٩٢) كذا في الأصل، ويمكن قراءتها ظعن بالخاد بدل الطاء.
- (٩٣) م : بدى، وهو تصحيف.
- (٩٤) م : دماما، تصحيحه ما أثبت.
- (٩٥) م : فابذل، تصحيف صحته ما أثبتنا.
- (٩٦) م : ثعاما، تصويبه ما أثبت.
- (٩٧) م : لح، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
- (٩٨) م : أيقضت.
- (٩٩) م : الذكارا، وهو تحريف.
- (١٠٠) م : وحلى، والأنسب حل.

- (١٠١) م : التثاماء، والصواب ما أثبتنا.
- (١٠٢) م : حمدت، لعلها خمدت أو جمدت.
- (١٠٣) م : اطفيفة، ولعلها ما أثبتنا.
- (١٠٤) م ك تحلل، وهو تصحيف.
- (١٠٥) م : التثاماء، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠٦) بياض بالاصل.
- (١٠٧) م : يطل، تحريف صويناء بما أثبتنا.
- (١٠٨) م ك يدع.
- (١٠٩) م : سماه، تحريف مغل بالوزن والمعنى، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١١٠) م : باندلوس، تحريف صوابه ما أثبتنا.
- (١١١) م : أبطاحها، تحريف لا يستقيم به الوزن، صححناه بما أثبتنا.
- (١١٢) م : تريد.
- (١١٣) م : بالكؤس.
- (١١٤) م : باسط، تحريف مغل بالوزن والمعنى.
- (١١٥) م : بدخنته، والصواب ما أثبتنا.
- (١١٦) ورد البيتان الأولان في الاحاطة، ط. القاهرة ج ٣٠٧/٢، كما أوردهما المقرئ في النسخ ١٥٤/٧.
- (١١٧) ح ٣٠٧/٢ : هاجت له منه ذكرة، وفي ن ١٥٤/٧ : هاجت له نار ذكرة.
- (١١٨) م : عبرة، وقد زدنا الباء ليستقيم الوزن.
- (١١٩) وما = وما، أسقطت الهمزة للضرورة الشعرية، ومعناها أشار.
- (١٢٠) م : وردا، والصواب ما أثبتنا.
- (١٢١) م : الملائد.
- (١٢٢) م : سلما، ولعلها ما أثبتنا.
- (١٢٣) م : وتؤى، وهو تحريف.
- (١٢٤) م : ميماء، لعل الصواب ما أثبتنا.
- (١٢٥) م : ويشد، وهو تحريف، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٢٦) م : فترغما، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٢٧) م : برقده.
- (١٢٨) م : أعد، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٢٩) م : ليلة، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٣٠) م : ناد، وهو تحريف.
- (١٣١) م : نخيره، وهو تصحيف.
- (١٣٢) يعارض الشاعر قصيدة أبي إسحاق إبراهيم الألبيري التي مطلعها :
تفت فؤادك الأيام فتسا وتحت جسمك الساعات نحتا
أنظر ديوان أبي إسحاق الألبيري ص ١٩ - ٣٠. أنظر التعليق.

- (١٣٣) م : ندير.
- (١٣٤) م : ستلفها، صحته ما أثبتنا.
- (١٣٥) م : خدعة، صحته ما أثبتنا.
- (١٣٦) م : لكن معاهد ثوبة ثوية تخلص، وهو مكسور، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (١٣٧) هذا الشطر مكسور.
- (١٣٧) يبدو أن الناسخ أسقط لفظة.
- (١٣٨) م : مجاله، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (١٣٩) م : وتصيح، وهو تصحيف صحته ما أثبتنا.
- (١٤٠) م : شداها.
- (١٤١) م : إرسال، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والسياق.
- (١٤٢) م : بمنضها، وهو تحريف.
- (١٤٣) م : يديعها، وهو تصحيف.
- (١٤٤) م : بت، ولعلها لت.
- (١٤٥) م : لتشق، تصويبه ما أثبتنا.
- (١٤٦) م : جرى.
- (١٤٧) م : بالترى.
- (١٤٨) م : سمخت ولا معنى لها، الأنسب أن تقرأ كما أثبتنا.
- (١٤٩) م : الحاداث.
- (١٥٠) م : خيل، والصواب ما أثبتنا.
- (١٥١) هذا الشطر مكسور.
- (١٥٢) م : هجرتي، تحريف صححناه.
- (١٥٣) م : ليلي، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
- (١٥٤) م : صلت، وهو تصحيف.
- (١٥٥) م : داوه.
- (١٥٦) م : الجما، وهو تصحيف.
- (١٥٧) م : اضلع.
- (١٥٨) م : الألع.
- (١٥٩) م : وسئل اللهك، صحته ما أثبتنا.
- (١٦٠) م : حشنى، وهو تحريف.
- (١٦١) م : المتضرع، وهو تحريف.
- (١٦٢) زيادة يقتضيه الوزن.
- (١٦٣) وردت هذه القصيدة في الكتيبة الكامنة، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.
- (١٦٤) الكتيبة : بخلاله.
- (١٦٥) م : هاجت.
- (١٦٦) المرجع : من.

- (١٦٧) الكتيبة : تحية.
- (١٦٨) نفس المرجع : الفرقان.
- (١٦٩) المرجع : حياة، والمتن أصح.
- (١٧٠) الكتيبة : أبدا.
- (١٧١) نفس المرجع : الهدى.
- (١٧٢) المرجع : فأنجلي.
- (١٧٣) الكتيبة : مواسما.
- (١٧٤) م : كان، وهو تحريف تصويبه من الكتيبة.
- (١٧٥) الكتيبة : يعمته.
- (١٧٦) الكتيبة : يسعى.
- (١٧٧) الكتيبة : يرمي.
- (١٧٨) م : مدحه، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
- (١٧٩) م : مستمع، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
- (١٨٠) الكتيبة : فتقت.
- (١٨١) م : غرة، لا يستقيم بها الوزن، لعل الصواب ما أثبتنا.
- (١٨٢) م : ياليت، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٨٣) م : ثنا.
- (١٨٤) م : الملاد.
- (١٨٥) م : مليكهم فمن اعتل، وهو تحريف مخل بالوزن والمعنى.
- (١٨٦) م : لك، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
- (١٨٧) م : تنثا، ولعلها من فعل نثا : ورم.
- (١٨٨) م : يوف، صوابه ما أثبتنا.
- (١٨٩) كُتبت في أعلى السطر.
- (١٩٠) م : بوارد.
- (١٩١) م : لبياض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (١٩٢) هذا الشطر مكسور.
- (١٩٣) م : وما دارت، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (١٩٤) م : محيت نقطة الباء.
- (١٩٥) م : حنيت، وهو تصحيف.
- (١٩٦) م : بدت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٩٧) م : لبنها، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا.
- (١٩٨) م : الصبح، وهو تحريف صوبناه بما أثبت.
- (١٩٩) الشطر مكسور، ويستقيم الوزن إذا قرئت (ولكم).
- (٢٠٠) م : ظل.
- (٢٠١) م : فلعل، والوزن يقتضي ما أثبتناه.

- (٢٠٢) م : الدين، وهو تصحيف.
- (٢٠٣) الشطر مكسور لتقصان لفظة.
- (٢٠٤) م : ما البحر، والسياق يقتضي ما أثبتنا .
- (٢٠٥) وردت الآيات العشرون الأولى في الكتيبة الكامنة من ٢٩٤، كما وردت القصيدة في النسخ ١١٥/٦ - ١١٧، ومطلعها في الإحاطة ٥٧٣/٣.
- (٢٠٦) ك : ينطق.
- (٢٠٧) كتبت في الهامش، وفي ك : أكن ما أجن، والمتن أصح.
- (٢٠٨) م : بالإبطال.
- (٢٠٩) ك : صبايقي، وفي ن ١١٥/٦ : بعض كنه صفاته.
- (٢١٠) ن : اللسان.
- (٢١١) ك : تحققتا .
- (٢١٢) ن ١١٦/٦ : فاقتصد، وفي ك ٢٩٣ : فاقتصدن.
- (٢١٣) ك : الهوى.
- (٢١٤) ك : منه.
- (٢١٥) م : ولا تب، تصويبه من ن.
- (٢١٦) ن : تلق.
- (٢١٧) ن : علائق وعوائق.
- (٢١٨) زيادة من المرجمين.
- (٢١٩) ك : سرنا.
- (٢٢٠) م : وأمن، تصويبه من ن.
- (٢٢١) ن : هديها.
- (٢٢٢) ن : ولنصه سر.
- (٢٢٣) ن : مسبق.
- (٢٢٤) ن ١١٦/٦ : مبلغ.
- (٢٢٥) ن : الجمال.
- (٢٢٦) ن : فهو عن الهوى لا ينطق.
- (٢٢٧) ن : فالذل والادعان.
- (٢٢٨) ن : لي.
- (٢٢٩) ن ١١٧/٦ : ورد البيت التالي زيادة، وهو :
- يا هل تساعدني الأمانى والمنى وأحل حيث سنا الرسالة يشرق
- (٢٣٠) م : تطليني، والأنسب ما أثبتناه من ن.
- (٢٣١) ن : بمقيد.
- (٢٣٢) ن ك ففتشوقي.
- (٢٣٣) ن ١١٧/٦ : بعباءة.
- (٢٣٤) م : كيس ونجله، محيت نقطة النون، تصحيحه من ن.

- (٢٣٥) ن : الأنا م .
 (٢٣٦) م : مغنما ، موقعه من الإعراب يقتضي ما أثبتنا .
 (٢٣٧) م : يروى ، صحته ما أثبتناه من "ن" .
 (٢٣٨) غير واضح في الأصل ، تصويبه من "ن" .
 (٢٣٩) ن : البسالة .
 (٢٤٠) ن : تفرق .
 (٢٤١) هذا البيت ساقط في "ن" .
 (٢٤٢) ن : يشفق .
 (٢٤٣) زيادة من "ن" يقتضيها الوزن والمعنى .
 (٢٤٤) ن ١١٧/٦ : فاسلم .

تعليقات الفصل العاشر

- [1] من المثل : "والحديث نور شجون"، يضرب في الحديث يتذكر به غيره. (مجمع الأمثال ١/٩٧ رقم ١٠٤٤).
- [2] زياد : فعله نود، أي دفع عن وحامي.
- [3] يتضمن معنى الأثر : عن سلمان الفارسي قال : "أن كان بعدت الدار من الدار فالروح من الروح قريب". أنظر (صحيح البخاري (الأنبياء) ٢).
- [4] الحاشر والعاقب والملاحى : من أسماء الرسول (صلعم)، أنظر على سبيل المثال (ابن سيد الناس : عيون الأثر ٢/٣١٥، باب ذكر أسمائه صلى الله عليه وسلم).
- [5] معجزات الرسول شهيرة للاطلاع عنها تراجع كتب السيرة، كسيرة ابن هشام وابن اسحاق وتاريخ الخميس وغيرها.
- Maurice Gaudetfroy Demombynes, Mahomet, Paris 1937.
- [6] إشارة إلى أخبار الكهان ببعث الرسول أنظر (عيون الأثر ١/٥٤، باب ذكر ما حفظ الأخبار والرهبان والكهان).
- [7] إشارة إلى قوله تعالى : "ألم نشرح لك صدرك"، سورة ٩٤ (الشرح) آية ٩٧.
- [8] إشارة إلى قوله تعالى : "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"، سورة ٢٤ (النور) آية ٣٥.
- [9] الغ : فعله لغ، أي شرب الماء أو الدم.
- [10] استعار أسماء الموفق والمستعين والسفاح من بني العباس، واستعملها استعمالاً مجازياً.
- [11] جناح : إثم.
- [12] إشارة إلى الثورة التي قام بها إسماعيل أخو الغني بالله بمساعدة ابن عمه محمد السادس، أنظر (لوحه ١٢٣ - ١٤١).
- [13] مسيلمة الكذاب : هو مسيلمة بن تمامة بن كبير بن الوائلي ولد ونشأ باليمامة، ادعى النبوة في زمن النبي، وقتل في عهد أبي بكر بن الخطاب سنة ١٢هـ/٦٣٣م. أنظر (الاعلام ١٢٥/٨).
- سجاح بنت الحارث التميمية، شاعرة أديبة عارفة بالأخبار وبالكتب السماوية، ادعت النبوة أيام الردة في عهد أبي بكر بن الخطاب، تزوجها مسيلمة فلما قتل أسلمت وهاجرت إلى البصرة حيث توفيت سنة ٥٦هـ/٦٧٥م. أنظر (الاعلام ٣/١٢٢).
- [14] يقصد المشور الذي بناه الغني بالله بعد استرجاعه ملكه وقد ورد وصفه في (المتن لوحه ٢١٣).
- [15] لياح : ظاهر وواضح.
- [16] ذمر : شجاج. - ججاج : سيد سمح كريم.
- [17] ضحضاح : ماء قليل يكون في الفدير أو غيره.
- [18] خود : فتاة حسناء.
- رداح : امرأة رداح أي عجزاء ثقيلة الأوراك، تامة الخلق.

- [19] أبو البركات بن الحاج، سبق تعريفه.
- [20] أبو جعفر بن جزي، سبقت ترجمته.
- [21] مالك بن أنس، سبقت ترجمته.
- ابن شهاب (... - ١٢٤هـ / ... - ٧٤١م) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري، من الأئمة المشهورين. (العسقلاني : تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ - ٤٥١)
- (- EI 1, IV, 1239-41. [J. Horowitz]).
- [22] حللا : نزولا. - حلة : حلة القوم، النزول فيهم وتطلق أيضا عن المنازل.
- [23] طيبة : أو طابة أو يثرب تطلق على المدينة المنورة، كما تسمى أيضا المجبورة والمحبة والمحوية والقاصمة وجابرة. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٤٠١).
- [24] بياب : خراب.
- [25] عابي : عيبي.
- [26] تريان : بكسر التاء وتسكين الراء، جمع تراب.
- [27] المخبت : فعله أخبت أي تخشع إلى الله .
- [28] لتفصيل رحلة ابن خلدون إلى الأندلس. أنظر (التعريف ص ٨٠).
- [29] العين : ج عيناء، الواسعة العين من النساء.
- [30] مصنع : بناء، ويقصد به المشور الذي بناه الفني بالله.
- [31] إيوان كسرى : يراجع وصفه في (معجم البلدان ١/٣٩٤).
- [32] أبواب جيرون : من منتزهات دمشق، ويطلق إسم جيرون على دمشق. أنظر (معجم البلدان ٣/١٩١). الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ١٨٦. والشطر الثاني مضمن من شعر ابن أبي قلبية.
- [33] الغور : غور تهامة، وكل ما انحدر سيله مغريا عن تهامة فهو غور. (معجم البلدان ٦/٣١١). ويعني بهذه الأبيات الوزير عمر بن عبد الله.
- [34] أبو الحسن بن الحسن النباهي، سبق تعريفه.
- [35] رامة : يطلق على مكانين : على منزل في طريق البصرة إلى مكة، وعلى قرية من قرى بيت المقدس. (معجم البلدان ٤/٢١٢).
- [36] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
- [37] الأجرج : مفرد أجارج، وهي الأرض الطيبة المنبت، وكذلك الأرض التي فيها حذونة.
- حاجر : موضع من ديار بني تميم. أنظر (معجم ما استعجم ١/٢٢٩).
- [38] زود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٢٨٧).
- [39] ثغاما : شجر أبيض الزهر واحدته ثغامة، وصار الشعر ثاغما أي أبيض.
- [40] بارق : مكان من ديار بني تميم باليمامة (معجم ما استعجم ص ١/٢٢٨). - كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق ١٩٤٤، ص ١٨٢).
- [41] العقيق : في بلاد العرب أربعة أعقبة وهي أودية ولعل المقصود هنا عقيق بناحية المدينة وفيه عين ونخل. (معجم البلدان ٤/١٣٨ - ١٤٠)
- [42] قبا : قرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من المدينة وبها مسجد الرسول الذي بناه الأنصار.

(معجم البلدان ٣٠١/٤ - ٣٠٢. - حسين مؤنس : المساجد ، عالم المعرفة، يناير، الكويت ١٩٨١، ص ١٦٦ - ١٦٧).

[43] البقيع : هو المكان الذي حمى الرسول، ويقع قريبا من المدينة وبه المقبرة الشهيرة التي دفن فيها عدد من أفراد أسرة النبي وكثير من صحابته، ولها مكانة خاصة عند المسلمين. (معجم ما استعجم ١/١٧٠).

[44] الأوام : بضم الهمزة : العطش الشديد.

[45] سعد بن عبادة الأنصاري (... - ١٤ هـ / ... - ٦٣٥ م)، وهو صحابي مشهور من أهل المدينة. أنظر (الاعلام ٣/٨٥).

[46] قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (... - ٦٠ هـ / ... - ٦٨٠ م) وهو من الصحابة، توفي في عهد معاوية. (الاعلام ٥/٢٠٦).

[47] أبو عبد الله بن زمرك، سبقت ترجمته.

[48] أبو بكر بن أبي علي القرشي، ورد إسمه في الكتيبة محمد بن محمد بن علي القرشي، وذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م. أنظر (الكتيبة ص ٢٠٠، الرياحنة، ط. القاهرة ٢/٢٨٣).

[49] غرثوا : اشتد جوعهم.

[50] تباى : تفخر.

[51] يقرط : يضع في الأذن قرطا، ويقصد تسمع الأذن ما تستلذه.

[52] لسن : بفتح اللام والسين، الفصاحة.

[53] أبو عبد الله الشريشي (... - ٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ م) محمد بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، وهو من قرية شريش كان معلم ولد السلطان. أنظر (- الاعلام ١/٣٢٦ - الكتيبة ص ٢١٤ - ٢١٥).

[54] هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي إسحاق الألبيري التي وردت في ديوانه، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦، ص ١٩ - ٣٠.

كما أوردها الدكتور كارثيا كورس في دراسته عن أبي إسحاق الألبيري وأشار إلى أن عدد أبياتها مائة واثنا عشر لكنها تختتم بالبيت :

وقد أردفتها سنا حسنا وكانت قبل ذا مائة وستا

ويعلق الدكتور عبد الله كتون في دراسة نشرها عن هذه القصيدة أن عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا لأنه عثر على نسخ أخرى ورد فيها برواية أخرى وهي :

وقد أردفتها سبعا حسانا وكانت قبل ذا مائة وستا

V. (E. Garcia Góme, Un alfaquí español Abù Ishàq de Elvira, texto àrabe de su "diwàn", Madrid, 1944, pp. 63-69.

- عبد الله كتون : ثانياً أبي إسحاق الألبيري، المناهل، ٥، (١٩٧٦)، ص ١٢٧).

[55] فتا : فت الشيء إذا كسره حتى صار فتاتا.

[56] تقى : تكلف الفتوة وتشبه بالفتيان.

[57] سعت : المال الحرام.

[58] القرن : قرن السيف أي حده ونصله.

- الصمصام : السيف الذي لا ينثني.
- صلتا : فعله أصلت أي جرد السيف من غمده.
- [59] النست : لفظة فارسية لها عدة معاني منها قانون، قاعدة، مسند الملوك، ودخلت إلى العربية بمعنى مجلس الحكم. (معجم اللغة الفارسية، نقله إلى العربية هنداوي، مصر ١٩٥٢، مادة (دست)).
- [60] أبو القاسم بن قطبة، سبق تعريفه.
- [61] إشارة إلى سورة ٣٦ (ياسين). والسورة ٢٠ (طه).
- [62] الوني : التعب والأعياء.
- [63] الوجهه ولاحق : أنظر تعليقات الفصل الخامس رقم ٦٢. - الوجي : ان يجد الفرس في حافره وجعا ويشتكى من غير أن يهن منه شيء أو غيره. أنظر (المخصص ١٤٦/٢).
- [64] أجرد : فرس سريع، ويطلق أيضا على القصير الشعر. - فرس مشذب : طويل وغير شخين. - عبل الشوى : غليظ القوائم. - مطهم : تتوفر فيه كل أوصاف الخيل الحسنة. أنظر (المخصص ٢ باب الخيل).
- [65] أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الفافقي، كان كاتب الانشاء في غرناطة، وقد ذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٢٤٥ - ٢٤٧، - الريحانة ٣٨٨/٢).
- [66] مندل : العود الطيب الرائحة. - نسوع : ج نسع، وهو جبل تشد به الرجال.
- [67] أبو جعفر أحمد بن عبد الملك العدوي اللبسي، شاعر، كاتب، فقيه، من معلمي الكتاب، وقد كان حيا سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٢٧٨).
- [68] الجديدان : الليل والنهار.
- [69] إشارة إلى قوله تعالى : "في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة". سورة ٨٨ (الغاشية) آية ٩ - ١٣.
- [70] انكال : ج نكل، بكسر النون، وهو القيد الشديد.
- [71] أبو بكر بن قطبة، سبق تعريفه.
- [72] ابارق : ج برقة، وهي الأرض الغليظة التي فيها رمل وحجارة وطين.
- [73] المهيح : الطريق الواسع البين.
- [74] الألعي : الذكي.
- [75] اسفع : أسود يميل إلى الحمرة.
- [76] أبو القاسم بن حميد بن إبراهيم بن محمد التجيبي، من أدباء غرناطة كان يشتغل بالتدريس، توفي قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٢٠٢).
- [77] أبو جعفر بن خاتمة، أنظر (١١٠/٢٩٢).
- [78] العي : الحصر وعدم القدرة على الكلام.
- [79] أبو عبد الله بن سودة، ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وذكر وفاته سنة ٦٣٧هـ / ١٣٣٥م، لكن ابن سودة التي تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها ابن الخطيب في المتن يكنى أبا القاسم ويسمى محمد بن محمد بن علي بن سودة المري، كان طبيبا وأديبا، وقد قال ابن

الخطيب في الاحاطة : "وتشوق إلى الرحلة الحجازية، والله يبسر قصده"، وهذا يثبت أن ابن سودة كان حيا في فترة تأليف الاحاطة. أنظر (- الاحاطة مخ الاسكوريال، السفر الأول، لوحة ١٤٤، ط. القاهرة ١٦٨/٣. - ابن الربيع الحوات : الروضة المقصودة، مخ الخزانة الحسنية، لوحة ١١).

[80] اللوى : واد من أودية بني سليم.

[81] الدميل : يطلق على سير الدابة البطيء.

[82] نواصله الأولى : يقصد بها أعلى الراس، والثانية : السهم أو حديدة الرمح.

[83] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمد القوم السرى".

[84] أبو جعفر بن زرقولة : لعله ابن زرقالة الذي ترجم له الزركلي وهو أحمد بن محمد بن علي ويكنى أيضا أبا العباس، أديب من المريّة، اشتغل بالقضاء، أثبت الزركلي أنه توفي سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م. ويبدو أن التاريخ غير صحيح، حيث ذكر الزركلي أن ابن زرقالة جمع ما نظمه أحمد بن خاتمه في التورية، ومما هو معلوم أن هذا الأخير ولد سنة ٧٠٠هـ / ٧٣٨م وتوفي سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، وهذا يرجح أن ابن زرقالة كان معاصرا لابن خاتمة وابن الخطيب. أنظر (الاعلام ٢٢٠/١).

[85] عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز بن يشث، وفي الكتبية ابن برشيت، ويكنى أبا سلطان، اشتغل كاتبا في ديوان الأعمال، كان حيا سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م. أنظر (- الكتبية ص ٢٩٣. - الاحاطة ٥٧٢/٣ - ٥٧٣).

[86] برح الخفاء : من الأمثال، ويقصد به انكشف السر ووضح الأمر. أنظر (مجمع الأمثال ٩٥/١ رقم ٤٦٠).

[87] إشارة إلى قوله تعالى : "وما ينطق عن الهوى". سورة ٥٣ (النجم)، آية ٣.

[88] أبو عبد الله بن الجنان : محمد بن عبد الله اللخمي الفناطي كان شاعرا، كاتبا، فقيها، ذكر ابن الأحمر أنه رآه. أنظر (نشير فرائد الجمان ص ٣٣٢).

[89] أبو الحسن السكاك : علي بن إبراهيم بن علي بن خطاب، من أهل غرناطة، وهو شاعر ناثر، اشتغل كاتب ديوان الحساب. أنظر (النفح ٢٥٧/٦. - الريحانة ٤٢٠/٢).

[90] أبو يحيى القطان : محمد بن محمد بن عبد الرحمان، الهاشمي نسبيا، من شعراء الأندلس وكتابها، وقد ذكر ابن الخطيب أن وفاته كانت قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكتبية ص ٢٣٠ - ٢٣١).

الفارس

فهرس الفهارس

- 1 — فهرس الأحداث التاريخية حسب التسلسل الزمني.
- 2 — فهرس أسماء الأعلام والأمم والقبائل.
- 3 — فهرس الأماكن والبلدان.
- 4 — فهرس الأشعار.
- 5 — فهرس الرسائل والقطع النثرية.
- 6 — فهرس الآيات القرآنية.
- 7 — فهرس الأحاديث النبوية.
- 8 — فهرس الأمثال.
- 9 — فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.
- 10 — فهرس المصادر والمراجع.
- 11 — فهرس الموضوعات.

فهرس الأحداث حسب التسلسل الزمني

- ٢٨ رمضان ٧٦٠هـ/ ٢٣ أغسطس ١٣٠٩م: الانقلاب الأول ضد الغنى بالله وفراره الى وادي اش.
- ١٠ ذوالحجة ٧٦٠هـ/ ٢ نونبر ١٣٥٩م: اتجاه الغنى بالله صحبة ابن الخطيب الى فاس بشفاعة من ابي سالم المريني.
- ٦ محرم ٧٦١هـ/ ٢٨ نونبر ١٣٥٩م: وصول الغنى بالله وابن الخطيب الى فاس
- ١٨ شوال ٧٦٢/ ٢١ أغسطس ١٣٦١م: عودة الغنى بالله الى الأندلس واستقلاله برندة.
- تعيين ابن كماشة وزيرا وابن زمرك كاتبا ص ٧٢.
- ٧٦٢هـ ١٣٦١م: معاهدة بين سلطان قشتالة وابي زيان ص ٧١.
- محرم ٧٦٣هـ/ نونبر ١٣٦١م: خروج ابي زيان من اشبيلية متوجها الى فاس.
- ٢١ صفر ٧٦٣هـ/ ٢٠ دجنبر ١٣٦١: وصول ابي زيان الى فاس.
- ١٦ ربيع الأول ٧٦٣هـ/ ١٦ يناير ١٣٦٣: معاهدة صلح بين ابي زيان وبني عبد الواد ص ١٠٨.

٢٤ ربيع الأول ٧٦٣هـ / ٢١ يناير : خروج ابن الخطيب من سلا قاصدا فاس لتقديم ولانه لأبي زيان ص ٦٢.

٣. ربيع الأول ٧٦٣هـ / ٢٨ يناير ١٣٦٢ م: وصول ابن الخطيب الى فاس واتصاله بالسلطان. ص ٦٢.

- نزول المطر بعد جفاف كانت له عدة اضرار. ص ٦١
- انتشار داء الطاعون بفاس وتازا ومكناسة... ٦١، ٩٠.

٢ ربيع الثاني ٧٦٣ / ٩ يناير ١٣٦٢ م: القبض على منصور بن أبي علي. - قدوم وازماز بن عريف الى فاس لمناقشة الوضعية الاقتصادية. ص ٦٩.

٦ ربيع الثاني ٧٦٣هـ / ٢ فبراير ١٣٦٢ م: ظهور من ابي زيان لابن الخطيب بترخيص الرحلة الى مراكش ص ٦٨، ٦٩.

١٠ ربيع الثاني ٧٦٣هـ / ٦ فبراير ١٣٦٢ م: ظهور من ابي زيان لابن الخطيب بتجديد امتيازاته.. ص ٦٧، ٦٨.

ربيع الثاني ٧٦٣هـ / فبراير ١٣٦٣ م: تعيين أبي ثابت عامر رئيس الجيش بمراكش وزاوجه من بنت الملك الحفصي ص ٧٠.

١٦ جمادى الثانية ٧٦٣ / ١٢ أبريل ١٣٦٢ انتصار الغني بالله واحرازه بعض الحصون ثم دخوله الى مالقة ص ١١٨.

١٧ جمادى الثانية ٧٦٣/١٣ أبريل ١٣٦٢ - رسالة من الغني بالله الى ابنه بالمغرب
يفصل فيها خبر انتصاره ص ١١٨،
١١٩

١٨ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ١٤ أبريل ١٣٦٢ م: - فرار ابي سعيد البرميخو الى مملكة
قشتالة وقتله من طرف ملكها ص ١١٩.

٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ١٦ أبريل ١٣٦٢ م: - استرجاع الغني بالله للملكه. ص ١٢٤.

جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ أبريل ١٣٦٢ م: خدعة ابي ثابت لعرب الخلط نتجت عنها
مدبحة. ص ١٠٨.

٢٥ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ٢١ أبريل ١٣٦٢ م: - خروج مسعود بن رحو في جيش من
سلا لمحاربة تامسنا لامتناع أهلها عن
دفع الجباية ص ١٠٩.

١٤ رجب ٧٦٣هـ/ ٩ مايو ١٣٦٢ م: - مغادرة ابن الخطيب سلا قاصدا فاس
لمصاحبة اسرة الغني بالله الى غرناطة
ص ١٤٥.

٢٠ رجب ٧٦٣هـ/ ١٥ مايو ١٣٦٢ م: - خروج ابن الخطيب واسرة الغني بالله
من فاس. ص ١٤٧
- رسالة من الغني بالله الى ابن الخطيب
يدعوه للعودة الى غرناطة ص ١٤٧، ١٤٨

٢٢ رجب ٧٦٣هـ / ١٨ مايو ١٣٦٢ م : رسالة من أبي زيان الى الغني بالله
يخبره ببعث ولده صحبة ابن الخطيب
ص ١٤٦، ١٤٧.

١١ شعبان ٧٦٣هـ / ٥ يونيو ١٣٦٢ م : وصول ابن الخطيب واسرة الغني بالله
جبل الفتح ص ١٥٠.

١٤ شعبان ٧٦٣هـ / ٨ يونيو ١٣٦٢ م : وصولهم الى مالقة ص ١٥٠.

٢ شعبان ٧٦٣هـ / ١٤ يونيو ١٣٢٦ م : دخولهم الى غرناطة ص ١٥١.

أوائل رمضان ٧٦٣هـ / ١ أواخر يونيو ٦٢ : نفي ابن كماشه وابنه الى تونس
ص ١٦١، ١٦٢.

٣ ذو القعدة ٧٦٣هـ / ٢٤ أغسطس ٦٢ : مراسلة بين الغني بالله وسلطان تونس
لربط العلاقة الدبلوماسية. بينهما ص
١٦٦، ١٦٢.

أوائل ذي الحجة ٧٦٣هـ / سبتمبر ١٨ : ثورة ضد الغني بالله ص ١٦٨، ١٨٠.
أوائل أكتوبر ١٣٦٢ : استتجاد الغني بالله بابي سعيد عثمان
شيخ الغزاة لآخمد الفتنة ص ١٧٥.

١٩ ذو الحجة ٧٦٣هـ / ٩ أكتوبر ٦٢ : استرجاع ابن الخطيب حصن اللقون
ص ١٧٨.

ذو الحجة : " " " " " " " " " " : فتيا الفقهاء في حق الثوار ص ١٧٥،

٨ ربيع الأول ٧٦٤هـ/ ٢٦ دجنبر ٢٦ : - قدوم ابن خلدون الى غرناطة واعراسه
بجارية تدعى هند. ص. ٨، ٢٠، ٢١٦

٧٦٣- ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢- ١٣٦٣ م : - بناء مشور بقصر الحمراء ص ٢٧٥

١٢ ربيع الأول ٦٧٤هـ/ ٣٠ دجنبر ٦٢ : - احتفال الفني بالله بعيد المولد النبوي
في المشور - ص ٢٧٥، ٢٩٠.

فهرس اسماء الاشخاص والاسم والقبائل

الالف	
آدام	٣٠٩٠٢٩٦٠١٩٤
آل حفص	١٦٢
آل الرسول	٤٦
آل مريـن	١٦١٠٤١
آل نصر	٣١١
آل يعقوب	٦٣٠٦٢٠٤١
آمنة	٢٨١
ابراهيم بن السراج	٧٣
ابن أبي ثابت، عامر (ابو يحيى) الهنتاتي	٣٦٠٣٩٠٤٠٠٤١٠٤٢٠٧٠٠٩٢٠٩٥٠١٠٧٠١٠٨
ابن أبي العلي، ادريس بن عثمان	١٢٣٠١١٦
ابن أبي مدين، محمد بن محمد (ابو يحيى)	١٥٤
ابن أنس، مالك (ابو عبد الله) الأصبحي	٢٩٥٠٤٥
ابن بطرون، احمد	١٧٥٠١٧٤٠١٦٩
ابن تافر اجين، محمد بن عبد الله	١٦٣
ابن جزبي، احمد بن محمد (ابو جعفر)	٢٩٥٠٢٤٣
ابن الجنان، محمد بن عبد الله (ابو عبد الله)	٣٢٧
ابن الحاج، ابراهيم بن عبد الله (ابو اسحاق)	٢١٦٠١٧٦٠١٥٢٠١٢٦
النميري	
ابن حسان، محمد بن محمد (ابو عبد الله)	٣١٣
ابن حميد، محمد بن ابراهيم (ابو القاسم)	٣١٨
ابن خاتمة، احمد بن علي بن محمد (ابو جعفر)	٣١٩٠٢٣٠٠٢٢٩٠٢٢٤
ابن الخطيب، محمد بن عبد الله لسان الدين	١٤٩٠١٤٧
(ابو عبد الله)	
ابن خلدون، عبد الرحمان بن ابي بكر (ابو زيد)	٢٩٧٠٢٠٨

١٧٥	ابن رحو عثمان بن أبي زكريا
٩٠.٣٧	ابن رحو يحيى بن عمر (ابو زكريا)
١٠٩.٧٥، ٧٤	ابن رحو، مسعود بن علي
٣٧	ابن رشيد، محمد بن محمد (ابو سعيد)
٦٦، ٤٧	ابن رضوان، عبد الله بن يوسف (ابو القاسم)
١٨٩	ابن رضى، مسعود بن أبي بكر (ابو يحيى)
٣٢٣	ابن زرقالة، احمد بن محمد بن علي
٣٠٥.٢٢٣	ابن زمرك، محمد بن يوسف (ابو عبد الله)
١٢١	ابن السراج
١٠٧	ابن سعد الله محمد
١٢٣	ابن سهل، الحاج سهل بن محمد
٣٢٠	ابن سودة، محمد بن محمد بن علي المري
	(ابو القاسم)
٢٩٥	ابن شهاب، محمد بن مسلم الزهري
١٢٥	ابن صفوان، احمد بن ابراهيم بن احمد
	(ابو جعفر)
٢٢٧، ٨٧	ابن عاشر، احمد (ابو العباس)
٣١٥	ابن عبد الملك، احمد بن محمد (ابو جعفر)
١٦٧	ابن عطية، عبد الحق ابن أبي القاسم المحاربي
١٠٧، ٩١، ٨٦، ٤٥	ابن عطية، مبارك بن ابراهيم الخلطي
٢٢٨	ابن غياث، عمر بن غياث
٢٣١	ابن الفخار، ابو القاسم بن داود
٣١٢، ١٣٤، ١٢١	ابن قطبة، محمد بن احمد (ابو القاسم)
٣١٦	ابن قطبة، محمد بن محمد (ابو بكر)
١٩٣	ابن قلاون، محمد المنصور بن حاجي المظفر
١٦١، ١٢١، ٧٢، ٤٤	ابن كماشة، علي بن يوسف (ابو الحسن)
١١٣	ابن محيو، عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق
	(ابو محمد)
٢٣٢	ابن مرزوق، محمد ابن احمد (ابو عبد الله)

- ١١٦ ابن مسعود، محمد بن علي
١١٣ ابن يفلوسن عبد الرحمان
ابن يشث عبد العزيز بن احمد (ابو سلطان) = ٣٢٥
ابن برشيت
٢٩٤، ٢٢٤، ٨٨ ابو البركات، محمد بن محمد بن الحاج البليقي
٩٥، ٩٢، ٧٠، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٦ ابو ثابت، عامر بن عثمان بن ادريس الهنتاتي
٢٢٥، ١٢٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧ ابو الحاج، يوسف بن اسماعيل السلطان
النصري
١٦٩ ابو الحسن، التلمساني
٧٣، ٤٠ ابو الحسن، علي بن عثمان بن عبد الحق المريني
٣٩، ٤٠، ٦٧، ٧١، ابو زيان، محمد بن ابي عبد الرحمان بن أبي
الحسن (المريني)
٢٢٠ ابو سعيد، عثمان بن يحيى
١٦٤ ابو سعيد، محمد بن اسماعيل بن محمد،
البرميخو
٣٢٧ ابو عبد الله بن بهجونة
١٢٤ ابو معشر، جعفر بن محمد بن عمر البلخي
٢٠٩ ابونواس، الحسن بن هانيء
٢٧٦ ابو الوليد، اسماعيل بن فرج النصري
١٣٥ اسماعيل بن يوسف (آخر الغني بالك)
٢٣١ انوشرران
٢٢٥ ايوب (النبي)

الباء

- ٦٦ البرابر
٢١٢ البراض بن قيس الكناني
٧١ بطره بن الهنشة (Pedro el Grûel)
٧٤ البطروجي، ابراهيم بن احمد
١٩٦ بلج بن بشر

١١٩	بنو أمية
١١٩، ٧٤	بنو العباس
٢١٩	بنو عبس
١٧٤، ١٦٩	بنو عزون
١٢٧	بنو كهلان
٢٢٠، ١٩٨، ٤٠، ٣٧	بنو مرين
٣٢٤، ١٣٣	بنو نصر
التاء	
١٣٠	التابعة
٢٢٦، ١٩٣، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢	الترك
٢٢٦، ١٩٣	التطار
الجيـم	
٢٠٩	الجنيد (ابو القاسم) بن محمد
الخاء	
١٣٣	الخليل بن احمد القراهبيدي
الدال	
٢٢٥	داود (النبي)
١٧٨، ١٧٤، ١٧٠، ١٦٩	الدليل البركي
الراء	
٤٥	ربيعة بن مكرم
١٣٥، ١١٧	رضوان ابو النعيم (الحاجب)
١٦٤، ١٦٢، ١٦١، ١٣٤، ١٣٣، ١٢٥، ١٢٣، ٧٣	الروم
٣٠٥، ٢١٠، ١٧٨٠	

الزاي

٩٠	الزنج
٢٩٣	سجاج بنت الحارث التميمية
٣٠٤	سعد بن عبادة الانصاري
٣٢٧	السكاك، علي بن ابراهيم (ابو الحسن)
٢١٢	سليك بن سلكة
٢٩٣، ٢٢٥، ٢٠٢، ١٥	سليمان (النبي)
٢٠٨	السموال بن حيان بن عاديا

الشين

٧٣	شعيب بن يحيى بن شعيب
٣٢١، ٣١٠	الشريشي محمد بن محمد (ابو عبد الله)
٢٣٨	الششتري، علي بن عبد الله (ابو الحسن)
٢٠١	شمس الدين (ابو عبد الله) ابن ابي ركب

الطاء

١٢١	طارق بن زياد
٧٢	طويس، عيسى بن عبد الله

العين

١٠٩	عبد المؤمن بن عمر (ابو محمد) المريني
٩٣	عبد المؤمن الكومي
٢١٦	عروة بن حزام
١٧٤، ١٦٩	علي بن علي بن احمد بن نصر
٧٤	عمر بن العجوز

الغين

٩٣	الغريض
٦٦	الغز (الاغزان)

الفنى بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل
بن نصر (ابو عبد الله)

٧١، ٧٢، ١١٨، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥،
١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٣،
٢٢٤، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٢٥، ٢٩٦،
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١،
٣١٤، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦.

الفاء

فرسان الثغر ١٦٨
فرسان الدخلة ١٠٩
فرسان نصارى السقيفة ٦٨
الفرنج ١٦٨، ١٩٣
الفضيل بن عياض (ابو علي) الفنديدي ٤٥

القاف

قبائل مدحج ١٣٠
الحارث ١٠٨
حمير ١٣٠
الخرنج ١٣٠
الخلط ١٠٨، ٩٢، ٨٦
الدياشمة (الجياشمة) ١٠٧
سفيان ١٠٨
سويد ٧٠
طسم ٦٤
عاد ٦٤
قبائل العاصم ١٠٨
عملاق ٦٤
قحطان ١٢٩
المصامدة ١٠٨
هنتاة ٩٢

١٠٩،١٠٧	الهساكرة
١٦٧	قدار بن سالف
٣٠٨	القرشي، محمد بن محمد بن عمر (ابو بكر)
٣٢٧	القطان، محمد بن محمد (ابو يحيى)
٣٠٤،١٢٩	قيس بن سعد بن عبادة الانصاري

الكاف

٣١٢،٣٠٠،٢٩٣	كسرى انوشروان
٢٣٥	كعب بن مامة

الميم

٦٢	المجدولي، عبد الله بن محمد بن يحيى
٢٢١، ٢٠٣، ١٣٣، ١٢٩، ١١٨، ٦٢، ٤٧، ٣٣	محمد (الرسول) = احمد = المصطفى = ابو
٢٤٤، ٢٨١، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩	القاسم الماهي
٣٢٧، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٨، ٣١٣، ٣١٢	
٢٩٣	مسيلة الكذاب بن تمامة بن بكر الوائلي
٦٦	معبد بن وهب
٦٩	منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب (ابو علي)
	المريني
١٠٧	منصور بن محمد بن عمر الهسكوري
٢١٨	المنصور الموهدي
٩٣، ٧١	المهدي بن تومرت
١٦٢	الموحدون
١٢١	موسى بن نصير

النون

٢٩٩، ٢٤٣، ٢١٦، ١٢١، ٧٢	النباهي، علي بن عبد الله (ابو الحسن)
٩٠	النبط
١٠٧	النعمان بن المنذر

الهاء

٢٩٩

هارون الرشيد

٢١٠

هند (جارية ابن خلدون)

٢١٨

هند بنت خارجة الفزازي

الواو

٢٠٣،٧٠

وانزمار بن عريف بن يحيى السويدي

الياء

١٤٥،٩٦،٦٥،٣٥

الياباني، عمر بن عبد الله (ابو علي)

١٥٣،١٤٥،١٢٧،١١٨

يوسف بن محمد الغني بالله

٣٩

يوسف بن الكتاني

٢٠٠

يلبغا الخاصكي

فهرس الأماكـن

(الهمزة)

٧٣	أبدة (Ubeda)
٢٩٩	ابواب جبرون
٣١٦	الأجرع
١١٦	ارجذوته (Arjona)
١٥١	إغرم (Argron)
٣٢٣، ٢٩٤، ٢٣١، ١٦٩، ١٦١	المرية (Almeria)
١٦٤، ١٥٠، ١٣٥، ٧٣، ٧٢، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٤٤	الأندلس (Al-Andalus)
٢٩٩، ٢٤٥، ١٣١، ٢٠٠، ١٩٤، ١٨٠، ١٧٨، ١٧١	
٣٢٤، ٣١٦، ٣١٤، ٣٠٩	
١١٧	أليرة (Illora)
٢٢٧	أسمير
١٤٩، ١٢٣، ١١٩	أشبيلية (sevilla)
٧٠	أفريقية (تونس)
٦٩	الأيالة الزبانية (تلمسان)
٣٠٨، ٣٠٣، ٢٩٩، ٢٩٦، ٢٩٣، ٢٢١	ايوان كسرى (بالعراق)

(الباء)

١٦٩	باب البنود (بغرناطة)
١٢٤	باب الحمراء
١٦٨	برجه (Berja)
١٢٢	برجلونة (Barcelona)
٢٤٤	بسطة (Baza)

٦٢	البلد الجديد (فاس الجديد)
١٦٩	البلد (غرناطة)
١٢١	بلاد الكفر (قشتالة)
.١٠٩٠٨٧	البلاد المراكشية
.٣١٢٠٣٠٣	البيقع
١٤٨	بليش (Vélez Málaga)
.٧٣	بياسة (Baeza)

(التاء)

٦٩٠٦١	تازا
٢٢٠	تافلقت
٦٧	تالمغت
١٠٩٠٩٥٠٨٩٠٨٧	تامسنا
.١٦٦٠١٦٢	تونس
٩١	تيط اقودان

(الثاء)

.١١٧	ثغر الطويون
------	-------------

(الجيم)

٣٦	جبل الجودي
١٢٤	جبل الحمراء

١٧٨،١٥٠	جبل الفتح (Gibraltar)
١٧٨	جبال الفخار (Alfacar)
٢٧٨،١٢٠	جنوة
١١٩،٧٣	جيان (Jaén)

(الـجـاء)

٣١٣،٣٠١،٢٣٠	حاجر
٣٢١،٣٢٠،٣٠٦،٢٠٧	الحجاز
١٩٧	حزن
١١٦	حصن اشر (Iznájar)
١٤٨،١١٩	حصن الحمية (Alhama)
١٧٢،١٧٨،١٤٨،١١٩،١١٦	" أنتقيرة (Antequera)
١٢١،١١٧	" برغة (Burgos)
١١٦	" بني بشير (Benamejí)
١١٨	حصن تلوخ (Tolox)
١١٨	" نكوان (Coín)
١١٦	" السهلة
١١٦	" الصخرة
١٤٨،١١٦	" صالحة (Zalía)
١١٧	" فردالش (Ardales)
١١٥	" قاشره (Castro)
١١٨	" قرطمة (Cártama)
١١٧	" قصر بنيرة (Casarabonela)
١١٧	حصن قنط (Canet de las Torres)

١٧٨، ١٧٠	حصن اللقون (Alicún)
١٤٨	" ملتماس (Bentomiz)
١١٧، ١١٦	" منتفريد (Montefrío)
١١٨	" ميجش (Mijas)
٦٩	الحضرة (فاس)
٢٠٩، ٢٠٨، ١٥١، ١٥٠، ١٣٦، ١١٧	الحضرة الأندلسية (غرناطة)
١٦٦	الحضرة التونسية (تونس)
٣٠٢، ٢٠٢	الحطيم
١٧٧، ١٤٨، ١٢٢	الحمراء (قصر)
٢٤٠	حلب
٢٤٠	حمص

{الهاء}

٨٩	خندق هارون
----	------------

{الدال}

٣٢٤	دجلة (نهر)
٢٠٧	داريين
١٤٩	دار الصنعة (باشبيلية)
٢٨	دشار البوير
٩٠، ٨٩	دشار الزاوية (ماغوس)
٩٥، ٨٩	دشار مكول
٢٩٩	دمشق

(الراء)

١٦٩، ١٧٠، ١٧٥	رياض البيازين (Albacín)
٢٢٧	رباط الفتح
٢٩٩	رامة
٧١، ٧٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٤٨، ١٦١	رندة (Ronda)
١٦٧	
٢٢٧	رياض الشيخ (بسلا)
١٧٢، ١٢٥	ريه
٣٠١	رومة

(الزاي)

٢٢٧	الزاوية العليا (بسلا)
٢٠٢	زمزم

(السين)

١١٩، ١٥٠، ١٦٢	سبته (Ceuta)
٦٢	سجلماصة
٦٩	ساحل غساساة
٦٥، ٦٦، ٦٧، ٩٦، ١٠٩، ١١٨، ١٥١، ٢٢٠	سلا
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١	
٢٢٤	سهيل (Fuengirola)

(الشين)

٨٩	الشعراء (عين)
٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١، ٢٩٨، ١٥٢	الشام
٢٢٧	شلة

(الصاد)

٦٢	صنعاء
١٩٧	صول

(الطاء)

١٦٧	طريف (Tariga)
٣٢٣، ٣٢١، ٣١٢، ٢٩٦	طيبة

(العين)

١٢٦	العذيب (باليمامة)
٢٠٧، ١٥٢، ١٢٩	العراق
٣٠٢، ٢٤٠	عكا

(الغـين)

٨٥	غبولا (عين)
٣٧، ١١٩، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٣،	غرناطة (Granada)
٣٠٤، ٢٠٣، ٢٠٠	
٢٩٩، ٢٩١	الغور (تهامة)

(الفـاء)

٢٦٣	الفرات (بالعراق)
٣١٣، ٣١٢، ٣٠٨، ٣٠٠	فارس
١٣٥، ١٢٨، ١٠٩، ٨٨، ٦٩، ٦٢، ٦١	فاس

(القـاف)

٣٠٣	قبا
١١٩	قرطبة (Córdoba)
٧١، ١١٥، ١١٦، ١٤٩، ١٥١، ١٦١،	قشتالة (Castilla)
١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣	
١٤٨	القصبة (بمالقة)
١٢٢	قصر الحمراء
١٢٣، ١٧٠	قلعة الحمراء
١٥١	القنب جاغر (Campojaegal)
١٥١	قنب قيس (Quempe)
١٦٧، ٧٣	القيروان

(اللام)

١٦٢، ١٤٨، ١١٦

٢١١

لوشة (Loja)

اللوى

(الهميم)

٨٧، ٦٩

١٠٩، ٩٥، ٨٧، ٨٥

٧٣

١١٧

١١٩

٢٠٠، ١٩٢، ٧٥

٢٠٦، ٢٠٣، ١٩٨، ١٦١، ٧٢، ٧١، ٧٠

٣١٢، ٢٢٠

١٤٨، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥

٢٠٥، ١٤٨، ١٦٤، ١٦٢، ١٦١، ١٥٠

٣٢٦، ٢٩٥، ٢٣١

٣٢٤، ٣١٣، ٣٠٣، ٣٠٢، ٢٤٠، ٢٣١

١٠٩، ٨٨، ٦١

٩٥

٣٠٢

المدينة البيضاء (فاس)

مراكش

مارتش (Martos)

مرج الحضرة

مرسية (Murcier)

مصر

المغرب

مالقة (Málaga)

مكة

مكناسة

المنار (بمراكش)

منى

(النون)

٣١٣، ٣٠١، ٢٣٠

نجد

(الماء)

٣٠١

الهند

(الواو)

٧٣، ١١٥، ١٦١، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١،

وادي اش (Guadix)

١٩٨

١١٦

وادي شنجل (Genil)

٢٢٧

القبط (الغبط)

١١٨

الوادي الكبير (Guadalquivir)

٤٥

ولاته

٣٠٢

وادي العقيق

(الياء)

١٧٧، ٢٣١، ٣١٤، ٣٢١

يثرب

فهرس الاشعار

مصدر البيت	قافيته	عدد الابيات	الشاعر	صفحة
البحر				
(الهمزة)				
مبنى اغر	السراء	٢٨ الكامل	ابن خاتمة	٣١٩ - ٣٢٠
لا تظهرن	الضراء	٢ الكامل	ابو علي الشبل	٢١٥
سيدي	جفائي	٢٨ الخفيف	ابن الخطيب	٦٦
(الباء)				
اني له	تعبا	١ البسيط	ابراهيم بن سهل	٢١٢
دعاني	أَنْبِ	٤٦ الطويل	النباهي	٢٩٩ - ٣٠١
لولا ادكاري	التسكاب	٥٦ الكامل	ابو جعفر بن جزي	٢٩٥ - ٢٩٧
(التاء)				
الا بتي	فَنا	٣٧ الوافر	ابو عبد الله الشريشي	٣١٠ - ٣١١
هم اسكنونا	وَأَكْتَتِ	٢ الطويل	ابن الخطيب	٨٨
انك لا تشكو	أَوْمَتِ	١ الرجز	-----	٢١٣
مولاي	رَمَتِ	١٠ البسيط	ابن الخطيب	٢٨٠
ساعة	وافترضتِ	١٠ الرمل	ابن الخطيب	٢٨٠
مولاي	تَجَلَّتِ	١٠ المجتث	ابن الخطيب	٢٨١ - ٢٨٢
(الثاء)				
بشأ ننقل	البراغيثا	٢ البسيط	ابن الخطيب	٩٥
ومرت	الخيث	٢ المتقارب	بشار بن برد	٢١١

(الجيـم)				
يا طالب	فَاجَا	١١ الكامل	ابن الخطيب	٢٢٣
هذه ثمان	للجِـا	١٠ السريع	ابن الخطيب	٢٨٣
ماذا احدث	ولا حَرَجْ	٤ البسيط	ابن الخطيب	٩٥
وافتك	الا بَلَجْ	٩٠ الكامل	ابو اسحاق ابن الحاج	١٢٨ - ١٣١

(الحاء)				
اهل سلا	رائحة	٢ السريع	ابن الخطيب	٩٦
مر الذباب	جناحه	٤ الكامل	ابن الخطيب	٤٤
تغيرت	قبيح	١ الوافر	ايش بن آدم	٨٥
ما على القلب	جناح	٩٦ الخفيف	ابن الخطيب	٢٩١ - ٢٩٤

(الدال)				
الا ارتقبوا	ابن الهدى	٢٩ الطويل	ابو اسحاق بن الحاج	١٥٣ - ١٥٤
بذا قضت	فوائد	١ الطويل	المتبسي	١٠٨
انت في	يندو	١٠ مج. الرمل	ابن الخطيب	٢٤٣
لقد زالت	والنجد	٩ الطويل	ابن الخطيب	٦١ - ٦٢
كما شيكم	الوعد	٣ الطويل	ابن الخطيب	٤٤ - ٧٢
لي الله	وتعتدي	٤ الطويل	ابن الخطيب	٢٢١
نايت	لم يتورد	٢٣ الطويل	ابو اسحاق بن الحاج	١٢٦ - ١٢٨
اهاجتك	مشهد	٨٠ الطويل	ابن الخطيب	٩٢ - ٩٤
جاء العذار	محدود	٢ البسيط	ابن الخطيب	٢٢٥
ماغض	العود	٢ البسيط	ابن الخطيب	٢٢٥
لقد ناديت	تنادي	١ الوافر	_____	٢١٣
الله يعلم	مزيد	٣ الكامل	عروة بن حزم	٢١٦

(الراء)				
مبارك	سيره	٤ الطويل	ابن الخطيب	٩١
يا من يعيد	محصورة	٤ الكامل	ابن الخطيب	٢٣٢
او صيك	مكرة	٢ السريع	" "	٢١٠

٢٨١	ابن الخطيب	٩ الطويل	أَحْبَرُ	برابعة
٩٧	الأمير عبد الرحمان	٢ الطويل	أَكْثَرُ	نرى السوء
٩٥	ابن الخطيب	٢ الطويل	يَقْصُرُ	كانا بئامسنا
٢٢٠	"	٢ الوافر	الْأَثِيرُ	بتألفلت
١٣٥ - ١٣٤	ابو بكر بن قطبة	٤٤ الكامل	تُدَارُ	وجه الزمان
٢٨٤	ابن الخطيب	١٠ الكامل	يَشَارُ	يا من
٤٠ - ٣٩	"	١٥ الكامل	حَامِرُ	يا بن الخلائف
٢٩٥ - ٢٩٤	ابو البركات بن الحاج	٢٤ الكامل	أَفْكَارُ	الله اكبر
١٦٧	ابن الخطيب	١٥ الخفيف	غَدَارُ	هدم السد
١٦٨ - ١٧٧	ابو اسحاق بن الحاج	٣٧ الطويل	الْفَجْرُ	هنيئاً
٤٣	ابن الخطيب	٦ الطويل	الدَّهْرُ	ايا سبع
٢١٢	—————	١ البسيط	الظَّفَرُ	وان تعددت
٢٠٥	"	١ الوافر	الديار	وأبرح
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ المنسرح	نظري	انكرت
٢٢٦	ابن الخطيب	٨ مج. الكامل	الوطرُ	مولاي

(الزاي)

٢٢٤	ابن الخطيب	٢ مج. الرمل	أَعْجَرَةٌ	قال جوادي
-----	------------	-------------	------------	-----------

(السين)

٢١٤	—————	٢ الطويل	فأفلساً	تكرش
٢٢٠	ابن الخطيب	٦ الكامل	نَفْسِ	اخجلتني
٢١٩	ابن الخطيب	٢ الكامل	تِيسِ	غضب

(الشين)

٤٤	ابن الخطيب	٣ مج الرمل	كماشة	قيل ماتت
----	------------	------------	-------	----------

(الضاد)

١٣٢ - ١٣١	ابو اسحاق بن الحاج	٢٤ الطويل	الأرضي	حظيت
-----------	--------------------	-----------	--------	------

(الطاء)

ماذا لقينا	الشرط	٨ البسيط	ابن الخطيب	٩.
------------	-------	----------	------------	----

(العين)

ولنما المرء	ومى	١ الرجز	ابن دريد	٤٦
لا تجمعي	سريع	١ الكامل	—————	٢٢٩
دعها	الأذم	٤١ الكامل	ابو بكر بن قطيبة	٣١٧-٣١٦
ثم في الهوى	اسماعي	٢ السريع	ابن الخطيب	٢٢٨
يا من إذا	الوداع	٢ السريع	ابو البركات	٨٨
خدع	وارتدع	٤٩ الرمل	ابن الخطيب	٢٢٨-٢٢٦

(الفاء)

خليفة	الخليفة	٥ المجتث	ابن الخطيب	٢٢٦
تعقف	ملتق	٢ الطويل	—————	٢١٤
سبع	خلف	١٠ البسيط	ابن الخيب	٢٨٣-٢٨٢

(القاف)

لمن علم	أفاق	٦٠ الطويل	ابن الخطيب	٦٤-٦٢
أنوار	تشرق	٢٥ الكامل	ابن صفوان	١٢٥
وإذا امرؤ	يفرق	١ الكامل	ابن عبد القدوس	٢٢٩
القلب	منطق	٥٨ الكامل	ابن يشيت	٣٢٧-٣٢٥
يا نسيم	من راقى	١٤ الخفيف	ابن الخطيب	٢٨٤

(الكاف)

ابى الله	ملك	٤٩ الطويل	ابو عبد الله الشريشي	١٣٢-١٣٤
عرصات	السالك	١٥ البسيط	ابن الخطيب	٤٥
لا ترج	أيسدك	٥ السريع	ابن الخطيب	٣٥
يا قاضي	شمسك	٢ السريع	"	٢١٧
قلت	مفتك	٢ الخفيف	"	٤٤

(اللام)

٢٢٣	ابن الخطيب	٦ الطويل	كلا	جعلت
٣٢٥-٣٢٣	ابن زرقالة	٦٣ الكامل	عليلا	نفس
٢١٣	_____	٢ السريع	اسفله	ارفعه
٢٢٦	ابن الخطيب	٣ المنسرح	انفصلا	انظرو
٤٣	ابن الخطيب	٥ الطويل	المناسل	ايا سبع
١٥١	• •	١ الكامل	لايسأل	الحق
٣٢٢-٣٢٠	ابن سودة	٧٩ الكامل	التعليل	شط
٢٠٩	ابن الخطيب	٤ الطويل	والسهل	طلت
٢١١	امرؤ القيس	١ الطويل	إذلال	وسرنا
٢١٤	_____	٢ الطويل	بالي	بنفسي
٢١٢	_____	١ الطويل	قبلي	خليلي
٢٣٠	_____	١ البسيط	حال	ما بين غمضة
٢٢٢	ابن الخطيب	٢٤ البسط	الآل	مولاي
٢٢٠	• •	٨ البسيط	حالي	ودعت
٢٢٨	_____	١ الوافر	العلي	فكان
٢٢٤	ابن الخطيب	٢ طويل	بكلل	شريف

(الميم)

٣٠٨-٣٠٥	ابن زمرك	٨٧ الطويل	تعلمنا	تامل
٣٠٥-٣٠١	ابو اسحاق بن الحاج	١٢٨ الطويل	غراما	رعى
٢١٤	_____	٣ الطويل	زكاما	ايحسدني
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ الطويل	وتكلما	مررت
٢٣٥	ابن الخطيب	٦ مج. الكامل	السلامة	ما تم
٢٢٩-٢٢٤	ابن الخطيب	٢ مج. الخفيف	عائنة	قسما
٣١٦-٣١٥	ابن عبد الملك	٣٧ الكامل	سقام	نار
٤٦	ابن الخطيب	٣ الطويل	رسم	ومدحي
٢٨٣	ابن الخطيب	١٠ الطويل	اعلامي	أمولاي
٢١٥	_____	٣ الكامل	المختوم	حكموا
٩٢	ابن الخطيب	٤ الجديد	الحرام	نزلنا

(النون)

وقالوا	رَقُطُونَا	١ الطويل	ابن الخطيب	٩٥
بك الخطط	ومعنى	٨ الوافر	ابن الخطيب	٣٧
حلفاً	يميناً	١٠ الخفيف	ابن الخطيب	٢٨١
يادرة	مضمونة	٢ السريع	" "	٢٢٥
سالت	ما أظنه	٢ المتقارب	" "	٢٢٣
علقتُ	والحدثان	٣ الطويل	ابن نواس	٨٧
هنيئاً	الشاني	١٢ الطويل	ابن الخطيب	١٥١
تَرى	بلا مَينَ	٢ الطويل	ابن الخطيب	٩٥
شاهدُ	زِين	١٤ البسيط	" "	٢٢١
حيّ	ويظميني	٦١ البسيط	ابن خلدون	٢٩٧ - ٢٩٩
مولاي	الزمان	١٠ مج. البسيط	ابن الخطيب	٢٨٢
أسمي	عَريِنَ	٢ الكامل	" "	٢٢٠
أبقاك	سلطان	٢ الكامل	ابن الخطيب	٨٦
جاد	أجفاني	٣٥ الكامل	ابو القاسم بن حميد	٣١٨ - ٣١٩
ولو نعطي	الزمان	١ الكامل	_____	٢٢٩

(الهاء)

طعنت	أضاءها	١ الطويل	قيس بن الخطيم	٢١٢
دعوها	نزوعها	٤٠ الطويل	ابن حسان	٣١٣ - ٣١٥
نفس	سواها	٤٤ الكامل	ابو القاسم بن قطبة	٣١٢ - ٣١٣
تَرى	وَهَى	٢ السريع	ابن الخطيب	٩٠
أسوار	أهليها	٢ المنسرح	ابن الخطيب	٩٦
إذا لم	اجتهاده	١ الطويل	ابو فراس الحمداني	٢١٣
يحيي	تحدده	٥١ البسيط	ابو بكر القرشي	٣٠٨ - ٣١٠
ايا عمر	بدينه	٥ الطويل	ابن الخطيب	٩٦
يا حسنه	بانينه	٤ البسيط	" "	٢٢١
حنت	أشباه	٦٩ الكامل	ابن الخطيب	٦٥
ياوارث	بذره	الكامل	ابن الخطيب	٧١

٢١٤	_____	٢ السريع	نفسه	عدمت
٢٢٥	ابن الخطيب	١ مج. الكامل	يَدِينِ	والشكر
٢٢٤	ابو بركات	١ " "	لَدِينِ	وهديّة
٢٢٤	ابن الخطيب	١ " "	إِلَيْهِ	وقد كان
٢٢٤	ابو بركات	١ " "	عَلَيْهِ	لله من
٧١	ابن الخطيب	٢ الكامل	التنويه	قالوا

(الواو)

٤٥	ابن الخطيب	٨ مج. البسيط	مساوي	من طلب
----	------------	--------------	-------	--------

(الياء)

٢١٤	_____	٢ الطويل	داهية	أقول
-----	-------	----------	-------	------

الزجل

٢٢٤ - ٢٤٥	أفرح ووطيئو / قد مضى عدو الله / وانجبر حبيبو
٢٤١ - ٢٤٢	البعد عنك يا بن أكبر مصايبي / وحين حصل قربك سيب أقاربي
٢٣٨ - ٢٣٩	من عول على صقل / ولم يلتفت عقل / واتحذق اذ ينتلف / فصل يتحقق
٢٤٠ - ٢٤١	أنا لس نضمن أبدا لمدكا / ولا يلطم ظهري بمحكا
٢٣٩ - ٢٤٠	بي طلوع وبني نزول / اختلطت الفزول
٢٤٢ - ٢٤٣	در بحال الرحي / حتى لس يبق عندك / يا بن في الرحي حي

فهرس الوسائل والقطع النثرية

رقم الصفحة

٢٣١، ٢٣٠	رسالة الى ابن الخطيب	(١) ابن خاتمة
٤٨، ٤٧	اجازة لولدي ابن رضوان	(٢) ابن الخطيب
١٨٠، ١٧٩	خطبة على لسان الفني بالله	(٣)
٢٣٠-٢٢٨	رسالة الى ابن خاتمة	(٣)
٢٦٩-٢٠٨	رسالة الى ابن خلدون	(٤)
٢١٦، ٢١٠	رسالة الى ابن خلدون	(٥)
٢٣٧-٢٣٢	رسالة الى ابن مـرزوق	(٦)
٢١٧، ٢١٦	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	(٧)
٢١٩-٢١٧	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	(٩)
٣٧، ٣٦	رسالة الى أبي ثابت عامر	(١٠)
٤٣، ٤٢	رسالة الى أبي ثابت عامر	(١١)
٤١-٣٩	رسالة الى أبي زيان المريني	(١٢)
٨٧، ٨٦	(١٣)
٢٠٧، ٢٠٦	(١٤)
٣٩، ٣٧	رسالة الى أبي سعيد بن رشيد	(١٥)
٢٣١	رسالة الى أبي القاسم الفخار	(١٦)
٢٠٨، ٢٠٧	أحمد الجـلاء	(١٧)
٢٠٨	رسالة الى أحد الفضلاء	(١٨)
٣٦، ٣٥	رسالة الى عمر بن عبد الله	(١٩)
٤٢، ٤١	(٢٠)
٩٧، ٩٦	(٢١)
٢٠٢، ٢٠١	رسالة الى شمس الدين بن أبي ركب	(٢٢)

فهرس الآيات القرآنیه

السورة ورقمها	رقم الآية	الآية	صفحة
آل عمران ٣	١٨٥	وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور	١٥٠
الأحزاب ٣٣	٢٣	فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا	٤١
الأعراف ٧	١٩٩	خذ العفو وامر بالمعروف	٦٤
الأعراف ٨	٨٩	ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق	١٧٥
الأعراف ٧	١٣٩	ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون	١٧٦
الأعلى ٨٧	١٧	والآخرة خير وأبقى	٣٨
الأنعام ٥	١٢٢	بنور يمشي به في الناس	٨٦
الأنفال ٨	٧	ويريد الله ان يحق ويقطع دابر الكافرين.	١٩٩، ١٦٦
الأنفال ٨	١٧	وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى	٢١٥
ابراهيم ١٤	٣٨	ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله شيء في الأرض ولا في السماء	١٧٦
البقرة ٢	٢٥٨	فهت الذي كفر	١٢٠
البقرة ٢	٢٠١	ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض	١٦٦
البقرة ٢	١٨٥	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	١٧٨
التحریم ٦٦	٦	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمنون	٢١٨
التغابن ٦٤	١٧	وان تفرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم	٢٨٠
التوبة ٩	٤٨	وظهر امر الله وهم كارهون	١٧٣
التوبة ٩	١٢١	ولا يقطعون واديا	٢٠٨
الحج ٢٢	٢٣٧	انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور	١٧٣

الحديد ٥٧	٢٣	كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم	٢٢٨
الحديد ٥٧	٢	فهو على كل شيء قدير	٢٣٢
الرعد ١٣	١٦	فهو الواحد القهار	٢٢٦
(ص) ٣٨	٦٧	قل هو نبي عظيم انتم عنه معرضون	٢٣٦
الضحى ٩٣	٢	والضحى والليل اذا سجي	٢١٨-٢٨٣
الطلاق ٦٥	٧	سيجعل الله بعد العسر يسرا	٢١٣
طه ٢٠	٩٩	كذلك نقص عليك ما سبق وقد اتيناك من لدنك ذكرا	١٩٧
عبس ٨٠	٣٨	وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة	١٩٥
العنكبوت ٢٩	٦٤	الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون	٣٤
الغاشية ٨٨	١٣-٩	في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية	٢٠٧١
		فيها سرر مرفوعة	
غافر ٤٠	٣٩	ودار الآخرة دار القرار	٢٠٤
فاطر ٣٥	١٤	ولا ينبئك مثل خبيسر	١١٩
الفرقان ١١٣	٢	ومن شر ما غاسق اذا وقب	٢١٨، ٢٠٨
القصاص ٢٨	٢٨	وبرك يخلق ما يشاء ويختار	٢٣٠
القمر ٥٤	١	اقتربت الساعة وانشق القمر	٢١٥
الكهف ٢٩	٤٥	انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلنا من السماء	٣٣
		فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيمًا تذوره	
		الرياح	
لقمان ٣١	٣٤	وما تدري نفس ما تكسب غدا	٢٠٧
المجادلة ٥٨	١٩	اولى ثم اولى له اولئك حزب الشيطان الا ان حزب	٢٣
		الشيطان هم الخاسرون	
المجادلة ٥٨	٢٢	اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون	٣٤
النحل ١٦	١٨	وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها	
النساء ٤	٦٦	ولو انا كتبنا عليكم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من	١٥٢
		دياركم ما فعلوه	
النساء ٤	١٠٦	واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا	١٧٩
النساء ٤	٢٢	وان تجمعوا بن الأختين الا ما قد سلف	٢٢١
النمل ٢٧	١٧-١٨	حتى اذا اتوا على واد النمل....	٢٢٥
النور ٢٤	٤٤	ان في ذلك لعبرة لاولي الأبصار	٢٧٥

٢٠٧	في بيوت اذن اله ان ترفع.	٣٦	النور ٢٤
٢٩٢، ٢٠٩	مثل نوره كمشكاة فيها مصباح	٣٥	النور ٢٤
٢٢٤	ويل لكل همزة	١	الهمزة ١٠٤
٢٧٦	الظل الممدود ...	٣٠	الواقعة ٥٦
	ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب	٦	يوسف ١٢
	كما اتىها على ابويك من قبل		
١٧٩	ابراهيم واسحاق. ان ربك حكيم.		
٢٢٩	وانما اشكوبثي.	٨٦	يوسف ١٢
١٦٤	يا نوح ليس من اهلك	٤٦	هود ١١

فهرس الأحاديث النبوية

١٦٣	الأرواح جنود مجندة
٣٤	أكثرها من ذكر هادم اللذات.....
٣٦	أما الأعمال بالنيات
٢٠٤، ١٦٤	أما الأعمال بالخواتيم
١٥٥	أتهادوا تحابوا
١٩٣	قال ما الحج ؟ قال : العج والشج
٢٠٢	المسلت الذي سقط على الحميم
١٦٨	هدنة على دخن
١٠٨	وأذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره...
٣٤	ولتتظر نفس ما قدمت لغد.....

فهرس الأمثال

- | | |
|--------------|---|
| (٢٣٥). | ١) أجود من كعب بن مامسة |
| (١٧٠) * | ٢) الأخذ سريط والقضاء سريط. |
| (٧٢). | ٣) أشأم من طويــــــــــــــــس |
| (١٢١) * | ٤) أشعب الطمــــــــــــــــع |
| (٩٣). | ٥) الألمــــــــــــــــي |
| (٧٤) * | ٦) انفك منك وإن كان أجودع |
| (٢٠٢، ٧٢). | ٧) إذا ما لم تكن ابل فمعزى |
| (٦٤) * | ٨) ارعاد وابــــــــــــــــراق |
| (٢١١) * | ٩) اليك يساق الحديــــــــــــــــث |
| (٢١٣) * | ١٠) انك لا تشكو الى غير مصمت |
| (٣٢٥) * | ١١) برح الخفــــــــــــــــاء |
| (١٢١، ٨٦) * | ١٢) اتخذ الليل جمــــــــــــــــلا |
| (٢١٣) * | ١٣) تضرب في حديد بارد |
| (١٦٨) * | ١٤) جلدة بين العين والأنف |
| (١٢١) * | ١٥) الحديــــــــــــــــث ذو شجون |
| (١٩٩، ١١٧) * | ١٦) حفر قضهم وقضيفهم |
| (٧٤) * | ١٧) رجع ادراجــــــــــــــــه |
| (١٢١) * | ١٨) صرح المخض عن الزبــــــــــــــــدة |
| (١٩٥) * | ١٩) صهب السبــــــــــــــــال |
| (٣٩) * | ٢٠) ضيق العــــــــــــــــطن |
| (١٩٩، ١٦٥) * | ٢١) شالت نجامتــــــــــــــــهم |
| (١٦٢) * | ٢٢) العصا من العصيــــــــــــــــة |
| (٨٩، ٣٨) * | ٢٤) عند الصباح يحمّد القوم السرى |
| (٢٠٧) * | ٢٥) عن المرء لا تسل واسال عن قرينه |
| (٢١٢) * | ٢٦) فتكة البــــــــــــــــراخ |
| (٢١٣) * | ٢٧) قد اسمعت لونا ديت حيا. |
| (٢٠٢) * | ٢٨) لا تجود يد بما لا تجود |

- (٢٩) ليس هذا بعشك فادرجسي
 (٣٠) ما أشبه الليلة بالبارحة
 (٣١) ما عدا عما عدا
 (٣٢) مالي بالسائح بعد البارج
 (٣٣) من أيقن بالخلف جاد بالعطية
 (٣٤) من نهشته الحية حذر الرسن
 (٣٥) نافع ضرمة
 (٣٦) النذير العريان
 (٣٧) هدنة على دخن
 (٣٨) الهياط والمياط
 (٣٩) وتد في قناع
 (٤٠) وجدت خرقاؤه صوفيا
 (٤١) وافد البراجمة
 (٤٢) ولو ترك القطا ليلا لناما
 (٤٣) وما قلت الا بالذي علمت سعد
 (٤٤) وعين الرضى عن كل عيب كلية
 (٤٥) ونجا براس طمرة ولجسام
 (٤٦) وبياتيك بالآخبار من لم تزود
 (٤٧) يحصد الانسان ما زرع
 (٤٨) ياكل من هرى ويشرب من بير
 (٤٩) يكثر الطير حيث ينتثر الحب
 (١٢٠)
 (٣٣)
 (١٩٥)
 (٢١٦)
 (١٥٤)
 (٢٢٩)
 (١٠٩)
 (١٠٨)
 (١٦٨)
 (٢٣٦)
 (١٧٥)
 (١٦١)
 (١٢٢، ١٠٧)
 (٢٢٩)
 (٤٤)
 (٢٢٩)
 (١٢٢)
 (٩٣)
 (٢٢٨)
 (٨٩)
 (١٩٦)

فهرس مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في المتن

رقم الصفحة

	١ - الإحاطة
٤٧	٢ - أرجوزة في أصول الفقه
٤٨	٣ - أرجوزة في الأغذية
٣٣	٤ - أرجوزة في التاريخ الاسلامي
٤٨	٥ - أرجوزة في السياسة
٤٨	٦ - أرجوزة في العلاج
٤٨	٧ - الصييب والجهام
٤٨	٨ - طرفة العصر
٤٨	٩ - عائد الصلوة
٤٨	١٠ - عمل من طب لمن حب
٤٨	١١ - الكتاب اليوسفي
٤٨	١٢ - نفاضة الجراب
٣٣ - ٣٤	* اللحة البدرية
٩٧	الإشارة ادب الوزارة

فهرس المصادر والمراجع

المصادر العربية

- ابن أبي الخياط، أحمد: (١٢٩١ هـ / ١٨٨٤م)
«اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»، تحقيق لجنة من كتابة الدولة والشؤون الثقافية والأخبار، تونس ١٩٦٣، ٦٤، ٦ ج.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م):
- «الكامل في التاريخ» بيروت ١٩٦٥، ١٣ ج.
- «اللباب في تهذيب الأنساب»، بيروت ١٩٨٠، ٣ ج.
- ابن الأحمر، اسماعيل بن يوسف بن محمد الأنصاري الخزرجي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).
«ذكر بعض مشاهير أعيان فاس القديم» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط، ١٩٧٦
- «روضة النسرين في دولة بني مرين»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٢.
- «مستودع العلامة ومستبدع العلامة»، تحقيق محمد التركي ومحمد الطنجي، تطوان ١٩٦٤.
- «نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان»، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٦٧.
- «نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياهم الزمان»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦.

- ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) :
«سيرة ابن اسحاق الصماعة كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي»، تحقيق محمد حميد الله، الرباط ١٩٧٦.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (كان حيا سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨-١٣٦٩م):
«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت ١٩٧٩ ج٢.
- ابن جابر، الوادي اشي شمس الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :
«برنامج ابن جابر الوادي اشي»، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٨١
- ابن هزم، علي بن أحمد بن سعيد الفارسي ثم القرطبي (ت ٤٥٦/١٠٦٤م)
«جمهرة انساب العرب»، نشر ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (كان حيا سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م) :
«صورة الأرض»، بيروت (د. تا).
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) :
«المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، ج ٢، تحقيق محمود مكي، القاهرة ١٩٧١
ج٣، نشر ميلتشو انطونيا، باريس ١٩٣٧
ج٥، تحقيق شالميتا، كورينطي ومحمد صبح، مدريد ١٩٧٩.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
- «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣، ١٩٧٧، ج٤.
- مختصر الإحاطة» مخطوطة الأسكوريال، سفران رقم ١٦٧٣، ١٦٧٤.
- مخطوطة الاكاديمية التاريخية بمدريد تحت رقم ١٤٢.
- «الإشارة الى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة»، تحقيق محمد كمال شبانة، الرباط ١٩٨٠.
- «أوصاف الناس في التواريخ والصلوات تليها الزواج والعضات، تحقيق محمد

كمال شبانة، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث بين المغرب والإمارات العربية (د.تا).

- «كتاب اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام»، ج٢، نشر ليفي بروفنصال، لبنان ١٩٥٦.

ج٣، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء ١٩٦٤.

- «جيش التوشيح»، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماخور، تونس ١٩٦٨

- «ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام» تحقيق الشريف قاهر، الجزائر ١٩٧٣.

- روضة التعريف بالحب الشريف»، تحقيق محمد الكتاني، بيروت ١٩٧٠، ج٢.

- «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨٠، ج٢

«ريحانة الكتاب»، مخطوطة الأسكوريال، رقم ١٨٢٥.

- «الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»، تحقيق احسان عباس، لبنان ١٩٦٣.

- «كناسة الدكان بعد انتقال السكان»، تحقيق محمد كمال شبانة، القاهرة (د. تا)

- «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٢، بيروت ١٩٧٨.

- «معيان الاختيار في ذكر المعاهد والديار»، تحقيق محمد كمال شبانة المغرب ١٩٧٧.

- «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، ج٢، تحقيق احمد مختار العبادي، القاهرة (د.تا).

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦) :

«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر»، ط٣، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت ١٩٦٧، ج٧.

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت ١٩٦٧، ج٧.

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر البيان العربي ١٩٦٥.

ابن خلدون، أبو زكريا، يحيى (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م)

«بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»، تحقيق وترجمة الى الفرنسية
الفريد بيل، الجزائر ١٩٠٣، ج. ٢، ج. ١. ط ٢ تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر
١٩٨٠.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم البرمي الأربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢) :
«وفيات الأعيان»، نشر محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨، ج. ٦.

ابن دراج السبتي :

«كتاب الامتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» نشر محمد بن شقرون، تحت
عنوان : اتجاهات أدبية وحضارية في عصر بني مرين، القنيطرة (د. تا).

ابن رزين،

«فضالة الخوان في طيات الطعام والألوان، نشر محمد بن شقرون، تحت عنوان :
فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين، الرباط ١٩٨١.

ابن رشيقي ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) :

«قراضة الذهب في نقد اشعار العرب»، تحقيق .بر. الشاذلي، تونس ١٩٧٢.

«الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء
١٩٨٤.

ابن الزيت، يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م).

«التشوف الى رجال التصوف»، نشر ادولف فورفي، الرباط ١٩٥٨

ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
«المخصص»، بيروت (د. تا)، ج. ٥.

ابن سيد الناس، أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد الطرابلسي (ت
١١١٣هـ/١٧٠١م) :

«عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ط ٢ بيروت ١٩٧٤، ج. ٢.

ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي الأندلسي
(٥٩٤هـ/١١٩٨م)

«تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين»، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٥.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمرى القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :

«القصص والامم في التعريف بأصول انساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الامم»، القاهرة ١٩٣١.

ابن عبد الملك، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م):

(الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٦٥
ابن عذارى، احمد بن محمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) :
«البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب» ج ١، تحقيق كولان وليفي بروفنسال،
لیدن ١٩٨٤.

ج ٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، لیدن ١٩٥١.

ج ٣، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ١٩٣٠.

ج ٣، تحقيق ويشي ميراندا وابن تاويت ومحمد الكتاني، تطوان ١٩٦٣.

ابن عربي، محيي الدين

«الفتوحات المكية»، تحقيق عثمان يحيى ومراجعة ابراهيم مذكور، مصر ١٩٧٧ ج ٥.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) :

«شذرات الذهب في اخبار من ذهب» القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥١، ج ٨.

ابن غازي، محمد بن احمد بن محمد (ت ٩١٩هـ/١٥١٣م).

«الروض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط
١٩٦٤.

ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٧م) :

«الديلم المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب»، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور،
القاهرة ١٩٧٤، ج ٢.

ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٦م) :

- «درة الحجال في غرة أسماء الرجال» تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة
١٩٧٠.

- «جنوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس» ، ط ٢، نشر عبد الوهاب
ابن منصور، الرباط ١٩٧٣، ج ٢.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩) :
 - «عيون الأخبار»، القاهرة ١٩٢٥، ٣ مجلدات في مجلد.
 - «المعارف»، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة ١٩٦٩.
 ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :
 «الفارسية في مبادئ النولة الحفصية» تحقيق الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس ١٩٦٨.
 ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) :
 «المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن»، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الجزائر ١٩٨١.
 ابن منجب، أمين الدين تاج الرياسة بن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م) :
 «الإشارة الى من نال الوزارة» ، القاهرة ١٩٢٤.
 ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الأنصاري (ت ٧٧١هـ/١٣٧٩م) :
 «لسان العرب» ط١، بولاق، ١٨٨٢ . ج٢.
 (الإحاطة) : انظر، ابن الخطيب.
 الإدريسي بن عبد الله الحسني السبتي (٥٦٤هـ/١١٦٠م)
 Al-Idrisi, Opus Geographicum, ed A...Bombaci, U. Rizzitano R.
 Rubinacci, I. Vaglieri, Naples-Roma, 1970-1984, 9 fasc.
 (ازهار الرياض) : انظر، المقرئ.
 (الاستقصا) : انظر، الناصري.
 (أعمال الأعلام) : انظر، ابن الخطيب.
 الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) :
 «شرح القصائد السبع الطوال»، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢. مصر (د. تا).
 الأنصاري السبتي، محمد بن القاسم بن محمد (كان حيا سنة ٨٢٥/١٤٤٤م) :
 «اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٨٣؛ ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب، شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن قنفذ، وفيات الونشريسي لأحمد الونشريسي، لقط

الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي، تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.
الانور الزاهية في ديوان أبي العتاهية، جمع أحد الأبناء اليسوعيين، بيروت ١٨٨٦ .

البغدادي، صفى الدين عبد المومن (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :

«مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، تحقيق محمد البلجاري، القاهرة ١٩٥٤.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

- «جغرافية الأندلس وأروبا من كتاب المسالك والممالك»،

تحقيق عبد الرحمان الحجي، بيروت ١٩٦٨ .

- «معجم ما استعجم»، نشر فرديناند وستنفلد، باريس ١٩٧٦.

البيذقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي :

«أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين»، ط٢، نشر عبد الوهاب بن منصور
الرباط ١٩٧١.

- «المقتبس من كتاب انساب في معرفة الأصحاب» نشر عبد الوهاب بن منصور،
الرباط ١٩٧١.

(البيان المغرب) : انظر، ابن عذاري.

(تحفة النظر) : انظر، ابن بطوطة.

(التشوف) : انظر، ابن الزيات.

(التعريف) : انظر، ابن خلدون.

التمبكتي، أبو العباس أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) :

«نيل الإبتهاج بتطريز الديباج»، القاهرة ١٩١١.

(الجنوة) : انظر، ابن القاضي.

الجزنائي، أبو الحسن علي (كان حيا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥) :

«جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٧.

(جغرافية الأندلس وأروبا) : انظر، البكري.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) :

«كتاب الوزراء والكتاب» نشر مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبابي، القاهرة ١٩٣٨.

(جني زهرة الاس) : انظر، الجزناني.

«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» نسب خطأ الى ابن الخطيب، وقد نسب البعض الى ابن سماك العامري (ق ٨/١٤م)، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٧٥هـ/١٦٥٦) :

«كشف الظنون عن اسامي الكتاب والفنون، واستانبول ١٩٤١.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م).

«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٥. وقد نشر بروفنسال الجزء الخاص بالاندلس بالقاهرة ١٩٣٧.

الحوات، أبو عبد الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٣١هـ/١٨١٥) :

«الروضة المقصودة والحلل المعبودة في مآثر بني سودة»، مخطوطة الخزنة الحسينية بالرباط، رقم ١٠٩٢٣.

(الخطط) : انظر، المقزيري.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) :

«مفاتيح العلوم» تحقيق فان فولتين، ألمانيا ١٩٦٨.

الدبار، بكرى حسين بن محمد بن الحسن

«تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس»، بيروت (د. تا).

(الدرر الكامنة) : انظر، العسقلاني.

(الديباج) : انظر، ابن فرحون.

«ديوان ابن قزمان» تحقيق كورينطي، مدريد ١٩٨٠.

«ديوان أبي اسحاق الألبيري»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦

ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، مصر (د. تا)

ديوات أبي الحسن الششتري، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠.

«ديوان أبي نواس، برواية الصولي»، تحقيق بهجت عبد الغفور، بغداد ١٩٨٠.

الدكالي، محمد بن علي السلاوي. (ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥).

«اتحاف اشرف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ٢٢٧

«الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين»، تح. مصصفي ابو شعراء المغرب ١٩٨٦.
«الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية»، لمؤلف مجهول، (كان حيا سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١). نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٧٢.
(روضة التعريف) : انظر، ابن الخطيب.

(الروض المعطار) : انظر، الحميري .
(روضة النسرین) : انظر، ابن الأحمر.
«رياحنة من أدواح ونسمة من أرواح» ، مخطوطة الخزانة العامة، رثم ٢٦٩.

«الزبيدي المرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) :
«تاج العروس من جواهر القاموس»، بولاق ١٢٠٦ / ١٨٨٨ ، ج ١٠.

«الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) :
«أمثال العوام في الأندلس»، تحقيق محمد بن شريفة، فاس ١٩٧٥.
(زهر الأكمل) : انظر، اليوسي.

«الزباني، أبو القاسم (ت ١٢٤٩ هـ / ١٨٠٩ م) :
«الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا»، تحقيق عبد الكريم الفيلاي،
المحمدية ١٩٦٧.

«السراج، محمد بن محمد الأندلسي ثم التونسي (ت ١٤٤٩ هـ / ١٧٣٦) :
«الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس
١٩٧٠. ج ٤.

(صبح الأعشى) : انظر، القلقشندي.

«الطواح، عبد الواحد بن محمد التونسي (كان حيا سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٨ م) :
«سبك المقال لفك العقال» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ١٠٥.

(العبر) : انظر، ابن خلدون.

«العذري، أحمد بن عمر بن أنس الدلائي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) :
«نصوص عن الأندلس من كتاب توصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب
البلدان والمسالك الى جميع الممالك»، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥.

- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩ م)
«الاصابة في تمييز الصحابة»، مصر ١٩٢٣، ج٦.
«تهذيب التهذيب» حيدر آباد ١٩٠٧، ١٣ ج.
«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، حيدر آباد ١٩٢٩، ٤ ج.
«لسان الميزان»، حيدر آباد ١٩٧١، ٧ ج.
- العمرى، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م) :
«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، ج ١، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤.
- الفتتالي، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١ م)
«مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء» تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط ١٩٧٣.
(فصل المقال: انظر، البكري).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م) :
«عجائب الخلوقات وغرائب الموجودات» تحقيق فاروق سعد، ط ٣، بيروت ١٩٨٧
القرافي، بدر الدين (٩٤٦هـ / ١٥٣٣ م).
توشيح الديباج وحلية الأبتهاج» تحقيق أحمد الشتيوي، تونس ١٩٨٣.
القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) :
«المحمدون من الشعراء وأشعارهم»، تحقيق حسن معمرى، الرياض ١٩٧٠.
القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) :
«صبح الأعشى في كتابة الأنشا»، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩، ١٤ ج.
«كتاب الطبيع في المغرب والأندلس» مؤلف مجهول، تحقيق ويثي ميراندا، مدريد ١٩٦٥.
- الكتاني، عبد الحي.
«فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، نشر احسان عباس، بيروت ١٩٨١، ٢ ج.
(اللمحة) : انظر، ابن الخطيب.
(لع) : انظر، ابن منظور.

- ليو الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان (ت ٩٥٩هـ/١٥٥٢م) :
«وصف إفريقيا»، ج ١، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط ١٩٨٠.
(مجمع الأمثال) : انظر، الميداني.
(المرقبة العيا) انظر، النباهي.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميم (ت ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) :
«المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.
القاهرة ١٩٦٣.
- (المسند) : انظر، ابن مرزوق.
(معجم البلدان) : انظر، ياقوت.
(معيار الاختيار) : انظر، ابن الخطيب.
- الميرد، أبو العباس محمد (ت ٢٨٢هـ/٨٩٩م) :
«التعازي والمراثي» تحقيق محمد الديباجي، دمشق ١٩٧٦.
- المقري، أحمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني (ت ٥١٠هـ/١٦٣١م) :
«أزهار الرياض في أخبار عياض» ج ١، ٢، ٣، تحقيق ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، نشر ج ١ بالقاهرة ١٩٣٩ : ج ٢، ٣ بالرباط ١٩٧٨ : ج ٤،
تحقيق أحمد اعراب ومحمد بن تاويت، الرباط ١٩٧٨، ج ٥، تحقيق أحمد أعراب
وعبد السلام الهراس، الرباط ١٩٧٩.
- «روضة الاس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش
وقاس»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٤.
- «نفح الطيب، من غصن الأندلس الرهيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،
تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٨، ٨ ج.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :
«المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار»، ط. النيل ١٩٠٨.
- الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م) :
«مجمع الأمثال»، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ط ٢، بيروت ١٩٧٢، ج ٢.
- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت ١٠هـ/١٠م) :
«وصف اقليم المغرب. مقتبس من احسن التقاسيم»، نشر شارل بيل، الجزائر
١٩٥٠.

(نزمة المشتاق) انظر الادريسي.

النهايي، علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي (كان حيا سنة ١٣٩١هـ/١٣٩٣م)

«المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» ، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨م

الناصرى السلاوي، شهاب الدين محمد خالد (ت ١٣١٩هـ / ١٩٠٩م) :
«الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٤، ج٩.

الناصرى، محمد بن موسى المكي (ت ق ١٢هـ/١٨م) :
«الدرر المرصعة في أخبار درعة، مخطوطة الخزانة العامة، سفران، رقم ٢٣٦٨د.
(النفاسة ٢) : انظر، ابن الخطيب.

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).
«نهاية الأرب في فنون الأدب» القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٣٥ ، ج٩ :
(نيل الأبتهاج) : انظر ، التمكني.

الهلاي :

إضاءة الإدوموس ورياضة الشموس من اطلاع صاحب القاموس» مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم ٢٧٩.

(وصف افريقيا) : انظر، ليو الافريقي.

(وفيات الأعيان) انظر ابن خلكان.

اليازجي، ناصيف بن عبد الله (ت ١٢٨٧هـ ١٨٧١م) : «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت (د. تا)، ج٢.

ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ / ١٢٨٨).

«معجم الأدباء» ، نشر جليوت، ط٢. اكسفورد ١٩٢٢ ، ج٢٠..

«معجم البلدان» ، بيروت (د. تا)، ج٥.

اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود الديراسني (ت ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م)

«زهر الاكم في الامثال والحكم»، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء ١٩٨١، ج٣.

«المحاضرات» تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.

المراجع العربية

ابن تاوويت، محمد التطواني وعفيفي الصادق : الأدب المغربي، ط ٢، بيروت ١٩٦٦.

ابن تاوويت، محمد التطواني :

«سبب الأسيرة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١١١ - ١٤٣.

«كتاب الإحاطة لابن الخطيب... المناهل»، ١٢، (١٩٧٨)، ص ١١٢ - ١٦٠؛ ١٣، (١٩٧٨)، ص ١٣٦ - ١١٤؛ ١٤، (١٩٧٩)، ص ٣٢٦ - ٣٧١؛ ١٥، (١٩٧٩)، ص ١١٤ - ١٢٦؛ ١٦، (١٩٨٠)، ص ١٠٠ - ١٥٠؛ ١٨، (١٩٨٠)، ص ٣٣٥ - ٣٧٤؛ ٢١، (١٩٨١)، ص ١٧٢ - ٢٠١؛ ٢٣، (١٩٨٢)، ص ٦٦ - ١٢٩؛ ٢٥، (١٩٨٢)، ص ٧٩ - ١٢٩؛ ٢٦، (١٩٨٣)، ص ١٠٩ - ١٩٣.

ابن خلدون والفكر المعاصر (ندوة ابن خلدون)، تونس ١٩٨٠.

ابن زيدان، مولاي عبد الرحمان :

اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ط ١، الرباط ١٩٢٩، ج ٥.

ابن سودة، عبد القادر :

دليل المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٦٠.

أبو خفيف، مصطفى أحمد :

القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١-٤٢٢هـ/ ١٠٣١-٧١٠م) المغرب ١٩٨٣.

أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، الدار البيضاء ١٩٨٢.

(الأعلام) : انظر، الزركلي.

أومليل، علي :

الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط ٢، الرباط ١٩٨٤.

البابائي، اسماعيل باشا محمد أمين البغدادي :

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،
استانبول ١٩٤٤، ٢ ج.

هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين، استانبول ١٩٥٥، ٢ ج.

بروكلمان . ك. :

تاريخ الأدب العربي، ترجمه الى العربية عبد الحليم النجار ورمضان التواب،
القاهرة ١٩٧٧، ٦ ج.

ابن شريفة، محمد :

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته واثاره، الرباط ١٩٦٦..

ابن عبد الله، عبد العزيز :

الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان ١٩٥٣.

المعجم التاريخي، الدار البيضاء (د. تا).

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، الرباط ١٩٧٥، ٣ ج.

نحو تفصيح العامة في الوطن العربي، دراسة مقارنة بين العربية والعامية،
الرباط ١٩٧٢.

ابن منصور، عبد الوهاب :

قبائل المغرب، ج ١، الرباط ١٩٦٨.

بوجندار، محمد :

شالة واثارها، الرباط ١٩٢٢.

التازي، عبد الهادي :

وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، الدار البيضاء ١٩٨٠.

التطوانى، محمد بن أبي بكر :

ابن الخطيب من خلال كتبه، تطوان ١٩٥٤، ٢ ج.

جرار، صلاح : «ريحانة الكتاب لابن الخطيب تحقيق عنان»، مجلة الناشر العربي،
٢، (١٩٨٤)، ص ٩٣-١١٣

الجراري، عباس :

- القصيدة، الرباط ١٩٧٠.

- معجم مصطلحات الملحون الفنية، الرباط ١٩٧٨.
- فوشحات مغربية، دراسة ونصوص، الدار البيضاء ١٩٧٣.
- الحجي، عبد الرحمان :
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢) ١٩٨٨/٧١١/١٤٤٢)، القاهرة ١٩٨٣.
- حركات، ابراهيم :
- «الحياة الدينية في العهد المريني» مجلة البحث العلمي، ٢٩، ٣٠ (١٩٧٩)، ص ٢٣٩-٢٠٩.
- «معالم التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧) ص ٢٠٧ - ٢٤٣.
- حسن، عبد الوهاب :
- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، تونس ١٩٧٢، ج٣.
- الخمريسي، أحمد :
- المتصوفة وبدعة الاحتفال بمولد النبي، الدار البيضاء ١٩٨٣
- الداية، محمد رضوان :
- النقد الأدبي في الأندلس، لبنان ١٩٦٨.
- دغفوس، راضي :
- «العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر الى إفريقيا» أوراق ٤، (١٩٨١) ص ١٤٧-١٦٣.
- ذنون، طه عبد الواحد : «استقرار القبائل البربرية في الأندلس»، أوراق ٤، (١٩٨١) ص ٣٥-٤٨.
- الزركلي، خير الدين :
- الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، بيروت ١٩٨٠، ج٨.
- زمامة، عبد القادر :
- «بنو الأحمر في غرناطة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١٠١ - ١١٠.

زنيبر، محمد :

«ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧)، ص ١٢٦-٧٩.

السائح، حسن :

منوعات ابن الخطيب، الرباط ١٩٧٨

سركيس، يوسف الياس :

معجم المطبوعات العربية والمعرية، مصر ١٩١٩.

شبانة، محمد كمال :

«الإشارة الى أدب الوزارة للوزير الغزنائي لسان الدين....»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ٩٣ - ١٠٠.

- «الحالة الاقتصادية بالأندلس من خلال القرن الثامن الهجري» مجلة البحث العلمي، ٨، (١٩٦٦)، ص ١٣٦ - ١٥٠.

- «السياسة الخارجية لمملكة غرناطة النصرية»، مجلة البحث العلمي، ١١، ١٢، (١٩٦٧)، ص ٥٩٣.

- «شيوخ الغزاة المغاربة في الأندلس كما أرخ لهم ابن الخطيب في الأحاطة»، مجلة البحث العلمي، ١٣، (١٩٦٨)، ص ١٢٤ - ١٣٨.

- «المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب» مجلة دعوة الحق، ٨، (١٩٦٨)، ص ٨٧-٩٢.

الشكمة، مصطفى :

الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٨٣.

العبادي، أحمد مختار :

- «بين ابن خلدون وابن الخطيب»، (مهرجان ابن خلدون)، الدار البيضاء ١٩٦٢. ص ٥٥-٦٥.

- «حياة ابن الخطيب المغربية، مجلة البيئة، ١، (١٩٦٢)، ص ٥٤ - ٦٥.

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٨٢

«فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان»

مجلة المعهد المصري بمدييد، ٨٧، (١٩٥٩ - ٦٠)، ص ٤٣ - ٧٣.

- مساهمات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٥٨.
- عبد الباقي، محمد فؤاد :
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، القاهرة ١٩٤٤.
- عبد الحليم، عبد اللطيف : «الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب...» أوراق، ٤، (١٩٨١) ص ١٠٩٤٩.
- عثمان، عثمان اسماعيل :
- تاريخ شالة الإسلامية، بيروت ١٩٧٥.
- العروى، عبد الله :
- العرب والفكر التاريخي، ط ٢ بيروت. ١٩٨٠.
- عزام، عبد الوهاب :
- دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة ١٩٦٩.
- العلوي النقي: «أصول المغاربة...» مجلة البحث العلمي، ٢٧ ، (١٩٧٧) ، ص ٢٠٩-٢٤٨.
- عنان، محمد عبد الله :
- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية، مدريد ١٩٧٦.
- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عصر الناصر، ط ٤، القاهرة ١٩٦٩.
- لسان الدين، حياته وتراثه الفكري، القاهرة ١٩٧٨.
- غراب، محمود :
- شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ محيي الدين العربي، بيروت ١٩٨١.
- كحالة، عمر رضا :
- جغرافية الجزيرة العربية، دمشق ١٩٤٤.
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٧٨، ج ٣.
- معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، دمشق ١٩٥٧-٦١-١٥ ج. كنون، عبد الله :

- «لسان الدين الكاتب الساخر» مجلة البحث العلمي، ٢ (١٩٦٤) ص ١٢٣ - ١٣٣.
- ثانياً أبي اسحاق الألبيري، المناهل، ٥ (١٩٧٦)، ص ٧ - ٢١.
- النبرغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، بيروت ١٩٦١.
- المراكشي ابن ابراهيم، عباس بن محمد التعارجسي :**
- الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، نشر بن منصور، الرباط ١٩٧٤ - ٨٣، ٨٩ - ١٠.
- مؤنس، حسين :**
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد ١٩٦٧.
- «المساجد»، عالم المعرفة، سلسلة شهرية، يناير ١٩٨١.
- محسن، جمال الدين :**
- احتفالات الموالد النبوية في الأشعار الأندلسية والمغربية المهجرية، بغداد ١٩٦٧.
- المكناسي، أحمد :**
- المدن الإسلامية المندرسة في شمال المغرب ١٩٥٩.
- المنوني، محمد بن عبد الهادي :**
- «تاريخ حفلات الشموع بالمغرب»، مجلة الفنون، ٦، ٧، (١٩٧٤) ص ٣٤ - ٣٨.
- «قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي» مجلة الباحث، ١، (١٩٧٢)، ص ١ - ٣٠.
- «مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية»، مجلة دعوة الحق، ٨، (١٩٧٧)، ص ٢٠ - ٣١.
- «مجموعات مغربية في المدايح النبوية»، مجلة الثقافة المغربية، ٤، (١٩٧١)، ص ٨٧ - ١٠٢.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج١ الدار البيضاء ١٩٨٣.
- «ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي»، مجلة دعوة الحق، ٩، ١٠، (١٩٦٦)، ص ٩٧ - ١١١.
- «وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني»، مجلة البحث العلمي، ١، (١٩٨٤) ص ١٣١، ١٥٣.
- «ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط ١٩٧٩.

النبهاني، أبو المحاسن يوسف بن اسماعيل :
المجموعة النبّهانية في المدايح النبوية، بيروت ١٩٠٢
هيكّل، أحمد : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، القاهرة ١٩٥٨.
(ورقات المنوني) : انظر، المنوني.
وسنك ا. ي :
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن ١٩٣٦ - ٦٩، ج٧.

المراجع الأجنبية

- AL-ʿABBĀDĪ, A.M.,
El reino de Granada en la época de Mohammad V, Madrid 1973.
- AL-ʿABBĀDĪ, A.M.,
"Los móviles económicos en la vida de Ibn al-Jaʿfīb", trad. E. García Gomez, en Al-Andalus, XX, (1955), pp. 214-222.
- ABD AL-KARĪM, G.,
Terminología geográfico-administrativa e historia político-cultural de al-Andalus en el "Muʿayyam al-Buldān" de Yaqut, 3a edición, Sevilla 1972.
- ALLOUCHE, I.S.,
"La vie économique et sociale à Grenade au XIVe siècle", Mélanges d'histoire de l'Occident musulman, Argel 1957, T. II, pp. 7-12.
- ALVAREZ DE CIENFUEGOS, I.,
"Sobre la economía en el reino nazari granadino", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, VII, (1958), pp. 85-98.
- ARIE, R.,
L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, (1232-1492), Paris 1973.
- ARIE, R.,
"Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe siècle", Orientalia Hispanica, I (1974), pp. 33-44.
- ARIE, R.,
"Quelques remarques sur le costume des musulmans d'Espagne au temps des Nasrides", Arabica, XII (1965), pp. 244-261.
- ARIE, R.,
"Un opuscle grenadin sur la peste noire de 1348 : La Nasiha de Muḥammad al-Saḡūrī", Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, 1967, pp.189-199.
- ARIE, R.,
"Les relations diplomatiques et culturelles entre musulmans d'Orient au temps des Nasrides", Mélanges de la casa de Velazquez, 1965, pp. 87-107;
- ARIE, R.,
España musulmana siglos VIII-XV, dirigida por Manuel Tuñón de Lara, Barcelona 1983.
- ARIE, R.,
"Lisan al-Din Ibn al-Khaḍīb, quelques aspects de son œuvre" en Atti del terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici, Napoles 1967, pp. 69-81.
- AVILA NAVARRO, Ma L.,
"La proclamación (bay'a) de Ḥisām II año 976 d.C.", Al-Qantara, I (1980), pp. 79-114.
- AYALON, D.,
The Mamluk military Society, London 1979.
- AZIMAN, M.,
"Kitab Rawdat al-Taʿrif bi-l-Hubb al-Sarif, li-Lisan al-Din b.al-Jaʿfīb", Tamuda, III (1955), pp. 23-37.
- BLACHERE, R.,
"Le vizir poète Ibn Zumruk et son œuvre", Annales de l'Institut d'études Orientales de Faculté de Lettres de l'Université d'Alger, II (1963), pp. 291-312.

BOSCH VILLÁ, J., Y HOENERBACH, W.,
 "Un viaje oficial de la corte nazarí (1347)", *Andalucía Islámica*, II-III (1981-82), pp. 34-69.

BOSCH VILLÁ, J.,
 Ha de Albarracín y su sierra, 2 vols., Teruel 1959, t. II, p. 79.

CALLE, J.,
 La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Paris 1949, 2 vols.

CARRIAZO, J. M.,
 "Un alcalde entre los cristianos y los moros, en la frontera de Granada", *Al-Andalus*, XIII (1948), pp. 35-97.

CASCIARO, J.M.,
 "Don Pedro I de Castilla y Muhammad V de Granada", *Al-Andalus*, XI (1946), pp. 245-247.

CASCIARO, J.M.,
 "El visirato en el reino nazarí de Granada", *Anuario de Historia del Derecho español*, XVIII (1947), pp. 233-258.

CORRIENTE, F.,
 "Observaciones sobre la métrica de Aš-Šuštari (Materiales para un estudio diacrónico del zéjel y el muwaššah)", *Awraq* 5-6 (1982-83), pp. 39-87.

CORRIENTE, F.,
 Gramática, métrica y texto del cancionero hispanoárabe de Aban Ouzman, Madrid 1980.

CORRIENTE, F.,
 A Grammatical sketch of the spanish arabic dialect Bundle, I.H.A.C., Madrid 1977.

CHEJNE, A.G.,
 Historia de España Musulmana, Ed. Catedra, Madrid 1980.

EI 1 : *Encyclopédie de l'Islam*, 1a edición, 4 vols, Leiden 1913-34.

EI 2 : *Encyclopédie de l'Islam*, 2a edición, (Nouvelle édition), 5 vols, (en curso de publicación), Leiden 1960-83.

DERENBOURG, H.,
 Les manuscrits arabes de l'Escorial, Paris 1978.

DOZY, R.,
 Supplément aux dictionnaires arabes, 2 vols., Leyden 1927.

GARCIA GOMEZ, E.,
 Todo Ben Ouzman, Madrid 1972, 3 vols.

GARCIA GOMEZ, E.,
 Un alfaquí español Abu Ishaq de Elvira, Madrid-Granada 1944.

GARCIA GOMEZ, A.,
 "Métrica de la moaxaja y métrica española. Aplicación de un nuevo método de medición completa al-Gais de Ben al-Hatib", *Al-Andalus*, XXXIX (1974), I-II, pp. 1-240.

GARCIA GOMEZ, E.,
 "El parangón entre Málaga y Salé de Ibn al-Jaṭīb", *Al-Andalus*, II (1934), pp. 183-196.

- GARCIA SANCHEZ, E.,
 "La alimentación de la Andalucía Islámica", *Andalucía Islámica*, II-III (1983), pp. 139-176.
- GARULO, T.
 Bibliografía provisional de obras árabes trad. al español (1800-1982), (en prensa).
- GASPAR REMIRO, M.,
 Correspondencia diplomática entre Granada y Fez (s. XIV). Extractos de "Raihanat al-Kuttāb" de Lisaneḍḍīn Abenaljaūib, el-Andalusī, Granada 1916.
- GASPAR REMIRO, M.,
 Documentos árabes de la corte nazarī de Granada, Madrid 1911.
- GAUDEFROY-DEMONBYNES, M.,
 Mahomet, Paris, 1957.
- GENIVAL, P.,
 "Les emires de Hintata "Rois" de Marrakech", *Hespéris*, XXIV, (1937), pp. 245-254.
- GIBERT, S.
 "Abū l-Barakāt al-Balaḥīqī, qādī, historiador y poeta", *Al-Andalus*, XXVIII (1963), pp. 381-424.
- GIBERT, S.,
 El diwān de Ibn Jātima de Almería, Barcelona 1975.
- GRANJA, F. de la
 La Marca Superior en la obra de al-ʿUdrī, Zaragoza 1966.
- GRANJA, F. de la
 "Fiestas cristianas en al-Andalus (Materiales para su estudio) I : "al-Durr al-Munazzam" de al-ʿAzafī", *Al-Andalus*, XXIV (1969), pp. 1-53.
- GRANJA, F. de la
 "La carta de felicitación de Ibn al-Jaḥīb a un almotacen malagueño", *Al-Andalus*, XXVI (1961), pp. 471-475.
- Les guides bluex, Maroc, Librairie Hachette, Paris 1969.
- HOENERBACH, W.,
 "Loja en la época nazarī", *Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos*, III (1954), pp. 55.
- Historia de la ciencia árabe, Real Academia de Ciencias Exactas, Físicas y Naturales, Madrid 1981.
- HOENERBACH, W.,
 "La teoría del "zéjel" según Ṣafī al-Dīn Ḥilli", *Al-Andalus*, XV (1950), pp. 297-308-344.
- HOENERBACH, W.,
 "El historiador Ibn al-Jaḥīb, pueblo, estado", *Andalucía Islámica*, I (1980), pp. 43-63.
- HUICI MIRANDA, A.
 "La cocina hispano-magribí durante la época almohade", *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos*, V (1957), pp. 137-156.
- HUISMAN, A.J.W.,
 Les manuscrits arabes dans le monde, Leiden 1967.

IBN AL-JATĪB

Kitāb a'māl al-A'lām, Parte 3a, Historia medieval islámica del Norte de Africa y Sicilia, traducción, notas e índices por Rafaela Castrillo, I.H.A.C., Madrid 1983.

INAN, M.A.,

Toponimia arabigo-española, I.E.E.I., Madrid 1976.

LADERO QUESADA, M.A.,

Granada, Hitoria de un país islámico(1232-1571), Madrid 1979.

LAFUENTE ALCÁNTARA, E.,

Historia de Granada, 4 vols., Granada 1843-46.

LAFUENTE ALCANTARA, E.,

Inscripcionnes árabes de Granada, precedidas de una reseña histórica y de la genealogía detallada de los reyes Ahmares, Madrid 1859.

LEÓN AFRICANO

Descripción de Africa, Tetuan 1952.

LÓPEZ DE COCA CASTANER, J.E.,

"Sobre historia económica y social del reino nazarí de Granada. Problemas de fuentes y métodos", I Congreso de Historia de Andalucía, Andalucía Medieval, Córdoba 1978, T.II, pp. 395-404.

LOPEZ ORTIZ, J.,

"Fatwas granadinas de los siglos XIV y XV", Al-Andalus, VI (1941), pp. 73-127.

MADOZ, P.,

Diccionario geográfico-estadístico histórico de España y sus posesiones de Ultramar, Madrid 1850.

MANZANO MARTOS, R.,

"El baño termal de Alhama de Granada", Al-Andalus, XXIII (1958), pp. 408-417.

Marocco official names approved by the United States Board on geographic names, Washington, D.C. 20315, June 1970.

MASSIGNON, L.,

Le Maroc dans les premiers années du XVI^e siècle, Tableau géographique d'après Leon l'Africain, Alger 1906.

MEUNIE, J.,

"La zaouiat en Noussak une fondation Merinide aux bords de Salé", Mélanges d'Histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, Alger 1957, II, pp. 129-145.

OCAÑA JIMENEZ, M.,

Nuevas tablas de conversión de datas islámicas a cristianas y viceversa, Madrid 1981, I.H.A.C.

PAZ, J.,

Castillos y fortalezas del Reino. Noticia de su estado y de sus alcaides durante los siglos XV y XVI, Madrid 1978.

PONS BOIGUES, F.,

Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid 1898.

PREMARE, A.L. de

Maghreb et Andalouse au XIV^e siècle. Les notes de voyage d'un andalou au Maroc 1344-1345, Lyon 1981.

RUBIERA MATA, Ma J.,
 "De nuevo sobre los poemas epigraficos de la Alhambra", *Al-Andalus*, XLI (1976), pp. 207-211.

RUBIERA MATA, Ma J.,
 "Ibn Zamrak, su biógrafo Ibn al-Aḥmar y los poemas epigráficos de la Alhambra", *Al-Andalus*, XLII (1977), pp. 447-451.

SALMI, A.,
 "Le genre des poèmes de nativité (Maulūdiyya-s) dans le royaume de Grenade et au Maroc du XIIe au XVIIe siècle", *Hespéris*, XLIII (1956), pp. 335-435.

SANCHEZ ALBORNOZ, C.,
La España según los autores islamitas y cristianos medievales, 2 tomos, Buenos Aires 1946.

SANTIAGO SIMÓN, E. De
 "Jaṭībians mistica : el Kitāb Rawḍat al-Ta'rīf, su temática" *Andalucía Islámica. Textos y estudios*, Granada 1980, pp. 105-121.

SANTIAGO SIMÓN, E. De
El polígrafo granadino Ibn al-Jaṭīb y el sufismo, Granada 1983.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Acerca de la Qaurāya de la Alcazaba Vieja de Córdoba", *Al-Andalus*, XXXIII (1968), pp. 197-203.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Notas para el estudio de Granada bajo la dominación musulmana : acerca de algunas familias ilustres arábigo-granadinas", *Boletín Universidad de Granada*, (1951), pp. 169-191.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Nuevas rectificaciones a la historia de los nazaríes", *Al-Andalus*, XX (1955), pp. 381-405.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Sobre algunos topónimos granadinos de la Iḥṣā", *Al-Andalus*, XVII (1952), pp. 369-378.

SECO DE LUCENA, L.,
 "De toponimia granadina : sobre el viaje de Ibn Battūṭa al Reino de Granada", *Al-Andalus*, XVI (1951), pp. 49-85.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Un nuevo texto en árabe dialectal granadino", *Al-Andalus*, XX (1955), pp. 153-165.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Nuevas rectificaciones a la historia de los Naṣrís", *Al-Andalus*, XX (1955), pp. 381-405.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Una rectificación a la historia de los últimos naṣrís", *Al-Andalus*, XVII (1952), pp. 153-163.

SECO DE LUCENA, L.,
Topónimos árabes identificados, Granada 1974.

SECO DE LUCENA, L.,
 "Toponimia árabe de la vega y los montes de Granada", *Al-Andalus*, XXIX (1964), pp. 311-327.

SHATZMILLER, M.,
 L'historiographie merinide. Ibn Khaldún et ses contemporains, Leiden 1982, pp. 76-88.

SIMONET, F.J.,
 Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los Nasritas, 2a ed, Granada 1872.

SIMONET, F.J.,
 Historia de los mozárabes de España, Madrid 1897-1903.

SOURDEL, D.,
 Le visirat abbaside de 749 a 936, Damasco, 1959-60.

SOURDEL, D.,
 "Wazir et Hāǧib en Occident", *Études d'Orientalisme dédiées a la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, 2 vols.

STERN, S.M.,
 Hispano-Arabic strophic poetry, Oxford 1974.

STERN, S.M.,
 "Studies on Ibn Quzmán", *Al-Andalus*, XVI (1951), pp. 379-425.

STEINGASS, F.,
 A comprehensive Persian - English Dictionary, Londres 1982.

TERRASE, H.,
 "Le royaume našride dans la vie de l'Espagne du moyen âge, indications et problèmes", *Mélanges...Marcel Bataillon*, (Bulletin Hispanique, 64 bis, 1962), pp. 253-260.

TORRES BALBÁS, L.,
 "Esquema demográfico en la ciudad de Granada", *Al-Andalus*, XXI (1956), pp. 131-146.

TORRES BALBÁS, L.,
 "La mezquita mayor de Granada", *Al-Andalus*, X (1945), pp. 409-432.

TORRES BALBÁS, L.,
 "Antequera islámica", *Al-Andalus*, XVI (1951), pp. 427-451.

TORRES DELGADO, G.,
 El antiguo reino nazarí de Granada, 1232-1340, Granada 1974.

TORRES DELGADO, G.,
 Bases para el estudio de la economía del reino nazarí, Granada 1972.

TURKI, A.M.,
 "Lisán al-Dín Ibn al-khaṭīb (713-776/1313-47), Juriste d'après son œuvre inédite : "Muḥḥa al-Ṭariqa fi ḍamm al-waḥḍa", *Arabica*, XVI (1969), pp. 155-211, 279-312.

VALLVE, J.,
 "Medidas de capacidad", *Al-Andalus*, XII (1977), pp. 61-121.

VAZQUEZ RITIS, J.,
 "Zéjeles en Marruecos", *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos*, XXI (1981-82), pp. 43-57.

VERNET, J.,
Estudios sobre historia de la ciencia medieval, 2 vols., Barcelona 1979-80.
Villes et tribus du Maroc par la mission scientifique du Maroc, Rabat et sa région,
Paris 1919, 4 vols.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم العلامة الأستاذ المنوني	5
مقدمة التحقيق :	
- تعريف كتاب نفاضة الجراب	7
- عدد أجزائه	7
- عنوانه وظروف تأليفه	10
- خلاصة لمضامينه	13
- أهميته	21
- منهجيته تحقيقه	27
- رموز التحقيق	28
- وصف المخطوطتين	29
نص الكتاب	
الفصل الأول :	
- رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب	33
الفصل الثاني :	
- رجوع التاريخ	61
- سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولائه للسلطان الجديد أبي زيان	62
- القبض على منصور بن أبي علي	69
- تنصيب أبي ثابت عامر رئيسا على الجند في مراكش	70
- أحداث أندلسية	71
- استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس	74
الفصل الثالث :	
- رحلة ابن الخطيب إلى مراكش	85

	الفصل الرابع :
107	- خدعة أبي ثابت عامر لبعض القبائل
	الفصل الخامس : (رجع التاريخ)
115	- حروب بين المسيحيين والمسلمين بالأندلس
118	- انتصار الغني بالله
124	- استرجاع الغني بالله لملكه بقرناطة
125	- قصائد تهنئته من شعراء مختلفين بمناسبة انتصار الغني بالله
	الفصل السادس : (رجع التاريخ)
161	- عودة ابن الخطيب إلى قرناطة صحبة أسرة الغني بالله
	الفصل السابع : (رجع التاريخ)
161	- نفي ابن كماشة إلى تونس
167	- استبزار عبد الحق بن عطية بيت المال بقرناطة
168	- زهد ابن الخطيب
168	- ثورة ضد الغني بالله
178	- القبض على الدليل البركي (زعيم الثورة)
	الفصل الثامن :
193	- رسائل وأشعار
238	- أزجال لابن الخطيب
	الفصل التاسع : (رجع التاريخ)
275	- وصف المشور الذي بناه الغني بالله
276	- وصف احتفال الغني بالله بعيد المولد النبوي
279	- وصف الساعة الميكانيكية
280	- مقطوعات شعرية لابن الخطيب في الساعة
	الفصل العاشر :
291	- قصائد مولدية لشعراء مختلفين
343	الفهارس

مطبعة (الجمهورية) الجديدة
الشارع الرئيسي

الإيداع القانوني رقم 1989/269

... وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدراسة — مرة أخرى — في تعاملها مع النص الخقق : تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعليق الوافية. وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستائة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كللها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتبدأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليبدأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب».

محمد المنوني